



الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها

دراسة نظرية فى كتابات المستشرقين
والمستغربين فى القرن الرابع عشر الهجرى

بحث معد لنيل الماجستير مقدم من الطالب

إبراهيم بن عبدالله السماري

إشراف صاحب الفضيلة الشيخ :

مناع بن خليل القطان

١٤١٦ هجرية

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام - قسم الدعوة والاحتساب

الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها

دراسة نظرية في كتابات المستشرقين والمستغربين في القرن الرابع عشر الهجري

بحث معد لنيل الماجستير مقدم من الطالب

إبراهيم بن عبدالله السماري

إشراف صاحب الفضيلة الشيخ

مناع بن خليل القطان

١٤١٦هـ

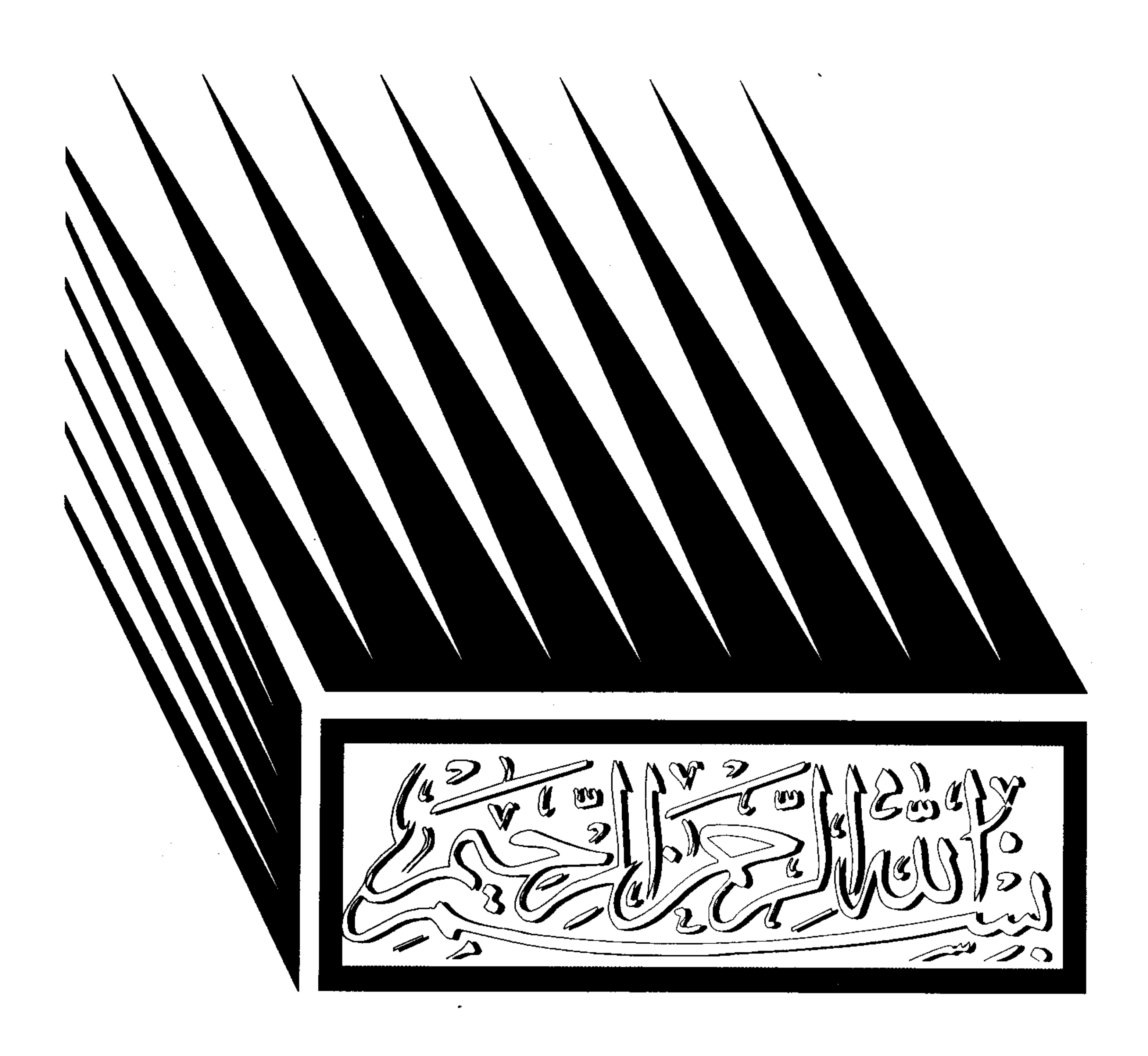
لجنة المناقشة والحكم على الرسالة

الأستاذ الشيخ / مناع بن خليل القطان
الأستاذ في كلية أصول الدين
المشرف على الرسالة رئيسا

الدكتور الشيخ / فالح بن محمد الصغير
الأستاذ في كلية أصول الدين عضوا

الدكتور الشيخ / فضل إلهي بن شيخ ظهور إلهي
الأستاذ المشارك في كلية الدعوة والإعلام عضوا

وقد اجتمعت اللجنة الساعة التاسعة والنصف من مساء يوم الأربعاء ١٤١٦/٩/٤هجرية بالقاعة الكبرى في كلية الدعوة والإعلام وقررت - مشكورة - منح الطالب درجة الماجستير بتقدير « ممتاز »


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ،ونستغفره ،ونعوذ بـا لله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده ا لله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى لـه ، وأشهد أن لاإلـه إلا ا لله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣)

أما بعد : (٤)

فإن الكلمة الطيبة عنوانٌ من عناوين الرشد ، وسبيل من سبل الإصلاح ؛ بها تُصاد الشوارد المفيدة ، وتُفرّش المعانى الصادقة ، ويُنبَّه إلى غوائب الأفكار النافعة .

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (٥)

وأساس الدعوة الإسلامية ، ومفتاح عالمينها وواقعيتها علو شأن الكلمة الطيبة فيها ، يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٦)

١- آل عمران ١٠٢.   ٢- النساء ١.   ٣- الأحزاب ٧٠و٧١.

٤- هذه الخطبة تسمى عند العلماء " خطبة الحاجة " ، وتشرع بين يدى كل خطبة ، سواء كانت خطبة جمعة أو عيد أو نكاح أو درس أو محاضرة . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد بن ناصر الألبانى ٣/١.

٥- إبراهيم ٢٤و٢٥.

٦- فصلت ٣٣.

وبالتالى فإن إثارة الشبهات حولها محاربة للكلمة الطيبة التى هى أساس بنيانها ، وضمان بقائها ؛ فجاء هذا البحث للتأكيد على حرص الإسلام على نقاء الكلمة الطيبة .

التعريف بمصطلحات البحث :

يتألف عنوان هذا البحث من كلمات تحتاج إلى بيان مدلولها الاصطلاحى عند الإطلاق ، حتى يتضح المقصود منها بعد التركيب ، وهى :

أولاً = الشبهات : المعنى اللغوى والمقصود بها فى هذا البحث.

الشبهات : جمع شُبْهَةٍ (والشُّبْهَةُ : الالتباس ، وأمور مُشْتَبِهَةٌ وَمُشَبَّهَةٌ : مُشْكِلَةٌ، يشبه بعضها بعضاً ، وَشَبَّهَ عَلَيْهِ : خَلَّطَ عليه الأمْرَ،حتى اشتبه بغيره) (١) (واشتبها : أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا) (٢) (وشَبَّه عليه الأمرَ: أبْهَمَهُ عليه حتى اشتبه بغيره، واشتبه الأمرُ عليه : اختلط) (٣)

وأقصد بالشبهات : ما يُثار حول الحقيقة من تلبيس وتشكيك وطعن ونحو ذلك ، والحقيقة : هى ثوابت الدعوة الإسلامية .

أساسها ونشأتها .

المحور الرئيس لهذا البحث : هو الشبهات المثارة حول عالمية الإسلام ، ولذا فإن من الملائم أن أذكر شيئاً عن الأسباب التى تنتج عنها الشبهات عامةً .

(يمكن تقسيم أسباب الشبهات إلى قسمين أساسين ، هما : أسباب عامة،

١- لسان العرب لابن منظور بترتيب يوسف خياط . مادة (شبه) ٢/٢٦٦.

٢- القاموس المحيط للفيروزأبادى ، مادة (شبه) ٤/٢٨٨.

٣- المعجم الوسيط – إخراج د. إبراهيم أنيس ورفقاه ، مادة (شبه) ١/٤٧١.

(يمكن تقسيم أسباب الشبهات إلى قسمين أساسين ، هما : أسباب عامة ، وأسباب خاصة .

أ = أما الأسباب العامة : فيمكن تقسيمها أيضاً إلى قسمين :

١ = أسباب بعيدة (غير مباشرة) .

٢ = أسباب قريبة (مباشرة) .

أما الأسباب البعيدة غير المباشرة : فيمكن إرجاعها إلى أمرين ، هما :

١ = الجهل بحقيقة الشيء المشتبَه فيه كلياً أو جزئياً ، وذلك كالجهل بالدين وحقيقته ، أو الجهل بحكم من أحكامه ، أو موقف من مواقفه . وذلك كجهل غير المسلمين بطبيعة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأنهم معصومون عن الخطأ فى التشريع ، والتلاعب بكلام الله عز وجل ؛ فمثلاً نسبوا القرآن الكريم بسبب ذلك الجهل إلى محمد ﷺ ، وجعلوه من صنعه أو ادعى بعضهم : أن الرسول ﷺ تصرف فى القرآن بعض التصرف ، أو نعت بعضُهم القرآنَ بأنه نوع من السحر والكهانة والشعر ...

٢ = العداء للشىء لسبب عقدى أو عنصرى أو قبلى أو غير ذلك ، فيعمل العدو على لَبْس الحق بالباطل ؛ لقلب الجميل قبيحاً ، وتصوير القبيح جميلا ...

أما الأسباب القريبة المباشرة : فيمكن إرجاعها إلى أمور منها :

١ = احتمال دليل الأمر المشتَبَه فيه لأكثر من معنى ، كأن يكون اللفظ مجملاً ، أو مشتركاً ، أو مبهماً ، أو غير ذلك مما هو معروف فى اللغة .

٢ = اختلاف مدارك الناس فى الفهم ؛ فقد يسبق الذهن إلى معنى دون غيره، أو تلتبس على الفكر عدة معانٍ ، وتتداخل ؛ فتثور بسبب ذلك بعض الشبهات .

٣ = اختلاف المنطق فى النظرة إلى الأمر المشتبه فيه ، كأن ينظر إليه أحد بمنظار غيبى ، وينظر إليه آخر بمنظار مادى ، أو ينظر إليه شخص نظرة صديق ، وينظر إليه آخر نظرة عدو ، فتختلف النتائج ، وتثور الشبهات .

ب = أما الأسباب الخاصة : فقد تتنوع هذه الأسباب بحسب العلوم والفنون التى تُثار حولها الشبهات ، ويمكن ذكر نماذج عنها ، مثل :

١ = وجود رأى أو آراء لبعض العلماء فى مسألة من المسائل ، أو رواية قصة ضعيفة أو باطلة فى بعض الكتب ، فتثور الشبهة من جراء تعدد الآراء ، أو الوقوف على القصة الباطلة من تلك الكتب ، فتجعل كأنها قصة واقعة ، أو حقيقة ثابتة ، كما استغل بعض المستشرقين قصة الغرانيق - وهى قصة باطلة - لذكر شبهته حول إمكان سعى الشيطان لتخليط القرآن الكريم دون إشارة لنقد علماء المسلمين لها ...

٢ = الإعراض عن التطبيق لأمر من الأمور ، حتى يصبح نظرية عند بعضهم ، كما حدث فى الإعراض عن تطبيق الشريعة الإسلامية فى كثير من مجالات الحياة ، فأصبحت عند بعضهم نظرية تثار الشبهات حول إمكان تطبيقها فى كل مكان .

٣ = إساءة التطبيق من جهة من الجهات ؛ حيث تتشوه صورة الشىء ، فتثور حولها الشبهات ، كما حدث من شبهات حول إمكان تطبيق الحدود الشرعية ، ووصفها بأنها قاسية وحشية ، لاتصلح لهذا العصر ؛ وذلك لإساءة بعض المسلمين فى تطبيقها ، وفصلهم لنظام العقوبات فى الإسلام عن الأنظمة الأخرى فيه .

٤ = ظهور آثار مادية جديدة عن طريق الحفريات وتتبع الآثار ، يعارض مافيها بعضَ الأحكام السابقة فى أمر من الأمور ، فتثور بذلك الشبهات .

٥ = استعمال كثير من غير المسلمين مناهج فى البحث ، استقرت عندهم ، وأصبحت من المسلمات لديهم ، وإخضاعهم موضوعاتنا ، وبحوثنا المتنوعة لهذه المناهج التى لاتصلح أن تخضع لها ، كما يحدث فى استعمال بعض المناهج المادية التجريبية التى لاتعترف بما وراء المادة ، والمحسوسات فى دراسة بعض عقائد المسلمين ومقرراتهم التى

تَثْبُتُ بها الأدلة النقلية القطعية ؛ فتثور من جراء ذلك بعض الشبهات) (١)

ومن خلال هذا البحث يتبين اختلاف هذه الأسباب باختلاف مطلقى الشبهات ، ودوافع إطلاقها ، بل وتختلف عند الشخص الواحد باختلاف دوافع إطلاقه كل شبهة .

ثانيا = الاستشراق :

فى اللغة :

الاستشراق من " شَرَقَ " و (شَرَقت الشمس تشرق شروقاً وشَرْقاً : طلعت ، واسم الموضع : المَشْرِق) (٢)

و (الشرق : المشرق ، والتشريق : الأخذ فى ناحية المشرق ، يقال : شتان بين مُشَرِّقٍ ومُغَرِّبٍ) (٣)

ويقال : (وشَرَّقوا : ذهبوا إلى المشرق أو أتوا إلى الشرق) (٤)

والسين والتاء تدلان على الطلب ، أى أن معنى استشرق : طلب ماعند الشرق ، واسم الفاعل من استشرق : مُسْتَشْرِق .

١- الشبهات المثارة حول الإسلام وموقف المسلم تجاهها . د. محمد أبو الفتح البيانونى . دراسات استشراقية وحضارية صـ ٦٤ - ٦٨ بتصرف يسير جداً .

٢- لسان العرب ٣٠٣/٢. مادة شرق

٣- الصحاح للجوهرى بتحقيق أحمد عبدالغفور عطار ١٥٠١/٤.، والقاموس المحيط للفيروزأبادى ٢٥٧/٣. والمعجم الوسيط ٤٨١/١ . مادة شرق

٤- لسان العرب لابن منظور بترتيب الخياط ٣٠٣/٢. مادة شرق

فى الاصطلاح :

عند الرجوع إلى الكتب المتخصصة فى مجال الاستشراق ، التى كتبها مسلمون ، أو غير مسلمين ، عرب أو عجم ؛ يتضح أنه ليس هناك مفهوم محدد للاستشراق ، كما يتضح أن النظرة إليه تختلف باختلاف منطلقات المتحدث ، وأهدافه ، ودوافعه .

ثم إنه (ليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق بحيث يمكن معه إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها ، لها رجالها ، وأطرها ، ونظريتها، ومقوماتها ، ومع الإيحاء الذى تمليه الكلمة نجد أن هناك خلطاً واضحاً فى الأدبيات العربية التى حاولت تحديد المفهوم) (١)

ويتضح بعد البحث عن تحديد للمفهوم أن أكثر التعريفات تَنْظُرُ إلى الآثار ، والنتائج ، والأسباب ، أكثر مما تنظر إلى الكنه والمضمون ، ولذا يطلق الاستشراق ويراد به - مثلا - :

(ذلك التيار الفكرى الذى تمثّل فى الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامى ، والتى شملت حضارته ، وأديانه ، وآدابه ، ولغاته ، وثقافته) (٢)

بل إنه ليس هناك تحديد منضبط لموقع الشرق عند الغربيين ، فمثلاً نجد أن المستشرق " بارت " (٣) يقول : الظاهر أن اسم الشرق تعرَّض لتغيير فى معناه ،

١- كنه الاستشراق / بحث د. على النملة فى كتاب: دراسات استشراقية وحضارية صـ٢٣.

٢- الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة صـ ٣٣.

٣- " رودى بارت " مستشرق ألمانى عُنِىَ بالدراسات الإسلامية ، وحاضر فى كثير من الدول الإسلامية

فضلاً انظر الصفحة التالية=..........

فالشرق بالقياس إلينا نحن الألمان يعنى العالم السلافى ... وقد تعرضت لفظة الشرق فى أعقاب الفتوحات العربية والإسلامية لتغيير فى معناها ، وإذا شئنا دقةً أكثر تعرضت لاتساع فى نطاق مدلولها، ومنذ ذلك الحين تعدُّ مصر وبلدان شمال أفريقيا ضمن الشرق ، ويمتد الاستشراق إلى شمال غرب أفريقيا ، الذى يسمى بالمغرب ، أى بلد غروب الشمس، وإن كان المفروض أن اسم الاستشراق يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها ، ومهما يكن من أمر فإن الاسم لايبين بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط ، والمهم هو الموضوع ذاته) (١)

كما أن الشرق لفظ ابتدع حديثاً للدلالة على منطقة جغرافية محددة ، وقد تبين أن : (الشرق : اصطلاح ابتدعته أوروبا لكل أرض تقع وراء حدودها شرقاً إلى اليابان ، بيد أن هذا المصطلح بدأ يتزحزح عبر القرون ليقتصر فى مفهومه العام على الشرق الأوسط ، ومافى هذا الشرق من أديان - عدا النصرانية - وثقافات وحضارات .

والباحث فى أى نوع من فروع المعرفة التى تتعلق بقريب أو بعيد بهذا الشرق يسمَّى : " مستشرق ") (٢)

ويفهم من هذا الكلام أن المستشرق : هو من درس علوم الشرق ، أى سواء كان من أهل الغرب أو من أهل المشرق ، وهو ما أرجحه فى تعريف المستشرق .

وعلى هذا فإن التعريف الدقيق ، والشامل للاستشراق فى نظرى هو :

لشرح أهداف الاستشراق ومناهجه ، أصدر ترجمة القرآن ١٩٦٣-١٩٦٦م . قالوا عن الإسلام د. خليل ص٩٦.

١- الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ، تأليف ر . بارت ، ترجمة مصطفى ماهر ، صـ١١و١٢ بتصرف يسير .

٢- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية د. قاسم السامرائى . صـ ١٠٧و١٠٨.

تصدُرُ العلماء لدراسة ماعند المسلمين من منظور خاص .

ولفظ العلماء لفظ عام يشمل : المسلمين وغير المسلمين ، من الشرق أومن الغرب .

وماعند المسلمين يشمل : العقائد والتقاليد والعادات ، والحضارة ، والعلوم الخ ...

وهذا المصطلح يشمل : الشعوب الإسلامية أياً كانت لغاتها ، وأياً كان موقعها :

(سواء كانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض المتوسط أم الجانب الجنوبى منه، وسواء كانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية ، كالتركية والفارسية والأردية والبشتو ، وغيرها من اللغات التى تتحدثها شعوب المسلمين ، وكان لها فيها آثار علمية أخضعها المستشرقون للدراسة والتحليل) [1]

أسباب ازدهار الاستشراق فى القرن الرابع عشر الهجرى .

القرن الرابع عشر الهجرى هو الإطار الزمنى لهذا البحث ، لذا فمن الملائم تلمس أسباب ازدهار الحركة الاستشراقية ، وتوسع مداها فى هذا الوقت بالذات .

فمن الأسباب أن (أصبح القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) مليئاً بالتطورات العلمية الهائلة ، التى تلبى الحاجات فى شتى ميادين المعرفة ، وأصبح التخصص العلمى ضرورة من ضرورات الحياة العلمية ، مما ترتب عليه أن نضجت حركةٌ لها جوانب علمية ، هى : " حركة الاستشراق " بحيث أصبح علماً له كيانه ومجالات دراساته وأساليبه التى يقوم عليها .

وأصبح من المجدى أن تتعدد مدارسه ، وأغراضه ، وأن تُعْقَد من أجله المؤتمرات التى تقدم فيها البحوث ، وتنظم من خلالها حركة العمل ، وأن تقام من أجله المعاهد العلمية

١- كنه الاستشراق . د. على النملة صـ٢٧.

التى تدرّس الأسس التى يقوم عليها البحث الاستشراقى) [١]

ومن المهم هنا التنويه إلى أن الدافع العلمى ليس الدافع الوحيد ، ولا الأقوى لحركة الاستشراق ، كما سيتضح من خلال هذا البحث إن شاء الله تعالى عند الحديث عن دوافع الاستشراق فى موضعه .

(والاستشراق مهنة أكثر منه علماً ، وهو أقرب إلى دائرة التنصير من دائرة العلم ، وهنا كان الإسلام بيت القصيد للهجوم والنيل منه ، ومع ذلك فقد قدّم المستشرقون خدمات جليلة فيما يتعلق بالمباحث التأريخية) [٢]

ثانيا = الاستغراب :

فى اللغة :

الاستغراب ، والتغريب من : (أغرب : أى أتى الغرب ، وجاء بالشىء الغريب ، وغرَّب القوم : ذهبوا ناحية المغرب) [٣] (والمغرِّب : الذى يأخذ فى ناحية المغرب) [٤] (وقياس فَعَّلَ إذا كان صحيح اللام : التفعيل كالتسليم) [٥]

واسم الفاعل من استغرب : مُسْتَغْرِب ، والسين والتاء تدلان على الطلب ، فكأن المستغرب يطلب ماعند الغرب .

١- المستشرقون . نايف بن ثنيان ط١ عام ١٤١٤هـ صـ١٥.

٢- فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر. أحمد سمايلوفتش صـ ٣١.

٣- المعجم الوسيط ٦٤٧/٢ مادة غرب .

٤- لسان العرب ٩٦٦/٢. مادة غرب .

٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام . بتحقيق محمد عبدالحميد صـ ٤٣٨ .

في الاصطلاح :

من الضرورة بمكان ، قبل معرفة المصطلح أن نعرف دوافع ومسببات نشأته وحينئذ سيتبين أن (العرب قد اهتموا اهتماماً بالغاً في العصر الحديث بحضارة الغرب وآدابها ؛ فأرسلوا البعثات إلى معاهده ومراكزه العلمية ، وقاموا بترجمة كثير من الكتب والدراسات والمؤلفات ، ونشرها ونقدها ، ومع ذلك فإنه من الصعوبة بمكان أن يقطع أحدٌ بوجود علم للاستغراب ، له كيانه ، ومنهجه ، ومدارسه ، وأهدافه) (١)

وفي ضوء ذلك يمكن أن يوصف الاستغراب بأنه : (تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية ، يرمي إلى صبغ حياة الأمم عامة ، والمسلمين خاصة بالأسلوب الغربي ، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة ، وخصائصهم المنفردة ، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية) (٢)

والتعريف الذي أرجحه هو أن المستغرب (**هو ذلك الشرقي الذي تبحَّر في علوم الغرب وآدابه وحضارته (أي درسها) .**

ويصح لنا أن نقول : إن هذا التعريف عام ، والتعريف الدقيق هو : أن المستغرب : هو ذلك الشرقي الذي تأثَّر بالفكر الغربي سواء سافر إلى الغرب أو درس في موطنه) (٣)

إن هذا التحديد – في رأيي – قادر على الإحاطة بصور الاستغراب .

١- فلسفة الاستشراق . سمايلوفتش صـ ٣٥.

٢- الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة صـ١٤٥.

٣- المستشرقون والإسلام د. حسين خطاب صـ ١٢.

ثالثا = العالمية :

فى اللغة :

العالميـة : مصـدر صنـاعى مـن : العَلْـمِ (والعَلْـمُ : العَـالَمُ) [1] و(العـالَم : الخلـق كلـه أو مـاحواه بطـن الفلـك) [2]

فى الاصطلاح :

أعنى بعالميـة الدعـوة الإسـلامية : أنهـا دعـوة موجهـة لكـل الخلـق ، ولكـل الأزمنـة (أو بمعنىً أوضـح : **أن تكـون شـريعة الإنسـان مـن حيـث هـو إنسـان ، بقطـع النظـر عـن العوامـل ، والفـوارق العارضـة**) [3]

رابعا = الدعوة :

فى اللغة :

تستعمل الدعـوة فـى اللغـة لعـدة معـانٍ ، ومنهـا :

(الدعـوة : المرة الواحـدة مـن الدعـاء ، ودعايـة الإسـلام : أى : دعوتـه ، وهـى كلمـة الشـهادة التـى يُدْعـى إليهـا أهـل الملـل الكـافرة ، والدعـاة : قـوم يدعـون إلى بيعـة هـدىً أو ضلالـةٍ ، واحدهـم داعٍ ، والدعـوة : الأذان ، والداعيـة : صريـخ الخيـل

١- المعجم الوسيط ٢/٦٢٤. مادة علم .

٢- القاموس المحيط ٤/١٥٥ مادة علم .

٣- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لعطية صقر صـ ٣٤.

لدعائه من يستصرخه ، ومايترك في الضرع ليدعو غيره) [1]

و (تداعى الناس على فلان : تألبوا عليه . و تداعوا بالألقاب ، دعا بعضهم بعضاً بذلك) [2]

و (الدعوة : مايدعى إليه من طعام أو شراب) [3]

و (تداعت الحيطان للخراب : أي تهادمت ، ودعوت فلاناً أي صِحْتُ به واستدعيته ، ودواعي الدهر : صروفه) [4]

فالدعوة على هذا هي : استمالة الشيء إلى الداعي .

في الاصطلاح :

وقد عرَّف العلماء الدعوة بعدة تعريفات ، منها :

١ = تعريف الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني : (مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه) [5]

١- لسان العرب ١/٩٨٦-٩٨٧. مادة (دعا)

٢- المصباح المنير، للفيومي ١/١٩٦ .

٣- المعجم الوسيط ١/٢٨٧. مادة (دعا)

٤- الصحاح للجوهري بتحقيق العطار ٦/٢٣٣٧. مادة (دعا)

٥- المدخل إلى علم الدعوة ، ص١٤ .

٢ = تعريف أحمد غلوش : (العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى ، من عقيدة ، وشريعة ، وأخلاق) [١]

٣ = تعريف الدكتور / حسن عيسى عبدالظاهر : (البيان والتبليغ لهذا الدين أصولاً ، وأركاناً ، وتكاليفَ ، والحث عليه ، والترغيب فيه) [٢]

إن إلقاء نظرة سريعة على الأقوال السابقة يتبين منه أنها متقاربة ، ولهذا اخترتها ، في حين أعرضت عن عدد من الأقوال الأخرى لعلماء أفاضل ؛ لأنى رأيت أنها لاتضع مصطلحاً منضبطاً للدعوة .

وإن التعريف الذى أرتضيه للدعوة من بين هذه التعاريف المختارة هو : تعريف أحمد غلوش لما يأتى :

١ = أنه جعل الدعوة علماً ، وهذا اللفظ مع اختصاره فإنه يشمل قواعد ، وأصولاً ومناهج ، ووسائل ، الخ ....

٢ = أنه أشار إلى فنية الدعوة ، وفى العصر الحاضر تظهر أهمية هذه الفنية ؛ نظراً لتعدد مدارس التعليم ، والإعلام .

٣ = أشار إلى أن الدعوة محاولات ، أى أنها أخذ وعطاء ، وبيَّن أن هذه المحاولات متعددة ، لاتقتصر على جانب دون آخر ، فتشمل القول ، والفعل ، والقدوة ، الخ ...

٤ = أشار إلى شمول الدعوة للعقيدة والشريعة والأخلاق ،وهذا مهم لضبط المصطلح ، وبيان سعة مدلوله .

١- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ص١٠ .

٢- فصول في الدعوة الإسلامية ، ص٢٦.

خامسا = الواقعية :

فى اللغة :

الواقعية مصدر صناعى من وقع ، يقال : (واقع الأمور مواقعة ً وَوِقاعاً : داناها) (١)

(والواقع : الحاصل ، يقال : أمر واقع ، وطائر واقعٌ : إذا كان على شجر أو نحوه ، ويقال : إنه لَوَاقِعٌ الطير : أى ساكنٌ لَيِّنٌ ... والواقعية فى الفلسفة : مذهب يُلتزم فيه التصوير الأمين لمظاهر الطبيعة والحياة كما هى ، وكذلك عرض الآراء والأحداث والظروف والملابسات دون نظر مثالى ، وهى مذهب أدبى يعتمد على الوقائع ويُعْنَى بتصوير أحوال المجتمع) (٢)

فى الاصطلاح :

التعريف الذى رأيت أنه أقرب إلى الشمول هو : أنها (**مراعاة واقع الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة**) (٣)

أى أن المقصود بالواقعية فى هذا البحث هو : مراعاة مطالب الروح والجسد فلا رهبانية خيالية ، ولاحيوانية بهيمية .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

فى الرسالات السابقة لدعوته ﷺ كان كل نبى يرسل إلى قومه خاصة ؛ لأن هذا

١- لسان العرب لابن منظور بترتيب الخياط ٩٦٧/٣ مادة وقع .

٢- المعجم الوسيط ١٠٥٠/٢و١٠٥١ مادة وقع .

٣- الخصائص العامة للإسلام د. القرضاوى صـ ١٥٧-١٥٨.

مقتضى البيان والإنذار ، ومنتهى حاجة المرسل إليهم ، ثم جاءت رسالة محمد ﷺ عامة ، شاملة لكل الناس ؛ لأن ظروف الزمان والمكان والأشخاص اقتضت وجود رسالة عالمية واحدة يجتمع عليها عموم الناس الذين أصبحوا كأنهم يعيشون فى مجتمع واحد .

كما أن حاجات الإنسان تعددت ، ومتطلباته تنوعت ، فكان لابد من رسالة تراعى هذه الحاجات والمتطلبات .

فكان شمول الإسلام وعالميته ، وواقعيته وتوازنه من سمات صلاحيته لكل زمان ومكان .

وهذه الصلاحية لم تأتِ عبثاً أو تنبت من فراغ ، وإنما هى ثمرة نظام متكامل ، شامل لكل مناحى الحياة والكون والإنسان ، وهى مع هذا حقيقة تسندها الأدلة ، وتؤكدها البراهين .

ومن المؤيدات والبراهين الدالة على صلاحية الدعوة الإسلامية لكل زمان ومكان تلك الخصائص التى انفردت بها عن غيرها من الدعوات السابقة ، وعبَّرت بها عن تخطيها حدود الزمان والمكان تلك الحدود التى كانت تقيِّد الرسالات السابقة .

هذه الخصائص حرىٌّ أن يتوقف عندها العلماء ، وأن يبلِّغها الدعاة لكل الناس؛ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء ، والدعوة إلى الله واجب كل مسلم ، وعنوان صلاحه وامتثاله ؛ لأن هدفها الأخذ بيد المدعو إلى مافيه فلاحه .

وعالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها خصيصتان، بل هما أخص خصائصها الفريدة؛لأنها الدعوة الوحيدة التى تراعى حال المدعو فى كل مكان وزمان ولكل شخص، بخلاف الرسالات السابقة التى تراعى المدعوين فى أمكنة وأزمنة محددة.

هذا التميّز لم يعجب خصوم الدعوة الإسلامية عموماً ، ولاسيما المستشرقين الذين لبسوا برقع الزيف بدعوى البحث العلمى ، وأتباعهم من المستغربين ؛ فواجهوها بأساليب متنوعة ، وبوسائل متعددة ، وبشبهات مضلِّلة ، ولم يدخروا وسعاً فى استخدام أساليب

مباشرة ، وأخرى غير مباشرة للقضاء على هذا التميز .

أما المستشرقون فإنهم (أدمغة الحملات الصليبية الحديثة ، ظهروا فى حلبة الصراع فى فترة كان المسلمون فيها يعانون من الإفلاس الحضارى ، والخواء الفكرى، مما جعل الفرصة سانحة لأولئك كى يثأروا لهزائمهم الماضية ، وينفثوا أحقادهم الدفينة ، واقتضت خطة وجودهم فى عصر يعبد العلم ، ويضفى عليه قداسة الوحى أن يخلعوا عن كواهلهم مسوح الرهبان والأحبار ، وسلاح الميدان ، ويرتدوا لباس العلم ، ومسوح المعرفة ، وجنّدوا آلاف المخطوطات ، ومئات المؤسسات الثقافية المختلفة لمعركة استئصال الإسلام ، وعكفوا فى صوامع البحث يديرون هذا الصراع المرير) (١)

ولايمكن الانخداع بدعوى الحياد العلمى المحض عند المستشرقين ؛ لأنه : (يمكن القول : بأن الاستشراق فى دراسته للإسلام ليس علماً بأى مقياس علمى ، وإنما هو عبارة عن أيديولوجية خاصة ، يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام ، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق ، أو مرتكزة على أوهام وافتراءات) (٢)

أما المستغربون فقد انقادوا إلى المصيدة التى نصبت لهم ، فكانوا عبئاً على فكر أمتهم (لقد أشار لويس التاسع إلى أنه لاسبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب أو القوة ؛ لأن فى دينهم عاملاً حاسماً ، هو عامل المواجهة ، والمقاومة، والجهاد ، وأنه لابد من سبيل آخر من شأنه أن يزيّف هذا المفهوم عند المسلمين ، حتى يصبح مفهوماً أدبياً أو وجدانياً ، ولايتم ذلك إلا بتركيز واسع على الفكر الإسلامى ، وتحويله من منطلقاته ، وأهدافه ، حتى يستسلم المسلمون أمام القوى الغربية ، وتروّض أنفسهم على تقبّلها على

١- العلمانية د. سفر الحوالى صـ ٥٤٣.

٢- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د. محمود زقزوق صـ ٤٤١.

نحو من أنحاء الاحتواء أو الصداقة أو التعاون) [1]

وكان من نتيجة هذا الاحتواء أن فقدت الأمة الإسلامية ذاتها ، واستسلمت للغزو الفكرى بأشكاله المختلفة ، وعلى رأسها : الاستشراق ، والتغريب ، حتى وصل الانبهار بدراسات المستشرقين وبحضارة الغرب إلى درجة التسليم ، والنيل من خصائص الدعوة الإسلامية ، والتشكيك فى ثوابت الدين الإسلامى .

ولايغيب عن أذهان الدعاة أن هذه النتيجة - التأثير فى العالم الإسلامى - لم يحققها الغرب بين ليلة وضحاها ، وإنما كان ذلك نتيجة تخطيط قديم ، وعمل دؤوب منذ نهاية الحروب الصليبية - إن لم يكن قبلها - إلى اليوم ، وربما الغد .

وهذا يلزم منه أن يبذل المسلمون - ولاسيما الدعاة - عملاً قوياً مستمراً لقلع هذا الانبهار من النفوس ، وجلاء خصائص الإسلام مما أصابها من شُبَهِ المضلِّلين ، وبيان تميزها ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، وأنها سبب عزّ المسلمين لاغيرها .

ولعل سائلاً يسأل ، فيقول : لماذا التركيز على الغزو الفكرى ، والاستشراق والتغريب بالذات ؟

فأجيب بأنه (فى العالم الإسلامى المعاصر ألوان من الصراع تستحق الدراسة والتأمل ، وإذا كان الصراع السياسى والاقتصادى هو أبرز مايستلفت النظر فى هذه الصراعات ، وقد يبدو للنظرة المتعجلة أخطرها ؛ فهو عند التأمل المتأنى المتعمق يبدو أقل خطراً من الصراع الفكرى والحضارى ؛ ذلك لأن الظروف السياسية والاقتصادية كثيرة التقلب ، سريعة التبدل ، أما التغير الفكرى والحضارى فهو بطىء فى سريانه ، وفى تفاعله ، ولكنه فى الوقت نفسه طويل المدى فى تأثيره) [2]

١- الإسلام فى وجه التغريب لأنور الجندى صـ ٥ بتصرف يسير .

٢- الإسلام والحضارة الغربية د. محمد حسين صـ ٩.

فإذا كانت هذه هى صفة الغزو الفكرى - والاستشراق والتغريب أمضى أسلحته - وتلك خطورته ؛ وتأثيره فى الإيمان بعالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها من الشر بمكان ؛ فإنه يجب بيان المداخل التى يتسلل منها إلى فكر الأمة المسلمة .

(ومن ثمَّ كان خليقاً بالدراسة الواعية ، والنظرة الفاحصة ، والرؤية المستوعبة؛ حتى تتحدد أبعاده الرهيبة ، وتتضح ألغازه المتشابكة ، وتستبين ضراوته ، وجنايته على أجيال برمتها وقعت فريسة له ، ولاتزال سمومه تسرى فى كيانها كله ، ثم لاسبيل إلى الخلاص منه إلا بمعرفة بصيرة بالداء والدواء معاً) (١)

فإذا تبين انحراف الفكر الاستشراقى عن النهج الصحيح ، وإذا تبين مايحمله هذا الفكر من عداء للإسلام والمسلمين ؛ فإن الخطوة الأولى لمقاومة هذا العداء وذلك الانحراف - فى تصورى - هى التعرف الدقيق على هذا الفكر ، وسبر أغواره ، وكشف مكنونه ، بجمع المعلومات الشاملة عنه ، وتحليلها ؛ لمعرفة دوافعه ، وتَبيُّنِ أهدافه ، وفضح منطلقاته ، وكيفية مقاومتها .

هذا المنطلق ، والإدراك الواعى للمسئولية العلمية حيال الدراسات الاستشراقية ؛ هو أهم أسباب اختيارى لهذا الموضوع ، يضاف إلى ذلك :

١ = محاولة فقه قوله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ (٢) وقوله عز وجل :

﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ﴾ (٣)

١- الغزو الفكرى د. عبد الستار سعيد صـ ٣.

٢- البقرة ١١٨ .

٣- البقرة ١٢٠.

وقوله ﷺ : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه) [١]

٢ = قلة الكتابات التى تربط بين شبهات المستشرقين وعالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها ، بل وخصائصها كلها ، ومعاناة كثير مما كتب فى الموضوع من العاطفة ، وعدم التوثيق العلمى القادر على انتزاع الثقة من المتلقين ؛ فأحببت الإسهام بجهد - ولو يسير - فى حقل الدعوة الإسلامية .

٣ = محاولة ردّ الأمة لعالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها بعدما تمزقت فكرياً بين المدارس الفلسفية المادية المختلفة .

ولبيان الحاجة إلى دراسة جديدة لابد من الإشارة إلى ماكتب حول موضوع بحثي .

الكتابات السابقة .

الذى بدا لى بعد البحث والاطلاع فى مظانه أنه لاتوجد دراسة مستقلة تهتم بموضوع بحثي:(الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها) حيث حرصت - قدر إمكاني - على البحث لدى الكليات المعنية بموضوع الدراسة ، ولدى مراكز البحوث ، وراجعت المختصين فى الكليات التى ظهر لى اهتمامها بموضوع دراستى مثل : كلية أصول الدين بالرياض - قسم السنة والمذاهب المعاصرة - وكلية الشريعة بالرياض ، وكلية الدعوة بالمدينة المنورة ، وكلية الشريعة بجامعة أم القرى فى مكة المكرمة ، وقوائم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ، ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، وخلصت إلى عدم تسجيل الموضوع لدى أى من

١- البخارى مع الفتح فى كتاب الأنبياء ٤٩٥/٦، وفى كتاب الاعتصام إلا أن لفظ آخره : حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم ٣٠٠/١٣، وبهذا اللفظ فى صحيح مسلم بشرح النووى فى كتاب العلم ٢١٩/١٦.

الكليات المعنية ، كما لم تشمله قوائم الدراسات السابقة لدى المراكز البحثية .

وعثرت على عدد من الرسائل الجامعية بدا لى أن لها علاقة بموضوعى بنسبة " ما " فهى تعالج أجزاء منه دون مماثلة أو تداخل ، ثم اطلعت على التراكمات العلمية من كتب ومقالات .

وما أقوله فى حق الدراسات الجامعية أقوله بالنسبة للتراكمات العلمية، وهاك البيان:

أولا : عرض الدراسات السابقة .(*)

١ = من الدراسات السابقة : تغريب العالم الإسلامى ؛ مظاهره وآثاره [١]

عالج فيها الباحث : وسائل التغريب (التنصير والعلمانية والاستشراق) وآثاره .

تحدث الباحث فى الباب الأول عن وسائل التغريب ومنها : الاستشراق ، وتحدث عن آثار التغريب فى حياة المرأة المسلمة فى التعليم وفى العمل وفى اللباس .

٢ = من الدراسات السابقة : (الغزو الفكرى فى الخليج العربى) [٢]

تحدث الباحث عن تأريخ وأهداف وآثار الغزو الفكرى ، وكان حديثه عن الاستشراق والتغريب نتفاً تجدها بالتحديد فى المبحث الثالث من الفصل الأول من الباب الأول عند حديثه عن تشويه العقيدة الإسلامية ، وكذا الحال فى الفصل الثانى من الباب الثانى .

٣ = من الدراسات السابقة : (أسباب تأثر المسلمين بالغزو الفكرى ونتائجه

(*) يلاحظ هنا وفى التراكمات العلمية أننى استعرضت من الأبواب والفصول مايتعلق بعناصر بحثى دون غيرها بداعى الاختصار .

١- رسالة ماجستير قدمت لكلية الشريعة بالرياض من محمد بن سعيد القحطانى .

٢- رسالة ماجستير مقدمة من سعيد بن حارب المعيرى لكلية الشريعة بالرياض .

فى الوقت الحاضر) [١]

تحدثت الباحثة فى الفصل الثالث من الباب الأول عن : انبهار المسلمين بما عند أوروبا ، كما تحدثت فى الباب الثالث عن : بعض قضايا الغزو الفكرى وخصصت الفصل الثالث منه لموضوع تحرير المرأة .

٤ = من الدراسات السابقة : (خصائص الرسالة المحمدية) [٢]

تحدث الباحث فى الباب الثانى عن : عالمية الرسالة المحمدية (الدعوة الإسلامية) وتحدث فى الباب الثالث عن : صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وناقش الباحث شبهتين واردتين حول عالمية الدعوة الإسلامية ، هما : خصوصيتها للعرب ، وانتشارها بالسيف ، ورد عليهما .

٥ = من الدراسات السابقة : (العلاقة بين التنصير والاستشراق من حيث النشأة والأهداف) [٣]

تحدث الباحث عن مفهوم التنصير والاستشراق ودوافعهما ، ونماذج منهما فى الأردن ولبنان ، والعلاقة بينهما.

١- رسالة ماجستير تقدمت بها لكلية الشريعة بجامعة أم القرى الباحثة : ابتسام بنت أحمد جمال ، وقد سجل العنوان فى قوائم مركز الملك فيصل باسم (الغزو الفكرى وأثره فى الوقت الحاضر) وعند رجوعى للرسالة ذاتها فى مكتبة جامعة أم القرى وجدت العنوان كما أثبته هنا .

٢- رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة بجامعة أم القرى من الباحث أحمد بن مرعى العمرى ، وكنت أتمنى أن يسمى الباحث بحثه خصائص الدعوة أو الرسالة الإسلامية ؛ لأن التعبير بالمحمدية أخذ عند المستشرقين بعداً يغيب عن أذهان كثير من الصالحين ، ويقصدون به أن الرسالة من صنع محمد ﷺ.

٣- رسالة ماجستير قدمت لقسم الاستشراق بكلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة من الباحث : حسن محمد نايف غالب .

٦ = من الدراسات السابقة : (موقف المستشرقين من عقوبة الزنا فى الأحاديث النبوية دراسة وصفية نقدية) [١]

تحدث الباحث عن موقف المستشرقين من الفقه الإسلامى - الأحاديث الفقهية - وموقفهم من عقوبة الزنا وشبهاتهم حولها .

٧ = من الدراسات السابقة : (الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين فى دراسة شخصية الرسول ﷺ) [٢]

تحدث الباحث عن الخلفية الثقافية للمستشرقين ، وأثرها فى دراساتهم لشخصية الرسول ﷺ وبيَّن الشبهات حول شخصيته ﷺ ورد تلك الشبهات إلى أصول نصرانية أو يهودية .

٨ = هناك دراسات أخرى ركزت على مستشرقين بعينهم مثل : جولدتسيهر ، وآرثرجيفرى، وسيديو، وبرنارد لويس ، وغيرهم ، أو على مناطق معينة مثل : تنزانيا ونيجيريا ، أو على جزئيات بعينها مثل : توحيد الأسماء والصفات ، والقدر الخ ..

ثانيا : عرض التراكمات العلمية .

١ = الخصائص العامة للإسلام . [٣]

عدد المؤلف فى كتابه الخصائص العامة للإسلام مثل الشمول والواقعية والربانية والإنسانية ، وجعل لكل خصيصة فصلاً ، ولم يُعْنَ بإيراد شبهات المستشرقين

١- رسالة ماجستير قدمت لقسم الاستشراق بكلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة من الباحث : عبدالرحمن المهيدب .

٢- رسالة ماجستير قدمت لقسم الاستشراق بكلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة من الباحث : مصطفى عمر حلبى .

٣- للدكتور يوسف القرضاوى . نشر مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٠٤هـ

والمستغربين ؛ لأن ذلك ليس ضمن مجال موضوعه .

٢ = الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . [١]

عالج المؤلف في الباب الأول موضوع الفكر الممالىء للغرب -أي الاستغراب- فتحدث عن بعض الحركات مثل حركة القاديانية وغيرها كما عرض في الباب الثالث : بعض الشبهات المثارة حول الإسلام ، وبالذات موضوع تحرير المرأة في عجالة سريعة ، ثم تحدث في الباب السادس عن : موقف المستشرقين من الإسلام من الناحية العامة .

٣ = الإسلام في وجه التغريب . [٢]

تحدث المؤلف في الباب الثالث من القسم الأول عن التنصير والتغريب ، كما تحدث في الباب الثاني من القسم الثاني عن سموم الاستشراق حول الإسلام والرسول والقرآن واللغة العربية والتراث والسنة والحضارة والشريعة والتأريخ من الناحية العامة ، وأشار عرضاً إلى تأييد المستغربين لهذه السموم ، ولم يهتم الكتاب ببيان شبهات المستشرقين والمستغربين حول الإسلام فالمؤلف يعطيك مفاتيح البحث ويتركك وجهدك.

٤ = الإسلام والحضارة الغربية . [٣]

تحدث المؤلف في الفصل الثاني عن : نشأة التغريب ووسائله ، وتحدث في الفصول : الرابع والخامس والسادس عن نقد دراسات محددة لمؤلفين غربيين بخصوص التغريب ، وتحدث في الفصل السابع عن العالمية في الاصطلاح ، وفي الفصل التاسع عن القومية عامة ، وفي الأدب خصوصاً .

١- للدكتور محمد البهي . نشر مكتبة وهبة بمصر ط١٠.

٢- لأنور الجندي نشر دار الاعتصام بدون ذكر سنة ومكان الطبع .

٣- للدكتور محمد حسين . نشر المكتب الإسلامي ط١ عام ١٣٩٩هـ .

والكتاب عُنِيَ بالتوثيق العلمي والمناقشة الجادة ، إلا أنه لم يركز على مجال بحثي وهو : الشبهات المثارة حول عالمية الدعوة الإسلامية ، وواقعيتها ... .

٥ = الاستشراق في الأدبيات العربية ، والتنصير في الأدبيات العربية [١] .

وقد اهتم الكتابان بتعريف الاستشراق والتنصير وأهدافهما ودوافعهما ، مع التركيز على الحصر الوراقي لكل ماكتب عن الموضوعين ، وهما بهذه الصفة - مع أهمية مقدمتيهما وجزالتهما - جهد علمي قوي وكبير.

٦ = هناك كتب تحدثت عن (الغزو الفكري) مثل :

أ = الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . [٢]

ب = أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي . [٣]

ج = غزو في الصميم . [٤]

د = الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . [٥]

١- هذان عنوانا كتابين للدكتور علي النملة الأول صدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عام ١٤١٤هـ ، والثاني صدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام١٤١٥هـ

٢- للدكتور عبدالستار سعيد . نشر مكتبة المعارف بالرياض ط٢ .

٣- للدكتور علي جريشة ومحمد الزيبق . نشر دار الاعتصام بدون ذكر سنة ومكان الطبع .

٤- لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني . نشر دار القلم في بيروت ودمشق ط١ عام ١٤٠٢هـ

٥- مجموعة بحوث قدمت لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ونشرتها عام ١٤٠٤هـ ، وفيه بحوث لعدد من العلماء وهم : د . علي عبدالحليم محمود ، ود. عبدالستار سعيد ، ود. علي جريشة ، وعبدالكريم الخطيب ، وأحمد بشير ، وعبدالرحمن الميداني . وغالب هذه البحوث نشرت في كتب مستقلة ، ومنها ما أشير إليه سابقاً .

وهذه الكتب اهتمت بالغزو الفكرى من حيث أهدافه ودوافعه وآثاره ، وإذا ذكرت شيئاً من الشبهات فلتأييد شيء من ذلك ، ولم تُعْنَ ببيان شبهات المستشرقين والمستغربين وحصرها ، وتصنيفها ، وتفنيدها .

٧ = هناك كتب تحدثت عن عالمية الدعوة الإسلامية . مثل :

أ = عالمية الدعوة الإسلامية . (١)

ب = الدعوة الإسلامية دعوة عالمية .(٢)

ج = الشريعة الإسلامية : شموها ، وعالميتها ، ووجوب تطبيقها . (٣)

فهذه الكتب مجالها التأصيل الشرعى لعالمية الدعوة الإسلامية ، وتندر الإشارت فيها إلى شبهات أو مطاعن حول عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها .

ثالثاً : وصف الدراسات والتراكمات العلمية السابقة .

جميع ما أشرتُ إليه من دراسات ، وكتب ، وبحوث وما اطلعتُ عليه مما لم أُشِر إليه - لضعف علاقته بموضوعى - عالج جزئيات صغيرة من بحثى ، ولم يكن فيها أى تداخل مع موضوعى ، لأن مجالها مختلف عن مجاله ، كما أنها لاتلغى الحاجة الماسة إلى دراسة مستقلة عن شبهات المستشرقين والمستغربين حول خصائص الدعوة الإسلامية ، ولاسيما عالميتها وواقعيتها .

رابعاً : جديد هذه الدراسة .

لم أجد فى الدراسات ، والتراكمات العلمية التى رجعت إليها أى كتاب أو بحث عالج

١- عنوان كتاب للدكتور على عبدالحليم محمود . نشر دار عكاظ بجدة ط٢ . عام ١٣٩٩هـ .

٢- هناك عدة كتب تحمل هذا الاسم لعدة مؤلفين ومنهم : محمد الراوى . نشر الدار القومية للطباعة والنشر بمصر . وعطية صقر. نشر مؤسسة الصباح ط١ عام ١٤٠٠هـ .

٣- كتاب لشيخى مناع بن خليل القطان . نشر الدار السعودية للنشر والتوزيع عام ١٤٠٤هـ

موضوعى بعناصره كافة أو حتى بمعظمها ، وإنما وجدت عدة كتب وبحوث تحدثت عن أجزاء من موضوع بحثى ، فاهتمت هذه الدراسة ببيان شبهات المستشرقين والمستغربين حول عالمية الدعوة الإسلامية ، وواقعيتها ، توثيقاً ، ومناقشة ، وتصنيفاً بحسب موضوعاتها ، ودوافعها ، وأساليبها ، وأهدافها .

كما أن هذه الدراسة ركزت على ضوابط معينة فى مناقشة الشبهات ، ومن أهمها :

١ = تصنيف الشبهات ، وبيان صورها ، ودوافعها ، وأهدافها ، وأساليبها .

٢ = مراعاة أن يكون الرد على كل شبهة شاملاً ، ومراعياً الفروق عند المتلقين ، حيث تختلف قدراتهم الفكرية ، كما أنهم قد يكونون من المسلمين ، وقد يكونون من غيرهم ، والفروق عند مطلقى الشبهات ، حيث يكون فيهم الجاهل ، والمعاند ، والمتأثر برواسب الفكر ؛ ولابد حينئذٍ من شمول الرد تبعاً لهذه الفروق ، فعُنِيْتُ بأن يكون الرد شاملاً الآتى :

أ = الرد بدلالة النصوص الشرعية ، كما فهمها السلف الصالح .

ب = الرد بدلالة العقل .

ج = الرد بدلالة الواقع .

د = الرد بأقوال المنصفين من المستشرقين ؛ لأن أقوالهم حجة على أقرانهم .

المشكلة البحثية وتساؤلات البحث .

إن معركة السيف أخذت شكلاً وبُعْداً جديدين ، وتمثل هذا البعد فى : الغزو الفكرى .

وخطورة المعارك الفكرية أنك لاترى السلاح الذى يحاربك به خصمك ؛ لأنه يتسرب مع الهواء والكلمة والموقف ، أضف إلى ذلك أن خطورة الخصم ليست فى عداوته للإسلام من خلال لباسه قناع الزيف ، وادعائه الحياد العلمى المجرد فحسب؛ بل فى تجنيده لبعضٍ من أبناء هذه الدعوة لخدمة أهدافه ، وذلك (أن الاتجاه الفكرى الممالىء للاستعمار اتخذ صورتين : صورة محلية نشأت وتبلورت داخل الشعوب الإسلامية ، أنشأها ونمّاها مفكرون من المسلمين أنفسهم ، وصورة أخرى تكونت فى الخارج ، قام بها القساوسة الغربيون ، وأصحاب

الدراسات السامية اللغوية ، والدينية ، التى عُنِيَت بدراسة العهدين القديم والجديد (التوراة والإنجيل) ، ومايتصل بهما من فروع علمية فى الجامعات الغربية .

وهاتان الصورتان ليستا منفصلتين إلا فى الظاهر فقط ، وواقع الحال أن الصلة بينهما وثيقة ، وأن إحداهما تُعَدُّ مرآةً للأخرى ، أو أن إحداهما تُعَدُّ عاملاً محركاً والأخرى نتيجة لها) (١)

ويزداد الأمر خطورة حين يأتى الجنود من أبناء الإسلام فى صورة منصفين مموِّهين للحقائق ، وماهم إلا تكرار لمن جنَّدوهم للهجوم على الدعوة الإسلامية ، ومحاولة فصلها عن تميّزها العالمى الخ ...

وقد نشأت مشكلة البحث فى ذهنى بعد معاناتى من بعثرة أفكار هؤلاء المستشرقين والمستغربين فى مؤلفاتهم ، بل وصبغها بالصبغة العلمية المحضة ؛ لما لهم من قدرة على التلبيس على الناس ، مع وجود فراغ فكرى إسلامى فى معظم موضوعات دراساتهم .

ولعدم وجود بحث دعوى مستقل يتحدث عن الموضوع طرقت هذه التساؤلات ، لعلها توضّح المشكلة البحثية :

١ = ما موقع عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها بين خصائص الدعوة الإسلامية حتى تستحق اهتماماً خاصّاً ؟

٢ = ما الاتجاهات الفكرية للاستشراق والاستغراب فى القرن الرابع عشر الذى هو الإطار الزمنى لهذا البحث ؟

٣ = ما الغزو الفكرى ، وماعلاقته بالاستشراق والاستغراب ؟

١- الفكر الاسلامى الحديث د. البهى صـ٣٣.

٤ = ما الجذور التأريخية للتشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها ؟

٥ = ماذا كتب المستشرقون والمستغربون من شبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها ؟

٦ = ما الوسائل المستخدمة لإثارة تلك الشبهات ؟

٧ = هل هناك آثار ثقافية أو تربوية – إيجابية أو سلبية – لتلك الشبهات فى المجتمعات المسلمة ؟

٨ = هل هناك آثار فكرية – إيجابية أو سلبية – لتلك الشبهات فى المجتمعات غير المسلمة ؟

٩ = هل هناك جهود بذلت ، وجهود لابد من بذلها لقلع آثار تلك الشبهات من المجتمعات المسلمة وغير المسلمة ؟

١٠ = كيف نرد على الشبهات المثارة ؟

عندما لم أجد إجابات كافية شافية على هذه التساؤلات عقدت العزم على البحث فى هذا الموضوع لعلى أستطيع الإجابة عليها .

منهج البحث .

للبحث مناهج متعددة ، تختلف باختلاف العلوم التى تعالجها .

(هذه المناهج يمكن أن ترد إلى أربعة مناهج رئيسة ، هى : المنهج الاستردادى ، والمنهج الاستقرائى ، والمنهج الاستدلالى ، والمنهج الجدلى) [1]

وسوف أسير فى بحثى – إن شاء الله تعالى – فى ضوء المنهج الاستدلالى ،الذى :

١- الإسلام والعلم التجريبى . د. فاروق الدسوقى . صـ ١٦.

(يُعْنَى بتحديد صور ، وأشكال الاستدلال التى ينتقل خلالها الذهن من مبادىء معلومة ، ومسلّم بصدقها إلى نتائج وقضايا تنتج عن هذه المبادىء بالضرورة ، دون حاجة إلى الالتجاء إلى التجربة) (١)

والمنهج الاستردادى الذى (يهدف إلى الإحاطة بالأحداث البشرية التى حدثت فى الزمن الماضى بما فى ذلك الأزمان الغابرة) (٢)

وقد حرصت (*) فى هذا البحث - ما استطعت - على عزو الأقوال لأصحابها فى مصادرها الأصيلة ، وفى مايتعلق بالآيات الكريمات فقد التزمت بذكر رقم الآية واسم السورة .

وبالنسبة للأحاديث الشريفة فقد كنت أبحث عن الحديث فى صحيحى البخارى ومسلم أولاً ، فإذا وجدته فيهما أو فى أحدهما اكتفيت بذلك ؛ وإذا لم أجده فيهما بحثت عنه فى أمهات كتب الحديث الأخرى ، واجتهدت فى معرفة أقوال العلماء فيه .

التحديد الزمنى للبحث .

سوف يكون الإطار الزمنى لبحثى : الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها من خلال كتابات المستشرقين والمستغربين فى القرن الرابع عشر الهجرى .

أى فى المدة من ١٣٠١/١/١ حتى ١٤٠٠/١٢/٣٠هـ الموافق من ١٨٨٣/١١/٢م حتى ١٩٧٩/١١/٢١م . (٣)

(*) عند الإحالة للمصادر فى الهوامش لم أذكر معلومات النشر اكتفاءً بذكرها فى فهرس المصادر .

١- الإسلام والعلم التجريبى - مصدر سابق - صـ١٦.

٢- الإسلام والعلم التجريبى - مصدر سابق - صـ ١٧.

٣- التقويم الهجرى . إصدار مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض .

تقسيم البحث

قسمت بحثى على النحو الآتى :

المقدمة :

تتضمن : التعريف بمصطلحات البحث ، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره ، والكتابات السابقة بنوعيها - دراسات جامعية وتراكمات علمية - والمشكلة البحثية وتساؤلات البحث ، ومنهج البحث ، وإطاره الزمنى .

الفصل التمهيدى .

ويشمل ثلاثة مطالب ، هى :

المطلب الأول : عالمية الدعوة وواقعيتها بين خصائص الدعوة الإسلامية .

المطلب الثانى: الاتجاهات الفكرية للاستشراق والاستغراب فى القرن الرابع عشر.

المطلب الثالث : الغزو الفكرى وعلاقته بالاستشراق والاستغراب .

الباب الأول (الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية ، والرد عليها)

وفيه أربعة فصول ، هى :

الفصل الأول : كتابات المستشرقين والمستغربين حول عالمية الدعوة الإسلامية .

الفصل الثانى : الجذور التأريخية للتشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية .

الفصل الثالث : الوسائل والأساليب المستخدمة لإثارة تلك الشبهات .

الفصل الرابع : الرد على تلك الشبهات .

الباب الثانى (الشبهات حول واقعية الدعوة الإسلامية ، والرد عليها)

وفيه أربعة فصول ، هى :

الفصل الأول : كتابات المستشرقين والمستغربين حول واقعية الدعوة الإسلامية .

الفصل الثانى : الجذور التأريخية للتشكيك فى واقعية الدعوة الإسلامية .

الفصل الثالث : الوسائل والأساليب المستخدمة لإثارة تلك الشبهات .

الفصل الرابع : الرد على تلك الشبهات .

الباب الثالث : (أثر شبهات المستشرقين والمستغربين فى الدعوة الإسلامية)

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الآثار التربوية والثقافية فى المجتمعات المسلمة .

الفصل الثانى : الآثار الفكرية فى المجتمعات غير المسلمة .

الفصل الثالث : وسائل وأساليب الدعوة فى مواجهة آثار الشبهات .

الخاتمة :

تتضمن نتائج البحث ، والتوصيات .

الفهارس :

تشمل :

أ = فهرس الآيات القرآنية الكريمة .

ب = فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

ج = فهرس الأعلام .

د = فهرس الأماكن .

هـ = فهرس المصادر والمراجع .

و = فهرس موضوعي بأهم ماورد في البحث من كلمات .

ز = فهرس الموضوعات .

شكر وعرفان :

أحق من يحمد ، ويصرف له الثناء : الله سبحانه وتعالى الذى وفقنى ، ويسَّر لى إنهاء هذا البحث بالصورة التى ظهر بها ، وإن كان لم يبلغ درجة الرضا فى نفسى ؛ فذلك لأنه جهد بشرى لابد أن يعتوره النقص ، وتحف به مظاهر القصور ، ولكنى أسأل الله العظيم أن يكون عملى خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .

ثم أتقدم بجزيل الشكروإوافر الامتنان وصادق العرفان لصاحب الفضيلة : الشيخ مناع بن خليل القطان – المشرف العام على الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المشرف على هذا البحث ؛ لما بذله فضيلته من جهد بدنى ، وفكرى ، ولما خصنى به من وقته ومؤازرته ، وتشجيعه ، وتوجيهه وإرشاده ؛ فنهلت من ينابيع علمه ، واستنرت بمصابيح تجاربه ؛ فجزاه الله عنى خير الجزاء ، وجعل ذلك فى موازين حسناته . كما أشكر فضيلة المشرف على إعداد مخطط هذا البحث الدكتور حسين خطاب ؛ لما بذل من جهد ، وأسدى من نصح . وأشكر أخى الدكتور فهد بن عبدالله السمارى – عميد البحث العلمى – لما قدمه لى من مساعدة بدنية ومعنوية .و أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على تشجيعها البحث العلمى، ولاسيما فى المجالات المعاصرة ، وتأصيلها ، وأشكر كلية الدعوة والإعلام لتيسيرها سبل هذا البحث ، ولجهودها فى مجال التدريب كما سأبين فيما بعد .

كما أشكر صاحبى الفضيلة الشيخ الدكتور فالح الصغير الأستاذ بكلية أصول الدين ، والشيخ الدكتور فضل إلهى بن ظهور الأستاذ المشارك بكلية الدعوة والإعلام على كريم استجابتهما لمناقشة هذه الرسالة ، وعلى مابذلاه من جهد ووقت فى قراءتها ، وما أبدياه من ملاحظات قيمة وتوجيهات كريمة عند مناقشتها ، فجزاهما الله عنى خير الجزاء .

والشكر منى أبذله لكل أخ كريم أسهم بتوجيه ، أو أعاننى بكتاب ، أو دلّنى إلى فكرة ، أو نبهنى إلى غائبة ، أو صاد لى شاردة .

هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل التمهيدى

تمهيد :
يشتمل هذا الفصل على ثلاثة مطالب على النحو الآتى :
المطلب الأول :
عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها بين خصائص الدعوة الإسلامية
المطلب الثانى :
الاتجاهات الفكرية للاستشراق والاستغراب فى القرن الرابع عشر .
المطلب الثالث :
الغزو الفكرى وعلاقته بالاستشراق والاستغراب .

(المطلب الأول : عالمية الدعوة وواقعيتها بين خصائص الدعوة الإسلامية)

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وكرمه على غيره من المخلوقات ، فقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (١)

و لم يأت هذا التكريم عبثا ؛ وإنما هو تهيئة ربانية لهذا الإنسان تمهيدا لاستخلافه فى الأرض فقال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

فبيَّن سبحانه وتعالى فى الآية الأولى أنه كرَّم الإنسان على غيره من المخلوقات ، ثم بيَّن عز وجل فى الآية الثانية سبب هذا التكريم وهو استخلافه فى الأرض .

ولكى يحقق الاستخلاف أهدافه فقد منح سبحانه وتعالى الإنسانَ القدرة على التمييز بين الخير والشر ، فقال عز وجل :

---

١ - الإسراء ٧٠.

٢ - البقرة ٣٠.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (٢)

ووجه الشاهد من هاتين الآيتين عبَّر عنه سيد قطب(٣) - رحمه الله - بقوله : (إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة ، مزدوج الاستعداد ، مزدوج الاتجاه ، ونعنى بكلمة " مزدوج " على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه) مزود باستعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال .

فهو قادر على التميز بين ماهو خير وماهو شر ، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء. وأن هذه القدرة كامنة فى كيانه ، يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ ويعبر عنها بالهداية تارة : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾

فهى كامنة فى صميمه فى صورة استعداد . والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك . ولكنها لاتخلقها

---

١ - الشمس ٧-١٠

٢ - البلد ١٠.

٣. " سيد قطب " مفكر مصرى تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٣٤م ، وله مؤلفات كثيرة جداً ، توفى رحمه الله سنة ١٩٦٦م . الأعلام ١٤٧/٣.

خلقا لأنها مخلوقة فطرة ، وكائنة طبعاً ، وكامنة إلهاماً (١)

وإذا كانت فطرة الإنسان تميل به إلى الخير فإن عوامل النقص فيه ، والعوامل الخارجية قد تجذبه إلى الشر ، ولذا أرسل سبحانه وتعالى الرسل ؛ لتتم الحجة على الناس جميعاً .

والفطرة فى الإنسان ليست كافية لهدايته ، مع أنها الأساس ؛ فقد (أودع الله فى صميم الطبائع البشرية صلاحية التميز بين الخير والشر ووضع فيها الميل القوى إلى الأخذ بالأول واجتناب الثانى ومن هنا فقد ظهر الإنسان إلى حيز الوجود وهو يحمل طبيعة سامية نزيهة يستطيع بها أن يختار الحسن متفاديا القبيح فيستحق المثوبة من الله ، فإن راح يؤثر الشر على الخير - على رغم طبيعته - فلا بد أن يلقى العقاب ، وإلى جانب هذه الناحية - ناحية التمييز بين الخير والشر - يوجد فى طبع الإنسان ناحية أخرى ؛ هى ناحية النقص والخواء ؛ لذلك لم يَكِلِ الله سبحانه وتعالى أمر الهداية والضلالة فى الدنيا إلى الطبع البشرى، كما لم يجعل الاهتداء الطبعى معيار الجزاء والعقاب فى الآخرة ، بل أرسل الأنبياء والرسل الذين أيقظوا المتطلبات الطبعية والمواهب الكامنة فى الإنسان ، وأتموا على الخلق حجة الله) (٢)

وهذا الإنسان هو نواة الأسرة ، والأسرة نواة المجتمع ، والمجتمع هو نواة الأمة ، والحفاظ على الإنسان يعنى الحفاظ على هؤلاء جميعا !

وهذا الإنسان بما كرمه الله سبحانه وتعالى به لديه الاستعداد القوى للاهتداء ، وإنما

---

١ - فى ظلال القرآن لسيد قطب ٣٩١٧/٦.

٢ - منهج الدعوة الإسلامية لأمين إصلاحى تعريب سعيد الندوى ورفيقه صـ ١٩.

يحتاج إلى من ينشط فكره ومداركه ليهتدى إلى الطريق الصحيح ؛ لذا أرسل سبحانه الأنبياء والرسل ، وأنزل الآيات ، وأظهر المعجزات ؛ لتنير للإنسان طريقه .

(والحياة الإنسانية منذ فجر التاريخ تمثل مجتمعا إنسانيا واحدا نشأ ثم نما وشب وازدهر حتى وصل إلى ريعان فتوته نضجا ووعيا وإدراكا ، وقد ارتبطت حياة المجتمع الإنسانى فى أطواره كلها منذ النشأة الأولى إلى أن صار يافعا بالنبوات ، فكان الهدى السماوى غذاءه الذى يمده بخصائص الإنسانية المهتدية المؤمنة بالله خالقها) (١)

ولأن ظروف الأمم التى أرسل إليها الرسل والأنبياء ، وعمرانها ومعاملاتها لم تكن متشعبة إلى درجة تستدعى وضع نظام تشريعى عام ؛ فقد جاءت الرسالات السماوية - قبل رسالة النبى صلى الله عليه وسلم - على مر العصور وافية بحاجات من وجهت إليهم ، متفقة فى أصولها التى تدعو إلى تصفية العقيدة وصرف العبادة للواحد الأحد ، إلا أنها فى الفروع تراعى ظروف وزمان ومكان وبيئة المرسل إليهم .

فيكون تفاوتها فى شرائعها بقدر ما تدعو إليه حاجة كل أمة وما حصل فى العمران البشرى من تغير (فلما نمت البشرية وعمرت الأرض وتعددت المصالح المشتركة والعلاقات المتبادلة ، وتهيأت الإنسانية للدعوة العالمية والرسالة الواحدة؛ أرسل الله تعالى الرسول العالمى محمدًا ﷺ بالرسالة العالمية ، وختم به رسالات الأنبياء ، وأكمل به الدين وأتمَّ النعمة) (٢)

قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

---

١ - الشيخ مناع القطان فى محاضراته على طلبة الدراسات العليا بكلية أصول الدين عن الحديث الموضوعى (عموم الرسالة) .

٢ - المصدر السابق .

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [1]

وهكذا جاءت رسالة نبينا محمد ﷺ خاتمة لكل الرسالات ، واشتملت على خصائص تميزها عن غيرها وتعبّر بها عن تخطيها حدود الزمان والمكان ، تلك الحدود التى كانت تقيّد الرسالات السابقة ، وتستدعى بزوغ فجر رسالة جديدة بين حين وآخر كلما تآزرت الدواعى والمتغيرات .

وخصائص الدعوة الإسلامية كثيرة غير أن أوضحها - فى رأيى - ربانيتها وإنسانيتها ووسطيتها وواقعيتها وعالميتها .

ولكى نعرف موقع عالمية وواقعية الدعوة الإسلامية بين خصائصها ؛لابد أن نتعرف على تلك الخصائص .

﴿ ربانية الدعوة الإسلامية ﴾

إن مصدر الرسالة الإسلامية هو الله سبحانه وتعالى ولذا فلا غرو إذا كانت جميع الأهداف التى يسعى الإسلام إلى تحقيقها لصالح الفرد والمجموع تنتهى إلى غاية شريفة هى الوصول إلى مرضاة الله تعالى ، ويمكن تأكيد هذه الخصيصة بمؤيدين واضحين ، هما :

المؤيد الأول: التصريح القرآنى والنبوى بالمصدر فى أكثر من موضع ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ

---

١ - المائدة ٣.

٢ - يوسف ٢.

﴿ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (1) وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ (2)

فقد بينت الآيات الكريمة أن القرآن من عند الله أنزله على رسوله بلسان عربى مبين، وجاء التعبير الكريم بضمير المتكلمين (نا) المفيد التعظيم ؛ للدلالة على عظم شأن القرآن الكريم لعظم شأن المنزِل سبحانه وتعالى .

قال ابن كثير (3) رحمه الله : (وإنه : أى القرآن الكريم المتقدم ذكره فى أول السورة لتنزيل رب العالمين : أى أنزله الله عليك ، وأوحاه إليك) (4)

وقال ﷺ : (ذاق طعم الإيمان من رضى با لله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا) (5)

وقال ﷺ : (ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه) (6)

فإن مقتضى تسليم الإنسان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ؛ أن يستقر فى يقينه أن مصدر هذا الدين هو الله سبحانه ، وأن مبلغه هو النبى ﷺ.

المؤيد الثاني: التصريح القرآني والنبوى بربانية الهدف . فقال سبحانه وتعالى:

---

١ - القدر ١.

٢ - الشعراء ١٩٢-١٩٤.

٣- " ابن كثير " عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب عمر بن كثير له عدة كتب فى التفسير والسيرة النبوية والتأريخ عاش فى المدة بين ٧٠١ - ٧٧٤هـ . الأعلام للزركلى ٣٢٠/١.

٤- تفسير ابن كثير ٣٣٦/٣.

٥ - مسلم بشرح النووى فى كتاب الإيمان ٢/٢ .

٦ - مختصر سنن أبى داود للحافظ المنذرى بتحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقى ٧/٧.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ (١)

قال ابن كثير رحمه الله : (عن ابن عباس(٢) رضى الله عنهما ، قال : يخلص التوحيد لله) (٣)

وقال ﷺ : (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) (٤)

فقد بينت الآية الكريمة والحديث الشريف أن هدف الدعوة الإسلامية هو : إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ، الذى هو المستحق لصرف أنواع العبادة له .

﴿ إنسانية الدعوة الإسلامية ﴾

ينظر الإسلام إلى الإنسان على أنه مخلوق من رب العالمين إلا أنه خصه بالتكريم والتفضيل على غيره من المخلوقات ؛ تهيئة لاستخلافه فى الأرض كما هو ثابت من آيتى الإسراء والبقرة السالف ذكرهما وكان من مقتضى الالتفات إلى هذا التكريم أن يحظى المكرَّم بمزيد عناية ، وفائق اهتمام يتجلى فى عدة شواهد من أهمها :

---

١ - الأنفال ٣٩.

٢- عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله ﷺ ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث دعا له النبى ﷺ بأن يعلمه الله الحكمة وتأويل الكتاب ، وهو حبر هذه الأمة وتوفى رضى الله عنه سنة ٦٨هـ . الإصابة ٣٣٠/٢ ومابعدها .

٣- تفسير ابن كثير ٣٣١/٢.

٤ - البخارى مع الفتح فى كتاب العلم ٢٢٢/١ وفى كتاب التوحيد ٤٤١/١٣ ومسلم بشرح النووى فى كتاب العلم ٤٩/١٣.

الشاهد الأول : أن العقل خصيصة ألإنسان - تمييزاً له عـن الحيـوان - وقـد جعلـه الإسلام مناط التكليف الشرعي .

وحـرص على تنشيط حـظ العقـل الإنسـانـى من الإدراك والـوعى ، وحثـه على التعلم ، والتجربة والمشاهدة ، والنظر إلى ماحوله نظرة تفكر وتدبر ، فقال تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢)

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (٣)

ففى هذه الآيات الكريمات حـضٌ على التفكـر والتدبـر ، ودعـوة إلى تنشـيط العقـل ليتأمل فى خَلْق الكون والحياة والإنسان .

الشـاهد الثـاني : تحصين الإنسـان بـالعلم ؛ لأن هـذا التحصين كفيـل بالارتقـاء بالإنسـان درجات سلم التميز ؛ بما يفيضه علـى المتعلـم من مـدارك ومواهـب تدفـع بـه إلى اكتشاف حقيقة الأهداف الإلهية من خلقه وخلق ما حوله ، ثم إن وضـوح الحقـائق يختصـر المسافة بين الفعل والـهدف بنفس القـدر الـذى يسـهم بـه فـى سـرعة الوصـول إلى الغايـة الشريفة ، وينير الطريق ليسير فيها هو ومن معه على هدى من الله وبَيِّنة .

---

١ - الجاثية١٣ .

٢ - الذاريات ٢٠،٢١.

٣ - الحج ٤٦.

قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١)

فهذه السورة هى أول مانزل من القرآن على نبينا محمد ﷺ ، وقد جاء الحث فيها على العلم بالأمر بالقراءة " اقرأ " وبلفظ العلم ، وتكرارهما أكثر من مرة ، وبالتعبير بالقلم الذى هو أداة التعلم ، وبفتح آفاق التطلع إلى المستقبل ؛ ببيان أن الله ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ وهو ما أكده سبحانه وتعالى فى موضع آخر بقوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

جاء كل ذلك بياناً لأهمية العلم والتعلم فى بناء الإنسان ، ليزكو العقل ويهتدى ، ويظهر تميز الإنسان به ، وتتجلى إنسانيته من خلاله .

الشاهد الثالث : حفظ النوع الإنسانى وحراسته من التشويه ؛ بتجريم القتل بكل درجاته، وتشريع القصاص فى النفس وما دونها لأجل هذه الغاية ، فقال تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣)

وقال سبحانه : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (٤)

---

١ - العلق ١-٥.

٢ - النحل ٨.

٣ - البقرة ١٧٩.

٤ - المائدة ٤٥.

فالآيات الكريمات جعلت الاعتداء على النوع الإنساني بمختلف درجاته جريمة لابد من اجتنابها ؛ لأنها تستحق العقاب فى الدنيا ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ وفى الآخرة : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

الشاهد الرابع : تحقيق كرامة الإنسان ؛ من خلال نظام العبادات ونظام المعاملات والنظام الأخلاقى فى الإسلام ، ففى مجال العبادات نجد - مثلا - تشريع الزكاة ، ذاك التشريع الذى يحقق التكافل الاجتماعى بين المسلمين ، بل ويفيض خيره ليشمل غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى عند حاجتهم .

وتشريع الزكاة محاربة للفقر ؛ لأن الفقر عدو يتربص بكرامة الإنسان ، بل وقد يهدد الإنسان حتى فى عقيدته .

ولذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر فى دعائه من التعوذ من المأثم ، ومن المغرم (فقال له قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ! فقال ﷺ : إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف) (١)

وفى مجال المعاملات ؛ فإن الإسلام نظم البيوع والتجارة تنظيما يكفل كرامة الإنسان ومصلحته .

فحرم الربا - مثلا - لأنه يفضى إلى تراكم الفوائد على المدين فتهان كرامته ، كما أن المال الربوى - مع أنه لايثمر إنتاجا - فإنه يتسرب إلى الدائن بدون جهد فيقعد عن العمل ، وهذا لايتناسب مع تكريم الله للإنسان .

وفى مجال الأخلاق حث الإسلام على التحلى بكريم الخلق وحسن التعامل ، وجعل ميزان نظامه الأخلاقى هو التقوى ، التى صرح بمنزلتها رب العزة والجلال فقال تعالى :

---

١ - البخارى مع الفتح فى كتاب الأذان ٣١٧/٢ ، وفى كتاب الاستقراض ٦٠/٥، وفى كتاب الدعوات ١٧٦/١١، ومسلم بشرح النووى فى كتاب المساجد ٨٧/٥.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (١)

الشاهد الخامس : أن عناية الإسلام بالمسلم تحيط به فى مختلف مراحل حياته ؛ بدءاً من كونه جنينا فى بطن أمه ، حَرِصَ الإسلام على حمايته وحَفِظَ حياته ، ورتب على تكونه جنينا - وإن لم ير النور بعد - حقه من الميراث . بل ومنحه حظه من الرعاية قبل تكوينه بالحث على حسن اختيار والدته ، ثم بعد ولادته ضَمِنَ حقه فى الرضاعة من ثدى أمه ، أو استئجار مرضعة إذا عجزت أو تعاسرت مع زوجها ، وبعد موته تضمنت تعاليم الإسلام كيفية غسله وتكفينه والصلاة عليه وقسمة تركته ، والدعاء له .

﴿ وسطية الدعوة الإسلامية ﴾

الوسطية تعنى استقامة المنهج ، والبعد عن الميل والانحراف ، فلا إفراط ولا تفريط ، ولاغلو ولا تسيب ،ويمكن تبين هذه الخصيصة من خلال عدة شواهد أهمها:

الشاهد الأول : فى المجال العقدى فإن الإسلام يقرر أن علاقة الإنسان بربه علاقة توحيد وإنابة ، أى أنها علاقة مباشرة يملك الإنسان نفسه حق تقويتها للوصول إلى أعلى درجات السمو العقدى مسترشدا طريقه بهدى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

والركن الأول من أركان الإسلام وهو الشهادتان ، والذى يبنى عليه غيره ؛ عبادة قلبية (*) - من حيث الحكم عليها - فالذى ينطق بالشهادتين يعصم دمه بهذا

---

١ - الحجرات ١٣.

(*) ليس المقصود أن الإيمان عبادة قلبية فحسب ، وإنما المقصود بالعبادة القلبية هو : من حيث الحكم على الإيمان ، لأن تعريف الإيمان هو : اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .

النطق إلا إذا ارتكب ما يستوجب قتله .

والوسطية هنا واضحة ؛ ففى الجانب القريب ليس لأحد أن يسفك دم الناطق بالشهادتين وإن ظن أنه نطقهما تعوذا ، مالم يثبت عليه ما يهدر دمه .

والجانب الآخر - الذى يستقيم به الميزان - أنه ليس لهذا الناطق أن يطمئن بهذا النطق ويكتفى به ؛ لأن هناك موجبات للردة تهدر دمه إذا ثبتت عليه . كإنكار معلوم من الدين بالضرورة ، أو ارتكاب جناية أو جريمة عقوبتها القصاص كالقتل عمداً ، أو الحد إلى الموت كحد الزانى المحصن .

وحين ندرك مكانة التوحيد ، وعظم أمره ؛ يمكننا تفسير اللوم النبوى الكريم لأسامة بن زيد رضى الله عنهما - وهو حبه وابن حبه - حين قتل مسلما بعد نطقه الشهادة التى هى عنوان التوحيد .

(فعن أسامة بن زيد[1] رضى الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فادركت رجلا فقال : لاإله إلا الله ، فطعنته ، فوقع فى نفسى من ذلك ، فذكرته للنبى ﷺ ، فقال : أقال : لاإله إلا الله وقتلته ؟ قال : قلت يارسول الله : إنما قالها خوفا من السلاح ، قال : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ فمازال يكررها على حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ ، وفى رواية : قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ قال : يارسول الله استغفر لى ! قال : وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة) [2]

١- أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل ، حب الرسول ﷺ وابن حبه رضى الله عنهما ، وأمره ﷺ على جيش فيه كبار الصحابة ، ومات ﷺ قبل مسيره فأنفذه الصديق رضى الله عنه . مات بالجرف سنة ٥٤هـ . الإصابة ١/ ٣١.

٢ - صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى فى كتاب الإيمان : ٢ / ٩٩-١٠١.

فضلاً انظر الصفحة التالية=.........

وهذان الطرفان نجدهما كذلك فى الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من العبادات والمعاملات ؛ لأن الدعوة الإسلامية تنطلق من حرص أكيد على الخير ، والحق ، والعدل ، وهذا الحرص مشاع للجميع مسلمين وغير مسلمين ، ولايتحقق هذا الهدف إلا بهذه الوسطية المتميزة الراشدة . يقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

فالآية تدل على أن بغض الكفار لايجوز أن يخرج المسلم عن تحرى العدل .

ذاك عن أركان الإسلام ، أما أركان الإيمان فإن المؤمن يؤمن برسالة نبينا محمد ﷺ وأنها خاتمة الرسالات ، وهو كذلك يؤمن برسل الله كلهم دون استثناء ، ويجلهم ويصلى ويسلم عليهم .

(ولهذا علم الإسلام المسلم أن يسأل الله الهداية للصراط المستقيم كل يوم ما لايقل عن سبع عشرة مرة هى عدد ركعات الصلوات الخمس المفروضة فى اليوم والليلة) (٢)

الشاهد الثانى : فى مجال العبادات والمعاملات ؛فإن الإسلام جاء عدلا وسطا فى التكاليف التى ألزم بها المسلمين ، بحيث تعبر عن امتثالهم لأوامر الله وتحقق معنى ارتباطهم به سبحانه وتعالى ،وفى الجانب الآخر لايسبب ذلك لهم العنت والمشقة الزائدة عن الحد.

ونجد وسطية الإسلام جلية باهرة فى مجال الحلال والحرام ؛ فقد حرم سبحانه وتعالى على اليهود بعض الطيبات ، قال تعالى :

والبخارى مع الفتح فى كتاب الديات ١٢/١٩١، وفى كتاب المغازى ٧/٥١٧.

١ - المائدة ٨.

٢ - الخصائص العامة للإسلام ، للقرضاوى صـ ١٣٢.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ (١)

ونجد النصارى توسعوا فى الإباحة فقالوا : كل شىء طيب للطيبين ! وأحلوا خبائث كانت محرمة عليهم مثل لحم الخنزير .

أما الإسلام فكان وسطا؛ فأحل الطيبات وحرم الخبائث ، فقال سبحانه وتعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ ﴾ (٢)

الشاهد الثالث : وفى مجال الأخلاق ، فإن الإسلام دين الوسطية أى الخيرية ، حيث يعطى الإنسان حرية الفعل ، ولكن هذا الفعل له ضوابطه الشرعية ، وهذان هما طرفا الوسطية .

وحث الإسلامُ المسلمين على التلبس بالخلق القويم الذى يزكى النفس دون إفراط يحاول الوصول بها إلى المثالية المطلقة وتجاهل النقص البشرى بدعوى التجرد المطلق من الأغراض الدنيوية ، ودون تفريط يحطها إلى الانحلال .

ولهذا الملحظ - أعنى الوسطية المتوازنة بالحرص على السمو الخلقى مع مراعاة الخصائص البشرية - جعل الإسلام الأمة المسلمة أمة متعاونة ومتواصية بالخير والهدى، وقرن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالإيمان وجعلهما سبب خيرية الأمة . قال سبحانه وتعالى :

---

١ - النساء ١٦٠.

٢ - المائدة ٤.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١)

ومن أجل هـذا التفوق الخلقى استحقت الأمـة الإسـلامية أن تلبس تـاج الخيريـة ، والتميز عن الأمم الأخرى ، فقال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٢)

قال ابن كثير رحمه الله : (الوسط هاهنا الخيار والأجود ،كما يقال : قريش أوسط العرب نسبا ودارا أى : خيرها) (٣)

﴿ عالمية الدعوة الإسلامية ﴾

" العالمية " مصدر صناعى من العَلْم و (العَلْم : العالَم) (٤) (والعالَم : الخلـق كله أو ماحواه بطن الفلك) (٥)

---

١ - آل عمران ١١٠.

٢ - البقرة ١٤٣.

٣ - تفسير ابن كثير ١/١٩٦.

٤ - المعجم الوسيط ٢/٦٣٤ مادة علم .

٥ - القاموس المحيط ٤/١٥٥ مادة علم .

وهذا يعنى أن التعبير بـ" عالمية الدعوة الإسلامية " يقصد به أنها دعوة موجهة لكل الخلق ولكل الأزمنة (أو بمعنى أوضح أن تكون شريعة الإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن العوامل والفوارق العارضة) (١)

وقبل إثبات عالمية الدعوة الإسلامية ، وسوق الأدلة عليها لابد من الإجابة على سؤال قد يطرح ، هو : هل كانت عالمية الدعوة ضرورة عند ظهور الإسلام ؟

وجوابى هو : نعم ، إن البشرية كانت بحاجة إلى دعوة عالمية لسببين :

السبب الأول : أن الدعوة العالمية ضرورة يقتضيها العقل ؛ لأن حاجات الإنسان ، ومصالحه المشتركة ، والعلاقات المتبادلة تعددت ، ومجالات حياته تنوعت ، فكان لابد من الدعوة العالمية والرسالة الواحدة .

وكانت الدعوة الإسلامية هى المطلب المروم ؛ لأننا نجد الإسلام هو (النظام الوحيد الخالى من خصائص التفكير البشرى ، ومن هنا يبدو للناظر المنصف وقد خلا من الخطأ وضيق النظرة إلى الناس والأشياء ، ثم أيقنا أنه بعيد كل البعد عن النزعات الشخصية والرغبات الفردية ، بل تتجلى فيه الحكمة العاقلة والتدبر النزيه لكل مافى الكون من موجودات وأناس ينظر إليهم الإسلام دون تفرقة تقوم على لون أو جنس أو لغة .. وإذن فالدين الإسلامى بهذه الخصائص الجامعة العالمية السرمدية ضرورة يقتضيها العقل ولايستطيع أن يستغنى عنها الإنسان فى زمن من أزمانه أو فى مكان من أمكنة وجوده فهو ضرورة العقل - لاريب - لايستطيع العقل منه فكاكاً . طالما هناك رغبة فى حياة رشيدة تقوم على دعائم الحق والخير لهذه البشرية) (٢)

---

١ - الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لعطية صقر صـ ٣٤.

٢ - عالمية الدعوة الإسلامية للدكتور على عبدالحليم محمود ١/٣٦و٣٧.

والسبب الثاني : أن الدعوة العالمية ضرورة يحتاج إليها الإنسان لتدبير أمر دينه ودنياه والوفاء بحاجاته وضروراته المتشعبة والمتجددة فى آن واحد ، بواقعية واعتدال ، فلم يكن إلا الدعوة الإسلامية تفى بذلك .

(إن هناك مشكلات أساس لابد من حلها حتى تتوافر الطمأنينة والأمن والتآلف والبر والسلام والرحمة ... والإنسانية - إن هى أرادت لنفسها نجاة - عليها أن تعرض نفسها ومشكلاتها على دين ربها ، ولن تجد إلا الإسلام ، والإسلام فحسب ، يجمعها فى صعيد واحد على رحابة الود وطهارة العهد وصدق الأمانة وكريم الوفاء) (١)

ولإثبات عالمية الدعوة الإسلامية (نود أن نتعرف على الخصائص التى يجب أن يشتمل عليها الدين ليكون عالميا وصالحا لكل زمان ومكان ، وأن ندرك مكانة الدعوة الإسلامية من هذه الخصائص . فنجمل أمر هذه الخصائص فى ثلاث :

(أ) وفاؤه بحاجة الإنسانية جميعا فيما يصون وحدتها ، ويرعى إنسانيتها ، ويحمى أفرادها فى العاجل والآجل .

(ب) تشريعاته التى تضمن قيام الإنسانية كلها فى محيط واحد، لاتنزع معه إلى عصبية دم، أو اختلاف لون ، أو فرقة جنس .

(ج) اتساقه مع حقائق الكون وخصائص الوجود ، بحيث لايتعارض مع ما يثبت من حقائق العلم ، أو يختلف مع منطق الفكر .

فهل تضمنت الدعوة الإسلامية كل ذلك أو قصرت عنه ؟) (٢)

١- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للشيخ الراوى صـ ١٧و٥٣٠.
٢- المصدر السابق صـ٢٥و٢٦.

الجواب لايحتاج إلى جهد لإدراكه ؛ لأن خصائص العالمية فى الدعوة الإسلامية تشرق من خلال عدة حقائق ومسلمات أهمها :

أولا : الدعوة الإسلامية تفى بحاجات الإنسان ، وتحفظ تميزه عن غيره من المخلوقات بالتفضيل والتكريم ، وتحقق وحدة الإنسانية جميعا ، وتكفل لها السلام والأمن. وتشريعات الإسلام تشمل سلوك الإنسان الخاص والعام ، فأحلت له التلذذ بالطيبات وحرمت عليه الانزلاق إلى الخبائث فقال تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ﴾ (1)

وتشمل تشريعات الإسلام رعايته لحقوق الله سبحانه ، قال تعالى :

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (2)

فقد صرحت الآية الكريمة بأن الهدف من خلق الجن والإنس ؛ إنما هو للوفاء بحق الله تعالى ؛ وهو عبادته كما أمر وشرع .

وتشمل رعايته لحقوق بنى آدم ، فلا يُعتدى عليهم ولايظلمون ؛ بالقول أو بالفعل ، بل جعل فى القصاص ، والعدل حياة البشرية ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (3)

---

1 - المائدة 4 .

2 - الذاريات 56 - 58 .

3 - البقرة 179.

وقال ﷺ : (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم) [١]

بل وتشمل علاقة الإنسان مع الأحياء الأخرى من حيوان ، وأشجار ، وغير ذلك .

قال ﷺ : (عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت بها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) [٢]

وقال ﷺ : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة[٣] وإذا ذبحتم فإحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته) [٤]

وقال ﷺ: (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة ، وفي رواية : وما سرق منه له صدقة) [٥]

فهذه التشريعات تنطلق من قناعة شريفة هي ضرورة زرع نبتة الرحمة ، وغرس الإحسان في النفس البشرية ؛ لضمان تدفق جداول الخير .

وثانيا : فإن الإسلام يضمن وحدة الإنسانية كلها بعيدا عن عصبية الدم والقبيلة وكل رابطة سوى رابطة العقيدة وما يتفرع عنها . يقول سبحانه وتعالى :

١- البخاري في كتاب المظالم بلفظ (الظلم ظلمات يوم القيامة) ٥/١٠٠. ومسلم مع شرح النووي في كتاب البر ١٦/١٣٤.

٢- البخاري مع الفتح في كتاب بدء الخلق ٦/٣٥٦. ومسلم بشرح النووي في كتاب البر ١٦/١٧٢.

٣- قال النووي في الشرح القِتلة والذِّبحة : الهيئة والحالة .

٤- مسلم بشرح النووي في كتاب الصيد ١٣/١٠٦-١٠٧.

٥- البخاري مع الفتح في كتاب الحرث ٥/٣ ، وفي كتاب الأدب ١٠/٤٣٨. ومسلم بشرح النووي في كتاب المساقاة ١٠/ ٢١٥ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (١)

فقد بيّن سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن ميزان الأعمال عنده هو التقوى ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ ، بل وربط ذلك بعلمه وهو الخبير ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

وثالثا : الإسلام لايتعارض مع الحقائق العلمية ، وحقائق الفكر ؛ لأنه يرعى العلم ويجعله فى رأس الاهتمام وتاج العناية يقول سبحانه :

﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (٢)

والإسلام لم يترك مجالا للخلط بين العلم المهتدى بنور الله ، وبين الادعاء الممزوج بالهوى فقيّد الإدراكات العلمية لعموم البشر فى قوله تعالى :

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (٣)

وقيّد الإدراكات العلمية لأحاد البشر فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾ (٤)

وهو بهذه القيود العادلة يسد كل الطرق التى يمكن أن تفضى إلى انحراف المعرفة العلمية عن طريق الحق ، ولامجال حينئذ لمخالفة الحقائق العلمية الصحيحة

---

١ - الحجرات ١٣.

٢ - الزمر ٩.

٣ - الإسراء٨٥.

٤ - يوسف ٧٦.

أو التعارض مع ثوابت العقل الصريحة .

وللتدليل على عالمية الدعوة الإسلامية ، والتعرف على حقيقتها لابد من استعراض عدد من الشواهد الدالة عليها وأهمها :

أولا : التصريح القرآني والنبوى بهذا العموم وله صور [1]

أ = : التصريح القرآني بعموم رسالة نبينا **محمد** ﷺبالأسلوب الخبرى .

قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [2]

فقد أخبر سبحانه أنه أرسل **محمداً** ﷺ إلى جنس الناس كافة ؛ لأن " أل " تفيد استغراق الجنس .

ب = : التصريح القرآني بالغاية والهدف من الرسالة والمرسَل بالأسلوب الخبرى فى قوله عز وجل :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [4]

فقد بين سبحانه وتعالى الهدف من إرساله ﷺ ، وأنه الرحمة بالعالمين ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور . والإرسال يشمل المرسَل والرسالة ؛ للارتباط بينهما .

---

١ - انظر تفصيل ذلك فى محاضرات الشيخ مناع القطان المشار إليها سابقا .

٢ - النساء ٧٩.

٣ - الأنبياء ١٠٧.

٤ - إبراهيم ١.

ج = : التصريح القرآنى بأن القرآن الكريم ذكر للبشرية كلها بالأسلوب الخبرى فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١)

د = : التصريح القرآنى بعموم الرسالة بأسلوب الطلب ؛ نداء وأمرا فى قوله تعالى :

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢)

فالنداء فى قوله (يأيها الناس) والطلب فى قوله (فآمنوا) والتصريح بعموم الرسالة فى قوله (إليكم جميعاً)

هـ = : تصريح النبى صلى الله عليه وسلم بأنه مبعوث للعالمين جميعا وأنه خاتم الأنبياء فى أحاديث صحيحة كثيرة ، منها :

قوله صلى الله عليه وسلم : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ... الحديث) (٣)

---

١ - التكوير ٢٧.

٢ - الأعراف ١٥٨.

٣ - مسلم بشرح النووى فى كتاب المساجد ٣/٥.

وقال ﷺ : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، ومنها : وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) (١)

وقوله ﷺ : (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وُضِعَتْ هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) (٢)

ثانيا : إلزام أهل الكتاب بالإيمان بنبينا محمد ﷺ ، وباتباع رسالة الإسلام على أنها ناسخة لرسالتى عيسى وموسى صلى الله عليهما وسلم ، وشمولهم بهذه الرسالة وبالتالى فغيرهم ممن ليس لهم رسالة ربانية من باب أولى ، مما يدل على عالمية الرسالة الإسلامية .

والأدلة على هذا الإلزام كثيرة ومنها:

١ = دلالة النصوص ، مثل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٣)

وقوله ﷺ : (والذى نفس محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به ؛ إلا كان من أصحاب النار) (٤)

١- البخارى مع الفتح بتحقيق الشيخ ابن باز فى كتاب التيمم ٤٣٦/١ والصلاة ٥٣٣/١.

٢- المصدر السابق فى كتاب المناقب ٥٥٨/٦، ورواه مسلم بلفظ مشابه فى كتاب الفضائل ٥١/١٥.

٣ - النساء ٤٧.

٤ - مسلم بشرح النووى فى كتاب الإيمان ١٨٦/٢.

٢ = إرسال الكتب إلى أهل الكتاب لدعوتهم إلى الإسلام ، فقد كتب صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام وفيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين* ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾) [(١)]

تروى المصادر التأريخية أن هرقل [(٢)] أجاب بكتاب جاء فيه :

(إلى أحمد رسول الله الذى بشر به عيسى من قيصر ملك الروم . إنه جاءنى كتابك مع رسولك ، وإنى أشهد أنك رسول الله ، نجدك عندنا فى الإنجيل ، بشرنا بك عيسى ابن مريم ، وإنى دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا ، ولو أطاعونى لكان خيراً لهم ، ولوددت أنى عندك فأخدمك وأغسل قدميك) [(٣)]

---

١ - البخارى مع الفتح فى كتاب الجهاد ١٠٩/٦، وبدء الوحى ٣٢/١، ومسلم بشرح النووى فى كتاب الجهاد ١٠٣/١٢ والآية من سورة آل عمران ورقمها ٦٤.

٢- هرقل : ملك الروم فى عهد النبى ﷺ ولقبه (قيصر) وقد وجه له كتاباً مع دحية بن خليفة الكلبى- رضى الله عنه - يدعوه فيه إلى الإسلام ، ووصله وكان عنده أبو سفيان فسأله عن النبى ﷺ فلما أخبره أبو سفيان بالخبر أثنى على النبى ﷺ ولم يسلم . والقصة فى البخارى وسبق إيرادها . وانظر : فقه الواقع فى رسائل المصطفى ﷺ للمهندس محمد سلطان صـ ٩٥-١١٢.

٣ - الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة د. محمد حميدالله الحيدر أبادى صـ ٣٧.

* الأريسيون : قال النووى رحمه الله : (اختلفوا فى المراد بهم على أقوال أصحها وأشهرها أنهم الأكارون أى الفلاحون والزراعون ومعناه : أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك ...) شرح صحيح مسلم ١٠٩/١٢.

٣ = إرسال الرسل ، مثل إرسال كعب بن عمير[١] رضي الله عنه في خمسة عشر رجلا إلى ذات أطلاح ، وإرساله ﷺ شجاع بن وهب[٢] إلى الحارث بن أبي شمر الغساني[٣] وغيرهم من الرسل لدعوة أهل الكتاب إلى الإسلام) [٤]

ثالثا : أن الدعوة موجهة لكل الأعراق عربا وعجما، ولكل القوميات ؛ولذا فرض الجهاد على المسلمين ، وأمر النبي ﷺ بفعله ، ولو لم تكن الرسالة عالمية لكل الأعراق تستوجب الإيمان بها لم يجز قتال من لم يومن بها .

روى مسلم[٥] عن أبي هريرة[٦] رضي الله عنه ، قال : (لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستُخلِف أبو بكر[٧] بعده ، وكفر من كفر من

١- كعب بن عمير الغفاري رضي الله عنه ، وكان مقتله في سرية ذات أطلاح سنة ٨هـ . الإصابة ٣٠١/٣.

٢- شجاع بن وهب الأسدي ، من المهاجرين للحبشة وكنيته أبو وهب . الإصابة ١٣٨/٢.

٣- " الحارث بن أبي شمر الغساني " من أمراء غسان في أطراف الشام كانت إقامته بغوطة دمشق ومات في عام فتح مكة سنة ٨ هـ . الأعلام ١٥٥/٢.

٤ - انظر : في تفصيل ذلك ما أورده ابن هشام رحمه الله تعالى في كتابه : (السيرة النبوية) (بعث رسول الله ﷺ إلى الملوك) ١٣/٦-١٦ ، وانظر الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة د. محمد حميد الله الحيدر أبادي صـ ٣٨-٤٩.

٥- مسلم بن الحجاج القشيري من أئمة المحدثين ، من أشهر كتبه (صحيح مسلم) جمع فيه ١٢٠٠٠حديث في خمس عشرة سنة ، عاش في المدة بين ٢٠٤-٢٦١هـ . الأعلام للزركلي ٢٢١/٧.

٦- عبدالرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه من المكثرين في الحديث . انظر ترجمته كاملة في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٤٠٣ و ٤ / ٢٠٢. وانظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٣٠١/٣.

٧- عبدالله بن عثمان – وكنية والده أبو قحافة – أول من آمن من الرجال وأول الخلفاء الراشدين توفي رضي الله عنه سنة ١٣هـ . الإصابة ٢/ ٣٤١ ومابعدها و٢٢/٤.

العرب ، قال عمر بن الخطاب [1] : لأبى بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال :لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله) [2]

وقال ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) [3] فالحديثان يدلان على قتال كل من لم يؤمن .

وقال ﷺ : (بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبدا لله وحده لاشريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمرى ...) [4]

وسبق إيراد قوله ﷺ : (**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود..**)

قال النووى [5] رحمه الله: (قيل : المراد بالأحمر : البيض من العجم ، وغيرهم ، وبالأسود : العرب ؛ لغلبة السمرة فيهم) [6]

فإن مقتضى تمييزه ﷺ ببعثته لعموم الناس إلزامهم بالإيمان بماجاء به وقتالهم عند رفضه، وإلا لم يكن لهذه الخاصية معنى .

رابعا : أن رسالة النبى صلى الله عليه وسلم موجهة للجن ، بينما لم ترد نصوص صريحة تدل على توجيه رسالات الأنبياء السابقين لهذه الفئة من الخلق . فهذا دليل جلى على عموم الرسالة الإسلامية .

١- عمر بن الخطاب بن نفيل أبو حفص ثانى الخلفاء الراشدين ، كان إسلامه فتحاً على المسلمين . الإصابة ٥١٨/٢.

٢- البخارى مع الفتح فى كتاب الاعتصام ٣٣٩/١٣. ومسلم بشرح النووى فى كتاب الإيمان ٢٠١/١ .

٣- المصدر السابق فى كتاب الإيمان ٧٥/١.

٤- مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر ، وقال : إسناده صحيح ١٢٢/٧.

٥- أبو زكريا يحى بن شرف النووى علامة مشهور وله تصانيف مشهورة لعل أكثرها ذكراً شرحه لصحيح مسلم وكتاب الأذكارالمعروف بالأذكار النووية.توفى رحمه الله سنة ٦٧٦ هـ / الأعلام للزركلى ١٤٩/٨.

٦- النووى على شرح مسلم ٥/٥.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

خامسا : قدرة لغة الرسالة على الوفاء بمتطلبات العالمية ، فإن الخطاب لايصلح أن يكون عالمياً ما لم يكن قادراً على إيصال مضمونه إلى العموم مع البيان . قال تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

﴿ واقعية الدعوة الإسلامية ﴾

إن الواقعية التى أعنيها هى : **(مراعاة واقع الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة)** (٣) أى : مراعاة مطالب الروح والجسد ؛ فلا رهبنة ، ولا حيوانية بهيمية .

وجماع القول فى وصفها - فى رأيى - أنها تجمع بين مصالح الدين والدنيا ، وإن كانت الغلبة لمصالح الدين ولكن دون إلغاء مصالح الدنيا .

وتتضح أهمية " واقعية الدعوة الإسلامية " عند مقارنتها بما فى النصرانية واليهودية .

أما أناجيل النصارى فإن (كل مافيها من تعاليم إنما تدعو إلى التجرد من الدنيا والانقطاع إلى الآخرة، والحث على الرهبنة ، وترك الزواج ، إلى غير ذلك

---

١ - الأحقاف ٢٩ - ٣١.

٢ - الزخرف ٣.

٣ - الخصائص العامة للإسلام للدكتور القرضاوى صـ ١٥٧.

من الأمور التى تأباها الفطرة الإنسانية ، ويكذبها التأريخ)(١)

وأما اليهودية ففيها (نجد مبادىء الإلحاد والإباحية إلى أقصى الحدود ، نجد دعوة إلى تحطيم كل العقائد والقيم والحضارات) (٢)

كما نجد عند اليهود حرصاً على الحياة ومطالبها المادية قال تعالى عن حرصهم على الحياة :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

ونجد الشاهد من هذه الآية واضحاً فى قول الشوكانى - رحمه الله - : (وتنكير حياة للتحقير ، أى : أنهم - اليهود - أحرص الناس على أحقر حياة ، وأقل لبث فى الدنيا ، فكيف بحياة كثيرة ولبث متطاول ؟ ...

وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ قيل : هو كلام مستأنف ، والتقدير : ومن الذين أشركوا ناس يود أحدهم، وقيل: إنه معطوف على الناس ، أى أحرص الناس وأحرص من الذين أشركوا ،وعلى هذا فيكون قوله تعالى : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ راجعاً إلى اليهود بياناً لزيادة حرصهم على الحياة) (٤)

---

١ - كيف نبلغ الدعوة الإسلامية للدكتور جمعة الخولى صـ ١٣٩.

٢ - المصدر السابق صـ ١٢٧.

٣ - البقرة ٩٦.

٤ - فتح القدير للشوكانى ١/١١٥.

ويتحدثون عن حرصهم على المادة فيقول بروتوكولهم : (فى أيدينا تتركز أعظم قوة فى الأيام الحاضرة ، وأعنى بها الذهب . ففى خلال يومين نستطيع أن نسحب أى مقدار منه من حجرات كنزنا السرية) (١)

ونخلص من المقارنة إلى واقعية الدعوة الإسلامية المتوازنة التى تميزه عن غيره من الأديان والتى تناسب عموم الرسالة وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

وهناك شواهد تدل على هذه الواقعية وتزكيها ، من أهمها :

الشاهد الأول : أن الإسلام ليس دينا حيوانيا ، ولادينا خياليا ، بل حرص على التوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد فى العبادات .

(جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهرولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى) (٢)

الشاهد الثانى : وضع الإسلام تدابير واقية من المحرمات ، وأوضح مثالين لها: التدابير الواقية من الربا ، والتدابير الواقية من الزنا . (٣)

---

١ - الخطر اليهودى (بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسى صـ ٢٠٧.

٢ - البخارى مع الفتح فى كتاب النكاح ٩/١٠٤، وانظرمسلم بشرح النووى فى كتاب النكاح ٩/ ١٧٥.

٣ - هما موضوع كتابين لشيخى الدكتور فضل إلهى ، نشرتهما إدارة ترجمان السنة بباكستان .

وبتأملى فى هذه التدابير وجدت أنها لاتخرج عن صورتين :

الصورة الأولى : تدابير أساس ، وصِفَتُها أن الله سبحانه لم يحرم على المسلمين شيئا إلا أباح لهم ودلهم على ما هو أفضل منه ، فشرع أنواعا من البيوع كبيوع المشاركة والمضاربة مثلا ليقضى على شبهة الربا المحرم ، ورغب فى النكاح ، وأباح الزواج بأربع نساء ؛ ليقضى على شهوة الزنا المحرم ، وزوغ البصر إلى الحرام .

والصورة الثانية : تدابير وقائية ، وصِفَتُها أنها حواجز مادية ومعنوية تمنع مقارفة الإثم ؛ إما خوفا من الله لمن يكفيه التخويف المعنوى ، أو خوفا من العقاب المادى من أولياء الأمر لمن لايردعه الخوف المعنوى .

فمثلا وضع الإسلام تدابير وقائية لمنع الوقوع فى رذيلة الزنا أو النظر المحرم الذى قد يفضى إلى تلك الرذيلة ومن هذه التدابير :

أولا : أوجب الإسلام الاستئذان ، فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (٢)

وثانيا : منع الإسلام المستأذن من أن يقف أمام الأبواب مواجهة ؛ خشية أن يمتد بصره إلى من بداخل البيت .

عن سعد بن عبادة (٣) رضى الله عنه أنه استأذن وهو مستقبل الباب فقال

---

١ - النور ٢٧.

٢ - النور ٥٩.

٣ - سعدبن عبادة الخزرجى الأنصارى ، أحد النقباء ، كان من الأسخياء ، توفى سنة١٥ أو ١٦ . الإصابة ٣٠/٢.

له النبى ﷺ :

لاتستأذن وأنت مستقبل الباب ، وفى رواية : قال : جئت إلى النبىﷺ وهو فى بيتٍ مقابل الباب ، فاستأذنت ، فأشار إلىّ أن تباعد ، ثم جئت فاستأذنت فقال ﷺ : وهل الاستئذان إلا من أجل النظر ؟) [١]

وثالثا : منع الإسلام المرأة أن تنعت المرأة الأخرى لزوجها كأنه ينظر إليها

(عن عبدالله بن مسعود[٢] رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ: لاتباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها) [٣]

ورابعا : أمر سبحانه النساء بالقرار فى البيوت ، فقال تعالى :

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [٤]

وخامسا : نهاهن تعالى عن الخضوع بالقول ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [٥]

١- رواه الإمام الطبرانى رحمه الله ، وقال الإمام الهيثمى رحمه الله فى كتابه مجمع الزوائد ٤٣/٨و٤٤ : رجال الرواية الثانية رجال الصحيح . وانظر البخارى مع الفتح فى كتاب الاستئذان بلفظ (إنما جعل الاستئذان من أجل البصر) ٢٤/١١وفى كتاب اللباس ٣٦٧/١٠بلفظ إنما الإذن من قبل الأبصار وفى كتاب الديات ٢٤٣/١٢.

٢- عبدالله بن مسعود بن غافل رضى الله عنه حليف بنى زهرة ، ومن المكثرين للحديث ، قال عنه النبى ﷺ من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل ليقرأه على قراءة ابن أم عبد ، وبعثه عمررضى الله عنه إلى الكوفة معلماً وعماراً أميراً وقال : إنهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ فاقتدوا بهما / الإصابة ٣٦٨/٢ومابعدها .

٣ - البخارى مع الفتح فى كتاب النكاح ٣٣٨/٩.

٤ - الأحزاب ٣٣.

٥ - الأحزاب ٣٢.

وسادسا : أمرهن بالحجاب ، ونهاهن عن إبداء زينتهن لغير المحارم .

قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ (١)

الشاهد الثالث : أن الإسلام يراعى مطالب الفرد (*) ولكن دون تضييع حق الجماعة .

قال النبى ﷺ : (إنها ستكون بعدى أثرة وأمورٌ تنكرونها ، قالوا : يارسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال ﷺ : تؤدون الذى عليكم وتسألون الله الذى لكم) (٢)

فالخروج على الأئمة الظلمة يعرض المجتمع للخطر ، لذا منع هذا الخروج وإن حصل منهم ظلم للأفراد .

(يأتى أحدهم بالأمر والنهى معتقدا أنه فى ذلك مطيع لله ورسوله ، وهو مُعْتَدٍ فى حدوده ، كما انتصب كثير من أهل البدع والأهواء كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم ممن غلط فيما أتاه من الأمر والنهى والجهاد على ذلك ، وكان فساده أعظم من صلاحه ، ولهذا أمر النبى ﷺ بالصبر على جور الأئمة ، ونهى عن قتالهم ؛ ما أقاموا الصلاة ، وقال : أدوا إليهم حقوقهم وسلوا الله حقوقكم) (٣)

ومن خلال ما سبق تبزغ حقيقة أكيدة هى أن عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها بمنزلة الرأس من الجسد بالنسبة لخصائص الدعوة الإسلامية ، وأن هاتين الخصيصتين عنوان تميز الدين الإسلامى ، وأنهما من أهم أسباب صلاحيته لكل زمان ، ومكان ، ولدعوة البشر جميعاً إليه .

---

* سبقت الإشارة إلى مرعاة حق الفرد صـ٥٥ من البحث .

١ - النور ٣١.

٢ - مسلم بشرح النووى فى كتاب الإمارة ١٢/٢٣٢ ، والنسائى بتحقيق إبراهيم عوض ٤/ ٤٨٢.

٣ - الحسبة لابن تيمية صـ ١٢٠.

(المطلب الثانى : الاتجاهات الفكرية للاستشراق والاستغراب فى القرن الرابع عشر)

فى المطلب الأول دللت على أن الإسلام دين عالمى ، ناسخ لكل ماسبقه من الأديان، مستدلا بقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (١)

وكان مقتضى هذه العالمية أن ينشر الإسلام دعوته فى كل أركان العالم لتتم حجة الله على الخلق ، ولذا كان منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعوة إلى الله قائما على أساسين مستمدين من هذه الحقيقة - أعنى عالمية الإسلام وشموله -

أول هذين الأساسين : أن يُفسَح المجال أمام الدعوة الإسلامية ، فلايُمنَع وصولها إلى عباد الله ؛ تبشر من أطاع وامتثل ، وتنذر من عصى وأعرض ، تحقيقا لقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢)

(*)

وثانيهما : أن لايُجبَر أحد على الدخول فى الإسلام ، ولايُصاد من طريقها ؛ مادام لايهدد الدعوة بخطر ، قال سبحانه وتعالى :

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ (٣)

---

١ - سبأ ٢٨.

٢ - فاطر ٢٤.

٣ - البقرة ٢٥٦.

(*) مع التنبيه إلى ضرورة الخضوع لسلطان الإسلام ؛ إما بالشهادتين ، وإما بدفع الجزية .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (أى لاتكرهوا أحدا على الدخول فى دين الإسلام فإنه بَيِّنٌ واضح ، جلى دلائله وبراهينه ، لايحتاج إلى أن يُكْرَه أحد على الدخول فيه) (١)

وقد جاء التطبيق العملى ملتزماً بهذا التوجيه الربانى الكريم .

(فإن جهاده ﷺ لأهل الكتاب وكذلك جهاده لغيرهم لم يكن القصد منه إبادة الكفار ولاإرغامهم على الدخول في الإسلام عن طريق الإكراه،وإنما كان أغلبه دفاعا * عن الأنفس،أو قمعاً للمعترضين لدعوة الإسلام ،المانعين لنشرها، أو انتقاما من أعداء الإسلام .

ويتبين أن القصد من جميع جهاده ﷺ إنما هو إعلاء كلمة الله تعالى ، وإظهار دينه دين الإسلام على جميع الأديان ، ويتمثل ذلك فيما كان يفعله ﷺ إذا غزا قوما ، فإنه كان يبيت حول القرية ويتحرَّى فإن سمع أذانا كفَّ عنهم ، وإلا دنا منهم ودعاهم إلى الله ، فإن أبوا استعان بالله وقاتلهم لإعلاء كلمة الله ، ويمثل ذلك أمره ﷺ لعلى بن أبى طالب (٢) رضى الله عنه لما أعطاه الراية يوم خيبر بأن لايقاتل يهود خيبر حتى يدعوهم إلى الإسلام) (٣)

(فعن سهل بن سعد(٤) رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر :

(*) والجهاد يكون ابتداءً لنشر الدعوة ، ويكون دفاعاً عنها .

١ - تفسير ابن كثير ٥٥١/١.

٢- على بن أبى طالب بن عبدالمطلب رضى الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ وأول من أسلم من الصبيان ورابع الخلفاء الراشدين وشهد مع النبى ﷺ المشاهد إلا غزوة تبوك وقال له ﷺ : ألاترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ وزوجه بنته فاطمة رضى الله عنها ، توفى رضى الله عنه سنة ٤٠هـ الإصابة ٥٠٧/٢ وما بعدها .

٣ - منهج الرسول ﷺ فى دعوة أهل الكتاب د. محمد سيدى الشنقيطى٤٥٧/٢.

٤- سهل بن سعد بن مالك من مشاهير الصحابة رضى الله عنهم ، كان اسمه حزناً فسماه النبى ﷺ سهلاً توفى رضى الله عنه بالمدينة سنة ٩١هـ . الإصابة ٨٨/٢.

لأعطين هذه الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله . قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم : أيهم يعطاها ؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال ﷺ: أين على بن أبى طالب ؟ فقيل : هو يارسول الله يشتكى عينيه ، قال : فأرسلوا إليه ، فأُتِىَ به ، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال على : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال ﷺ : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم) [1]

(وعن أنس[2] رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا غزا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر ، فإن سمع أذاناً كفَّ عنهم ، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم) [3]

ووجه الشاهد من الحديثين أن الرسول ﷺ كان شديد الحرص على البدء بالدعوة قبل القتال ، وذلك واضح من أمره الصريح لعلى رضى الله عنه بذلك ، ومن تحريه للأذان الذى هو علامة امتثال الدعوة الإسلامية .

وهذا كله دليل على حرص الإسلام على ضمان مجالٍ لنشر الدعوة الإسلامية ، مع عدم إكراه أحد عليها .

---

١ - البخارى مع فتح البارى فى كتاب المغازى ٤٧٦/٧.

٢- أنس بن مالك بن النضر رضى الله عنه . خادم رسول الله ﷺ ومن المكثرين فى الحديث عن النبى ﷺ ودعا له النبى ﷺ بأن يكثر ماله وولده وأن يدخله الجنة . الإصابة ٧١/١و٧٢.

٣ - البخارى مع الفتح فى كتاب الأذان ٨٩/٢.

وقد يتبادر إلى الذهن - لأول وهلة - أن الأساسين متعارضان ؛ فكيف يُطْلَب فسح المجال أمام الدعوة ، مع عدم إجبار أحد على الدخول فى الإسلام ؟

ولكن عند التحقيق يتبين أنه لاتعارض بينهما ، وإنما هى روح الإسلام العامرة بالرغبة فى الأمن والسلم والحرية الحقيقية لكل الناس ، بالانطلاق من قيود ذل العبودية لغير الله من طواغيت البشر أو حتى للجماد ؛ إلى الارتقاء بالنفوس لتحقيق العبودية الحقة لله وحده .

وهذه الحرية الحقة هى ما صرح به ربعى بن عامر[1] رضى الله عنه بين يدى رستم[2] قائد الفرس ، فقال : (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام) [3]

فمن وقف فى وجه الدعوة الإسلامية ، ومنع وصولها إلى المدعوين جابهه حملة الدعوة بكل الوسائل ، بدءا من إرسال الرسل ، والرسائل ؛ لترهيبه وترغيبه ، وانتهاء بقتاله إذا لم يكن إلا به استمرار الدعوة .

ومن بلغته الدعوة ، وفضَّل أن يبقى على دينه ؛ فله ذلك ، وفق ضوابط ، أَوْضَحُها : دفع الجزية ؛ ليكون فى مرحلة تسمح له بتأمل الدين الإسلامى ، والتعرف على حقائقه الموافقة للفطرة والعقل ، وبالتالى دخوله فيه ؛ إذا تبين له الحق ما لم يكن معاندا .

١- ربعى بن عامر بن خالد بن عمرو أمدّ عمرُ المثنى به ، وكان من أشراف العرب . الإصابة ٥٠٣/١.

٢- رستم : قائد من أكبر قواد الفرس وله مواقف مشهورة مع المسلمين كما أن له مناظرة مع المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وله ذكر فى معركة نهاوند فى كتب التأريخ .

٣ - البداية والنهاية لابن كثير بتحقيق محمد النجار ٤٤/٧.

والتأريخ أكبر شاهد على أن معظم من بلغتهم الدعوة آمنوا بها ، وأن معظم الذين دفعوا الجزية ، عندما عرفوا الإسلام حق المعرفة دخلوا فيه دون إكراه .

ولأن الفضل ماشهد به الخصوم والأعداء ، فهذا سير توماس أرنولد[1] يقرر :

أنه (لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام ، أو عن أى اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحى (النصرانى) ، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية (النصرانية) بتلك السهولة التى أقصى بها فرديناند وايزابلا [2] دين الإسلام من أسبانيا ، أو التى جعل بها لويس الرابع عشر[3] المذهب البروتستانتى مذهبا يُعَاقَب عليه متبعوه فى فرنسا ، أو بتلك السهولة التى ظل بها اليهود مبعدين عن انكلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة) [4]

١- أرنولد : مستشرق إنجليزى ، وكان ملما بالعربية والفارسية والأردية وبعض اللغات الأوروبية ، وعمل فى مصر ، وعميداً لمدرسة اللغات الشرقية بلندن ، وعاش فى المدة بين ١٨٦٤-١٩٣٠م . مقدمة كتاب الدعوة إلى الإسلام ، ومستشرقون لنذير حمدان صـ ١٢٠.

٢- الملك فرديناند ، والملكة إيزابلا من ملوك أسبانيا الكاثوليك تزوجا فكونا مملكة قوية موحدة ضمت أسبانيا بأكملها عدا غرناطة ونافارعام ١٤٧٩م ، وقد نصبا محاكم التفتيش وارتكبا فظائع بحق العرب واليهود ممن بقى على دينه سراً انظر كتاب : (قصة الحضارة) لديورانت ترجمة د. عبدالحميد مؤنس ٧١/٢٣و٧٢ وانظر : كتاب : (حاضر العالم الإسلامى) لمؤلفه : ستوارد / مقدمة شكيب أرسلان " التسامح والتعصب بين الإسلام وأوروبا " ٢٣٨/١.

٣- ويلقب " لويس الأكبر " حكم فرنسا فى المدة من ١٦٤٣-١٧١٥م ، رفع الملكية إلى ذروة مجدها ، ويعد عصره العصر الذهبى للثقافة الفرنسية . انظر : الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال . صـ ١٥٨٥.

٤ - الدعوة إلى الإسلام لأرنولد ترجمة حسن إبراهيم ورفقاه صـ٩٨و٩٩.

ويقول المستشرق الفرنسى الدومييلى : [1]

(كانت شروط الفتح الإسلامى تسمح ببقاء بذور الحضارات القديمة عند طوائف كبيرة من الأهالى الذين واصلوا التمتع بعاداتهم وقوانينهم ولغاتهم على أن يُعْطُوا بانتظام قيم الجزية المفروضة على من لايدخل فى جماعة المسلمين .

وكان طبعيا أن تتأسس الروابط والعلاقات بين الفاتحين وأهل البلاد فى وقت مبكر ، سواء أكان ذلك بسبب الجوار ، أم بسبب اعتناق الأهالى كثيرا أو قليلا للإسلام بوجه خاص) [2]

﴿ جذور الاتجاهات الفكرية ﴾

ثم إنه لايمكن قراءة الاتجاهات الفكرية للاستشراق والاستغراب فى القرن الرابع عشر بمعزل عن المراجعة المجملة لتأريخ الدعوة الإسلامية ، ومواجهة خصومها لها ، حتى فى بداية ظهور الدعوة الإسلامية ؛ لأن هذه المواجهة كان هدفها هو القضاء على الإسلام ، سواء بالقوة العسكرية كما فى حروب النبى ﷺ للمشركين ، أو بالقوة الاقتصادية كما فى قصة الصحيفة ، أو بالقوة الفكرية كدعوى السحر والكهانة وتلقين البشر له ﷺ .

وقد واجهت الدعوة الإسلامية - فى مختلف أطوارها - طواغيت من البشر منعوا صوت الحق فى دعوة الإسلام أن يصل إلى الناس ؛ لأنه يحرر هؤلاء من عبودية غير الله .

١- الدومييلى : مستشرق فرنسى ، تفرغ لتأريخ العلوم ، وأسس مجلة أركيون ، من آثاره تاريخ العلوم ١٩٣٥م ، العلم عند العرب وأثره فى التطوير العلمى العالمى ١٩٣٨م والعلم الإسلامى ١٩٤٢م وغيرها . قالوا عن الإسلام د. خليل صـ ٢٦٦.

٢ - العلم عند العرب وأثره فى التطوير العلمى العالمى للدومييلى ترجمة محمد يوسف وآخرين صـ ١٢٣.

وعروش الطواغيت إنما تقوم على استعباد الناس ، أو استغفالهم ، بل إن بعضهم قتل رسول رسول الله ﷺ .

وذلك (أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدى[1] أحد بنى لهب بكتاب إلى الشام إلى ملك الروم أو إلى ملك بصرى ، فعرض له شرحبيل ابن عمرو الغسانى فأوثقه رباطا ثم قدّمه ، فضرب عنقه ، فعلم بذلك ﷺ ، فاشتد عليه فبعث ﷺ مؤتة) [2]

وعلى مدى عصور طويلة كان الصراع بين الحق والباطل مستمرا ؛ لأنه غاب عن أذهان المعاندين أن الحق عندما يكون فى صراع مع الباطل ؛ تكون المعجزات ، وتأييد الرب سبحانه رجحانا لميزان الحق وخذلانا لميزان الباطل .

وجاءت الحروب الصليبية حلقة فى سلسلة ذلك الصراع حيث قامت الكنيسة البيزنطية الشرقية " الأرثوذكية " بمحاولات للهجوم على العالم الإسلامى ، بدأها الأمبراطور قسطنطين السابع [3] ، وقام بقيادتها يوحنا تزيمسكيس [4] الذى قاد حملة سنة ٩٧٢م واستولى بها على مدينة نصيبين ، وحقق بعض الانتصارات ؛ لظروف مرَّ

١- الحارث بن عمير الأزدى اللهبى بكسر اللام وسكون الهاء توفى رضى الله عنه سنة ٨ هـ . الإصابة ٢٨٦/١.

٢ - منهج الرسولﷺ فى دعوة أهل الكتاب ٤٢٠/٢ ، وانظر ابن حجر فى فتح البارى على البخارى ٥١١/٧ .

٣- اسمه : بورفيروجنتوس (ولقبه قسطنطين السابع) عاش بين ٩٠٥-٩٥٩م امبراطور بيزنطى ، شجع العلم وأصلح القوانين . الموسوعة العربية الميسرة صـ١٣٨٠.

٤- يوحنا الأول (تزيمسكيس)عاش فى المدة بين ٩٢٥-٩٧٦م ، ظفر بالعرش بقتله نقفور الثانى سنة ٩٦٩م ، وألغى تنظيمات نقفور المعادية للكنيسة ، تعاون مع سلطان بيزنطة (قسطنطين السابع) ضد العرب والروس . المصدر السابق صـ١٩٨٨.

بها العالم الإسلامى، ثم كانت حملات روما الكاثوليكية التى بدأها البابا أريان [١] سنة ١٠٩٥م .

ثم جاءت الحملة الثانية بجيوش جرارة فاستولت على بيت المقدس ، وقتلت سبعين ألفا من المواطنين الآمنين .

وهنا قيَّض الله للإسلام من يدافع عنه ، حيث قام المجاهد عماد الدين زنكى [٢] ، وجيَّش الجيوش وهزم النصارى فى عدة معارك ، وفتح حلب سنة ١١٢٨م ، والرُّها ١١٤٤م . ثم جاء بعده ابنه نور الدين زنكى [٣] الذى جهَّز الجيوش لاسترداد بيت المقدس إلا أنه مات قبل أن يكمل مهمته ، فخلفه فى ذلك صلاح الدين الأيوبى [٤] فوحَّد العالم الإسلامى ، وهزم النصارى فى موقعة " حطين " [٥] وحرر بيت المقدس ، وأصدر عفوا عاما عن النصارى ، ثم حاول الصليبيون إعادة الكرة مرات

١- البابا إريان : فرنسي اسمه : أودو ، وهو خليفة فكتور الثانى ، كان راهباً فى دير كلونى ثم انتقل إلى روما ، والتحق بخدمة البابا جريجورى السابع وانتخب بابا ١٠٨٨م ودعا إلى الإصلاح عاقداً فى سبيل ذلك مجامع أشهرها مجمع كليرمونت سنة ١٠٩٥م حيث دعا إلى الحملات الصليبية . المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية لنايف بن ثنيان هامش صـ ٤٩.

٢- عماد الدين زنكى : حاكم الموصل سنة ٥٢١هـ وهو فاتح الرها سنة ٥٤٠هـ واغتيل فى سنة ٥٤١هـ رحمه الله . الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب . محمد العروسى صـ٦٦.

٣- نور الدين محمود بن عماد الدين ، كان حاكماً فاضلاً توفى سنة ٥٦٩هـ المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية لنايف بن ثنيان هامش صـ ٦٣.

٤- صلاح الدين الأيوبى يوسف بن أيوب بن شاذى قاهر الصليبيين فى حطين توفى سنة ٥٨٩هـ . الأعلام ٢٢٠/٨.

٥- جرت هذه الموقعة فى ربيع الثانى ٥٨٣هـ ١١٨٦م ، فى فلسطين وانتصر فيها المسلمون على الصليبيين انتصاراً ساحقاً ، وفتحوا بيت المقدس . المستشرقون . ابن ثنيان صـ ٦٥.

ومرات عن طريق ثلاثة من أكبر ملوك أوروبا ، هم " باربا روسا " [1] امبراطور ألمانيا ، و" فيليب أغسطس " [2] ملك فرنسا، و" ريتشارد قلب الأسد " [3] ملك انجلترا . إلا أنهم فشلوا أمام قوة المسلمين ، حتى جاء لويس التاسع [4] بحملته إلى دمياط بمصر ، وأرسل يهدد الملك أيوب، فردّ عليه : " ألا تعلم أننا نحن أرباب الحتوف ، وفضلات السيوف ، مانزلنا على حصن إلا هدمناه ، ولاطغى علينا طاغ إلا دمرناه ، وإذا أتاك كتابي هذا فلتكن منه بالرصاد على أول سورة " النحل" وآخر سورة " ص"

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾ ﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾

وجمع قواته وأكمل استعداده إلا أن المنية وافته ، فأخفت زوجته " شجرة الدر " [5] نبأ وفاته ، وقاد ابنه " توران شاه " [6] الجيش ، وهزم لويس التاسع ، وأسره ، ولم يتركه إلا بعد دفع النصارى فدية كبيرة . وكانت هذه الهزيمة إيذانا بتقلص حملات النصارى على العالم الإسلامي .

١- باربا روسا : مبراطور ألمانيا في الفترة ١١٢٢-١١٩٠م . الموسوعة العربية الميسرة ١٢٨٤.

٢- فيليب أغسطس : ملك فرنسا في الفترة من ١١٦٥-١٢٢٣م . **المصدر السابق ١٣٥٣.**

٣- ريتشارد قلب الأسد : ملك انجلترا في الفترة من ١١٥٧- ١١٩٩م . المصدر السابق .

٤- لويس التاسع ملك فرنسا يلقب بالقديس لويس عاش في الفترة من ١٢١٤- ١٢٧٠م **المصدر السابق** صـ ١٥٨٥.

٥- شجرة الدر : إحدى ملكات مصر زوجة الملك الصالح أيوب . توفي زوجها وهو يستعد لقتال النصارى فأخفت خبره وعهدت بالأمر لابنها توران شاه الذي هزم لويس التاسع وأسره . الأعلام للزركلي ١٥٨/٣.

٦- توران شاه : آخر ملوك الأيوبيين اغتيل في محرم ٦٤٨م . المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية لنايف بن ثنيان هامش صـ ٧٢.

وهكذا يقع العالم الإسلامى فريسة للغزو النصرانى الحاقد ، وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين حاولوا تصوير هذه الحروب على أنها حروب استعمارية بحتة تهدف إلى السيطرة الاقتصادية إلا أننا نقول : إنها كانت حروبا دينية ، المحرك الأول لها هو الثأر من الإسلام والمسلمين ، فقد كان لهزيمتهم فى الحروب الصليبية أبعد الأثر فى نفوسهم حتى إن اللورد اللنبى[1] قائد الجيوش النصرانية فى الحرب العالمية الأولى حين دخل فلسطين سنة ١٩١٧م قال عبارته التى تؤكد الحقد على الإسلام وهى قوله : " اليوم انتهت الحروب الصليبية " ، نعم بعد ستة قرون لايزال النصارى يتذكرون هزيمة المسلمين لهم بل إن الجنرال غورو[2] بعد تغلبه على جنود ميسلون عند دمشق توجه إلى قبر صلاح الدين الذى أذلَّهم وقال : " هانحن عدنا يا صلاح الدين " [3]

ولكن عندما أدرك الأعداء فشل محاولاتهم المادية العسكرية بحثوا عن مدخل آخر يثون فيه حقدهم وانتقامهم ، فهداهم تفكيرهم الخبيث إلى تكثيف الوجود المعنوى ، باستخدام كل الوسائل الممكنة بما فى ذلك صياغة أفكار بعض المنتمين للإسلام للترويج لدعوتهم وأفكارهم .

وعلى هذا فإن (وجود الغرب النصرانى هنا فى شرقنا الإسلامى لم يكن صدفة . بدأ بالوجود المادى العسكرى ، وتبعه الاستشراق والتبشير[4] (الوجود المعنوى) ، وأعقبه مرة

١- اللورد اللنبى قائد طاغية من قواد الصليبيين ، وبعد احتلال البريطانيين للقدس أواخر سنة ١٩١٧م ترجل ماشياً إلى قلب المدينة وعندما أشرف على كنيسة القيامة قال عبارته المشهورة : اليوم انتهت الحروب الصليبية . التنصير فى الأدبيات العربية ج الإمام ١٤١٥هـ د. على النملة صـ٧٢.

٢- الجنرال غورو : عين عام ١٩١٩م قائداً أعلى ثم مفوضاً سامياً فى المنطقة الواقعة تحت الانتداب الفرنسى يقظة العرب لأنطونيوس صـ ٤٢٠.

٣ - احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام د. سعدالدين صالح ، صـ ٢٠-٢٤ بتصرف .

٤ - مع التحفظ على هذا اللفظ .

أخرى الوجود العسكرى (الاستعمار وتقطيع أوصال دولة الخلافة الإسلامية) ثم أعقبه بَثُّ فكرة " فصل الدين عن الدولة " و فكرة " القومية " ثم الإجهاز على الخلافة الإسلامية ، وأخيرا حين رحلت جنوده أبقى له جنودا آخرين من جلدتنا ويتحدثون بلساننا ، وبهم أجرى التغيير السياسى المطلوب ، وأجرى التغيير الاجتماعى المقصود) (١)

بل (إن الحروب الصليبية أنتجت كذلك إنتاجا فكريا هو الاستشراق ؛ إذ نفر قوم من الغربيين يدفعهم التعصب الصليبى إلى الكتابة عن الإسلام فأفقدهم التعصب أمانة العلم ، وعمدوا إلى تشويه الإسلام من عدة نواحٍ) (٢)

﴿ طرق كشف الاتجاهات الفكرية فى القرن الرابع عشر ﴾

يمكن تلمس الاتجاهات الفكرية للاستشراق والاستغراب فى القرن الرابع عشر الهجرى ، ومحاولتها انتقاص أو نفى عالمية ، أوواقعية الدعوة الإسلامية ؛ من خلال طريقين ، وتتبعهما معا :

(الطريق الأول : معرفة دوافعهما)

فهذه يمكن إرجاعها إلى :

أولا - الدوافع الدينية .

---

١ - أساليب الغزو الفكرى د. على جريشة ومحمدالزيبق ، صـ ١٥.

٢ - المصدر السابق صـ١٨.

ثانيا - الدوافع العلمية .

ثالثا - الدوافع الاقتصادية .

رابعا - الدوافع السياسية .

خامسا - الدوافع النفسية والشخصية .

(الطريق الثانى : معرفة طبيعة أساليبهما)

وهذه يمكن إرجاعها إلى ستة عناصر رئيسة هى :

أولا - الكيد والتدبير ، وأوضح صورهذا الكيد محاولة تطويع الإسلام للأفكار الغربية المضادة له .

ثانيا - التركيز على التشكيك ومن ذلك التشكيك فى دوافع الجهاد الإسلامى.

ثالثا - محاولة قطع الصلة بين الرسالة الإسلامية والوحى بادعاء أو الإيحاء بأن القرآن من قول البشر إما بادعاء أنه من كلام النبى ﷺ أو أنه منقول من ديانات أخرى .

رابعا - محاولة استئصال الجذور الإسلامية للدعوة الإسلامية بدعوى أن الإسلام مستمد من حضارات أخرى .

خامسا - تراوحها بين السذاجة والخبث ، ويظهر ذلك جلياً من كتابات المستشرقين والمستغربين التى يكثر فيها الاستدلال بأدلة ضعيفة وأقوال واهية وإسرائيليات، والاستناد فيها إلى مصادر تأريخية أو أدبية مع أن هذه الدراسات تعالج قضايا فقهية شرعية لها مصادرها الأصيلة التى تجاهلتها عمدا وعدوانا .

سادسا - إرادة الوصول إلى الحقيقة أو ثمرة دوافع نفسية وشخصية أورغبة فى الاطلاع والبحث المجرد . وهذه الإرادة صوت ضعيف ؛ بالمقارنة مع هدير الخبث الذى تقذف به الأصوات الغالبة من المستشرقين والمستغربين .

ولأنى سوف أركز - إن شاء الله تعالى - على بيان طبيعة دراسات المستشرقين والمستغربين عند استعراضها فى أبواب البحث وفصوله اللاحقة فإليك هنا شرحا مختصراً يضىء دروب الحقيقة عن الدوافع التى انطلق منها المستشرقون والمستغربون ، مع الإشارة إلى بعض المظاهر العامة لطبيعة ذلك الانطلاق ؛ لارتباطهما الوثيق .

(أولا : الدافع الدينى)

إن كل مسلم - وكل متأمل - يدرك أنه لاخوف على المسلمين من الأعداء الخارجيين إذا هم تغلبوا على هوى أنفسهم ، والتزموا بشرع الله وطبقوا أوامر الله ، واجتنبوا نواهيه، وردموا حُفَرَ الشقاق والفرقة بينهم ؛ فلقد أذهل المتابعين للتأريخ الإسلامى فى صفحاته المشرقة هذا الدين الذى صنع الرجال والمعجزات .

وهذا الإدراك هو الذى بثّ الرعب فى قلوب الأعداء فطفقوا يبحثون عن مسكّن له ، بل عما يمحوه من الواقع ؛ ولذا جاءت دراسات المستشرقين تنطلق من دوافع دينية لتحارب الدوافع الدينية عند المسلمين ، يقول تعالى عن محاربة الكفار لهذا الدافع :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (*)

يقول **يوجين روستو** مستشار الرئيس الأمريكى السابق **جونسون** (١) : (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أوشعوب بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية (٢) ، لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية (النصرانية) والإسلام منذ القرون الوسطى ، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة) (٣)

---

* البقرة ١٠٩.

١- يوجين روستو رئيس قسم التخطيط بالخارجية الأمريكية ثم مساعد وزير الخارجية ومستشار الرئيس حتى عام ١٩٦٧م - قادة الغرب يقولون للعالم نشر دار السلام صـ٣١ والرئيس جونسون : ولد عام ١٩٠٨م واختير ليكون الرئيس الخامس والثلاثين لأمريكا بعد اغتيال كينيدى عام ١٩٦٣م ، وتوفى عام ١٩٦٩م . الموسوعة الثقافية د. حسين سعيد ، صـ ٣٧٢.

٢ - هذا تعبيره ، والصواب أن يقال : " الحضارة النصرانية " .

٣ - قادة الغرب يقولون لجلال العالم ، ص٣١- ٣٢ .

إن تحرك المسلمين دفاعاً عن بلدانهم بدافع الوطنية فحسب لايخيف الأعداء، وإنما يخيفهم - أشد الخوف - أن تتحرك عاطفة الدين ، وبواعث الالتزام العقدى .

ولذا كانت الحركة الاستشراقية - فى جانب من جوانبها - تصوُّر الحروب الصليبية وما بعدها - تغطية لدوافعها الدينية - على أنها حروب استعمارية ؛ سعياً لإخماد العاطفة الدينية عند المسلمين ، فلا تبعث فى النفوس والقلوب مبررات التضحية والفداء ، فيهبوا دفاعاً عن الدين والعقيدة .

كما أن هذه الدراسات - فى جانب آخر من جوانبها - رغبت فى تحويل المسلمين إلى نصارى ؛ بالدعوة إلى الدين النصرانى بين المسلمين (فمن جهة أخرى رغب المسيحيون [1] فى التبشير بدينهم بين المسلمين ، فأقبلوا على الاستشراق ؛ ليتسنى لهم تجهيز الدعاة ، وإرسالهم للعالم الإسلامى ، والتقت مصلحة المبشرين [2] مع أهداف الاستعمار فمكّن لهم ، واعتمد عليهم فى بسط نفوذه فى الشرق .....

وهناك ملاحظة لبعض الباحثين تتعلق بالمستشرقين اليهود خاصة . فالظاهر أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية ، وهى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قِيَمِه ، بإثبات فضل اليهودية على الإسلام ، بادعاء أن اليهودية فى نظرهم هى مصدر الإسلام الأول) [3]

إن الكيد ، والتشكيك ، ومحاولة قطع الجذور ، ومحاولة قطع الصلة بالوحى ، والخبث أو السذاجة تلوح من تلك الدوافع، وتفوح رائحتها لكل ذى عقل .

---

١ - فى رأيى أن التعبير الصحيح هو بلفظ " النصارى .

٢ - فى رأيى أن التعبير الصحيح هو بلفظ " المنصّرين .

٣ - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د. محمد البهى صـ ٤٣٠و٤٣١.

(ثانيا : الدافع العلمى)

وحديثى عن الدافع العلمى يدور حول محورين :

أولهما : الدراسات الهادفة إلى تضخيم الجهد العلمى الغربى وتبجيله ، وأهدافها.

وثانيهما : الدراسات العلمية المنصفة بالنظر إلى هدفها ، بصرف النظر عن المؤثرات الجانبية التى تكوَّنت عند الباحثين ؛ بسبب الخلفية المسبقة المشوهة عن الإسلام وحضارته وتابعيه .

فعن المحور الأول فإن نفراً من المنصّرين والمستشرقين (يشتغلون بالآداب العربية والعلوم الإسلامية أو يستخدمون غيرهم فى سبيل ذلك ، ثم يرمون كلهم مما يكتبون إلى أن يوازنوا بين الآداب العربية والآداب الأجنبية أو بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية ؛ ليخرجوا دائما بتفضيل الآداب الغربية على الآداب العربية والإسلامية ، وبالتالى إلى إبراز نواحى النشاط الثقافى فى الغرب ، وتفضيلها على أمثالها فى تأريخ العرب والإسلام .

وما غايتهم من ذلك إلا تخاذل روحى وشعور بالنقص فى نفوس الشرقيين ، وحملهم من هذا الطريق على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية) [١]

إن الدافع العلمى لكثير من المستشرقين عانى من ثلاثة مظاهر ، كل واحد منها ينفى الصبغة العلمية الحقة عن تلك الدراسات ، وهذه المظاهر الثلاثة هى :

الأول : بين المسلمين فإنهم يحاولون فى دراساتهم تشويه حقائق الإسلام المتميزة، ومسلماته الرفيعة ، وثوابته الموافقة للفطرة والعقل ، والطعن والتشكيك فيها ، وتضخيم أى خبر أو رأى ضعيف ورد فى أى مصدر إسلامى مهما كان عَوَرُه وخَطَلُه ومهما كانت منزلته .

١- الفكر الإسلامى الحديث / د. البهى صـ٤٣١.

فهم ينقَضُّون عليه انقضاض الطائر يقع على اللحم ، وهدفهم إصابة المسلمين بنقص الثقة ، والشعور بالدعة والضعف .

الثاني : حجب تلك الحقائق والمسلمات والثوابت عن غير المسلمين خصوصا النصارى، بل ينشرون ما يشوهها ويمسخها مسخا مشينا ؛ لئلا يقارنوا بين الحق والباطل فتستجيب عقولهم وفطرهم لنداء الإسلام .

الثالث : السعى لتنصير المسلمين بالطرق والمغريات المتاحة ، وهم يبذلون لذلك كل جهد ومال ولاسيما فى المجال الإعلامى .

وعن المحور الثانى فإن هدف بعض المستشرقين كان الرغبة الصادقة فى بحث علمى مجرد ، وهذه الرغبة وإن لم تتنزه من الخطأ بسبب الترسبات الفكرية المسبقة إلا أنها تنزهت عن الهوى المبيت ، وهو أشد الآفات فتكاً بسنابل العطاء العلمى .

(هناك مجموعة من المستشرقين اندفعت إلى الشرق " العالم الإسلامى " نتيجة للانبهار بالحضارة والتأريخ الإسلاميين ، ونتيجة للا نبهار بالعقيدة الإسلامية التى بنيت على التسامح مع الآخرين ، الأمر الذى لم يتحقق فى إطار الدين الواحد فى المسيحية ، وقبلها فى اليهودية، والأمر الذى لم يتحقق ولن يتحقق فى العلاقة المفروضة بين اليهودية والمسيحية ..

هذا النوع من الانبهار حدا بالبعض إلى الاتجاه نحو الشرق والغوص فى علوم الإسلام ، وانتهى المقام بالكثير من هؤلاء المنبهرين إلى أن يخرجوا من ربقة الاستشراق ويصبحوا فى عداد المسلمين ، وإن أخفى بعضهم إيمانه نظرا لعوامل اجتماعية وعلمية ....

وهذه المجموعة من المستشرقين هى التى تمثل الدافع العلمى النزيه الذى انطلق من مُسَلَّمةٍ : أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضارى والعلمى فعليها بالتوجه إلى بواطن

العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته . وتكمن بواطن العلم فى الحضارة الإسلامية ، فأقبل المستشرقون على هذه الحضارة) [١]

ومن فئة المستشرقين الذين تحلوا بالصبغة العلمية مع ظهور أثر الترسبات الفكرية فى بحوثهم أذكر اثنين هما : " جوستاف لوبون " [٢] فى كتابه (حضارة العرب) والسير توماس أرنولد فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام)

ومن فئة المستشرقين الذين ظهرت رغبتهم الصادقة فى الوصول العلمى إلى الحقيقة فانتهت بهم إلى اعتناق الإسلام أذكر اثنين هما : محمد أسد [٣] الذى كان يدعى " ليوبولد فايس" ورجاء جارودى الذى كان يدعى " روجيه جارودى " [٤]

وللتنبيه إلى خطر الانخداع بدعوى الحياد العلمى فى كتابات المستشرقين - بإطلاق

١- الاستشراق فى الأدبيات العربية د. على النملة صـ ٣٦.

٢- لوبون : مستشرق فرنسى وهو طبيب ومؤرخ عُنِيَ بالحضارات الشرقية ، وقد ولد عام ١٨٤١م ، وله كتاب (حضارة العرب) أصدره عام ١٨٨٤م فى باريس ، و(الحضارة المصرية) ، و(حضارة العرب فى الأندلس) قالوا عن الإسلام د. خليل صـ ٨٦.

٣- محمد أسد نمساوى الأصل ، كان اسمه ليوبولد فايس ، فاعتنق الإسلام وتسمى بـ (محمد أسد) وانصرف إلى ترجمة القرآن الكريم وصحيح البخارى إلى الإنجليزية . له كتاب الإسلام على مفترق الطرق ، وكتاب الطريق إلى مكة ، وقد أنشأ بمعاونة وليم بكتول - الذى أسلم أيضاً مجلة (الثقافة الإسلامية) فى حيدر أباد ١٩٢٧م ومعظم مقالاتها لتصحيح أخطاء المستشرقين . انظر مقدمة كتابه : (الإسلام على مفترق الطرق) ترجمه د. عمر فروخ . وانظر أيضاً كتاب : قالوا عن الإسلام للدكتور خليل صـ ٧٧.

٤- روجيه جارودى : مستشرق ومفكر فرنسى معاصر، وأحد كبار الحزب الشيوعى الفرنسى سابقاً أظهر إسلامه وسمى نفسه رجاء جارودى ، له عدد من المؤلفات منها : حوار الحضارات ومنعطف الاشتراكية الكبير ، والبديل ، وواقعية بلا ضفاف ووعود الإسلام . قالوا عن الإسلام د. خليل هامش صـ ٢١٤. ومناهج المستشرقين . مكتب التربية العربى . ٢٧٨/٢.

- أنقل هنا كلام محمد أسد - وهو أحد المستشرقين الذين أسلموا - الذى يقول فيه :

(وهنا فقط - نعنى فيما يتعلق بالإسلام - لاتجد موقف الأوروبى موقف كره فى غير مبالاة فحسب كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات . بل هو كره عميق الجذور يقوم فى الأكثر على صدود من التعصب الشديد ، وهذا الكره ليس عقلياً فحسب ، ولكنه يصطبغ أيضاً بصبغة عاطفية قوية ، حتى إن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام ، ويظهر فى جميع بحوثهم كما لو أن الإسلام لايمكن أن يعالج على أنه موضوع البحث العلمى ، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته، إن بعض المستشرقين يمثل دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة .

وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع ، فهو مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله لايستطيع أكثر من أن يطلب له - مع شىء من الفتور - اعتبار[١] الأسباب المخففة) [٢]

إن هذا النص يرشدنا إلى أن حرصنا على الحياد وقول الحق لايجوز أن يدفعنا إلى تصديق كل ما يقال دون سند علمى ، ودون تمحيص مابين أيدينا من أقوال وأفعال ، أودون معرفة ماهناك من آثار وأبعاد وتبعات ، وهذا هو الواجب قبل تلقف أى قول أو نظرية .

(ثالثا : الدافع الاقتصادى)

الاقتصاد عامل مهم فى حياة الأفراد والجماعات ، ومحرك للنشاط البشرى عموما ،

---

١ - الاعتبار فى اللغة العربية يعنى الاتعاظ ولامعنى له هنا ، والأولى التعبير بلفظ "أن يطلب حساب الأسباب المخففة" أو " أن يطلب الأسباب المخففة " ونحو ذلك .

٢ - الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد ، ترجمة د. عمر فروخ صـ ٥٣.

ولذا فهو فى مرمى أهداف كل دعوة ، وفكر . والدافع الاقتصادى لدراسات المستشرقين راوح بين عنصرين مهمين هما : النمو السكانى ، وبالتالى نمو الثروة البشرية فى العالم الإسلامى ، والمخزون الهائل من المواد الخام فى باطن الأرض فى العالم الإسلامى .

(والشرق غنى بموارده الاقتصادية " الخام " فقصده الغرب سعياً وراء الحصول على هذه الخامات وتصنيعها وتغليفها والإفادة منها وتصديرها إلى الشرق مرة أخرى . وفى سبيل الحصول على هذه الخامات كان لابد من تعرف على البيئات التى تحوى الخامات فكانت الدراسات الجغرافية ومحاولات الاستكشاف . وكانت الدراسات الثقافية والاجتماعية وغيرها من الدراسات التى دفعت إليها الحاجة إلى استغلال الموارد الطبعية لهذه البقعة من العالم) (١)

والقوة الاقتصادية للمسلمين لو أفادوا منها أحسن الإفادة تثير الرعب فى قلوب الأعداء وتقلقهم ، وتشغل حيزا لايستهان به من تفكيرهم وتخطيطهم لكيفية التعامل مع العالم الإسلامى (وقد عبر المفكر الألمانى " باول شمتز " (٢) عن الفزع من هذه القوة بقوله : يوجد لدى المسلمين عنصران يؤثران تأثيرا كبيرا فى سياسة التعاون بين الأقطار الإسلامية إلى أن تصبح قوة عالمية ؛ الزيادة المطردة فى عدد سكانه ، وما توصلت إليه الأبحاث من أن فى باطن الأرض ثروة من المواد الخام تكفى - كما يقول الخبراء - لقيام صناعة تضارع مثيلاتها فى أوروبا) (٣)

١- الاستشراق فى الأدبيات العربية د. على النملة صـ ٣٧.

٢- باول شمتز أو باول شميدت ، مفكر ألمانى له اهتمام خاص بالشرق وبالإسلام وله كتاب بعنوان (الإسلام قوة الغد العالمية) يوصف بأن فيه إنصافاً للإسلام . صدر بالألمانية وترجم للعربية . مجلة القافلة ربيع الأخر ١٤١٥هـ صـ١

٣ - احذروا الأساليب الحديثة ص ٢٤٦.

(رابعاً : الدافع السياسى)

عمل المستشرقين فى المجال السياسى تَنَوَّع بين المشاركة المباشرة ، والمشاركة الفكرية ، وتكيف مع ظروف وزمان العلاقات بين العالم الإسلامى والدول النصرانية . ويمكن تقسيمه إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة الاستعمار، حيث خضعت معظم بلاد الشرق الإسلامى لنفوذ الغرب السياسى .

(فاشتغل فريق من المستشرقين بهذا المجال مدفوعين من قبل حكوماتهم التى دعتهم إلى معاونتها فى استعمار الشرق فكانوا عونا لها مخلصين فى تقديم المعلومات التى احتاجت إليها وهى فى طريقها إلى احتياح الشرق معلنة الهيمنة عليه لفترة من الزمن ؛ تعين على امتصاص خيراته ، وعلى إيجاد البديل عند الخروج ، وعلى إضعاف مكامن الخطر بالنسبة لهم،وعمل هذا الفريق من المستشرقين فى وزارات الخارجية والحربية والاستعمار مستشارين مسموعى الرأى والنصيحة ، لهم أثرهم البارز فى الحركة الاستعمارية وكافأتهم حكوماتهم بأن طورت من علمهم ورعته ومولته وأنشأت له المعاهد والمدارس) (١)

المرحلة الثانية : مرحلة العلاقات السياسية ، وذلك بعد انتهاء حقبة الاستعمار العسكرى ، وفى ضوئه يمكن القول : إن (الدافع السياسى لايزال قائما ، ولايزال رؤساء الدول وحكوماتها تستعين بالمستشرقين فى رسم سياساتها نحو البلاد الإسلامية ....

---

١ - الاستشراق فى الأدبيات العربية صـ ٣٨.

ولاتزال هناك لجان خاصة تقدم الدراسات والتقارير عن البلاد الأخرى عموما ومنها البلاد الإسلامية .... هذا مع ملاحظة أن هؤلاء المستشارين لايحملون مسمى الاستشراق بالضرورة ؛ فهم خبراء بالمنطقة أوباحثون أو علماء أو متخصصون . وهذا يأتي نتيجة لمحاولات الانسلاخ من مصطلح الاستشراق ؛ نظرا لما قر في نفوس المسلمين من مفهوم لهذا المصطلح . والمهمة التي يقوم بها المستشرقون الأوائل يقوم بها اليوم المستشرقون الجدد وإن اختلفت الوسائل وحوّرت الأسماء) (١)

(خامسا : دوافع شخصية ونفسية)

هناك عدة دوافع تندرج تحت هذا التصنيف ، مثل :

١ = الرغبة في الاطلاع ومعرفة مالدى الآخر؛ لأن النفس مجبولة على حب الاطلاع ؛ فـ(هناك من دفعتهم الرغبات الإنسانية الطبعية في المعرفة والاطلاع للتعرف على حياة الآخرين وأفكارهم ، ومعرفة الناس وأسرارهم . وهناك من دفعته الخلفية التأريخية للتعرف على العلاقة بين الشرق والغرب تلكم العلاقة التي مرت بأطوار متعددة ، منها أطوار اللقاء ، ومنها أطوار الخلاف والعداء) (٢)

٢ = المزاج الشخصي الذي يختلف من شخص لآخر ، تبعا للظروف والاستعداد الشخصي .

ولذلك نشأت في مجال الاستشراق (أسباب شخصية ومزاجية عند بعض الناس الذين تهيأ لهم الفراغ والمال، فاتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم

١- الاستشراق في الأدبيات العربية صـ ٣٩.

٢- المصدر السابق صـ٤٠.

الخاصة فى السفر ... ويبدو أن فريقا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق هاربين عندما قعدت بهم إمكاناتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى) [1]

ويجدر التنبيه هنا إلى أمرين مهمين جدا ، وهما :

الأول : أن هذه الدوافع الشخصية ليست سوى حالات فردية لاتشكل ظاهرة أو منهجاً يمكن قراءة الفكر الاستشراقى من خلاله وفى ضوئه (فهناك الدوافع النفسية والتأريخية والشخصية وغيرها من البواعث الثانوية التى قد تتحقق فى فرد أو فى أفراد دون أن تتحقق فى فريق أو فى مجموعة من المستشرقين) [2]

الثاني : أن هذا الدافع وما قبله من دوافع تختلف فى ترتيب الأولويات عند المستشرقين ؛ حيث يأتى فى قمتها الدافع الدينى بألوانه المتعددة ، ثم تأتى فى المرتبة الثانية الدوافع السياسية والاستعمارية والاقتصادية التجارية .

كما أن نظرة المستشرقين إلى الإسلام بتأثير من الدوافع التى أشرت إلى أنها تدفعهم للكتابة عنه ؛ تختلف من شخص لآخر ، وأحياناً تتنوع حتى عند الشخص الواحد .

فتشويه صورة الإسلام عند أتباعه ، وعند من يخشون وصوله إليهم صورة من صور هذه النظرة ، قد تتحول إلى تشكيك فى دوافع الإسلام ومبادئه وقواعده الشرعية ، فتكون صورة أخرى ، ثم تصل إلى نفى ثوابت الإسلام وحقائقه ومسلمات العقل الراشد ، فتكون صورة ثالثة. وهكذا .

---

١ - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى صـ٤٣٠.

٢ - الاستشراق فى الأدبيات العربية صـ ٤٠.

(ولعل الدوافع السامية الوحيدة هى الأسباب العلمية النزيهة التى لم يخل الاستشراق منها بأى حال ، بل إن هذا الدافع يزداد مع ضمور الدوافع الأخرى ، ثم تأتى فى المرتبة الثالثة الأخرى البواعث النفسية ، والشخصية ، والخاصة ، والتأريخية ، والأيديولوجية غير الدينية) [١]

(دوافع انفرد بها الاستغراب)

يجدر هنا التوقف قليلا ؛ لنسأل أنفسنا : هل هناك دوافع انفرد بها الاستغراب عن الاستشراق ؛ فأثّرت فى اتجاهاته الفكرية ؟

والجواب : سيكون نعم ؛ لأن المستشرق قد لاتكون له طموحات وتطلعات ومصالح فى البلاد الإسلامية . أما المستغرب فهو ابنها ، ويلبس لباسها ، ويتحدث لغتها ، وله تطلعات إلى علو الذكر ، وحلاوة الشهرة ، ورفعة الوظيفة .

فهو يردد قولاً قيل ، وفكرة طُرِحت من هذا المستشرق أو ذاك ؛ دون حساب - وربما عدم معرفة - لصدقها أو كذبها ، لصحتها أو خطئها ؛ وإنما ليشار إليه بالبنان ، وليقال : إنه مطلع على مالدى الغرب ، أو ليقال : إنه الفاهم لحقائق الأشياء ، أوليستأثر بحظوة هذا أو ذاك .

---

١ - الاستشراق فى الأدبيات العربية للدكتور النملة صـ٤٠.

(المطلب الثالث : الغزو الفكرى وعلاقته بالاستشراق والاستغراب)

(ماهو الغزو الفكرى ؟)

هذه العبارة مركبة من جزأين هما : الغزو ، والفكر .

فالغزو والفِكْر لغة : (من غزا الشيء غزواً : أراده وطَلَبَهُ ، والغزو : القصد .

والفكر : إعمال الخاطر فى الشيء ، والتفكُّر: التأمل ، والاسم منه الفِكْر) (١)

و(الغزو الفكرى من المصطلحات الحديثة المركبة ، التى تعارف عليها المفكرون المسلمون حديثاً للدلالة على ما يدخل على الأمة الإسلامية من أفكار غربية وافدة ، تؤثر فى نواحى الحياة الإسلامية) (٢)

وإذن فإن هذا التعريف يضع شرطين لوصف الغزو الفكرى ، هما : غرابة الأفكار الوافدة أولاً ، وتأثيرها فى الحياة الإسلامية للفرد والمجتمع ثانياً .

(أو هو التضليل الفكرى للمسلمين ، وبث المفاهيم الفاسدة عن الدين والحياة والوجود ، وعن الأخلاق والسلوك ، وعن شروط التقدم الحضارى ووسائله، وعن النفس والوجدان والضمير ، وعن الغاية من هذه الحياة ووسائل اغتنام السعادة فيها إلى غير ذلك مما يمكن أن يهدم شخصية الفرد المسلم والأمة

١- لسان العرب لابن منظور بترتيب الخياط مادة "غزا " ٢/ ٩٨٥، ومادة " فكر" ٢/١١٢٠.

٢ – المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية فى العالم العربى لنايف بن ثنيان صـ ٢١١.

المسلمة) [1]

ويلاحظ على هذا التعريف تركيزه على الآثار والنتائج ؛ أكثر من تحديد المفهوم .

أو هو (أن تظل بلدان العالم الإسلامى خصوصاً ، والعالم النامى عموماً تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة تبعية غير منظورة .. أو هو أن تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة ، فتطبقها على أبنائها وأجيالها ، فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم) [2]

وهذا التعريف مثل سابقه عُنِى بالآثار المترتبة على الغزو أكثر من عنايته بضبط المصطلح، وأوضح فى جزأى التعريف تلك الآثار ، ونظر إلى ذلك من خلال جهود الغزاة، ومن خلال قصور وخطأ المتعرضين للغزو .

وعلى هذا فالتعريف المختار هو التعريف الأول ؛ لمحاولته وضع صيغة عامة للمصطلح ، تشمل كافة أفراده .

(منطلق الغزو الفكرى)

قبل الحديث عن علاقة الغزو الفكرى بالاستشراق ، والاستغراب ؛ لابد من إطلالة سريعة ، وواعية ، على الخلفية التى قام عليها هذا الغزو ، والمنطلق الذى انطلق منه . فمن الملاحظ أن الحرب ضد المسلمين - منذ القديم - أظهرت سراً كامناً فى النفوس المسلمة يدفعها إلى التضحية والفداء بوازع عقدى لاينتظر عائداً مادياً ولايخاف العقبات البشرية مهما كانت .

---

١ - بحوث مؤتمر الفقه الإسلامى ١٣٩٦هـ القسم السادس الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام - بحث عبدالرحمن حبنكة الميدانى صـ ٤٤٩.

٢ - المصدر السابق - بحث الدكتور على عبدالحليم محمود صـ ٨ وصـ ٩.

وظهر ذلك في دعوات الرسل وما واجهته من عقبات ، وفي انطلاقة الدعوة الإسلامية أثناء الفتح الإسلامى الظافر .

ولهذا فقد أدرك النصارى واليهود وغيرهم من خلال نتائج الحروب الصليبية ذاك السر الكامن خلف قوة المسلمين ، وهى القوة الإيمانية ، وهذا الإدراك له جذوره فقد جمع قيصر الروم قواده حين أذهلته انتصارات المسلمين وهزائم جنده مع كثرة عدته وعتاده وقلة ذلك عند المسلمين ، وسألهم عن المسلمين :

(من هؤلاء الذين تقاتلون ؟ أليسوا بشراً مثلكم ؟ وأمر رجلا أن يأتيه بخبرهم ، فأقام الرجل بين المسلمين ، ثم عاد إلى قيصر فقال له : أنا أخبرك بخبرهم : إنهم رهبان بالليل ، فرسان بالنهار . إنهم يصلون ويصومون ، ولايشربون الخمر ولايزنون ، ولو سرق ابن ملكهم لقطعوا يده لغلبة الحق عندهم، وما منهم أحد إلا ويتمنى أن يموت قبل أخيه) (١)

وبعد إدراك منظمى الحروب الصليبية لهذا الملحظ بدأ التخطيط لمواجهة هذه القوة المكتشفة بأساليب تناسبها ؛ إدراكاً منهم أن الفكر لايقاوم إلا بالفكر ، وقد تبين لهم أن قوة المسلمين فى عقيدتهم أى فى قوتهم الفكرية ، فخططوا لإضعاف هذه القوة الفكرية أو القضاء عليها ، وكان الغزو الفكرى رأس تلك الأساليب وأوضحها .

(والغزو الفكرى تعبير دقيق بارع ، يصور خطورة الآثار الفكرية التى يستهين بها كثير من الناس ؛ لأنها تمضى بينهم فى صمت ونعومة ، مع أنها حرب ضروس لاتضع أوزارها حتى تترك ضحاياها بين أسير وقتيل أو مسيخ ، كحرب السلاح أو هى أشد فتكاً .

وهذا التعبير على حداثة مبناه إلا أنه قديم المدلول والمعنى ، وتتفاوت الأمم

١- البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله بتحقيق محمد النجار ٧ / ٨ عند الحديث عن معركة أجنادين حوادث سنة ١٣ هـ كما أورد القصة ابن الأثير فى " الكامل " .

والجماعات فيه من حيث الدرجة لا النوع ؛ ذلك لأن الجماعات البشرية تعيش أبداً متنافسة فى سبيل هدف "ما" كالاعتقاد حقاً أو باطلا ، وكالتفوق المادى أو الأدبى ، وحب السيادة والاستئثار بالمنافع ونحو ذلك مما عبر عنه القرآن الكريم فى إيجاز وإعجاز بقوله تعالى :

﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ (١)

ومن ثم تبذل كل أمة غاية جهدها لكسب هذا الصراع باليد والسلاح ، أو بالفكر واللسان ، أو بأى نوع من أنواع المؤثرات الأخرى) (٢)

(وسائل الغزو الفكرى وأساليبه)

وخطورة الغزو الفكرى تفرض - لضمان نجاحه - أن تستخدم له وسائل راقية، ومداخل سهلة ومأمونة ؛ للوصول إلى الأهداف المرسومة ، ومن هنا يمكننى القول إن وصول المخططين للغزو إلى هذه النقطة من التفكير جعل الاهتمام منصباً على اقتلاع الجذور ، ومسخ الأصول .

وهو مافعله - تماماً - الغازون ، والمخططون للغزو ، باقتلاع جذور الإسلام من النفوس ، ومسخ المبادىء الفاعلة ، وتشويه الحقائق الثابتة ؛ بما يُقذَف فيها من شبهات ، وبما يُزَين حولها من شهوات . وبالتالى تمزيق وحدة المسلمين ؛ ليسهل قياد كل طائفة برفق نحو الهدف المروم من الغزو .

---

١ - النحل ٩٢.

٢ - الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام د. عبدالستار فتح الله سعيد صـ ٦.

ومن هذا المنطلق كان (سلاح هذا الغزو هو : الفكرة ، والكلمة ، والرأى ، والحيلة ، والنظريات ، والشبهات ، وخلابة المنطق ، وبراعة العرض ، وشدة الجدل ولدادة الخصومة ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وغير ذلك مما يقوم مقام السيف ، والصاروخ فى أيدى الجنود، والفارق بينهما هو نفس الفارق بين وسائل وأساليب الغزو الفكرى قديماً وحديثاً) (١)

ويمكن قراءة شواهد هذا الغزو فى الصور التالية :

الشاهد الأول : الطعن فى المصادر الإسلامية ، القرآن الكريم ، والسنة النبوية ؛ لأن قطع الجذور يعنى الانفصال عن الوازع المحرك ، والقوة الدافعة ، وهى العقيدة .

الشاهد الثانى : تشويه اللغة العربية ، وانتقاص قدرها ، وادعاء جمودها ، وعدم قدرة تراكيبها على الوفاء بمتطلبات العصر .

وهم يريدون بعملهم حرب الإسلام ، والمسلمين ؛ لأن هذه اللغة عامل قوى فى وحدة المسلمين ، وهى لغة القرآن الكريم ، ففى حفظها حفظه ، وفى ضياعها ضياعه ، غير أن الله تكفل بحفظها ؛ لوعده الصادق بحفظ القرآن الكريم . قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢)

الشاهد الثالث : تشويه الفقه الإسلامى ، ووصفه بالجمود ، وقسوة الأحكام ، وعدم ملاءمته للعصر الحاضر ، وهدفهم هو هدم الجانب التطبيقى للإسلام ، وبالتالى توريد مناهجهم وأنظمتهم البشرية لتقود العالم بدلا من الإسلام .

---

١ - الغزو الفكرى د. عبدالستار سعيد صـ٧.

٢ - الحجر ٩.

الشاهد الرابع : السيطرة على وسائل الإعلام ؛ لإحكام السيطرة على النفوس ، ولمعرفتهم بقدرة الإعلام على تهيئة الرأى العام عموماً - والإسلامى خصوصاً - لتقبل أفكارهم المخالفة لثوابت الدين الإسلامى وربما الخلق القويم ، أو صرفه عن فكرة "ما" تهديه إليها عقيدته .

الشاهد الخامس : هدم البناء الأسرى للمسلمين ؛ لأن الأسرة نواة المجتمع والأمة ، فدعا هذا الغزو الغاشم إلى تحرير المرأة ، بل وإلى حرية الجنس ، وإلى مشاركتها الرجل فى العمل بدون ضوابط شرعية ؛ لتخرج من البيت وتختلط بالرجال فتشيع الفاحشة ، وتترك مهمتها الأساس فى تربية أولادها .

الشاهد السادس : مطالبة الغزو الفكرى بإعادة صياغة الإسلام صياغة تلائم الظروف والأحوال، وهذه المطالبة لبست ثياب البراءة ، وتحتها سوءة الخبث والمكر والمكيدة ؛ لأن هدفهم هو القضاء على الإسلام كلية ؛ بمسخه وتشويهه بعد إعادة صياغته وفق ما يشتهون ، فلا تقبله النفوس المستقيمة ، ولا الفطر السليمة .

الشاهد السابع : استكمالا لما سبق كثّف الغازون الضغوط النفسية ضد المسلمين لإشعارهم بضعفهم ، وإظهار قوة خصومهم ، وكل ذلك بهدف بث روح التخاذل ، وتوطين الشعور بالقهر فى النفوس .

الشاهد الثامن : محاولة القضاء على الوحدة الإسلامية بتغذية الخلافات المذهبية والنزعات القومية والجغرافية .

(الغزو الفكرى والاستشراق)

الغزو الفكرى ذو علاقة وثيقة بالاستشراق والاستغراب ؛ لأن الغزو الفكرى لا يقوم إلا على شبهات فكرية ، وموضوع الاستشراق ومادته - كما يدل عليه اسمه - هو الدراسات الشرقية .

فكان الاستشراق الوسيلة المثلى لوضع غطاء علمى، وأهداف بريئة على الهدف المخفى، والنيات الخبيثة المبيتة ، وقد انطلت الحيلة البارعة على كثير من المسلمين وغيرهم ،

بل وانبرى من المسلمين من يدافع لتزكية أهداف الاستشراق ، مع ظهور خبث معظمها .

(يقول المستشرق (هانوتو) [١] : لقد تركزت أهداف الحروب الصليبية قديماً فى استرداد بيت المقدس من المسلمين البرابرة ، ولايزال مما يزعج الغرب المسيحى [٢] بقاء لواء الإسلام منتشراً على مهد الإنسانية .

ولذا يجب أن نعمل على نقل المسلمين إلى الحضارة الأوروبية بقصد رفع الخطر الكامن فى الوحدة الإسلامية ، وأفضل طريق لتثبيت ولاية المستعمر الأوروبى على البلاد الإسلامية هو تشويه الدين الإسلامى ، وتصويره فى نفوس معتقديه بإبراز الخلافات المذهبية ، والتناقضات الشعوبية ، والقومية والجغرافية ، مع شرح مبادىء الإسلام شرحاً يشوهها ، وينحرف بها عن قيمها الأصيلة ، وتمجيد القيم الغربية ، والنظام السياسى ، والسلوك الفردى للشعوب الأوروبية) [٣]

إن الاستشراق كان وسيلة فاعلة لنقل الغزو الفكرى تحت حماية قوية من دعاوى الحياد العلمى ، والاهتمام بالدراسات الشرقية .

(وهكذا غَيَّر لويس من أسلوب المواجهة مع الإسلام ، فأخَّر دور[٤] السيف وقدَّم دور الخديعة ، وجنَّد جيشاً من المبشرين [٥] لتحويل المسلمين عن إيمانهم ، كما

١- ج هانوتو مستشرق فرنسى ومستشار سياسى لوزارة المستعمرات الفرنسية فى أواخر القرن التاسع عشر عاش بين ١٨٥٣- ١٩٤٤م ، وكان عضواً فى المجمع اللغوى الفرنسى . انظر : الاستشراق فى الأدبيات العربية د. النملة صـ ٦٩ ، واحذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام د. سعد الدين صالح صـ٣٤.

٢ - النصرانى .

٣ - احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام د. سعد الدين صالح صـ٣٤.

٤ - دور كلمة فارسية لامعنى لها هنا والأولى التعبير بلفظ أثر أو مهمة ونحو ذلك .

٥ - المنصرين .

أشار إلى ضرورة استخدام نصارى الشرق فى الكيد للمسلمين ، وضرورة دراسة أحوال المسلمين عن طريق المستشرقين) (١)

وسارت جيوش المستشرقين ، وقوافل الاستشراق نحو العالم الإسلامى ؛ لتحقيق هذه الأهداف الخبيثة ، كما قام مخططو الغزو الفكرى بتطبيق وصية لويس المشار إليها ، وأسسوا قاعدة نصرانية للغزو الفكرى فى لبنان ، وأخرى يهودية فى فلسطين .

فى ضوء ما سبق يمكن تلخيص أوضح الشواهد على إسهام الاستشراق فى بث الغزو الفكرى ، وتشجيعه فيما يلى :

الشاهد الأول : أن الاستشراق كان غطاء يحجب تحت دعوى النزاهة العلمية خبث الأهداف ، وفُحْش المخططات ، وبواسطة هذا الغطاء أمكن للغزو الفكرى أن يتسرب إلى العقول والقلوب ، وأن يتغلغل فى النفوس .

الشاهد الثاني : أن مادة الاستشراق هى الفكر ، والمخططون للغزو الفكرى استغلوا هذه المادة لبث سمومهم عن طريق المستشرقين ، إما بتجنيدهم تجنيداً مباشراً وصريحاً لخدمة أهداف الغزو ، وإما باستغلال جهل هؤلاء المستشرقين بحقائق الإسلام ، وثوابته ، وتوجيههم بطريق غير مباشر نحو خدمة تلك الأهداف .

الشاهد الثالث : تعيين كثير من المستشرقين فى الحملات العسكرية على بلاد المسلمين؛ ليكونوا أدمغة مخططة لما يحسن اتباعه ؛ نظراً للخلفية التى كونها هؤلاء المستشرقون من دراسة التأريخ الإسلامى ، ومبادىء الإسلام ونظمه .

(فهذا المستشرق (هانوتو) كان مستشاراً سياسياً لوزارة المستعمرات

---

١ - ظلام من الغرب للشيخ محمد الغزالى صـ ١٥٦.

الفرنسية ، وهـذا المـورخ النصرانى (**جوانفيـل**) كـان مرافقـاً **للويـس** فـى معتقلـه بـالمنصورة) [١]

(ويذكر أن " **أنتونى أيدن** " [٢] وزير خارجية انجلترا كان لايتخذ قراراً يتعلق بالشرق الإسلامى حتى يدعو مجموعة من المستشرقين ويعرض عليهم المسألة ويستعين بآرائهم فى اتخاذ قراره ، و" **لويـس ماسـينيون** " [٣] كـان مستشـاراً فـى وزارة المستعمرات الفرنسية لشمال أفريقيا ، ومثله الفرنسى " **دى ساسى** " [٤] كان يشغل منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية ، والمستشرق الفرنسى " **إرنست رينان** " [٥] كـان يعمل مخططـاً للاستعمار الفرنسى ، وفى روسيا نجد المستشرق "**بارتولد** " [٦] تـم تكليفـه مـن الحكومـة الروسيـة بالقيـام بإجراء بـحوث تخـدم

---

١ - انظر كتاب احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام د. سعدالدين صالح صـ ٣٣وما بعدها .

٢- ايدن : عمل وزيراً سنة ١٩٣٤ ثم وزيراً للخارجية عام ١٩٣٥-١٩٣٨م ، ١٩٤٠ -١٩٤٥ ، ١٩٥١-١٩٥٥م ثم رئيساً للوزارة ١٩٥٥م كان المحرك الأكبر لتحالف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى عدوانها على مصر ١٩٥٦م . الاستشراق فى الأدبيات العربية . د. على النملة صـ ٦٨.

٣- لويس ماسينيون : عاش فى الفترة ١٨٨٣-١٩٦٢م وعين مستشاراً فـى وزارة المستعمرات الفرنسية وهو مجمعى بدمشق والقاهرة وغزير الإنتاج . مستشرقون . نذير حمدان صـ٦٤.

٤- انطوان ايزاك سلفستر دى ساسى مستشرق فرنسى عاش بين ١٧٥٨-١٨٣٨م ، وأحد الذين عملوا على إسقاط نابليون ، وحصل على لقب بارون ، وكان أستاذاً للعربية فـى مدرسة اللغات الشرقية بباريس سنة ١٧٩٥م ، وله كتب عن اللغة والآداب العربية . الأعلام للزركلى ٢/٢٦.

٥- أرنست رينان مستشرق فرنسى عاش بين ١٨٢٣ -١٨٩٢م درس اللغات الشرقية ، يعد من الفلاسفة ، أهم كتبه : الرشد والرشديون ، تاريخ الأديان ، ومساهمة الشعوب السامية فى تأريخ الحضارة . الاستشراق فى الأدبيات العربية للدكتور : علـى النملـة صـ ٦٨ . وانظر د. محمد السويسى مناهج المستشرقين . مكتب التربية العربى لدول الخليج . ٢/٦٥.

٦- بارتولد : مستشرق روسى عاش بين ١٨٦٩-١٩٣٠م تخرج من جامعة بطرسبرج عنى بدراسات الشرق

فضلاً انظر الصفحة التالية=.......... ↖

مصالح السيادة الروسية فى آسيا الصغرى ، ونجد المستشرق الألمانى " كارل هينرش بيكر " (١) يقوم بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية فى أفريقيا ، وفى هولندا هناك المستشرق "سنوك هور غرونيه" (٢) كان له أثر فى تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية فى المناطق الهولندية فى الهند الشرقية ، وكان قد شغل مناصب قيادية فى السلطة الاستعمارية الهولندية فى أندونيسيا) (٣)

<u>الشاهد الرابع</u> : أن الغزو الفكرى جزء من أهم دوافع الاستشراق ، وبواعثه الرئيسة . وقد بينت عند الحديث عن الاتجاهات الفكرية للاستشراق والاستغراب أن أهم دافع من دوافع الاستشراق هو الدافع الدينى .

ولأن كل شخص يحب الدعوة إلى دينه ، بل وإلى فكره ، ويجعلها واجباً مقدساً ؛ فإن المستشرقين كانوا يدعون إلى دينهم من خلال بحوثهم ودراساتهم وكتبهم ، وهذه الدعوة ليست إلا صورة من صور الغزو الفكرى.

الإسلامى وحقق بعض الكتب والمصادر العربية . المستشرقون لنايف بن ثنيان ط١ عام ١٤١٤هـ ـ صـ١٥٠.

١- كارل بيكر : مستشرق ألمانى وسياسى عاش بين ١٨٧٦-١٩٣٣حصل على الدكتوراه عام ١٨٩٩م ثم سافر إلى باريس عام ١٩٠٠م ثم ارتحل إلى أسبانيا، وهناك ظهرت اهتماماته الشخصية فى المشرقيات ، وعمل فى مكتبة الأسكوريال الشهيرة ، ثم سافر إلى القاهرة ١٩٠١م. وكان وزير معارف ومدير مجلس الإسلام فى حكومة بلاده . انظر : موسوعة المستشرقين د. بدوى صـ ٧٠ ، مستشرقون . نذير حمدان صـ ٥٦.

٢- سنوك هورغرونيه : مستشرق هولندى عاش بين ١٨٥٧-١٩٣٦م زار مكة باسم عبدالغفار سنة ١٨٨٤م وغادرها قبل موسم الحج . وأقام ١٧ سنة ممثلا لحكومته فى جاوه . مستشرقون . نذير حمدان صـ ٦٦. وانظر موسوعة المستشرقين د. بدوى ٢٤٥

٣ - الاستشراق فى الأدبيات العربية د. على النملة صـ ٦٨-٧٠ بتصرف يسير .

الشاهد الخامس : جعلت المجمعات الكنسية تعلم اللغة العربية ضرورة لإخضاع المسلمين عن طريق التنصير .

ووجه هذا الشاهد أنه (إذا كان الاستشراق لايقوم إلا على أساس معرفة اللغات الشرقية التى هى الوسيلة للتعرف على عقائد وحضارات الشرق فإن التنصير يتفق مع الاستشراق فى هذا الصدد ، ويحتم أيضاً معرفة لغات من يراد تنصيرهم .. .

وقد كان من بين الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات المسلمين لغرض التنصير "روجر بيكون " (١) ...

وقد صادق مجمع فينا الكنسى على أفكار " بيكون " بشأن تعلم اللغات الإسلامية ، وتمت الموافقة على تعليم اللغة العربية فى خمس جامعات أوروبية) (٢)

ومن هنا يتبين أن التنصير غزو فكرى ، وأن المستشرقين كانت لهم اليد الطولى فى حمله وتبليغه ، ونشر سمومه .

بل إن المستشرقين لايخجلون من التصريح بهذا الهدف .

(فقد جاء فى خطاب للمراجع الأكاديمية المسئولة فى جامعة كمبردج بتاريخ ٩ مايو ١٦٣٦م إلى مؤسس كرسى اللغة العربية ما يأتى : ونحن ندرك أننا

١- بيكون : إنجليزى عاش فى المدة بين ١٢١٤- ١٢٩٢م ، تلقى دراسته فى أكسفورد وباريس ١٢٤١م ونال الدكتوراه فى اللاهوت . المستشرقون لنايف بن ثنيان صـ ٨٣.

٢ – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د. محمود زقزوق ، صـ ٣٤-٣٦ بتصرف يسير .

لانهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور بدلا من احتباسه فى نطاق هذه اللغة التى نسعى لتعلمها .

ولكننا نهدف أيضاً إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك ، والدولة ، عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية ، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة ، والدعوة إلى الديانة المسيحية ، بين هؤلاء الذين يعيشون الآن فى الظلمات !!) (١)

(الغزو الفكرى والاستغراب)

(التغريب فى أبسط مفهوم هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب والخضوع لنفوذه وسلطانه ، وتقبل الاحتواء فى بوتقته ... بقصد السيطرة على العالم الإسلامى عن طريق إخضاع الفكر الإسلامى لنفوذ الغرب الفكرى) (٢)

وعلى هذا فالمستغرب أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من المستشرقين ؛ لأن المستشرق واضح للعيان ، ومخالف لنا فى العقيدة ، فيأخذ المسلم منه حذره ، أما المستغرب فهو من بنى جلدتنا ، ومن المنتسبين للإسلام - غالباً - ولذا لايأخذ المسلم منه حذره ، ولايحمل فعله وقوله محمل الخبث .

والمستغرب المسلم الذى اختُرِق فكره يدعو إلى ممالأة الغرب ، ولذا رأينا (قيام بعض مفكرى المسلمين بحركة تقدمية فى الإسلام ، تبغى تقرير سلطة المستعمر، وتثبيت ولايته على المسلمين من الوجهة الإسلامية . أو بعبارة أخرى تبغى عدم تحديه أو معارضته ، سواء فى مباشرة سلطته على المسلمين ، أو فى

١- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى / د. زقزوق صـ٣٨.

٢ - الإسلام فى وجه التغريب لأنور الجندى ، صـ ٤١٨.

إدخاله ما يسميه بنظم الإصلاح الحديثة بينهم) (١)

إذن فالغزو الفكرى عن طريق المستغربين أشد خطراً ؛ لأنه يقوم على خصلتين من أخبث الخصال :

أولاهما : النفاق ، والمراءاة ، حيث يُظْهر المستغرب حرصه على الإسلام وهو من المنتسبين له ، بينما يبطن الشر الذى يحصد سنابل الخير دون ضجيج ، وصار الاستغراب فى العالم الإسلامى وباء طافحاً ، وشراً مستطيراً .

وأصبح من المعتاد ملاحظة أنه (تحت سلطة الشعور الإسلامى العام لدى جماهير شعوبنا المسلمة تختفى فئة من المرائين المنافقين الذين نهلوا من معين المستشرقين ، وأُرْضِعوا لبان الثقافة الغربية التى توهن من شأن الشريعة الإسلامية وتَصِم المعتصمين بها بالتأخر والرجعية .

وهؤلاء يرون أن الغرب لم ينهض من كبوته إلا بعد أن نفض يده من الدين وأهله ، حيث وقف رجال الكنيسة حجر عثرة فى سبيل العلم ، والتقدم ، والمدنية ، ويعتقدون أنه لاسبيل لنهضة أمتهم - الإسلامية - إلا بالعلمانية ، أى الانسلاخ من الدين ، وتركه جانباً ، أسوة بالحضارة الغربية ، متجاهلين الفوارق الواضحة بين طبيعة الإسلام ، وطبيعة النصرانية) (٢)

وثانيتهما : المكر والكيد الذى يفوح من الدعوة إلى إصلاح النظم الإسلامية ، وتغريب الإسلام بواسطة المنتسبين لديننا ، والذين يشاركوننا اللباس

---

١ - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د. محمد البهى صـ ٢٨.

٢ - بحوث مؤتمر الفقه الإسلامى بالرياض عام ١٣٩٦هـ - وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية للشيخ مناع القطان القسم الأول صـ٢١٤.

والأرض ، وربما الصلاة ، وهم أعرف بالإسلام ، ونظمه واجتهاد علمائه - بحكم انتسابهم له - وأعرف باختلاف الطوائف والفرق وصور الابتداع .

ولذا (حرص المستشرقون على كسب الأنصار واستخدام الأتباع لترديد مفترياتهم على الإسلام ، وافتعال معارك حول عقائده وآدابه ومختلف أحكامه لتعميق المفاهيم التى يريدون فرضها ، وترسيخها فى الأذهان ، وتوسيع دائرة الانتفاع بها) (١)

وتدليلا لعظم خطر المستغربين ، ونجاح المستشرقين ومخططى الغزو الفكرى فى تجنيدهم :

(هذا على عبدالرازق ،(٢) صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم) الذى يصور الإسلام على أنه دين روحانى لاعلاقة له بالدولة أو المجتمع أو الحكم ، وهو رأى المنصرين أنفسهم كانوا يقولونه فلا يجدون نصيراً فإذا شيخ من الأزهر يقرر ذلك ، ويستمد له نصوصاً جمعها بالتحريف والتأويل لتحقق لهم أملا أصبح الآن له مكانة ضخمة عندما يعرضون لمفهوم الإسلام فيستشهدون به) (٣)

إن هؤلاء الأنصار والأتباع يمهدون الطريق لأساتذتهم لرعاية بذور التشكيك والطعن تلك البذور التى زرعها التلاميذ قبل قدوم الأساتذة .

---

١ - أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى للدكتور . على جريشة ومحمد الزيبق صـ٢٣.

٢- على بن حسن عبدالرازق ، عاش بين ١٨٨٨-١٩٦٦م من أعضاء مجمع اللغة بمصر ، تعلم بالأزهر ثم بأكسفورد ، وعين قاضياً فى المحاكم الشرعية أصدر كتاب الإسلام وأصول الحكم ، فسحبت منه شهادة الأزهر ، عين وزيراً للأوقاف . الأعلام للزركلى ٢٧٦/٤.

٣ - الإسلام فى وجه التغريب لأنور الجندى صـ١٠٦.

والتغريب ثمرة غزو فكرى وتيار منظم ، وعمل متواصل فى جبهات متعددة ؛ بأساليب متنوعة ، يتم الحرص فيها على كيفية عرضها وتقديمها للناس لتكون مغرية مثمرة.

(لقد برعت الحضارة الغازية فى أساليب الغزو الفكرى ، وتأصيل المناهج الضالة ، وعرضها عرضاً مغرياً حتى ليصدق عليهم تماماً ما وصف به الشاعر حافظ إبراهيم[1] الاحتلال الإنجليزى بقوله :

لقد كان هذا الظلم فوضى فنظمت * حواشيه حتى بات ظلماً منظما**

ثم إن هذا الغزو المنظم المدروس يستخدم القصة ، والتمثيلية ، والإذاعات بأنواعها ، والكتب والمجلات ...)[2]

١- محمد حافظ إبراهيم فهمى المهندس الشهير بـ " حافظ إبراهيم " شاعر مصرى عاش فى المدة بين ١٨٧١-١٩٣٢م . الأعلام للزركلى ٧٦/٦.

٢ - الغزو الفكرى د. عبدالستار سعيد صـ ٢٨.

﴿ الباب الأول ﴾

(الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية والرد عليها)

(تمهيد)

يشتمل هذا الباب على أربعة فصول . هى على النحو التالى :

الفصل الأول :

كتابات المستشرقين والمستغربين حول عالمية الدعوة .

الفصل الثانى :

الجذور التاريخية للتشكيك فى عالمية الدعوة .

الفصل الثالث :

الوسائل المستخدمة لإثارة تلك الشبهات .

الفصل الرابع :

الرد على تلك الشبهات .

الفصل الأول

كتابات المستشرقين والمستغربين حول عالمية الدعوة الإسلامية

(كتابات المستشرقين والمستغربين حول عالمية الدعوة الإسلامية)

لكى تتضح ملامح تلك الكتابات ، وليمكن تصنيفها ؛ كان لابد من بيان الأطر العامة لها ، ليسهل بعد ذلك معرفة مسبباتها ، وأهدافها ، ووسائلها ، وآثارها .

﴿ المبحث الأول ﴾

(الأطر العامة للشبهات المثارة حول عالمية الدعوة الإسلامية)

بعد قراءتى لكتابات المستشرقين والمستغربين عن عالمية الدعوة الإسلامية ، وماأثاروه من شبهات ؛ عدت إلى أوراقى بقصد ترتيبها وجمع مادتها . فوجدت أن هناك محاور مشتركة يدورون حولها ، ويدندنون ، ولذا كثرت العبارات المشتركة ، والموضوعات المتكررة .

فرأيت أن الأولى أن أصنّف الأطر العامة لتلك الكتابات فى محاور وفق ماظهر لى من اجتهاد ، أذكرها هنا مجتمعةً ، ثم سوف تجدها مفصَّلةً عند استعراض الشبهات ، والجذور التأريخية لها ، وأساليب التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ؛ بحسب المناسبة .

ولكى تستبين هذه المحاور فسوف أجعل - إن شاء الله تعالى - كل محور فى مطلب مستقل ؛ ذاكراً أهم ماورد فيه من كتابات المستشرقين والمستغربين على النحو التالى :

(المحورالأول : محاولة القضاء على الأساس وقطع الجذور)

وقد جاءت هذه المحاولة فى ثلاث صور هى :

الصورة الأولى : قطع الصلة بالوحى .

الصورة الثانية : تغذية الطائفية ، والقومية ، (خصوصية الدين للعرب)

الصورة الثالثة : الدعوة إلى العامية واللهجات المحلية ؛ لهدم عالمية اللغة العربية التى هى لسان عالمية الدعوة الإسلامية .

(المحورالثانى : الدعوة إلى البديل)

وقد جاءت هذه الدعوة فى عدة صور ، أهمها :

الصورة الأولى : الدعوة إلى نظم معينة ؛ مثل : الاشتراكية والرأسمالية وغيرهما وتحسينها للمسلمين ... حتى قيل : الإسلام الاشتراكى الخ .....

الصورة الثانية : الدعوة إلى تقارب الأديان والحرية العقدية .

(المحورالثالث : محاولة التشكيك فى الدوافع)

وقد جاءت هذه المحاولة فى صورتين ، هما :

الصورة الأولى : التشكيك فى الدوافع إلى الجهاد الإسلامى وغيره من العبادات ، والطعن فى شرعية انتشار الإسلام .

الصورة الثانية : التشكيك فى شرعية الانتشار بالسيف .

﴿ تنبيه مهم ﴾

عند قيامي بعرض كتابات المستشرقين والمستغربين عن عالمية الدعوة الإسلامية ؛ فإنني لا أستطيع إيراد كل ماكتب عن الموضوع ؛ لأن هذه الكتابات صدرت في كتب ، ولو حاولت جمعها كلها لما سمح بذلك المكان والزمان المخصصان للبحث . ولكنني سوف أكتفي بنماذج لها أهميتها في ذلك المجال ، محاولا في هذا الصدد مراعاة مايأتي :

١ - تنوع تلك الكتابات وشمولها لكل عناصر الشبهات المطروحة للبحث ؛ بمحاورها وصورها .

٢ - الاعتناء بكتابات المشهورين من المستشرقين والمستغربين ؛ عرضاً وتمحيصاً؛ لئلا ينخدع بهم الناس ، ولاسيما طلبة العلم والباحثين .

﴿ المبحث الثانى ﴾

(الكتابات حول عالمية الدعوة الإسلامية)

بعد بيان الأطر العامة للشبهات المثارة حول عالمية الدعوة الإسلامية فإنه يمكن تقسيم كتابات المستشرقين والمستغربين فى ضوء تلك الأطر إلى مطالب على النحو التالى :

(المطلب الأول : محاولة القضاء على الأساس وقطع الجذور)

وهذه المحاولة اتسمت بالقوة والتنوع ، وتعدد وسائلها وأساليبها ، ويمكن تبينها فى كتابات المستشرقين والمستغربين من خلال ثلاث صور :

الصورة الأولى : محاولة قطع صلة الدين الإسلامى بالوحى .

وهذه المحاولة هى أمُّ المحاولات ، وإليها يمكن إرجاع معظم المحاولات الأخرى . ولذا عُنِيتُ بأمرها ، وحاولت جلاءها ، وفضح أهدافها ، وبيان أبعادها وخطرها .

فمن الكتب التى عُنيت بهذا الجانب ، وأثارت الشبهات حوله ؛ لقصد هدم عالمية الدعوة الإسلامية ، وتقويض بنيانها ، ومنع انتشارها [1] :

---

١ - انظر تفصيل ذلك فى كتاب آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره / د. عمر رضوان .
وقد استفدت منه كثيراً فى هذا المبحث .

١ = « مقدمة القرآن » لـ " ريتشارد بل " [١]

التعريف بالكتاب :

أصدر " بل" هذا الكتاب سنة ١٩٣٥م وطبعته مطبعة أدنبره ، ومات المؤلف أثناء عمل تجارب الطباعة فأكمل متابعة طباعته " جلبرت واطسون"[٢] وراجعه القس " أ . ت . جوردن " [٣] .

الشبهات التى أثارها الكتاب حول عالمية الدعوة . (*)

ظهر فى هذا الكتاب سقم المنهج ، والتأثر بالموروثات القديمة ؛ حيث تبنّى المؤلف فى كتابه نظرية حاول إقناع القارىء بها ؛ وهى : أن القرآن الكريم من تأليف نبينا محمد ﷺ فأعْنَتَ المؤلف نفْسَه وأتعب نفَسَه فى سبيل قطع صلة القرآن - الذى هو معجزة وأساس الإسلام - بالوحى ، وطفق يبحث عن مصادر بديلة عن الوحى ؛ فلم يجد سوى الدعوى بأن محمداً ﷺ تأثّر كثيراً واستمد القرآن - حاشاه ذلك - من بيئتين محلية ، وخارجية ؛ أماالبيئة المحلية فقد وجدها فى الوثنية والنصرانية واليهودية وغيرها . وأما البيئة

---

١ - هو " ريتشارد بل " إنجليزى الأصل ، وهو أحد أساتذة اللغة العربية بجامعة أدنبره ، صرف سنين عدة من عمره فى دراسة القرآن الكريم وتاريخه دراسة وافية متتالية فكان من أشهر أعماله : ١- ترجمة للقرآن الكريم ٢- مقدمة القرآن الكريم ٣- أسلوب القرآن الكريم ٤- المتشابه فى القرآن الكريم ٥- أهل الأعراف ٦- سورة الحشر ، وله عدة مقالات منشورة بين ١٩١٣-١٩٤٧م - انظر كتاب آراء المستشرقين حول القرآن الكريم د. عمر رضوان ١٠٠/١. وانظر المستشرقون . العقيقى صـ٥٢٨.

٢- واطسون : مستشرق كان يشغل وظيفة كبير مفتشى مدارس اسكتلندا ، وهو صديق لريتشارد بل وقرأ كتابه " مقدمة القرآن " الذى لم يكمله فأكمله عام ١٩٣٥م . آراء المستشرقين حول القرآن الكريم د. عمر رضوان ١٠١/١.

٣- جوردن : أستاذ اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة . المصدر السابق ١٠١/١

(*) يلاحظ أننى استعرضت هنا وفى مابعدالأبواب والفصول التىتتعلق بعناصر الشبهة المثارة دون غيرها بداعى الاختصار .

الخارجية فزعم أنهـا المجوسـية والزرادشـتيه وغيرهمـا . ومحاولـة المؤلـف قطـع صلـة القـرآن بالوحى لبست عدة ثياب من تفصيله .

ففى الفصل الأول الذى جعله بعنوان: (الموقف التاريخى ومحمد) ركّز المؤلف على تـأثر الأسلوب القرآنـى بالمجوسية والزرادشـتية ، وباليهوديـة والنصرانيـة والحنفـاء والوثنيـة وحاول التشكيك فى صحة الوحى بالحديث عن علاقة الكتابة بـالقراءة وتأثير ذلـك علـى رسول الله ﷺ راغباً فى أن يصـدق القـارىء بـأن القـرآن الكريـم مجـرد كتـاب بشـرى يعتوره النقص والخطأ ، ولايصلح لقيادة البشرية .

وفى الفصل الثانى الذى جاء بعنوان : (أصل القـرآن) بـثّ سمّاً زعافاً منقـولاً عـن الرافضة الذين يقولون بأن القرآن فيه زيادات ليست فى مصاحف أهل السنة ، كما ضخّـم من أمر القراءات الشـاذة . وحـاول أن يرتّـب علـى ذلـك كلـه نتيجـة ، هـى : أن النقـص والزيادة والاضطراب دخل القرآن الكريم . فهـل يصلـح القـرآن الكريـم - لـو صـحَّ هـذا الزعم ، وهو لم يصح لفساد بنائه - لأنْ يكون مصدراً لدعوة عالمية ؟

وإذا تجاوزت ما ذكره فى الفصل الثالث وعنوانه (شكل القرآن) عن التحزيب مـن كلام لايتعلق بموضوعى فإننى أجده فى الفصل الرابع الذى عنون له بقوله : (بُنْيَةُ وأسلوب القرآن) يزعم أن القرآن الكريـم غلب عليـه سجع الكهـان . ليصـل إلـى أنـه ليس وحيـاً منزَّلاً .

ثم هذا هو فى الفصل الخامس الذى عالج فيه موضـوع : (تصنيـف السـور) يبتـدع نظرية جديدة أسماها " التكميلات البديلة " يزعم فيها أن بعض العبارات وضعت بعـد جمـع القرآن ، فهى من فعل جَمَعَةِ القرآن رضى الله عنهم .

وإذا أعرضت عن فلسفته عن (الترتيب الزمنـى للقـرآن) وهـذا هـو عنـوان الفصـل السادس وما طرحه من اجتهاد يصادم إلهيـة القـرآن ؛ فـإننى أراه يعـود فـى الفصـل السـابع الذى عنونه بـ(مراحل نمو القرآن) ليثير شبهة بشرية القرآن فيزعم أن آيـات البعـث عُـدِّل أكثرها لتلائم وضع المصحف .

وهو فى الفصل الثامن وعنوانه : (محتوى القرآن ومصادره) لاينسى التأكيد على صنع محمد ﷺ للقرآن الكريم . بل وتأثره فى هذا الصنع ببعض المذاهب كالمذهب المانوى ، ومدعياً أن اسم الرحمن مثلا مأخوذ منه .

وفى الفصل التاسع جعل عنوانه (القصص) ليصوِّر القصص القرآنى كأنه مجرد حكايات أدبية ، ويباعد بينه وبين المعانى التربوية والروحية .

وهو فى سبيل الوصول إلى غرضه يدعى أن مصادر هذا القصص شفوية لايعتد بها . ولذا فهو يزعم أن فى بعضها اضطراباً ونقصاً وتأثُّراً بالحكايات المتداولة فى الديانات الأخرى .

وجاء الفصل العاشر عن (التشريع) فتحدث عن بعض العبادات كالصلاة والصيام والزكاة ، وعن المطعومات والمشروبات ، وعن بعض أحكام الأسرة كالزواج والطلاق والإرث فى الإسلام .

والمؤلف يريد من كل ماذكره فى كتابه الوصول إلى قناعة جاهد طويلا وبشراسة للوصول إليها حتى يثبت أن القرآن الكريم ليس وحياً ؛ بل هو كلام بشرى، مثله مثل غيره من النظم .

وإذا مدحه فلأنه نظام بشرى تميَّز فى معالجة أمور معينة وأخفق فى معالجة أمور أخرى فلا يصلح أن يكون ديناً عاماً وعالمياً .

٢= « مقدمة القرآن » لـ" دبليو منتجمرى واط " (١)

التعريف بالكتاب :

طبع هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٧٧م وهو يسير على نمط الكتاب السابق؛ لأن "بل" هو أستاذ " واط " .

إلا أن المؤلف حاول - كما صرَّح بذلك فى مقدمة كتابه - التخفيف من حدة بعض العبارات الجارحة لشعور المسلمين التى كان لايبالى بها أستاذه .

الشبهات التى أثارها الكتاب حول عالمية الدعوة .

فى هذا الكتاب تكرار للشبه السابقة . ولكن بعد التأمل فى أسباب تأليفه ، وطريقة التأليف يظهر أسلوب من أساليب المستشرقين الخبيثة .

هذا الأسلوب هو محاولة التمويه وخداع المتلقى ؛ فيُظْهر هذا المستشرق الجِدَّة ، ويُظْهِر تلميذه اللين لينجذب المخدوعون إلى صاحب منهج اللين ؛ مع أن القضايا الأساس والشبهات لم تتغير .

٣ = « مقدمة القرآن » لـ" ريجى بلاشير" (٢)

التعريف بالكتاب .

صدر الكتاب سنة ١٩٥٨م فى باريس .

---

١ - مونتجمرى واط : هو عميد قسم الدراسات العربية فى جامعة أدنبره وله عدة مؤلفات عن الإسلام ، منها : (مقدمة القرآن) و(الإسلام) و (الإسلام والجماعة الموحدة) صدر عام ١٩٦١م و(محمد فى مكة) و (محمد فى المدينة) و (الوحى الإسلامى فى نظر العالم الحديث) و (الجدل الدينى) آراء المستشرقين د. رضوان ١/١٠٧ ود. على النملة . مصادر معلومات المستشرقين عن الإسلام . عالم الكتب مج١٥ ع٦ الجماديان ١٤١٥هـ صـ ٥٨٢. قالوا عن الإسلام دخليل صـ٨٩.

٢ - بلاشير مستشرق فرنسى ومدير معهد الدراسات بالرباط عاش فى المدة بين ١٩٠٠-١٩٧٣م . مستشرقون. نذير حمدان صـ ١٢٠.

وقد اعتمد هذا المستشرق في كثير من معلوماته على كتابات : نولدكة [١] ، وجستر شتر [٢] ، وبيرتزل [٣] حول تاريخ القرآن وأصل الإسلام .

الشبهات التى أثارها الكتاب حول عالمية الدعوة .

هذا الكتاب يسير على ما سار عليه مؤلفا الكتابين السابقين ، ويهدف إلى هدفهما ، وينهج منهجهما ، ويركب وسائلهما . وفيه منحى خطير ؛ حيث بذر افتراءات بذيئة ؛ محاولاً الطعن فى القدوة ، ليهدم سلامة النص القرآنى .

فهو مثلاً يشكك فى نزاهة وطهارة القرَّاء وكتبة الوحى، ويعرِّض بأوضاعهم الاجتماعية والسياسية ، وبقلة عددهم .

بل ويشكك فى عملية جمع القرآن برمتها ، كما أنه يشكك فى سلامة الاعتماد على الذاكرة عند تدوين القرآن ؛ حيث لم يدوَّن القرآن - بزعمه - إلا بعد العهد النبوى .

١- تيودور نولدكه : مستشرق ألمانى ، بل هو أشهر المستشرقين الألمان ، عاش بين ١٨٣٦- ١٩٣٠م ، تعلم فى جامعات غونتجن وفينا وليدن وبرلين ، تخصص فى اللغات السامية ، والتاريخ الإسلامى ، فعين أستاذاً لهما فى جامعة غونتجن ١٨٦١م وجامعة كيل ١٨٦٤م وجامعة ستراسبورج ١٨٧٢م ، وله عدة مؤلفات .، ومن أشهر أعماله (أصل وتركيب صورالقرآن) و(سيرة محمد) بالاشتراك مع آخر . المسار الفكرى للاستشراق . ترجمة مازن مطبقانى مجلة جامعة الإمام ع ٧ ربيع الثانى ١٤١٣هـ ص ٥٨٢. الأعلام ٩٦/٢.

٢- ج . برجشستراسر مستشرق ألمانى عاش بين ١٨٨٦-١٩٣٣ ، درّس الفلسفة واللغات السامية واللهجات العامية والعلوم الإسلامية سقط من على أحد الجبال فمات . الاستشراق فى خدمة التنصير واليهودية د. على النملة . مجلة جامعة الإمام - رجب ١٤١٠ هـ صـ٢٦٣.

٣- أوتو بريتزل حقق كتاب (فضائل القرآن وآدابه) لابن سلام ، وله كتابات مسمومة عن القرآن ، منها ما أضافه إلى الطبعة العربية من كتاب بينس (مذهب الذرة عند المسلمين) المطبوع عام ١٩٦٢م . آراء المستشرقين حول القرآن د. رضوان ٢٠٢/١و٢٢٦. والرؤية الاستشراقية للجابرى . مناهج المستشرقين. مكتب التربية العربى ٣٣٧/١. وموسوعة المستشرقين د. بدوى صـ٥٣.

وهو هنا يقفز - لغرض فى نفسه - على بدهية واضحة هى أن هناك فرقاً بليغاً وبيِّناً بين التدوين والجمع ! وغير هذه الشبهات فالكتاب يكرر الشبهات التى أثارها من قبله .

وللمؤلف كتاب آخر بعنوان " القرآن " فيه إعادة لشبهاته .

٤ = « جمع القرآن » لـ " جون بيرتون " [١]

التعريف بالكتاب.

كانت أول طبعة لهذا الكتاب من نشر جامعة " كمبردج" عام ١٩٧٧م .

الشبهات التى أثارها الكتاب حول عالمية الدعوة .

كرَّر هذا الكتاب الشبهات التى قالها غيره . من بشرية المصدر ، والتأثر بالديانات والحضارات الأخرى . وخاصة عند حديثه عن موضوع " النسخ فى القرآن" الذى جعل أهم أسبابه : نسيان الرسول ﷺ .

وكلَّف نفسه عناء ضرب الأمثلة ، وأتعب نفسه وقطع نَفَسَه فى سبيل لوى عنق النصوص التى لاتنطبق - فى حقيقتها - على مايريد لها أن تنطبق عليه .

٥ =« صلة القرآن باليهودية والمسيحية » لـ" فلهلم رودلف" [٢]

التعريف بالكتاب .

ترجمه من الألمانية إلى العربية عصام ناصف وطبع الكتاب فى بيروت ١٩٧٤م.

١- جون بيرتون : لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من مصادر .

٢- فلهلم رودلف : مستشرق ألمانى اهتم بالدراسات القرآنية ، وحاول تسفيه بعض النتائج التى ادعاها بعض المستشرقين مثل " جريمة " إلا أنه لم يكن منصفاً لتأثير الترسبات الفكرية فيه تأثيراً قوياً . آراء المستشرقين د. عمر رضوان ١/١٣٨-١٤٠.

الشبهات التى أثارها حول عالمية الدعـوة .

المؤلـف نصرانى ، ولـذا فقـد بنـى كتابـه علـى أسـاس أن الرسـول ﷺ اقتبـس بطريق السـماع كثيراً من تعـاليم الإسـلام مـن النصرانيـة واليهوديـة .

بـل وصـل بـه الأمـر إلى ادعـاء أن بعـض النصـوص المقتبسـة - بزعمـه - مـن العهدين القديـم والجديد حصـل فيهـا بعض الأخطـاء ، ثـم اجتهـد - متعمـداً الخطـأ أو جاهلاً بـه - وأرجـع ذلـك إلى سوء الفهـم بسبب التلقى بطريـق السـماع !

فالكتـاب تحـامل علـى الإسـلام ، وجعلـه فرقـة مـن فـرق النصرانيـة ، وإن أشـار إلى تـأثره فـى بعـض جوانبـه باليهوديـة !

٦ = « تاريخ النص القرآنى » لـ " تيودور نولديكة "

التعريف بالكتاب .

أصل هذا الكتاب رسالة الدكتوراه للمؤلف ، وزاد عليها بعـض البحـوث ، وأجـرى هو وبعض المستشرقين تعديلات عليها .

الشبهات التى أثارها حول عالمية الدعوة .

ركّز المؤلـف فـى كتابـه هـذا علـى الحديـث عـن " الوحـى ومظـاهره " لأن تشـويه حقـائق الوحـى فـى مرحلـة أولى ، ثـم - إن اسـتطاع - التشـكيك فيـه فـى مرحلة ثانيـة ، ثـم الوصـول إلى نفـى حـدوث الوحـى مـن أساسـه - وهـذه أمنيتـه وهدفـه - فـى مرحلـة ثالثـة ؛ فإنـه يكـون حينئذ قـد اسـتطاع صـرف المسـلمين عـن دينهـم ؛ لأن الإيمـان بمثـل هـذه النتيجـة يعنـى كـذب الرسـول ﷺ ، والكـاذب ليـس أهـلاً للإيمـان بـه ، وليـس دينـه مسـتحقاً للاتبـاع ؛ لأنـه أقـوال بشـرية مبنيـة علـى الكـذب والخـداع .

والوحى هو القلب النابض لتميز الرسالة الإسلامية ، ولهذا صوَّب سهامه نحو هذا القلب ليضعفه أو يهلكه إن استطاع إلى ذلك سبيلاً .

فكان أن زعم أن الوحى إنما هو ثمرة انفعالات طاغية كانت تسيطر على النبى ﷺ . وتتميماً لحبكة الادعاء زعم أن القرآن الكريم غلب عليه الطابع الخيالى والشعرى فى العهد المكى،وطابع النثر المطول فى العهد المدنى.

ولم ينس – وأنّى له ذلك – أن يردد قولاً قيل، وشبهة سبق أن أثيرت ؛ بادعاء تأثير الديانات والحضارات الأخرى فى القرآن الذى جاء به محمد ﷺ !

٧ = « المفردات الأجنبية فى القرآن » لـ " آرثر جيفرى " (١)

التعريف بالكتاب.

طبع الكتاب باللغة الإنجليزية ، ونشر فى القاهرة سنة ١٩٣٧م .

الشبهات التى أثارها حول عالمية الدعوة.

تحدث المؤلف عن اللغات الأثيوبية ، والفارسية ، والإغريقية ، والهندية،والسريانية ، والعبرية ، والنبطية ، والقبطية ، والتركية ، والزنجية ، ولغة البربر. ثم بين الطريقة التى انتقلت بواسطتها بعض مفردات هذه اللغات إلى اللغة العربية بزعمه .

---

١ - آرثر جفرى : مستشرق استرالى ، عين أستاذاً فى الجامعة الأمريكية ببيروت ثم جامعة كولومبيا ثم مدرسة اللغات الشرقية بالقاهرة . له " كتاب المصاحف للسجستانى " طبع فى ليدن ١٩٣٧م ، وله عدة مقالات وأبحاث صدرت بين ١٩٢٤-١٩٥١م . انظر : مستشرقون . العقيقى صـ١٠١٣ ، وآراء المستشرقين حول القرآن د. رضوان ١٤٣/١.

والذى يهم البحث من هذا الكتاب هنا هو أن (السر فى تأليف مثل هذه الموضوعات عند المستشرقين ؛ إنما هو لإثبات أن القرآن من تأليف محمد ﷺ ، جمعه من ثقافات ومعارف ولغات شتى ؛ بدافع مصلحة كسب بعض الأنصار كاليهود ، أو تأثراً بسبب المخالطة ، وهو شأن من يعيش مع قوم لفترة طويلة) (١)

٨ = « تاريخ الأدب العربى » لـ" كارل بروكلمان" (٢)

التعريف بالكتاب.

طبعت الكتاب دار المعارف بمصر ، بتحقيق د. عبدالحليم ورفقاه .

الشبهات التى أثارها حول عالمية الدعوة.

خصص الفصلين الأول والثانى من الجزء السادس والأخير من الكتاب للحديث عن النبى ﷺ وعن " القرآن الكريم " من صـ ١٣٤- ١٤٤.

فزعم أنه ﷺ كانت تصيبه غيبوبة وأن ماكان يصدر عنه فيها ينسبه لجبريل-عليه السلام - وأنه استخدم أسلوب الكهان !

٩ = « الإسلام والعرب » لـ " روم لاندو " (٣)

التعريف بالكتاب.

طبعت الكتاب دار العلم للملايين فى بيروت ، بترجمة منير البعلبكى .

---

١ - انظر كتاب آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره - د. عمر رضوان ١/ ١٤٩.

٢ - بروكلمان : مستشرق ألمانى ولد عام ١٨٦٨م درس على يد " فلبى" و"ريوس " وغيرهما ، توفى ١٩٥٤م. انظر مستشرقون لنذير حمدان صـ ١٦٣ و آراء المستشرقين د. رضوان ١/١٩٧.

٣ - لاندو : نحات وناقد فنى إنجليزى ، هو أستاذ الدراسات الإسلامية والدراسات الشرقية بشمال أفريقية فى جامعة الهادى بكاليفورنيا، وحاضر فى جامعات أمريكا بين ١٩٥٢-١٩٥٧م ، له عدة كتب عن المغرب ، وله كتاب (الله ومغامراتى) قالوا عن الإسلام د. خليل صـ ٨٥.

الشبهات التى أثارها حول عالمية الدعوة.

تحدث فى الفصل الثانى عن الوحى وزعم أنه كان نوعاً من الصرع .

١٠ = « حضارة العرب » لـ" جوستاف لوبون"

التعريف بالكتاب :

طبع الكتاب عدة طبعات ، كانت أولاها عام ١٣٦٤هـ ١٩٤٥م ، ونقله للعربية .

عادل زعيتر .

الشبهات التى أثارها حول عالمية الدعوة الإسلامية .

زعم فى الفصل الأول والثانى من الباب الثانى أن النبى ﷺ تلقى علم التوراة من راهب بصرى " بحيرى " [١] وزعم أن النبى ﷺ مصاب بالصرع والهوس .

الصورة الثانية : تغذية الطائفية ، والقومية (خصوصية الدين للعرب)

يقول د. عمر رضوان : (من مناهجهم – أى المستشرقين – اعتماد الطابع العلمى الوضعى ، والرؤية المحدودة للقضايا الإسلامية .

إن اعتماد هذا المنهج – القاصر– عند بعض المستشرقين أوقعهم فى كثير من الأخطاء .

١- الراهب بحيرى ذكر الزهرى أنه كان حبراً من يهود تيماء وفى المسعودى أنه من عبدقيس ، واسمه سرجس ، احتفى بوفد قريش وكان معهم النبى ﷺ وهو ابن تسع سنين فعرف علامات النبوة فيه ، وأوصى أبا طالب به . السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبدالرؤوف ١/٣١٩-٣٢٢.

فمن هؤلاء المستشرقين : " فلهاوزن " [1] ، وعدد من رفاقه الذين اعتبروا [2] الحركة الإسلامية إقليمية لأهل مكة فقط ، وأنها لم تنتقل للمرحلة العالمية - في العصر المدني - إلا بعد أن أتاحت لها الظروف ذلك ، ولم يكن الرسول ﷺ ليفكر بذلك من قبل) [3]

ومن الكتب التي أوردت هذه الشبهة :

١ = « مقدمة القرآن » لـ"ريتشارد بل " - وقد سبق ذكره -

تحدث في الفصل الثامن عن : تطور معنى كلمة " رسول " من المعنى الإقليمي إلى المعنى العالمي !

٢ = « الإسلام والعرب » لـ " روم لاندو " - وقد سبق ذكره -

تحدث في الفصل الثاني عن الوحي ، وتأثر الإسلام بالبيئة التي نشأ فيها .

١- يوليوس فلهاوزن : ألماني عاش بين ١٨٨٤-١٩١٨م درس اللاهوت واللغات الشرقية ، واهتم بالتأريخ الإسلامي ، له كتاب (محمد في المدينة) و (السيادة العربية) . المسار الفكري للاستشراق . د. مازن مطبقاني . مجلة جامعة الإمام العدد ٧ ربيع الثاني ١٤١٣هـ صـ ٥٨٢. ذكر البهي أن اسمه " ولهاوزن " واختلاف الاسم ممكن لاختلاف النطق به بين الشعوب وذكر أن وفاته ١٩١٩م وأن من كتبه (تاريخ اليهود) الفكر الإسلامي الحديث صـ ٤٤٦.وانظر مناهج المستشرقين ـــ مكتب التربية العربي ١/١٩٦.

٢ - الصحيح عدُّوا ؛ لأن معنى الاعتبار هو : الاتعاظ ولامورد له هنا .

٣ - آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ١/ ٨٧و٨٨ .

وزعـم – وهنـا الشـاهد – أن الإسـلام مجموعـة مـن العـادات والأعـراف المسـتمدة مـن الوثنيـة العربيـة ، وإن زعـم – كذلـك – أن الإسـلام اسـتفاد مـن اليهودية والنصرانيـة اللتـين كانتـا سـائدتين فـى البيئـة الإقليميـة آنـذاك .

٣= « القرآن بلهجة مكة الشعبية » لـ" كارل فولليرس" [١]

حاول المؤلف أن يصبغ القرآن بصبغة إقليمية بحتة ، ومركزاً على اختيار جمع القرآن بلغة قريش دون غيرها من اللغات .

٤ = موسوعة « تراث الإسلام » [٢]

التعريف بالكتاب :

نشر الطبعة الثانية مـن الكتـاب عـام ١٩٧٤م ثـم قـام بتعريبـه والتعليـق عليـه المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت عام ١٩٧٨م .

ما أثاره من شبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية .

كتب فيه " برنارد لويس " [٣] مقالة عـن (السياسـة والحـرب) قـال فيهـا : إن

---

١ – كارل فولليرس : مستشرق نمساوى عاش فى الفترة من ١٨٥٧م حتى ١٩٠٩م . آراء المستشرقين د. رضوان ٢٢٧/١.

٢- أصل هذا الكتاب مجلة حررها جوزيف شاخت (يهودى) وترجمها : محمد السمهورى وحسين مؤنس وإحسان العمد وحققها شاكر مصطفى وراجعها فؤاد زكريا وصدرت طبعتها الثانية فى الكويت عام ١٩٨٨م انظر دراسة د. مطبقانى عن آثار لويس فى مجلة عالم الكتب المشار إليها فيما بعد .

٣- برنارد لويس : ولد عام ١٩١٦م ، وتخـرج مـن جـامعتى لنـدن وبـاريس ، وعمـل أسـتاذاً لتـاريخ الشـرقين الأدنـى والأوسـط فـى جـامعتى لنـدن ١٩٤٩م وكاليفورنيـا ١٩٥٥-١٩٥٦م ، ولـه مؤلفـات كثـيرة جـداً ومشـاركات علميـة متنوعـة . انظـر قـالوا عـن الإسـلام د. خليل صــ ٢٣٨. وعـالم الكتـب العـدد السـادس

فضلاً انظر الصفحة التالية=.......... ↖

صلاح الدين كان كردياً ، وإن جيشه كان من الأتراك .

فهذا المستشرق يحاول إثبات أن حماس صلاح الدين الأيوبى رحمه الله لقتال النصارى ثم طردهم فى معركة حطين ؛ إنما يرجع إلى جذور قومية ، وليس من الحرص على نشر الإسلام ، والرغبة فى انتشاره ليبلغ العالم كله .

وهدفه أن ينتهى إلى أن المسلمين الأوائل لم يفهموا أن الإسلام دين عالمى ، وإنما جاءت هذه الدعوى فى عصور متأخرة ، ويريد من القارىء الاقتناع بعدم صحتها .

(وتناول لويس فى هذا البحث مسألة الدين والسياسة ، مقارناً بين الإسلام والنصرانية ، مشيراً إلى القول المنسوب إلى عيسى ﷺ : " اعط مالقيصر لقيصر وما لله لله"

وتحدث عن مسألة الجهاد والفتوحات الإسلامية ، وتحدث عن رسائل النبى ﷺ إلى الزعماء والملوك فى عصره مشككا فى صحة هذه الرسائل) [١]

وحديثه هذا لايحتاج إلى بيان زيفه ؛ لأن المقارنة بين النصرانية - المحرَّفة - والإسلام وهو دين ربانى لا يستقيم لها ميزان ، ولايقوم بها استشهاد ، ولكنه دليل على ظهور تأثير الترسبات الفكرية فى كتابات المستشرقين - ولاسيما اليهود منهم مثل لويس - مع الخبث والمكر ، والتشويه والتشكيك .

الجماديان ١٤١٥هـ دراسة مازن مطبقانى لآثار برنارد لويس العلمية . صـ ٦١٧-٦٣٦.

١- انظر دراسة د. مطبقانى المشار إليها صـ ٦١٩.

٥ = « يقظة العرب " تاريخ حركة العرب القومية " » لـ "جورج انطونيوس " [١]

التعريف بالكتاب :

ظهر الكتاب سنة ١٩٣٩م ، وطبعته دار العلم للملايين في بيروت عام ١٩٨٢م بتقديم د. نبيه أمين فارس ، وترجمه للعربية ناصر الدين الأسد ، وإحسان عباس .

ما أثاره من شبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية .

يقول مقدم الكتاب د. نبيه فارس صـ ١٣ : (وفي الفصل الثالث يتناول المؤلف بداية اليقظة العربية الصحيحة التي جاءت إلى حد بعيد نتيجة للحركة الفكرية التي أعقبت أعمال الإرساليات التبشيرية [٢] في التربية والتعليم ، ولاسيما الإرساليات الإنجيلية الأمريكية في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، ويؤكد المؤلف على نقطة طالما يغفل عنها الكتاب وهي أن أسس اليقظة العربية أدبية وثقافية، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً يعزز وحدة العرب الروحية، ويقيها من التفتت والانهيار .

فلم يكن من قبيل المصادفة أن يعمل رائدا النهضة العربية الفكرية ناصيف

---

١ - جورج بن حبيب أنطونيوس نصراني لبناني ولد عام ١٨٩٢م أو ١٨٩٣ ـ تخرج من جامعة " كمبردج" بإنجلترا ، له اهتمامات بتأريخ نهضة العرب الحديثة، توفي عام ١٩٤٢م . الأعلام للزركلي ١٤٥/٢. وانظر مقدمة كتابه (يقظة العرب) الذي قام بترجمته إلى اللغة العربية الأستاذان : ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، صـ ٦

٢ - الصواب " الإرساليات التنصيرية " .

اليازجى وبطرس البستانى[1] مع زملائهما الأمريكيين سنة ١٨٤٧م على تأسيس أول جمعية فى العالم العربى الحديث هى " جمعية الآداب والعلوم" ، وأن يعاودوا الكرة فى سنة ١٨٥٧م بعد أن توقفت هذه الجمعية عن العمل على تأسيس جمعية ثانية أكبر عدداً وأوسع نشاطاً هى " الجمعية العلمية السورية ") [2]

يبين مقدم الكتاب هدف المؤلف من كتابه ، وهو تغذيةُ القومية ، والعصبية ، وتجاهلُ المعانى الإيمانية للإسلام ، ولذا فهو يقول : (إن أسس اليقظة العربية أدبية وثقافية ، وهى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً يعزز وحدة العرب الروحية)

أى أن جذور الإسلام ليست سوى جذور أدبية وثقافية فحسب ، وهذه الجذور هى التى ستوحد العرب ، فكأن الإسلام مخصص للعرب فقط بزعم الكاتب ومقدم الكتاب .

أما الإيمان ، وأما أخوة الإسلام التى تجعل البشر كلهم على اختلاف لغاتهم وألوانهم وأماكنهم وأزمانهم ، وأعراقهم متساوين ، ومخاطبين بدين الله ؛ فليست ذات بال عندهما .

٦ = « المؤلفات الكاملة » لـ " زكى الأرسوزى " [3]

التعريف بالكتاب :

نشر فى دمشق ، وطبع فى مطابع الإدارة السياسية بالجيش ١٩٧٢م .

---

١. ناصيف بن عبدالله بن ناصيف بن جنبلاط الشهير باليازجى ، من كبار أدباء عصره عاش بين ١٨٠٠-١٨٧١م وله عدة مؤلفات فى اللغة العربية . الأعلام للزركلى ٣٥٠/٧. وبطرس بن يوسف البستانى كاهن لبنانى ، له عدة كتب مطبوعة . الأعلام للزركلى ٥٩/٢.

٢ - مقاطع مختارة من مقدمة د. نبيه فارس صـ ١٣ وما بعدها .

٣. قومى سورى ، له عدة مؤلفات . انظر : مؤلفاته الكاملة .

ما أثاره من شبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية .

يقول في المجلد السادس تحت عنوان " مواضيع [1] شتى " : (كلمة أمة والأم مشتقتان من نفس المصدر ، والأم هي الصورة الحسية للأمة ، مثل هذه من أعضاء المجتمع كمثل الأم من أبنائها ... وحدود الأمة هي حدود لغتها)

ويقول في المجلد الأول : (التراث العربي الأصيل هو تراث الجاهلية ، وصدر الإسلام ، أما ماعداه فهو تراث هجين من صنع المستعربين والهجناء من أمثال ابن **المقفع، والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي** [2] ممن تطفلوا على دين العربي ولسانه معاً ، فأتقنوا العربية من خارج حدسها ، دون أن يكون في مكنتهم أن يتصلوا بها اتصالاً رحمانياً -نسبة إلى الرحم - ، وبدون أن تكون لهم بمثابة الأنسجة من الكائن الحي)

فهو يحاول أن يقنع القارىء في غفلة من وعيه بأن الإسلام حق للعرب فحسب ، أما المسلمون من غير العرب فهم ليسوا أهلاً للاعتماد عليهم ؛ لأنهم - هكذا يزعم - تطفلوا على دين العربي ولسانه معاً ؛ فالإسلام عنده خاص بالعرب فحسب ، ثم هو يريد التخلص من سلطان الدين كما صرَّح به في كتابه هذا في موضع آخر .

وغاب عن ذهنه أو ربما تجاهل - قصداً - جهود سيبويه [3] **ونفطويه** [4]

---

١ - الصواب موضوعات .

٢- عبدالله بن المقفع من أئمة الكتاب أصله من الفرس عاش بين ١٠٦-١٤٢هـ الأعلام للزركلي ١٤٠/٤ ؛ الفارابي محمد بن محمد أبو النصر أصله تركي عاش بين ٢٦٠-٣٣٩هـ الأعلام ٢٠/٧، ابن سينا الطبيب المشهور الحسين بن عبدالله ، عاش بين ٣٧٠-٤٢٨هـ ، أصله من بلخ الأعلام ٢٤١/٢. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد من خراسان ، عاش بين ٤٥٠-٥٠٥.الأعلام ٢٢/٧.

٣ - سيبويه واسمه : عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر ، إمام النحو ، ولد سنة ١٤٨هـ في شيراز ، وله : " كتاب سيبويه" لم يصنف مثله في النحو ، توفي سنة ١٨٠هـ بالأهواز . الأعلام للزركلي ٨١/٥ ، وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٨٤/١.

٤ - نفطويه : إبراهيم بن محمد الأزدي إمام في النحو عاش بين ٢٤٤-٣٢٣هـ الأعلام للزركلي ٦١/١.

وغيرهما كثير من غير العرب فى حفظ اللسان العربى ذاته .

ناهيك عن جهود المسلمين من غير العرب ، تلك الجهود المتميزة بالمثابرة ، والدقة فى نقل الحديث ، وتدوينه ودراسة علومه ، مما يشكل خطراً محدقاً بالسنة الشريفة لو التفتنا إلى رأى هذا الكاتب ، وأمثاله القوميين .

٧ = « المثقفون العرب والتراث » لـ " جورج طرابيشى "[١]

التعريف بالكتاب :

نشرته دار الريس فى لندن عام ١٩٩١م . ولكنه يردد أفكار المستشرقين والمستغربين فى القرن الرابع عشر . ويناقشها من وجهة نظره ، مستهزئاً بالكتابات الإسلامية وبالكتاب المسلمين فى مختلف العصور ؛قديمها وحديثها .

ما أثاره من شبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية .

صوَّر الدعوة إلى القومية ، ووحدة العقل البشرى ، والانفتاح على الحضارة على أنها النهضة والتقدم ، والتمسك بالإسلام هو الجمود .

يقول صـ ٦٦: (على أن صورة الارتداد عن المقولات النهضوية الفكرية مثل القومية العربية ، والتعليم الحديث ووحدة العقل البشرى ، والانفتاح على الحضارة لاتكتمل مالم نشر إلى المحاولات الجارية على قدم وساق فى الخطاب العربى المعاصر المعصوب لفسخ ذلك البند من بنود الاستراتيجية النهضوية)

الصورة الثالثة : الدعوة إلى العامية واللهجات المحلية .

اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ، ولسان الوحدة بين المسلمين ؛ فإذا حوربت

١- مستغرب معاصر مقيم فى إنجلترا .

ضعفت الروابط بينهم، وضعفت صلتهم بالقرآن الكريم نفسه، وضاعت عالمية الرسالة . ولكنا - نحن المسلمين- عندنا ضمان غير محدد بوقت من مصدر ليس مثله مصدر موثوق.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1]

وحفظ القرآن الكريم يلزم منه حفظ لغته . ولكن - مع الإيمان بهذا - لايجوز التواكل ، أو التساهل في أمر إعلاء مكانة اللغة العربية بين المسلمين ، وحفظها من محاولات المشوهين والشانئين ؛ الساعين للقضاء على وحدة اللغة الدالة على عالمية الرسالة الإسلامية .

وها أنذا أذكر هنا مجموعة من الكتب التي ألفها مستشرقون للدعوة إلى العامية واللهجات المحلية وإحلال الحروف اللاتينية عوضاً عن الحروف العربية : [2]

١ = « أصول اللغة العربية العامية والفصحى » ألفه المستشرق الفرنسي " **دى سفارى** [3] " سنة ١٧٨٤م ، وقد نشر الكتاب بعد موت مؤلفه ، وعهد بنشره وتنقيحه إلى **ميخائيل الصباغ** [4] أحد مدرسي العامية في فرنسا .

٢ = « أمثال المكيين » ألفه المستشرق الهولندى " **سنوك هورغرونجيه** "

١ـ الحجر ٩.

٢ - نقلا مختصراً من كتاب " الفصحى ونظرية الفكر العامي " د. مرزوق بن تنباك صـ ٥٢-٥٥ .

٣ـ كلود إتيان سفاري مستشرق فرنسي ، من المهتمين باللغة العربية ، واللهجات المحلية ، عمل مستشاراً للحكومة الفرنسية ، وكتب كتابه عن اللغة العربية بتكليف منها . وله كتاب عن ترجمة القرآن . انظر الفصحى ونظرية الفكر العامي د ابن تنباك صـ٥٢. ومناهج المستشرقين ١/ ٢٤.

٤ـ ميخائيل بن نقولا بن إبراهيم الصباغ ، كاثيولوكي ، عربي من المهتمين باللهجات العامية ، عين مدرساً في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس ، وألف عدة كتب في هذا المجال . الأعلام ٧/٣٣٨.

٣ = « **بحث في لغة نجد الحالية** » كتبه المستشرق " هيس [١] " عام ١٩١٢م .

٤ = « **الكلام الدارج بمصر القاهرة** » بحث قدم لمؤتمر لندن عام ١٨٩٢م .

٥ = « **الفوائد في العوائد والقواعد والعقائد** » كتاب ألفه المستشرق " دسبارمت " [٢] عام ١٩٠٥م .

٦ = « **لغة الجزائر العامية** » ألفه " هوداس " [٣]

٧ = « **العربية ولهجاتها** » ألفه " الكونت دى لاندبرج [٤] " ، وقدمه للمؤتمر الدولى فى الجزائر عام ١٩٠٦م .

٨ = « **مباحث عامية** » ألفه المستشرق " جيوسب فورلانى " [٥]

١- جان جاكويس هيس مستشرق فرنسى عاش بين ١٨٦٦-١٩٤٩م عُنِىَ بلهجات البدو فى شبه الجزيرة العربية انظر : موسوعة المستشرقين د. بدوى صـ ٤٢٣.

٢- F. DESPERMET . عاش بين ١٨٦٣-١٩٤٢م ، من أساتذة الليسة فى الجزائر ، له عدة كتب ، منها العروبة وبلاد البربر ١٩٣٨م ، أنشودة الجزائر فى الحرب الكبرى ١٩٣٢م ، الوطنية فى المدارس الأهلية بالجزائر وتونس ١٩٣٥م . المستشرقون . نجيب العقيقى صـ٢٥٣و٢٥٤.

٣- HOUDAS عاش بين ١٨٤٠-١٩١٦م ، أستاذ العربية فى الجزائر ، صنف عدة كتب لتدريس العربية ، أستاذ العامية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس وعضو مجلس المعارف العامة واللجنة التأريخية ، له عدة كتب منها : ألف ليلة وليلة ١٨٦٤م **المصدر السابق** صـ٢١٨.

٤- لاندبرج : عاش بين ١٨٤٨-١٩٢٤م ، سويدى درس العربية فى باريس ، وأقام فى بلاد العرب طويلاً ، وأتقن لغتهم ، له ديوان أبى محجن الثقفى ـ نشر فى ليدن ١٩٠٩م ، ورسالة بعنوان : كل يعمل بخلاصه ولابد من حكى الناس !! نشرت فى ليدن ١٩٠٩م **المصدر السابق** صـ٨٩٣-٨٩٤.

٥- فورلانى : ولد عام ١٨٨٥م ، تخرج من جامعات فينا وجراز وروما ، عمل مساعد أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة تورينو ، ومحاضراً فى جامعة فلورنسا ، له عدة مؤلفات منها : الحضارة البابلية والآشورية المطبوع ١٩٢٩م ، والديانات البابلية والآشورية المطبوع عام ١٩٣٩م ، والشعائر البابلية والآشورية ١٩٤٠م ، ودين الزيدية ١٩٣٠م **المصدر السابق** صـ٣٨٩-٣٩٠.

٩ = « قواعد في اللغة العامية المصرية » ألفه المستشرق الأمريكي " فسك " (١)

١٠ = « في النصوص العربية والأعجمية في مدينة العرائش » ألفه المستشرق "مكسيميليانو أغوسطين" (٢) ونشره عام ١٩١٠ .

١١ = « مواد لدرس لهجة عرب البدو في افريقية المتوغلة »

ألفه " جورج كمبفماير " (٣) ونشره في برلين عام ١٨٨٩م .

١٢ = « لهجة قبائل اليمن وما جاورها من جنوب الجزيرة العربية » لـ"جورج كمبفماير "

١٣ = « اللهجة العربية العامية في أورشليم » ألفه الدكتور " مكس لوهر(٤) " عام ١٩٠٥م .

١٤ = « ثلاث مقالات في اللهجات العامية » ، وقد ألّفه الدكتور :

١٩٤٠م ، ودين الزيدية ١٩٣٠م . المستشرقون . العقيقي صـ٣٨٩-٣٩٠.

١- فسك : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

٢- أغوسطين : مستشرق أسباني عاش بين ١٨٨٠-١٩٣٣م ، تخصص في الدروس العربية منذ عام ١٩٠٤م ودرّس اللغة العربية في عدد من الجامعات الأسبانية . الأعلام للزركلي ٧/٢٨٥.

٣- كمبفماير : مستشرق ألماني عاش بين ١٨٦٤-١٩٣٦م ، تخرج من مدرسة اللغات الشرقية في ليبزغ ، تخصص في الإسلام الحديث والعربية المعاصرة من معهد اللغات الشرقية في برلين ١٩٠٧م ، ورأس تحرير مجلة عالم الإسلام ، له عدة كتب . قالوا عن الإسلام د. خليل صـ ٤٦٧. والأعلام للزركلي ٢/١٤٩.

٤- لوهر : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

" فيشر " ونشره عام ١٨٩٨م.

١٥ = معجم اللهجة المغربية العامية » ألفه المستشرق " بوسييه " [١]

١٦ = « حكايات وأشعار تونسية » ألفه " هنس ستومة " [٢]

١٧ = « لهجة عرب هوارة » ألفه " ستومة " مع أستاذه " ألبرت سوسين " [٣]

١٨ = « أشعار البدو بين قطرى تونس وطرابلس الغرب » للمؤلف نفسه، ونشر سنة ١٨٩٥م بعناية " نالينو " [٤]

١٩ = « أشعار قومية عربية » ألفه " أنولتمان " [٥]، وطبع عام ١٩٠٢م.

٢٠ = « حكايات عربية عصرية » لـ " أنولتمان " نشر عام ١٩٠٨م .

---

* فيشر : مستشرق ألماني متخصص في معاجم اللغة وفقهها عاش في المدة ١٨٦٥-١٩٤٩.مستشرقون . نذير حمدان صـ ١٦٦.

١- هنرى بوسييه مستشرق فرنسى عاش بين ١٨٩٣-١٩٢٦م ، عمل في معهد الدراسات بالرباط ، وأنشأ مجلة الدروس العربية والبربرية " هسبيروس " . مستشرقون نذير حمدان صـ ١٢٠.

٢- هنس ستومه مستشرق ألمانى عاش بين ١٨٦٤-١٩٣٦م ، درس لهجات بعض قبائل وسط الجزيرة العربية ، واهتم باللهجات العامية في المغرب ، وكان يعرف البربرية . موسوعة المستشرقين د. بدوى صـ٢١.

٣- ألبرت سوسين عاش بين ١٨٤٤-١٨٩٩م حصل على الدكتوراه من جامعة ليبزيج ، وعين أستاذاً للعربية فى جامعة بال ثم فى جامعة توبنجين ثم فى جامعة ليبزيج ١٨٩٠م ، له : الأمثال والحكم الدارجة ١٨٧٨م ، واللهجة الأرامية ١٨٨٣م . المستشرقون . العقيقى صـ٨٨٠.

٤- كارل نالينو مستشرق إيطالى وكان عضواً فى مجمع دمشق ، عاش بين ١٨٧٢-١٩٣٨م ، استعانت به وزارة المستعمرات الإيطالية ، وعمل أستاذاً لتأريخ الفلك فى الجامعة المصرية ١٩٠٩م . مستشرقون . نذير حمدان صـ ٦٦، والفكر الإسلامى للبهى صـ ٤٤٤.

٥- أنولتمان : مستشرق ألمانى من أعضاء المجمع اللغوى فى دمشق ومصر ، عاش بين ١٨٧٥-١٩٥٨م ، حصل على الدكتوراه ١٨٩٨م من جامعة هالة ، درس اللغات السامية ، وعمل أستاذاً لها فى جامعة ستراسبرج بألمانيا عام ١٩٠٦م . الأعلام للزركلى ٣٦/٢. المستشرقون . العقيقى صـ٧٨٣.

٢١ = « مجموعة عن الأدب الشعبى العراقى » نشرها " ادوار ساخو " [١] فى عام ١٨٨٩م .

٢٢ = « ديوان وسط الجزيرة » لـ " البرت سوسين" و " ستومة " عام ١٩٠١م

٢٣ = « حكايات من العراق » لـ" بروثومايستر" [٢] عام ١٩٠٢ .

٢٤ = « دراسة فى فنون العراق » لـ" فرانزها يتريش فايساخ" [٣] ونشر عام ١٩٣٠م

٢٥ = « دراسات مابين النهرين » لـ" هيلموت ريتر" [٤] نشر عام ١٩٢٠م .

(وحتى يتضح هدف الغرب المحدد فإن كل الكتب السابقة ألفت إما قبيل الاستعمار الفعلى للبلاد العربية ، وإما فى أثناء الاحتلال .

وكلها - بلا استثناء - توضح حقيقة أطماع الغرب ، وأهدافه المحددة من نشر العامية فى الوطن العربى كله ؛ فقد شملت المؤلفات التى ذكرنا بعضا منها

١- ساخو : مستشرق ألمانى عاش بين ١٨٤٥-١٩٣٠م ، عمل أستاذاً للغة العربية فى ليبزغ ، أوفدته الحكومة البروسية إلى سوريا والعراق بين ١٨٧٩-١٨٨٠م ، أسس معهد اللغات الشرقية فى برلين عام ١٨٨٨م . مستشرقون . نذير حمدان صـ ١٦٥.

٢- بروثومايستر :ألمانى عُنِىَ بالدراسات العربية وتخصص فى الأدب العراقى. الفصحى د. ابن تنباك صـ٥٥.

٣- فايساخ : مستشرق ألمانى عُنِىَ بالدراسات العربية ، وكان تخصصه فى الأدب العراقى . الفصحى د. ابن تنباك صـ ٥٥ .

٤- ريتر : مستشرق ألمانى ولد عام ١٨٩٢م ، أشرف على معهد الآثار الألمانى باستانبول لمدة ثلاثين سنة ، وعمل عميداً لكلية الآداب فى فرانكفورت ١٩٤٩م . مستشرقون . نذير حمدان صـ ١٦٥.

أجزاء البلاد العربية بلا استثناء ، وركزت اهتماماً خاصاً على البلاد التي كانت تخطط لاحتلالها ...

أما هدف نشر العامية اليوم فهو بقاء البلاد العربية منفصلة ضعيفة حتى يقضى على ما بقى لها من رابطة وصلة تمثلها اللغة الفصحى .

وتلامذة المستشرقين من أبناء الأمة العربية قد قاموا بالمهمة الآن خير قيام مما أربى على جهود الغربيين) [١]

---

١ - الفصحى ونظرية الفكر العامي د. مرزوق بن تنباك صـ ٥٥-٥٦.

(*)

(المطلب الثانى : الدعوة إلى البديل)

لقد أجهد بعض المستشرقين والمستغربين أنفسهم بالبحث عن بديل للدين الإسلامي؛ بدعوى عدم ملاءمته للواقع ، وأنه لابد من تطويره ، وتنقيته - على حد زعمهم - يقول " ك . كراج "[1] رئيس تحرير مجلة " العالم الإسلامى " الاستشراقية :

(إن على الإسلام إمَّا أن يعتمد تغييراً جذرياً فيه ، أو أن يتخلَّى عن مسايرة الحياة)[2]

ثم حين لم تجد دعوتهم هذه صدى حاولوا سلخ المسلمين من إسلامهم بالدعوة إلى بديل للإسلام يساير - بزعمهم - تقدم العصر وحقائق العلم وضرورات العقل !

الصورة الأولى: (الدعوة إلى نظم معينة كالماركسية والرأسمالية .....)

يقول الدكتور محمد البهي : (لهذا نجد فى الأدب العربى المعاصر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعض نشرات الدعاية الشيوعية ، التى تظهر فى صورة كتيبات تنقل هجوم جهاز الدعاية للفكر الماركسى ضد رجال الدين والكنيسة الكاثوليكية فى أوروبا ؛ إلى علماء الدين فى المجتمع الإسلامى فى الشرق .

١- كينيت كراج أمريكى شديد التعصب ضد الإسلام ، درّس فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، ورأس تحرير مجلة العالم الإسلامى الأمريكية الاستشراقية ، ورأس قسم اللاهوت فى هارفارد، ومن كتبه (دعوة المئذنة) الصادر عام ١٩٥٦م . الفكر الإسلامى للبهى صـ ٤٥٠ ، أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات د. النملة مجلة جامعة الإمام العدد السابع ١٤١٣هـ صـ ٥٧٢.

٢ - الاستشراق والخلفية الفكرية د. محمود زقزوق صـ ١١٨ .

(*) قد يقال إن هذه الشبهة لاعلاقة لها بعالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها ؛ فأجيب بأن الدعوة إلى البديل مبنية على أن هذا البديل عالمي وواقعي يراد له أن يسود الكون كله دون الإسلام ؛ فهي وثيقة الصلة بعالمية الدعوة الإسلامية .

ولكى يبدو هذا الهجوم قريباً من البيئة الإسلامية تصوغ هذه النشرات عبارات ومصطلحات متداولة فى هذه البيئة بالنسبة لعلماء المسلمين ؛ فبعضها أضاف إلى عناصر الدعاية الشيوعية بعض أحاديث منسوبة إلى الرسول ﷺ وبعض آيات من القرآن الكريم ، قسرها فى التفسير والشرح قسراً لتلائم ما أضيفت إليه من عناصر الماركسية ... والآخر سار بالعناصر الماركسية – وبالأخص تبعية القيمة المعنوية : الروحية والأخلاقية والعقلية للمادة – فى جو الثقافة الإسلامية ، وإن كان فى تعثر واضح ...) [1]

والدعوة إلى النظم المختلفة بعيداً عن الإسلام حاولت أن تكون وديعة فى ظاهرها ، لتحقق هدفها دون صدام مع الفكر الإسلامى .

يصرح بذلك " **خالد محمد خالد** " [2] فى كتابه « من هنا نبدأ » بقوله :

« إن هذا الكتاب يحاول محاولة صادقة أن يرسم الخطوط الرئيسة لتحول اجتماعى وديع ، يفضى بنا إلى قومية شاملة ، لاتنافر فيها ، وإلى اشتراكية عادلة ، لااستغلال ، ولا ظلم فيها، وإلى وعى ناضج سليم ، لاسلطان للرجعية ، ولاللكهانة – يقصد علماء الشرع – عليه » [3]

كما أن هذه الدعوات تحاول أن تخدع المتلقى بإيجاد رابط بين الدين والاقتصاد ، مستغلة حب الإنسان للدنيا فيقول **مصطفى محمود** فى كتابه « الله والإنسان » :

---

١ ـ الفكر الإسلامى للبهى صـ٣٠٢، ٣٠٣ بتصرف يسير جداً .

٢. خالد محمد خالد : تخرج من الأزهر ، ولم يلبث طويلا حتى اتصل به الشيوعيون فى مصر فانحرف فكره، وألف كتابه (هذا أو الطوفان) وبعد أن قضى شباب عمره وأدركته الشيخوخة عاد إلى رشده فألف كتابه (رجال حول الرسول ﷺ) وتوفى منذ عام تقريباً) مصدر المعلومة : فضيلة الشيخ مناع القطان .

٣ ـ من هنا نبدأ صـ ١٩.

« إن الكلمة الأخيرة التى سنقولها للشعب دائما هى : أن طاقته الروحية وليد طاقته الاقتصادية .. إن الروحانية التى تدعو إليها لاتبدأ من نفسها ؛ بل هى تبدأ من المعدة .. كل ماهو خير ، وماهو شر موضوعات تتغير مع المواسم والأعياد ، ويخرج عن حاجات الناس وضروراتهم ، كل هذه المثل ، والكلمات الطنانة الرنانة تخرج من الأرض ، وتمر على المعدة أولا، فإذا هضمتها صعدت إلى العقل وعششت فيه ...

الحق المطلق والخير الصرف والفضيلة المجردة توجد فى عقول المتصوفين والمجاذيب والحالمين، ولكنها لاتوجد فى مجتمعنا الذى يأكل ويشرب ، ويمرض ويموت .

والطريقة العصرية فى بلوغ الفضيلة ليست الصلاة ؛ وإنما هى الطعام الجيد ، والمسكن الجيد » (١)

وحاول مروجو الدعوة إلى النظم البديلة عن الإسلام كالشيوعية والماركسية الدخول إلى العقل المسلم من خلال محاولة إقناعه بنظرية " قابلية التغير " وأن كل فكر - ودين - قابل للتغير ، ليصلوا إلى المطالبة بتغيير الإسلام جملة .

« وشأن العقل ، والعمل العقلى فى نشرات الدعاية الشيوعية فى الأدب العربى شأن الدين والقيم الدينية ، وشأن الأخلاق ومقاييس الفضيلة والرذيلة فى أنها تخضع لظاهرة التغير، وأنها تتبع دائماً البيئة المادية الاقتصادية وحدها » (٢)

ومن هذا المنطلق ظهرت محاولات منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجرى - وربما قبل ذلك - ولاتزال تظهر أخرى بدعوى إعادة قراءة الدين الإسلامى ، أو مايسمى : " التراث العربى الإسلامى "

---

١ ـ الله والإنسان المنشور سنة ١٩٥٨ الصفحات ٢٣ و٢٤ .

٢- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د. محمد البهى - الصفحات ٣١٠ ، ٣١١ .

فقد (ظهرت فى السنوات الأخيرة عدد من مشاريع[1] الدراسة وإعادة القراءة للدين الإسلامى ، والتراث العربى الإسلامى ؛ تقترح مناهج مادية ، أو ليبرالية أو علمانية ، أو يسارية ؛ غيرمحددة المعالم لإعادة النظر فى المورورث الثقافى بما فيه الوحى الإسلامى وصياغة كتابة تاريخه من جديد . ومن ضمن تلك المشاريع (المشروعات) :

١ = **مشروع الدكتور " طيب تيزينى"** وهو أستاذ جامعى سورى . ومشروعه المسمى : (رؤية جديدة للفكر العربى ....) يعتمد الماركسية مذهباً والمادية التاريخية منهجاً .

٢ = **مشروع الدكتور " حسين مروة "** وهو باحث لبنانى ، المسمى :

(النزاعات المادية فى الفلسفة الإسلامية) وقد صدر منه جزءان عام ١٩٧٨م .

٣ = **مشروع الدكتور " حسن حنفى "** وهو أستاذ جامعى مصرى ، وعنوانه : "التراث والتجديد "

٤ = **مشروع الدكتور " محمد عابد الجابرى "** وهو أستاذ جامعى مغربى .

٥ = **مشروع الدكتور " محمد أركون"** وهو مفكر جزائرى) [2]

١- صحة العبارة مشروعات وليست مشاريع .

٢ - محمد أركون مستغرب جزائرى ، ولد عام ١٩٢٦م أكمل تعليمه فى باريس سنة ١٩٥٥م ، وعمل أستاذاً مساعداً فى جامعة السربون ١٩٦٠-١٩٦٩م حيث حصل عام ١٩٦٩م على دكتوراه الدولة من الجامعة ذاتها ، له مؤلفات كثيرة . انظر تهافت الاستشراق العربى . محمد بريش رئيس تحرير مجلة الهدى بالجزائر صـ ٢٣.

ومن الكتب :

كتاب « ثورة الإسلام » لـ " أحمد زكى أبو شادى " [1]

يقول صـ ٢٧ : (إن مبادىء الإسلام نظرياً وعملياً هى أقرب ماتكون لمبادىء الحضارة الأمريكية تفكيراً وسلوكاً)

ويقول ص٢٠٢ وما بعدها : (يتوهم كثيرون أن الدولة الإسلامية هى دولة بتوقراطية – أى دينية -يجب أن تبقى كذلك ، أما الواقع فهو أنها دولة فكرية إنسانية تنهض على الديمقراطية الإشتراكية)

الصورة الثانية : (الدعوة إلى تقارب الأديان والعلمانية والحرية العقدية)

١ = يقول "حسن حنفى" : (الثورة العلمانية جزء من ثورة الإسلام ...نحن فى حاجة إلى إعطاء حركة التنوير العلمانى لدينا دفعة جديدة ...

الدعوة إلى العلمانية عند على عبدالرازق وخالد محمد خالد دعوة للإصلاح على النمط المسيحى الغربى ...

العلمانية فى تراثنا وواقعنا هى الأساس ، واتهامها بـ " اللادينية " تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى ...

تَحَوَّل التوحيد إلى عقائد نظرية مغلقة على نفسها، وتحولت العقائد إلى بدائل عن

١- أبو شادى : عاش مهجرياً وتأمرك ، توفى عام ١٩٥٥م . انظر دراسات إسلامية ونقد كتاب ثورة الإسلام . محمد بنجر صـ ١٠.

المصالح ، وضاعت مصالح الناس ولم ترعها إلا العلمانية) [1]

٢= يقول د. " محمد العروى " فى صفحة (٢٩) من كتابه « أزمة المفكر العربى تقليدية أم تاريخية » الصادر فى باريس ١٩٦٧م :

(إن الحل فى قبول النظرة الحديثة للتأريخ ، ورفض النظرة الكلاسيكية - فى الوقت الحاضر على الأقل - فإن التمسك برؤية الأجداد انغماس فى تفكير غافل مُتَمَنٍّ)

٣ = يقول د. " فؤاد زكريا " فى صفحة (٣٣٣) من بحثه المنشور بعنوان : (التفكير العلمى) ضمن سلسلة " عالم المعرفة " الكويتية :

(وهكذا نستطيع أن نقول : مرة أخرى : إن العالم يتجه إلى التوحد بفضل العلم ، حتى لو أخذنا بالرأى القائل : إن هذا التوحد لن يقرره إلا الصراع الأيديولوجى .

وحين نتأمل الصورة الإنسانية فى المستقبل ؛ فلن يملك المرء إلا أن يتصورها وهى تفكر بعقلية عالمية ، وتراعى مصلحة الإنسان فى كل مكان بغض النظر عن فوارق اللون والجنس والوطن والعقيدة . وعندئذ فقط سيكون التفكير العلمى لدى البشر قد استعاد طبيعته الحقة)

٤ = يقول د. " محمد النويهى " فى بحثه المعنون بـ « الدين وأزمة التطور الحضارى» المنشور عام ١٩٧٤م ضمن أعمال ندوة " أزمة التطور الحضارى فى الوطن العربى " :

---

١ - المقطع الأول من كتابه " اليسار الإسلامى" ص٤٣-٤٤ والمقطع الثانى من كتابه " الفكر الغربى المعاصر" ص٢٣١والمقطعين الثالث والرابع من كتابه " التراث والتجديد " صفحتى ٧٧و٥٥. والمقطع الخامس من كتابه " من العقيدة إلى الثورة " صـ٦٥-٦٦.

(إن هـدف الحملـة الفكريـة المطلوبـة هـو أن نقنـع النـاس بوجـوب الأخـذ بالنظريـة العلمانيـة الخالصـة ، فـى كـل مـا يختـص بـأمور معاشـهم ، ودنيـاهم . وهـى لـن تفلـح فـى هـذا ، إلا إذا أقنعتهـم بـأن الإسـلام - ديـن كـثرتهم - لايتنـافى مـع النظـرة العلمانيـة ، بـل ليـس مـن المغـالاة أن نقـرر أن موقفـه مـن أمـور دنيانـا هـو موقـف علمـانى صـرف)

٥ = يقـول د "زكـى نجيـب محمـود" فـى صفحـة (١٠٢) مـن كتابـه : « تجديـد الفكـر العربـى » المنشـور عـام ١٩٧١م :

(أسـتطيع أن ألخـص رأيـى فـى ذلـك أن مـا نـأخذ مـن تراثنـا - يقصـد ديننـا - هـو الشـكل دون المضمـون)

٦ = يقـول "طيـب تـيزينى" فـى صـفحة (٥٢٥) مـن كتابـه : « مـن الـتراث إلى الثـورة » الـذى طبـع عـدة طبعـات فـى سـوريا ولبنـان وغيرهمـا ، كـانت الثالثـة منهـا فـى بـيروت عـام ١٩٧٩م :(الـتراث الإسـلامى - ويقصـد بالـتراث : الديـن - هـو الوجـه الآخـر للماركسـية اللينينيـة)

وبعد هـذا :

(يقـول بعـض هـؤلاء : إن الحيـاة اليـوم حيـاة فنـون ومخترعـات . والتقـدم العلمـى الكونـى هـو مقيـاس نهـوض الأمـم ، ولاصلـة للإسـلام بهـذه العلـوم . ونقـول لهـؤلاء : إن الإسـلام لايتنـافى مـع العلـم أو القـوة ، بـل يجعـل ذلـك مـن واجباتـه ، وفرائضـه . لكنـه لايحوِّل أمتـه إلى أمـة ماديـة تؤمـن بالمـادة وحدهـا ، وإنمـا يحفـظ التـوازن بـين المـادة والـروح ويعطـى كـلا قسـطه .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1])[2]

١- الأنفال ٦٠.

٢ - الإسلام رسالة الإصلاح لفضيلة الشيخ مناع القطان صـ ٦٨.

(*)

(المطلب الثالث : محاولة التشكيك فى الدوافع)

الدافع إلى الشيء هو القوة المحركة ، والمنطلق الباعث . وقوة الفعل أو ضعفه تستمد من قوة الدافع أو ضعفه . فإذا ضعف الدافع أو اعتوره العيب كان الفعل المستند إليه معيباً .

ومن هنا تتبين أهمية الدافع إلى انتشار الإسلام . وهو عندنا - نحن المسلمين - هداية البشرية إلى نور الله ، وتخليصها من ذل العبودية لغيره سبحانه . وتحذيرها من خطر المخالفة . أى أنه تبشير وإنذار .

وهذا الدافع أعلنه القرآن الكريم صريحاً جلياً لالبس فيه فى عدة مواضع ،منها :

١ = قوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾(١)

٢ = قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (٢)

٣ = قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٣)

فهذه الصفات الأربع : الشهادة ، والبشارة ، والإنذار ، والدعوة إلى الله ، بالصفة التى جاءت فى الآية الكريمة .

هل وردت عبثاً ، أو لتكملة البناء اللفظى للنص فحسب ، أم أن لها معنى مراداً ،

١- البقرة ١١٩.

٢- الأحزاب ٤٥و٤٦.

٣- الفتح ٨.

(*) قد يقال إن هذه الشبهة لاعلاقة لها بعالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها ؛ فاجيب بأن محاربة الدوافع أو التشكيك فيها سهم غائر فى عالمية الدعوة الإسلامية ؛ لأن كل دعوة صحيحة أو سقيمة لابد لها من دوافع منها تنطلق ، وبها تتميز ، وأهداف لها تسعى ، فإذا كانت الدوافع منحطة رديئة لم تصلح أن تكون مرتكزاً ومنطلقاً لدعوة عالمية متفوقة .

وهدفاً مقصودا ؟

الطريق إلى جواب السؤال المطروح ينيره لنا سلفنا الصالح ، بالفهم الصحيح المستنير بهدى الله وتوفيقه .

يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى - فى تفسير آيتى الأحزاب :

(فقوله تعالى : ﴿ شَـٰهِدًا ﴾ : أى لله بالوحدانية ، وأنه لاإله غيره و - شاهداً - على الناس بأعمالهم يوم القيامة ، وقوله : ﴿ وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ : أى بشيراً للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيراً للكافرين من وبيل العقاب . وقوله جلت عظمته : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ أى داعياً الخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك) (١)

فالآيات الكريمة صريحة فى بيان الدافع لعالمية الدعوة الإسلامية ، وأنه امتثال أمر الخالق سبحانه ، وليس الاستجابة للهوى والشهوة .

وذكر الصفات الأربع مقصود كذلك لبيان أن واقعية الدعوة الإسلامية حارس لعالميتها حيث جاء النص الكريم على التوازن بين التبشير والإنذار .

قال ابن حجر - رحمه الله - (٢) :

(شاهداً على الأمة ، ومبشراً للمطيعين بالجنة ، ومنذراً العاصين بالنار ، وشاهداً للرسل قبله بالإبلاغ) (٣)

١- تفسير ابن كثير بتحقيق عبداللطيف والصديق صـ ٣/٥١٨.

٢- ابن حجر : الإمام الحافظ أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى ، من أئمة العلم والتأريخ عاش بين ٧٧٣-٨٥٢هـ ، وله تصانيف كثيرة جداً ومشهورة . الأعلام للزركلى ١/١٧٨.

٣- الفتح على البخارى ٨/٥٨٦.

يقول سيد قطب - رحمه الله - عند تفسير آيتى الأحزاب :

(فوظيفة النبى ﷺ فى المؤمنين أن يكون شاهداً عليهم فليعملوا بما يحسن هذه الشهادة التى لاتكذب ولاتزور ، ولاتبدل ولاتغير ، وأن يكون مبشراً لهم بما ينتظر العاملين من رحمة وغفران ، وأن يكون نذيراً للغافلين بما ينتظر المسيئين من عذاب ونكال ، فلا يؤخذوا [1] على غرة ، ولا يعذبوا إلا بعد إنذار ، وداعياً إلى الله ، لاإلى دنيا ، ولا إلى مجد ، ولا إلى عزة قومية ، ولا إلى عصبية جاهلية ، ولا إلى مغنم ، ولا إلى سلطان أو جاه .

ولكن داعياً إلى الله فى طريق واحد يصل إلى الله بإذنه فماهو بمبتدع ولا بقائل شيئاً من عنده) [2]

فسيد قطب -رحمه الله - يقرر أربع حقائق ، تفسّر سبب ذكر الصفات الأربع معاً فى آيتين متتابعتين ؛ وهى :

١ = حقيقة علاقة الوجود بالخالق ، بحيث يستبين مكان الكائن الإنسانى من هذا الوجود وخالقه ، والقِيَم التى يقوم عليها الوجود كله ، ويقوم عليها وجود الإنسان فيه .

٢ = حقيقة المنشأ والمصير .

١- اللام هنا ، وفيما بعد هى " لا " الناهية الجازمة .

٢- فى ظلال القرآن لسيد قطب ٢٨٧٢/٥.

٣ = حقيقة الهدف والغاية .

٤ = حقيقة الطريق والوسيلة .

وفى ضوء هذا كله تتضح أهمية الدافع فى موضوع (عالمية الدعوة الإسلامية) ، ويتضح سر محاولة خصوم الدعوة محاربته بشتى الوسائل .

ثم إن نشر دين الله بين عباد الله دافع صرح به النبى ﷺ فى كتابه إلى هرقل عظيم الروم ، وفى غيره من الكتب التى بعثها ﷺ .

ومع صراحة الدافع - أساساً وتطبيقاً - فإن أعداء الإسلام خفوا إلى تشويهه فى محاولة مستميتة لتشويه الجهاد الإسلامى ، وانتشار الإسلام ، وتقليل أثرهما .

وقد جاءت هذه المحاولة فى صورتين ، هما :

الصورة الأولى: التشكيك فى الدوافع إلى الجهاد الإسلامى وغيره من العبادات ، والطعن فى شرعية انتشار الإسلام .

الصورة الثانية: التشكيك فى شرعية الانتشار بالسيف .

لقد حاول كثير من المستشرقين جهدهم زرع التشكيك فى دوافع الدعوة الإسلامية فى مادة كتبهم ، وحاولوا تشويه الجهاد الإسلامى ما استطاعو إلى ذلك سبيلا .

فأولا : حاول المستشرق الهولندى : (رينهارت . دوزى) [١] فى كتابه : " تاريخ مسلمى أسبانيا " التقليل من أثر الدين فى نفس العربى :

١- دوزى : مستشرق هولندى ١٨٢٠-١٨٨٣م معظم إنتاجه فى الأندلسيات . مستشرقون ، نذير حمدان . صـ٥٩.

(وعلى وجه العموم فإن الدين لايشغل إلا حيزاً ضئيلا فى حياة العربى الذى لايعبأ بغير مصالحه الدنيوية ، ولايكترث إلا بالحروب والشراب واللهو والحب حتى يقول : " اليوم خمر وغداً أمر"

ولامشاحة أن هذا هو شعار البدو أولئك الرجال الذين يندفعون بسهولة إلى إجلال العمل النبيل أو القصيدة الرائعة ، ولكن إذا حدَّثتهم عن الدين ظلوا جامدين غير مكترثين بما تقول .

وكان التحمس للدين أمراً شاذا وإنما المألوف منهم هو تهاونهم فيه وعدم اكتراثهم به ... فلم يكن محمد (ﷺ) ليلقى - أنى وجد - غير السخرية والإهانة ...

كانت الكراهية متأصلة بين المكيين والمدنيين لأنهما من سلالتين متعاديتين ، وذلك أن بلاد العرب كانت تتألف من فئتين ، هما : اليمنيون والمعديون ، وكان أهل المدينة ينتمون إلى الفريق الأول ، كما أن العرب كانوا يعدون الزراعة [1] حطة ، ويرون أن حياة الرعى والتجارة جديرة بالرجل الحر ...

١- العرب لم تحتقر الزراعة بالصورة التى يرسمها المؤلف ، ولقد كان أهل المدينة زراعاً وكان أهل مكة يملكون البساتين فى مكة والطائف وفى القرآن الكريم آيات تعدد نعم الله من حدائق وزروع ومعظم هذه الآيات مكية . وربما كان المؤلف متأثراً فى فكرته هذه برواسب التاريخ الأوروبى يوم كانت الزراعة فى قارته حرفة العبيد والأرقاء والمغلوبين على أمرهم . كما لم يعترف النبى ﷺ بنبالة الجاهلية - كما زعم المؤلف مستدلا بقوله ﷺ : (خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام) - وإنما جعل أساس النبالة : الرقى فى الإسلام . وتمام قوله ﷺ يدل على ذلك . فقد قال ﷺ : (خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا) ولكن المؤلف ترك الجزء الأخير لأنه ينفى مقولته ويقضى عليها من أساسها . وقد أشار المترجم إلى شىء من هذا فى نهاية الكتاب .

وكان محمد (ﷺ) يشاطر بني جلدته نظرتهم إلى اليمنيين والزراع ، حتى ليؤثر عنه أنه سمع رجلا ينشد بيتاً يشير فيه إلى أنه حميرى ، وليس أسلافه من ربيعة ولامضر ، فقال مامعناه : أف لك إن هذا نسب يبعدك عن الله ورسوله .

ويقال [١] : إنه (ﷺ) رأى محراثاً في بيت رجل من أهل المدينة فذكر له أنه مادخل دار قوم إلا دخلها الذل .

إلا أنه لما يئس من حمل أهل جنسه من التجار والبدو على اعتناق مبادئه ، ولما رأى أنه مهدد في حياته منذ أن مات عمه وحاميه أبو طالب [٢] فقد اضطر لتناسي هذه النظرة وقبول كل مساعدة من أي جانب صدرت عنه ، فرحب بوفود عرب المدينة الذين عطفوا عليه وأكرموه .

وقد ربطت بيعة العقبة الكبرى على الدوام بين مصالح المدنيين ومصالح محمد (ﷺ) الذى حطم رابطة يجلها العرب ويقدمونها على كل ماسواها إذ انفصل الرسول عن قبيلته وشخص إلى المدينة مع أتباعه المكيين الذين

١- جاء في صحيح البخارى عن أبي أمامة الباهلى رضى الله عنه قال - ورأى سكة وشيئاً من آلة الحرث : سمعت رسول الله ﷺ يقول: لايدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل) وقد عنون البخارى لهذا الباب بقوله: (باب مايحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذى أمر به) ، قال ابن حجر رحمه الله في الفتح : (والمراد بذلك مايلزمهم من حقوق الأرض التى تطالبهم بها الولاة وكان العمل في الأراضى أول مافتحت على أهل الذمة فكان الصحابة يكرهون تعاطى ذلك . قال ابن التين : هذا من إخباره ﷺ بالمغيبات ؛ لأن المشاهد أن أكثر الظلم إنما هو على أهل الحرث . ثم قال ابن حجر : وقد أشار البخارى بالترجمة إلى الجمع بين حديث أبي أمامة والحديث الماضى في فضل الزرع والغرس وذلك بأحد أمرين : إما أن يحمل ماورد من الذم على عاقبة ذلك ومحله إذا اشتغل به فضيع بسببه ماأمر بحفظه ، وإما أن يحمل على ما إذا لم يضيع إلا أنه جاوز الحد فيه) انظر فتح البارى مع صحيح البخارى ٥/٤و٥.

٢ - عبد مناف بن عبدالمطلب عم النبى ﷺ ووالد على رضى الله عنه ، من أبطال بني هاشم توفى سنة ٣ قبل الهجرة . الأعلام ١٦٦/٤.

عرفوا منذ ذلك الحين بـ" المهاجرين " ، وحرّض شعراء المدينة على سلق مواطنيه بألسنة حداد ، وأعلن الجهاد الدينى .

أما الأوس والخزرج [١] – الذين سموا منذ ذلك الحين بـ " الأنصار " – فقد اضطرمت فى نفوسهم الحماسة القوية ، وأقبلوا على الموت هازئين به ثقة منهم بدخولهم الجنة إن لاقوا مصرعهم على أيدى الوثنيين ، فجاءوا بضروب معجزة من الشجاعة .

وطال أمد النضال بينهم وبين مشركى مكة حتى استغرق ثمانى سنوات نشرت خلالها جيوش المسلمين الرعب فى شتى بقاع شبه الجزيرة مما حمل كثيراً من القبائل على اعتناق الدين الجديد .غير أن الذين دخلوه عن طواعية وإخلاص كانوا فئة قليلة . وساعد المكيون فى تحطيم أوثانهم ، واعترفت بمحمد رسولا ، والغيظ يملأ قلبها ، وكتمت فى نفسها الانتقام إلى يوم تسنح لها فيه الفرصة من هؤلاء الأجلاف : يهود المدينة الذين دنسوا الشرف بغزوهم بلادهم ...

وبعد أن تم فتح مكة رأت القبائل الباقية على شركها عدم جدوى المقاومة واعتنقت الإسلام تحت عامل الخوف من حرب زبون مهلكة .

إذ كان قواد محمد (ﷺ) يدعون للدين حاملين القرآن فى يد والسيف فى أخرى) [٢]

١- الأوس والخزرج : هما القبيلتان الرئيستان فى المدينة المنورة وكانت بينهما حروب مشهورة منها يوم بعاث فجاء الإسلام ووحد كلمتهما .

٢- تاريخ مسلمى أسبانيا (الحروب الأهلية) تأليف ر. دوزى . ترجمة د. حسن حبشى ومراجعة د. جمال محرز ، ود. مختار العبادى صـ ٢٤-٢٨.

وقد قامت مكتبة بريل سنة ١٩٣٢م بطباعة الكتاب فى نسخته الفرنسية باسم :

HISTOIRE DES MUSULMANS D,ESPAGNE PAR R.DOZY

فضلاً انظر الصفحة التالية= .... ↖

لقد حاول المستشرق " دوزى " التشكيك فى دوافع انتشار الإسلام وشرعية الانتشار بالسيف . سالكاً عدة مسالك يمكن عدها من المراقى التعسفية . وإليك شيئاً من هذه المسالك الظالمة :

١ = الحط من شأن الدافع الدينى على وجه العموم . وبالتالى قطع جذور الدعوة الإسلامية من أساسها ، وتصوير الجهاد الإسلامى على أنه شهوة عدوانية ، هى امتداد لشهوة التسلط عند العرب . ولم يكن للإسلام فيها أى جهد . وإنما كان عمله توظيف هذه الشهوة لخدمة انتشاره وتوسعه .

فهو مثلاً يشير إلى أن الدين لايشغل إلا حيزاً ضئيلا فى حياة العربى الذى لايعبأ بغير مصالحه الدنيوية ، ولايكترث إلا بالحروب والشراب واللهو والحب ، وهو يريد بهذا القول سحق القدوة الحسنة من نفوس المسلمين .

٢ = التعسف فى إبراز دوافع لانتشار الإسلام بالنظر إلى الظروف الواقعة فى عصر البعثة النبوية الشريفة ، وإعلاء شأن تأثير العصبية القبلية ، والطمع فى الغنائم .

فهو يؤكد على الكراهية المتأصلة بين المكيين والمدنيين لأنهما من سلالتين متعاديتين ، ويدعى - كاذباً - أن النبى (ﷺ) يشاطر بنى جلدته نظرتهم إلى اليمنيين والزراع .

ويركز على وجود الثأر المبيت فى النفوس بانتظار لحظة القدرة للانتقام .

ويذكر فى هذا الصدد فتح مكة دليلاً على الرغبة فى الثأر ، وليس إعلاء كلمة ا لله ، وهو يضخم أمر هذا الثأر ، ؛ ولأنه يعرف أن التأريخ لم يسجل انتقام أو حقد الفاتحين ، ولا أحد يصدقه إن قال به فهو يؤكد على أن سبب عدم ظهور هذا الأمر هو أن النبى (ﷺ) أمر قواده باصطناع الرأفة البالغة بالمكيين .

وعهدت إلى المستشرق ليفى بروفنسال بمراجعته . وهذا الأخير (بروفنسال) له كتاب : حضارة العرب فى أسبانيا ، ترجمة ذوقان قرقوط .

ثم يعود فيقرر دون دليل أو برهان أن القبائل اعترفت بمحمد رسولا والغيظ يملأ قلبها وكتمت فى نفسها الانتقام إلى يوم تسنح لها فيه الفرصة ، ويركز على أن سبب ذلك هو الخوف ، أو الطمع فى الغنيمة ؛ فيقول بعد ذلك عن الفتوحات الراشدة :

(أما أبو بكر ((رضى الله عنه))الذى سلح جميع القادرين على القتال ؛ فقد أسعفه الوقت بمضايقة أدنى القبائل جواراً إليه حتى إذا بعثت قبائل الحجاز المخلصة بإمداداتها من الرجال والخيل وعاد جيشه الرئيس من الشمال محملا بالغنائم العظيمة ؛ تأهب للمعركة وقسم جنده أقساماً عدة كانت قليلة عند مغادرتها الديار ، ولكنها ضخمت أثناء الطريق بمن انضاف إليها من العرب الذين حملهم الخوف ، أو الطمع فى الغنيمة على الانخراط تحت الرايات الإسلامية) [1]

٣ = التركيز على الصفات المنفّرة من مبدأ الجهاد الإسلامى ، والتشكيك فى شرعية الانتشار بالسيف ؛ للوصول إلى التشكيك فى شرعيته ، وأهميته ، وحسن مبادئه .

فهو يكثر من الحديث عما يسميه : الرعب المنتشر فى شتى بقاع شبه الجزيرة بسبب الدعوة للدين بالقرآن فى يد وبالسيف فى أخرى .

ثم هو يؤكد على أن الرعب ، والعنف ، والبطش ليس نتيجة اجتهاد قائد أو محارب ، وإنما هى تعاليم الإسلام ، وقيادة المسلمين العليا . فيقول :

(ولم يبق المسلمون على أحد من الأسرى فى ذلك اليوم - يوم قتال مسيلمة [2] إذ كانت تعاليم أبى بكر لخالد [3] تنص على قتل المرتدين وعدم

١- تأريخ مسلمى أسبانيا لدوزى ص ٣٠ .

٢- هو رجل من أهل اليمامة بنجد ادعى النبوة وتزوج من سجاح من بنى تميم التى ادعت النبوة كذلك وقتلا فى الحديقة فى حروب الردة . انظر ترجمة مسيلمة فى الأعلام ٢٢٦/٧، وترجمة سجاح ٧٨/٣.

٣- خالد بن الوليد بن المغيرة ، سيف الله . من الفرسان والقادة المشهورين . أسلم سنة سبع للهجرة . الإصابة

فضلاًانظر الصفحة التالية= .... ↖

الإبقاء على أحد منهم إن قدر خالد عليه بالحديد والنار وغير ذلك من صنوف العقاب . فتقدم خالد يسبقه خبر انتصاراته وبطشه) [(١)]

٤= الإيحاء بأن ماحققته الدعوة الإسلامية والجهاد الإسلامي لم يكن إلا ثمرة الأمر الواقع ، نتيجة خوف القبائل المستهدفة من البطش ، وضعف التنسيق بينها .

وبعد ادعائه أن القبائل التى اعتنقت الإسلام عن طواعية وإخلاص كانوا فئة قليلة ... يعود فيذكر أن القبائل الباقية على شركها رأت - بعد فتح مكة - عدم جدوى المقاومة واعتنقت الإسلام تحت عامل الخوف .

وعن حروب الردة يقول : (انعدم التناسق بين هجمات المتمردين الذين انقسموا فيما بينهم فراح بعضهم يفتك بالبعض الآخر)[(٢)]

وعن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[(٣)] الإصلاحية يقول :

إن الوهابيين [(٤)] - يقصد أتباع دعوة الشيخ محمد ! - فى زماننا هذه

٤١٣/١.

١- تأريخ مسلمى أسبانيا لدوزى صـ٣١.

٢- المصدر السابق صـ٣٠.

٣- هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب إمام الدعوة فى نجد وصاحب كتاب التوحيد وكشف الشبهات وغيرهما ولد فى العيينة سنة ١١١٥هـ وتوفى سنة ١٢٠٦هـ . انظر ترجمة الشيخ فى : دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب د. محمد السلمان ١٤٠٧/١٤٠٨ هـ . وفىكتاب : الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب د. عبدالله الشبل .

٤- حذر كثير من علماء الدعوة من تسمية (الوهابيين) لأنه يفهم منها أن الشيخ جاء بدعوة جديدة بينما هو متبع لامبتدع . وإنما سعى إلى إحياء ماالندثر من تعاليم الإسلام . ولكن المستشرقين وغيرهم تحلو لهم مثل هذه التسمية لحاجة فى نفوسهم المريضة .

سنة ١٨٦١م – التحديد منه – وهم الطائفة المتزمتة [١] الصارمة التى تحرّم جميع ما دنّس الإسلام على مر الزمن من مظاهر الترف والخرافات ، والتى اتخذت شعارها : (القرآن ولاشىء سوى القرآن) كما اتخذ "**لوثير** " [٢] شعاره : (الإنجيل ولاشىء سوى الإنجيل)

أقول : فشل هؤلاء الوهابيون فى حمل البدو على الاهتمام بالدين و لم يعمدوا إلى القوة إلا فى النادر ... وعلى الرغم من اعتناق الوهابيين نظريات المحدثين السياسية واضطرار القبائل الخاضعة لهم خضوعاً مباشراً إلى مراعاة قواعد الدين مراعاة دقيقة إلا أن بعض أفراد هذه القبائل كانوا يظهرون منتهى التعصب والحماسة خدمة لمصالحهم الشخصية ، وظلت قلوب البدو غلفاً بعيدة عن التدين ؛ إذ ماكاد **محمد على** [٣] يقضى على قوة الوهابيين حتى بادر أولئك البدو إلى التخلص من تلك الطقوس التى أرهقتهم كل الإرهاق) [٤]

٥ = الاستهزاء بالمبادىء الإسلامية الراسخة التى تقوم على الوعد والوعيد ؛ الجنة لمن أطاع وجاهد فى سبيل الله حق جهاده ، والنار لمن عصى وتخاذل .

١- المتزمت فى اللغة العربية هو : الوقور . يقال : (رجل متزمت وزمّيت وفيه زماتة : إذا توقّر فى مجلسه وفى صفة النبى ﷺ أنه من أزمتهم فى المجلس : أى أرزنهم وأوقرهم) لسان العرب لابن منظور بترتيب يوسف خياط مادة (زمت) ٤٣/٢. ولكن المؤلف لايقصد هذا المعنى وإنما يقصد التشدد الزائد عن حده .

٢- مارتن هانز لوثير راهب نصرانى مغمور ولد عام ١٤٨٣م قام بما يسمى ثورة إصلاح دينى ، وكان متعصباً يؤمن بأهمية العصا فى تقويم الأخلاق . قصة الحضارة لديورانت ٩/٢٤و١٠.

٣- هو قائد الحملة المصرية على نجد والتى قضت على الدولة السعودية الثانية . الأعلام للزركلى ٢٩٩/٦.

٤- دوزى – المصدر السابق صـ٣٣و٣٤.

فعند حديثه عن الأوس والخزرج - ذكر الحماسة القوية التى اضطرمت فى نفوسهم، وإقبالهم على الموت هازئين به ، وسخر من الضروب المعجزة من الشجاعة لثقتهم بدخولهم الجنة إن لاقوا مصرعهم على أيدى الوثنيين .

٦ = لجأ إلى بتر النصوص ، وتفريغها من مدلولها الصحيح ، وتزييف حقائق التأريخ .

فيشير إلى غضب المكيين من يهود المدينة الذين دنسوا الشرف بغزوهم بلادهم ؛ فهل كان فتح مكة بأيدى اليهود أو حتى بمساعدتهم المؤثرة فى مساره ؟

ويقول : (ربما كان من الممكن أن تكون الحماسة للدين أشد وأعظم لو أن الوسائل التى اصطنعت لهداية القوم كانت أقل عنفاً) [(١)]

فهل كانت الحماسة للدين الإسلامى من أهل البلاد المفتوحة إلى الحد الذى صوره هذا المستشرق ؟

وكيف يمكنه الرد على تلك التضحيات التى قدمت من المجاهدين فى سبيل الله فى فتوحات الشام ومصر .

بل كيف يفسر تعجبه هو :

(الشجاعة العجيبة للمسلمين تلك التى دفعت اثنين منهم إلى تسلق سور حديقة مسيلمة ورمى نفسيهما داخل الحديقة فوقع أحدهما وقد أثخنته الرماح فمات (استشهد) أما الآخر فقد كان أسعد حظاً (؟!) إذ اختطف المفتاح وقذف به من فوق السور إلى رفاقه ففتح الباب ودخل المسلمون ؟) [(٢)]

١- دوزى المصدر السابق صـ ٣٣.

٢- دوزى المصدر السابق صـ٣١.

ويشهد لذلك دعواه أن النبى ﷺ كان متناقضاً بتنفيره من العصبية ثم دعوته إليها فيقول : (والحقيقة أن النبى (ﷺ) لم ينته إلى رأى قاطع حول وجود الأرستقراطية .

فبينما نراه ينادى بالمساواة التامة إذا بنا نراه يعترف بالنبالة ، وبينما نراه يقول : الناس سواسية كأسنان المشط إن أكرمكم عند الله أتقاكم إذا بنا نراه يقول : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام) (١)

فهل مانقله هو النص الكامل للحديث أم أنه أخذ مايناسب دعواه المزيفة ؟ (٢)

وثانيا : حاول جرجى زيدان (٣) الوصول إلى ذات الهدف ولكن بطريقة أخرى .

(إن جرجى زيدان يعد من أوائل من كتبوا روايات تأريخية مستمدة فى إطارها العام من التأريخ الإسلامى ، بل إن كثيراً من النقاد يعدونه رائداً للقصة التأريخية الإسلامية فى عالمنا العربى إذ أصدر اثنتين وعشرين رواية مابين عام ١٨٩١م و١٩١٤م تحت عنوان عام هو: (روايات تاريخ الإسلام) . منها : (أرمانوسة المصرية) صدرت عام ١٨٩٥ ،

١- دوزى المصدر السابق صـ ٣٤.

٢- الحديث ورد فى البخارى ونصه : (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل للنبى ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : أكرمهم أتقاهم ! قالوا : يانبى الله ليس عن هذا نسألك ! قال : فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله ! قالوا : ليس عن هذا نسألك ! . قال : أفعن معادن العرب تسألوننى ؟ قالوا: نعم. قال : فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا) البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء ٤١٤/٦. كما رواه فى كتاب التفسير عند تفسير سورة يوسف .

٣- هو جرجى بن حبيب زيدان نصرانى ولد فى بيروت سنة ١٨٦١م درس الطب ثم حدثت أحداث هرب بسببها إلى مصر واشتغل بالتأليف والنشر وتوفى سنة ١٩١٤م فى القاهرة . وله كتب ومقالات كثيرة معظمها عن التأريخ الإسلامى . وقفة مع جورجى زيدان . د. العشماوى صـ ٩. والأعلام للزركلى ١١٧/٢.

و(فتاة غسان) ١٨٩٧م ، و(عذراء قريش) ١٨٩٩م ، و (السابع عشر من رمضان ١٩٠٠، و (غادة كربلاء) ١٩٠١م ، و (الحجاج بن يوسف [١]) ١٩٠٢، و(فتح الأندلس) ١٩٠٣م ، و(شارل وعبدالرحمن [٢]) ١٩٠٤م ، و (أبومسلم الخراساني [٣]) ١٩٠٥م ، و (العباسة أخت الرشيد[٤]) ١٩٠٦م ، و (الأمين والمأمون[٥]) ١٩٠٧م ، و(عروس فرغانة) ١٩٠٨م ،و (أحمد بن طولون [٦]) ١٩٠٩م ، و (عبدالرحمن الناصر[٧]) ١٩١٠م ، و(الانقلاب

١- الحجاج بن يوسف الثقفي أحد ولاة الأمويين واشتهر بالظلم والشدة توفي سنة ٩٥هـ .سير أعلام النبلاء - ٣٣٤/٤.

٢- شارل مارتل وحّد الفرنجة تحت حكمه ، أوقف تقدم المسلمين في معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ ، وكان قائد المسلمين فيها عبدالرحمن الغافقي الذي استشهد . المستشرقون . نايف بن ثنيان صـ ٤٨.

٣- عبدالرحمن بن مسلم هازم جيوش الأمويين ومؤسس الدولة العباسية قتل في شعبان ١٣٧هـ . سير أعلام النبلاء ٤٨/٦-٧٢.

٤- هي علية بنت المهدي أخت هارون الرشيد أديبة شاعرة ، كانت تكثر من الصلاة ودرس القرآن ولزوم المحراب . الأعلام للزركلي ٣٥/٥.

٥- الأمين محمد بن هارون الرشيد والمأمون عبدالله بن هارون الرشيد آلت الخلافة بعد وفاة والدهما إلى الأمين إلا أنه نشب نزاع بينهما بسبب ولاية العهد فقتل الأمين سنة ١٩٨هـ وآلت الخلافة إلى المأمون حتى توفي سنة ٢١٨هـ سير أعلام النبلاء ٢٧٢/١٠-٢٩٠و٣٣٤/٩-٣٣٨.

٦- أحمد بن طولون : صاحب مصر من أصل تركي وكان بطلا شجاعاً وتوفي سنة ٢٧٠هـ . المصدر السابق١٣/٩٤-٩٦.

٧- عبدالرحمن الناصر : أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس توفي سنة ٣٥٠هـ الأعلام للزركلي . ٣٢٤/٣.

العثمانى) ١٩١١م و(صلاح الدين ومكائد الحشاشين[١]) ١٩١٣م ، و(شجرة الدر) ١٩١٣م) [٢]

يقول فى رواية (شارل وعبدالرحمن) على لسان عبدالرحمن الغافقى[٣] : (نحن نعتزم فتح هذا العالم الكبير فإذا وفقنا فى فتحه كسبنا الأموال والأرواح ، ونشرنا الإسلام فى قبائل من النصرانية ، والوثنية لايحصيها إلا الله ...

فتحرَّز ياهانى ما استطعت من الذهب والفضة والجواهر ، وتملَّك ماتريد من الجوارى والغلمان) [٤]

أليس هذا ادعاءً واضحاً بأن هدف الجهاد الإسلامى الرغبة فى الذهب والفضة والغلمان والجوارى ؟

و(يقول الدكتور محمود على مكى أثناء حديثه عن رواية فتح الأندلس لجرجى زيدان :

١- الحشاشون : طائفة إسماعيلية فاطمية احترفت القتل والاغتيال لأهداف سياسية . الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب صــ ٢٠٣.

٢- وقفة مع جرجى زيدان د. عبدالرحمن العشماوى ،صــ ٥و٦.

٣- عبدالرحمن بن عبدالله الغافقى العكى قائد من قواد الفتوحات الإسلامية المشهورين وقد ولى الأندلس مرتين ١٠٣هـ و١١٢-١١٤هـ وقد حارب شارل مارتل فى رمضان ١١٤هـ وهزمه فى وقعة (بلاط الشهداء) واستشهد عبدالرحمن المستشرقون . نايف بن ثنيان صــ٤٨.

٤- رواية (شارل وعبدالرحمن) صــ ٨٤.

وعلى الرغم من أن طارق بن زياد [1] هو البطل الذى حملت الرواية اسمه فإننا نرى من تتبع أحداثها أن البطولة الحقيقية إنما هى من نصيب " فلورندا" ابنة الكونت يوليان حاكم سبتة ، وهذا أمر متوقع من الكاتب ؛ لأنه يكتب التأريخ الإسلامى بقلم نصرانى) [2]

وتستمر الرواية فى الإساءة البليغة لصلاح الدين وتشويه صورته فى أذهان المتلقين ، طمعاً فى محاربة " القدوة " الحسنة فى الفاتحين من المسلمين .

وهذه الحرب هدف ظاهر فى كثير من كتابات المستشرقين عن التأريخ الإسلامى ، حيث حاولوا جهدهم تشويه صورة قادة المسلمين ، وحكامهم ، ودعواهم أن هذه هى دعوة الإسلام، ونظامه .

ولذا يقول صاحب الرواية :

(والبسطاء يستغربون خروج الخليفة لاستقبال ذلك الكردى والعارفون لايرون فيه غرابة لضعف أمر الخلافة) [3]

يقول الدكتور عبدالرحمن العشماوى :

(والكاتب لاينسى أن يذكرنا بموقفه الشخصى من صلاح الدين .
(فعبارة " هذا الكردى " التى رأيناها فى أول الرواية تعود إلينا هنا " ذلك

١- طارق بن زياد الليثى بالولاء ، فاتح الأندلس ، أصله من البربر فأسلم على يد موسى بن نصير فكان من أشد رجاله ، وهو صاحب الفتوحات المشهورة فى المغرب وإليه ينسب جبل طارق . عاش فى المدة بين ٦٧٠ - ٧٢٠م الأعلام للزركلى ٢١٧/٣.

٢- وقفة مع جرجى زيدان . د. عبدالرحمن العشماوى صـ ٤٦.

٣- رواية صلاح الدين لجرجى زيدان صـ ٢٠

الكردى " مما يؤكد وجود موقف شخصى للكاتب تجاه صلاح الدين ، ولذلك فقد أعقب هذا الكلام بحديث طويل أجراه بين صلاح الدين ووالده ، ووردت فيه جمل وعبارات توحى بمطامع الرجلين ، والجشع الذى يملأ نفسيهما .

وكتب التأريخ تتفق - تقريباً - على تواضع صلاح الدين ، وزهده فى المظاهر الكاذبة ، بل يصرح ابن الأثير [1] بأنه لم يلبس شيئاً مما ينكره الشرع) [2]

يقول صاحب الرواية : (وكانت حجة نجم الدين قوية و لم يقو معها صلاح الدين على الدفاع وكاد يُفْحَم ولكنه كان طامعاً فى البلد ويريد أن يتذرع بأية وسيلة كانت لتحقيق مايريد) [3]

وللقارىء أن يتأمل معنى كلمة " بأية وسيلة " ويقلبها فى ذهنه ، ويحسب احتمالاتها ؛ ليدرك مغزاها الخبيث .

(وسار الكاتب على هذا المنوال لايورد اسم صلاح الدين إلا فى مواقف توحى بطمعه فى السلطة وتدفع القارىء إلى إدانته) [4]

---

١ ـ ابن الأثير : على بن محمد الشيبانى الجزرى المؤرخ الإمام عاش بين ٥٥٥-٦٣٠هـ الأعلام ٤/٣٣١.

٢ـ وقفة مع جورجى زيدان صـ٢٢.وصـ ٤٢.

٣ـ رواية صلاح الدين لجرجى زيدان صـ ٣٤.

٤ـ وقفة مع جرجى زيدان د. العشماوى صـ ٢٢و٢٣.

وهاهو يورد عبارات على لسان العاضد[1] (ظهر فيها السرد والمبالغة فى الموقف العدائى من " صلاح الدين " المتمثل فى عبارات مثل : " رجل أعجمى " " سلب حقوقنا " ، " استبد بالأمر " ، " نخشى سطوته ") [2]

إن الشيء الذى لايصح الاستكبار عنه ولايحجبه عن شمس الحقيقة غربال التمويه هو أن جرجى زيدان نصرانى ، وصلاح الدين هو قاهر النصارى فى الحروب الصليبية .

وجرجى زيدان هنا يعبر عن حقده عليه بالقلم ، كما عبر عن هذا الحقد الجنرال "غورو" الذى (بعد أن تغلب على جنود ميسلون عند دمشق ؛ توجه إلى قبر صلاح الدين الذى أذل النصارى فى الحروب الصليبية ، وركله بقدمه قائلا : هانحن عدنا ياصلاح الدين) [3]

إن المتأمل فيما أوردته من كلمات جرجى زيدان - ومثله مما لم أورده أكثر بكثير - يجد أن الرجل سلك عدة مسالك للتشكيك فى دافع الدعوة الإسلامية ومبدأ الجهاد ،ومنها:

١ = إحياء العصبية وتغذيتها والحيلولة دون وضوح المفهوم الإسلامى للإنسان .

١- العاضد :صاحب مصر وآخر ملوك الفاطميين العبيديين بمصر والمغرب توفى سنة ٥٦٧هـ . الأعلام ١٤٧/٤.

٢- وقفة مع جرجى زيدان د. العشماوى صـ ٦٦.

٣- قادة الغرب يقولون . جلال العالم صـ ٣٤ .

يقول عن صلاح الدين : " هـذا الكـردى " ، " رجـل أعجمـى " ؛ لينقـص قدره ، ويورث بغضه فى نفوس المسلمين ، ويهدم القدوة الحسـنة ، وليوحـى - بخبـث - بخصوصية الإسلام للعرب .

٢ = تصوير دافع الجهاد على أنه البطش وحب السلطة بأية وسيلة كانت .

فيصور صلاح الدين بعباراته السابقة التـى تـدل علـى السـلب ، والاستبداد بالأمر ، والسطوة ، والطمع ، وتقديم الوسيلة الحقيرة على الهدف السامى لتحقيق مايريد .

٣ = إبراز الدافع الجنسى بإبراز تأثير المرأة على البطل حتى كأنها بطل الرواية كمـا هـو واضح مما سبق إيـراده عن " فلورندا " و تأثيرها فى سير الأحداث .

وكإشارته إلى علاقة " صلاح الدين " بـ " ست الملك "(١) التى يقول : إنها أخت العاضد ، وهى فى الحقيقة أخت الحاكم بـأمر ا لله ، وهـى مـن الفضليـات التـى لايدنسهن زعم نصرانى حاقد .

يقول عن هذا المسلك حنا الفاخورى : (ومما لاشك فيه أن الكـاتب وجـد نفسـه مضطراً إلى التبديل ، والتغيير فى الأحداث التأريخية ، مراعاة للأحـداث الغراميـة التـى بنـى عليها، رواياته إلا أن هذا كان له الأثر الأكبر فى مسخ القيمة الأدبية ، والقيمة التأريخية فى قصصه) (٢)

وثالثا : فى دائرة المعارف الإسلامية التى أعد مادتها عدد من كبار المستشرقين:

١ـ ست الملك بنت العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ، أمـيرة مـن الفضليـات الحازمـات المدبـرات ، وهـى أخت الحاكم بأمر الله الفاطمى ، عاشت فى المدة بين ٩٧٠-١٠٢٤م . الأعلام للزركلى ٧٧/٣.

٢ـ الجديد فى الأدب العربى لحنا فاخورى ٤٠٤/٦.

❁ كتب جوينبل [1] THE. W.JUYNBOLL في دائرة المعارف الإسلامية في مادة (جمعة) : (يوم الجمعة أي يوم الجماعة ... زد على ذلك أنه اليوم المقدس الأسبوعي عند المسلمين ... ويصح أن نذهب إلى أن النبي (ﷺ) نفسه جرى على إقامة صلاة عامة وإلقاء خطبة على طريقة اليهود [2] في فناء داره بالمدينة في أيام الجمعة .

ولعله قد جرى على عادة إقامة الصلاة تتبعها الخطبة كما كانت عليه الحال لدى الجماعات المماثلة في الأزمنة السابقة له إذ كانت الصلاة العامة تسبق أداء الأعمال الأخرى .

وازداد تأثر خطب الجمعة في العهد الأموي المتأخر بالطقوس النصرانية [3] فأذان الجمعة الذي يلقى في المسجد قبل الصلاة بعد أن يجتمع فيه المصلون والأسلوب الفريد الذي اتخذته الخطبة من حيث انقسامها قسمين قبل

١- تيودر فيلم جان جوينبول مستشرق هولندي من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية عاش بين ١٨٠٢-١٨٦١م ، عمل أستاذاً في جامعة ليدن إلى وفاته . الأعلام للزركلي ٩٥/٢. البهي صـ ٤٣٨.

٢- علق الأستاذ أحمد شاكر على هذه المادة في دائرة المعارف الإسلامية بقوله :(لم يسم المسلمون يوم الجمعة يوماً مقدساً . ثم لماذا يأخذ هذا عن اليهود ؟ كل ماجاء في الشريعة الإسلامية ينظر إليه أمثال هذا الكاتب نظرة عجيبة إن وافق شيئاً مما يعمل في الأديان الأخرى كان في نظرهم مأخوذاً عنها كان محل نقد، وإن لم يوافق شيئاً مما يعمل في الأديان الأخرى كان شاذا وكان محل نقد كذلك . ثم إن النبي ﷺ لم يكن لداره فناء ، بل كانت بيوته حول المسجد ، وكان يصلي الجمعة والصلوات الأخرى في المسجد. فتعبير الكاتب غير دقيق ، بل غير مطابق للواقع.)

٣- علق الأستاذ أحمد شاكر في هامش هذا النص بقوله : (هذا ادعاء من غير دليل فإن صلاة الجمعة على الصفة المعروفة ثابتة عند المسلمين بالأحاديث المتواترة المؤيدة بالعمل منذ عهد رسول الله ﷺ إلى الآن . فادعاء الكاتب أن خطب الجمعة تأثرت في العهد الأموي بالطقوس النصرانية والقداس عند النصارى ادعاء غير صحيح ولا أصل له ولسنا نحب أن نصفه بأكثر من هذا)

صلاة الجمعة يبدو أنه قد تأثر بالقداس عند النصارى) (١)

لقد أجهد الكاتب نفسه ليوجد - من عدم - رابطاً بين الإسلام والنصرانية ، ولم يتوان عن الكذب والتزييف فى أحكام الفقه الإسلامى ؛ ليصبح هذا الرابط قريباً من الأذهان .

وهو يريد من قوله ويهدف إلى أن الإسلام والنصرانية سواء فلماذا يفضل الإسلام عليها ، ليستحق لقب الدين العالمى ؟

❁ وكتب " بول " (٢) **FR. BUHL** عن جمرة العقبة :

(رمى الجمرات شعيرة أخذها الإسلام عن الوثنية فلم ينص عليها صراحة فى القرآن ولكنها ذكرت فى سير النبى (ﷺ) ... ولاحظ بركارت (٣) أن الغرض الذى رمى إليه المسلمون من الشعيرة هو حماية أنفسهم من الشيطان ، وقد أصاب بذلك كبد الحقيقة من حيث إن الرمى بالحصى كان يُعَدُّ - أصلا - فى بلاد العرب ، كما فى غيرها شعيرةً تقوم على صَبِّ اللعنات) (٤)

١- انظر : دائرة المعارف الإسلامية التى ألفها عدد من المستشرقين ونقلها إلى العربية محمد الفندى وأحمد الشنتناوى وإبراهيم خورشيد وعبدالحميد يونس وعلق عليها : أحمد محمد شاكر ، ومحمد حامد الفقى وصدرت عام ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م/٧/١٠٤-١٠٧ .

٢- فرانتس بول مستشرق دانمركى عاش بين ١٨٥٠-١٩٣٢م درس فى جامعتى فينا وليبزيج له كتب منها (دعوة محمد إلى الإسلام كما وردت فى القرآن) وهو من محررى دائرة المعارف الإسلامية . الأعلام للزركلى ١٣٩/٥.والفكر الإسلامى الحديث للبهى صـ٤٣٧.

٣- يوهن لودفيك بركارت JOHANN LUDWIG BURCKHART مستشرق سويسرى رحالة معظم كتبه عن رحلاته وله كتاب (أمثال عربية) توفى سنة ١٨١٧م . الأعلام ٢٦٤/٨.

٤- دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ١٠٢-١٠٤.

لقد حاول هذا المستشرق أن يبرهن على ضعف المستوى العقلى عند المسلمين ، ورمى إلى غرس بذرة شبهة خبيثة ، مفادها : أن هذا الدين الذى يصادم العقل ؛ بما يدعو إليه من حماية الأنفس بصبِّ اللعنات - كما هى حال الجهلاء - لايصلح لقيادة البشرية .

❁ وكتب فنسنك [١] WENSINCK عن الحج مااقتطف منه الآتى :

(فسر لغويو العرب الحج بأنه : القصد ، ويتفق هذا ومعنى الحج عندنا - أى عند النصارى - و لم يك هذا الحج إلى عرفات (هكذا!) أمراً اختص به العرب (هكذا !) فالحج إلى معبد من المعابد عادة سامية قديمة .

ويذهب " سنوك هورجرونغيه " إلى أن الإفاضة شعيرة شمسية وهو رأى هوتسما " [٢] ونعنى بذلك أن الحج كان يعد فى الأصل ملاحقة للشمس الغاربة [٣] وإله المزدلفة هو قزح إله الرعد ... وقد رجح " هوتسما " أن الرجم

١- أرنت يان فنسنك ١٨٨٢-١٩٣٩م مستشرق هولندى كان تلميذاً لهوتسما ودى خويه وهورجرونيه وسخاو رسالته للدكتوراه عن محمد واليهود فى المدينة . مستشرقون . نذير حمدان صـ ٢١٣.

٢- هوتسما : مستشرق ألمانى ١٨٥١-١٩٤٣م عضو فى مجامع لغوية وجمعيات ومن المشاركين الرئيسين فى دائرة المعارف الإسلامية . انظر : مستشرقون لنذير حمدان صـ١٧٠. ذكر البهى فى الفكر الإسلامى أنه هولندى وعضو فى المجمع العلمى بدمشق . صـ ٤٤٥.

٣- علق الأستاذ محمد حامد الفقى على هذا النص بقوله : (إن توقيت الله تعالى للعبادات بحركة الشمس فى زوالها أو طلوعها أو مغيبها لادخل له فى تعظيم الشمس كما زعم الكاتب وإخوانه . ولقد حذر ﷺ من تحرى أوقات طلوع الشمس أو غروبها أو توسطها السماء بالعبادة خوفاً من التشبه بالوثنيين الذين يعبدون الشمس ... والوقوف بمزدلفة منصوص عليه فى القرآن الكريم على أنه وقوف لذكر الله وحده بعد أن كانوا ضالين فى غياهب الوثنية ، وهو منسك من مناسك الحج ... أما الإله قزح فلا نعرفه فى تاريخ الجاهلية ولكن الذى نعرفه أن الجبل الذى هناك يسمى إلى اليوم " قزح " ولعل ذلك لأن به صخوراً ملونة فسماه العرب بهذا الاسم تشبيهاً بقوس قزح فوافق ذلك هوى فى نفس الكاتب فادعى أنه كان إلهاً .)

كـان موجهـاً أصـلا إلى شيطان الشـمس) (١)

فالكـاتب فـى هـذا النـص يسـخر مـن شـعائر دينيـة ، ويشـكك فـى حقيقتهـا الشرعيـة ، ويرجعهـا إلى عـادات قديـمة ، اقتبسـها المسلمـون مـن غـيرهم ، فـلا أهمية لهـا .

بل ربطهـا – وهذا أدهى – بعبـادات وثنيـة ، والإسـلام قـام فـى أساسـه علـى محاربـة الوثنيـة.

وإنـما هدفـه الوصول إلى التـشـكيـك فى أصول العبادات لجذب المسلمين بعيداً عن دينهم ، وبعيداً عن النظر إلى أى امتداد عالمى له .

❁ وكتب ماكدونالد (٢) D. B. MACDONALD عن " الجهاد " :

(الجهـاد هو نشـر الإسـلام بالسـيف ... ثم إن كتابـة النبى (ﷺ) إلى حكـام البـلاد المحيطة به تبين أن هذا الموقف حيال الناس جميعاً كان يخالجه .

وأنه تطور على التحقيق عقب وفاته مباشرة (٣) عندما زحفت الجيوش الإسلامية إلى خارج الجزيرة العربية) (٤)

١- دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٠٤-٣١٠

٢- ماكدونالد : مستشرق أمريكى ١٨٦٢-١٩٣٧ ، من كتاب دائرة المعارف الإسلامية . درس فى بريطانيا وتعاون مع زويمر فى إنشاء مجلة العالم الإسلامى . أسس مدرسة كندى للبعثات . موسوعة المستشرقين د. بدوى صـ٣٧٢. أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات . د. على النملة مجلة جامعة الإمام العدد السابع ربيع الثانى ١٤١٣هـ صـ ٥٣٩. ومستشرقون لنذير حمدان صـ ١٦٨.

٣- هذا القول فى نظرى محاولة للإيحاء بأن الاتجاه إلى الجهاد مجرد اجتهاد من الصحابـة ، وتجاهل للسرايا والغزوات التى تمت فى عهد النبى ﷺ خصوصاً فى جبهة الشام .

٤- دائرة المعارف الإسلامية – مصدر سابق – صـ ٧/ ١٨٨ – ١٩٠.

إن الذى يتبادر إلى الذهن عند قراءة هذا النص هو : أن الإسلام دين العنف المُبَيَّت ، وأن نشر الإسلام كان مجرد رغبة تخالج النبى ﷺ وأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ومن بعده هم الذين حولوا هذه الرغبة إلى واقع .

ومع مافى ذلك من تجاهل لوقائع التأريخ التى لاشك فى صحتها والتى تثبت جهاد النبى ﷺ لنشر الإسلام ، فإن الكاتب حاول أن يجعل الجهاد احتهاداً بشرياً ، وليس عبادة تقتضيها عالمية الدعوة الإسلامية .

❁ وكتب " بيكر C.H.BECKER " فى مادة " بيت المال " عن إنشاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه " بيت المال " فقال : (خلال عهد الانتقال من سياسة الغزو للغنم إلى سياسة الاستقرار فى البلاد المفتوحة تجمع لهذا السبب مال كثير هو الفيء الذى يأخذ بيت المال غلته .

وقد أظهر " فلهاوزن " كيف أن معارضة هذا النظام أدت إلى قيام الفتنة التى انتهت بقتل الخليفة عثمان((رضى الله عنه))[1] واستن مال المسلمين فى مقابل مال الله.

وأخذت الأحوال السياسية فى الاستقرار ونقل العرب دواوين الروم والفرس فأصبح من الطبعى أن تتغلب تلك الفكرة السياسية التى نشأت قبل خلافة عمر ((رضى الله عنه)) واقتبسها هو . وهكذا تحققت فكرة بيت المال من الوجهتين النظرية والعملية .

والواقع أن الأسماء الشرعية طبقت أحياناً على أفعال غير شرعية ، ومهما يكن من شيء فإن الحكام المسلمين لم يكونوا متشددين أو بعيدين عن التردد فيما يتصل بالأموال العامة بالدرجة التى أظهرتهم بها الروايات العديدة التى ترجع إلى صدر الإسلام ، و لم

---

١ - عثمان بن عفان بن أبى العاص رضى الله عنه ، أبو عبدالله ، ثالث الخلفاء الراشدين وزوج اثنتين من بنات الرسول ﷺ وأحد أكثر الصحابة بذلاً فى سبيل الله استشهد سنة ٣٥هـ الإصابة ٢/٤٦٢.

تتحسن هذه الأحوال إلا حيث ظهر التدخل الأوروبى أو أنشىء النظام الدستورى) [1]

لقد حاول هذا المستشرق فى مجال محاربة الدوافع إلى انتشار الإسلام ونشره الآتى :

١= ذكر أن نشر الإسلام مر بمرحلتين ؛ هما : سياسة الغزو للغنم ؛ أى دون دافع دينى . ومرحلة الاستقرار فى البلاد المفتوحة ؛ أى لمجرد الاستقرار ، وليس لنشر الدعوة .

٢ = كما هى الحال دوماً فقد نسب فكرة إنشاء الدواوين للرومان والفرس مع أن الوقائع التأريخية لم تكن تدل علىاتصال قوى بين أولئك والمسلمين يصل إلى حد التأثر .

٣ = حاول مسخ المعنى الشرعى لبعض المصطلحات مدعياً أن بعض الأسماء الشرعية طبقت أحياناً على أفعال غير شرعية ، وشكك فى نزاهة حكام المسلمين فى الصدر الأول .

٤ = ادعى كما هى الحال دوما مع المستشرقين بأن الأحوال لم تتحسن إلا حيث ظهر التدخل الأوروبى أو أنشىء النظام الدستورى . أى أنه قصد قطع دابر الدافع إلى نشر الإسلام من أساسه باقتلاعه من نفوس المسلمين ، ونسبة الفضل فيما حققه المسلمون من رقى ونجاح إلى نظام دستورى ، أو تدخل أوروبى .

❁ وكتب " لامنس " [2] H.LAMMENS فى مادة " بئر معونة " :

(والحق أن أمامنا سرية حدثت بالفعل ، ولم تكن هناك حاجة تتطلب سبعين قارئاً ، بل لاشك أنه لم يكن فى المدينة حينئذ مثل هذا العدد !! وكان النبى (ﷺ) فى مثل هذه

١- دائرة المعارف الإسلامية - مصدر سابق - ٤/٣٧٤-٣٧٦.

٢- هنرى لامنس : راهب يسوعى بلجيكى عاش بين ١٨٦٢-١٩٣٧ متعصب ضد الإسلام عمل أستاذاً فى معهد الآداب الشرقية فى بيروت زمناً طويلا . انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى ٨/٩٩. وموسوعة المستشرقين د. بدوى صـ ٣٤٧. ومستشرقون . نذير حمدان صـ١٢٥.

الأحوال يرسل قارئاً أو اثنين فقط .

وقد اخترع المُحَدِّثون هذه القصة ؛ لتغطية حملة خانها التوفيق ، ولإثبات كثرة عدد القراء [1] ، وشدة قَدَمهم وإسباغ القداسة عليهم ...

ومن المحتمل أن يكون أبو براء[2] قد سأل النبي (ﷺ) أن ينصره على منافسه عامر بن الطفيل [3] وكانت خطة النبي (ﷺ) تقتضيه التدخل في مثل هذه الأمور الدنيوية .

لذا فقد أنفذ سبعين فارساً من الأنصار ، باغتهم بنو سليم عند بئر معونة ، فأفنوهم) [4]

لقد كان هدف هذا المستشرق أن يزيف بعض الحقائق التي رأى أنها تدعو إلى

١- علق الأستاذ أحمد شاكر على هذا الزعم بقوله : (من العجب أن يصور الأب لامنس خيالا يزعم فيه أن المحدثين اخترعوا قصة القراء لتغطية حملة خانها التوفيق ولإثبات كثرة عدد القراء وإسباغ القداسة عليهم ؛ فإن المسلمين كانوا يحاربون المشركين في عهد النبي ﷺ وبعده وكانوا ينتصرون كما كان ينتصر عليهم عدوهم فلم يخونوا التأريخ ولم يخترعوا نصراً موهوماً كما نرى في غيرهم من الأمم)

٢- أبو براء : هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة ملاعب الأسنة لقب بذلك في يوم سوبان عرض عليه النبي ﷺ الإسلام فلم يقبل ولم يرفض وقال : يامحمد أرسل إلى أهل نجد . وهذا سبب وقعة بئر معونة .

٣- عامر بن الطفيل : من بني عامر بن صعصعة أحد فتاك العرب وشجعانها ولد ونشأ بنجد أرسل له النبي ﷺ سبعين رجلا من القراء من خيار المسلمين عليهم المنذر بن عمرو وحمل حرام بن ملحان كتاب النبي ﷺ إليه فلم ينظر إليه وأمر من يطعنه من خلفه . ثم استعان بقبائل من بني سليم من عصية ورعل وذكوان فأحاطوا بالمسلمين وقتلوهم إلا كعب بن زيد تركوه وبه رمق فعاش حتى استشهد في الخندق رضي الله عنهم ورحمهم جميعا السيرة النبوية للإمام ابن هشام بتحقيق طه عبدالرؤوف ١٣٧/٤و١٣٨.والأعلام للزركلي ٢٥٢/٣

٤- دائرة المعارف الإسلامية ٣٨٦/٤و٣٨٧و٣٨٨.

الاقتداء بها فى عملية نشر الإسلام والدعوة إليه . ومن ذلك :

١ = التشكيك فى إرسال القراء لتعليم الناس دينهم ونشر الإسلام . وبالتالى فهو يريد قذف شبهة فى النفوس مفادها : أن الدعوة إلى الإسلام قبل الحرب أمر غير وارد عند المسلمين .

وبالتالى فإن دافع الدعوة وهو الرغبة فى هداية الناس غير مراد البتة ، بل كان الهدف البطش والفتك والغنم وغير ذلك من المترادفات الاستشراقية للتعبير عن الجهاد الإسلامى .

٢ = حاول بأسلوب ملتو أن تقر فى نفس القارىء قناعة بعدم حرص المسلمين على دعوة الناس وتعليمهم قبل قتالهم ، بل إن هدفهم السلب والنهب ؛ بالتركيز على قلة عدد القراء وأن المسلمين يزيفون التأريخ للتدليل على كثرتهم .

وهذا خلاف الواقع فإن المقصود بالقراء : هم الذين قرأوا القرآن وفقهوا فيه ، ولايشترط علمهم بالكتابة ، وهؤلاء كُثُرٌ فى المسلمين وقد بذلوا جهداً لايستهان به للدعوة إلى الله.

٣ = حاول أن يربط - دون تصريح - بين الإسلام والنصرانية فى موضوع القداسة ؛ فادعى أن المحدثين حاولوا من اختراع قصة القراء إسباغ القداسة عليهم .

٤ = حاول التشكيك فى دوافع الجهاد ، وأنها مجرد دوافع دنيوية لاتزيد عن استنصار شخص بالنبى ﷺ على عدو له فاستجاب له .

ثم لاينسى ليبلغ هذا الزعم مبلغه أن يؤكد على أن خطة النبى ﷺ كانت تقتضيه التدخل فى مثل هذه الأمور الدنيوية ! أى أن الجهاد إنما هو من قبيل الأمور الدنيوية ، ولذا جاء استجابة لخطة النبى ﷺ التى تقتضيه التدخل فى مثل هذه الأمور الدنيوية .

رابعاً : كتب " ول ديورانت "[1] :

(وقد أعانه - أي النبي ﷺ - نشاطه وصحته على أداء جميع واجبات الحسب والحرب، ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره ، وظن أن يهود خيبر دسوا له السم، فأصبح عرضة لحميات ونوبات غريبة)[2]

وقصة دس السم للنبي ﷺ ثابتة سنداً ومتناً ، وقد رواها البخاري[3] في صحيحه[4] وليست ظناً كما يدعي هذا المستشرق .

ولكنه أراد من إيرادها طمس دافع دامغ يدل على أن الإسلام كان مستهدفاً من اليهود والنصارى ، وأن الجهاد في الإسلام كان ضرورة للحذر من مكائد هؤلاء وتربصهم ، ومحاولتهم القضاء عليه .

وكتب " ول ديورانت " كذلك :

---

١. ديورانت : مستشرق أمريكي صاحب كتاب (قصة الحضارة) ترجمه محمد بدران ونشرته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ١٩٦٧م القاهرة وقد صدر أول جزء منه عام ١٩٣٥م . وله كتاب قصة الفلسفة . قالوا عن الإسلام د. خليل صـ٦٤.

٢. قصة الحضارة لول ديورانت ترجمة محمد بدران . اختارته وأنفقت على ترجمته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ! المجلد الرابع الجزء الثاني صـ ٤٦.

٣. الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، أبو عبدالله ، عاش رحمه الله بين ١٩٤-٢٥٦هـ ، له عدة مؤلفات أشهرها : الجامع الصحيح ، المعروف بصحيح البخاري . الأعلام للزركلي ٣٤/٦.

٤. حديث الشاة المسمومة رواها البخاري في كتاب المغازي. البخاري مع الفتح ٤٩٧/٧، كما رواها في كتاب الطب ، وفي كتاب الجزية . وانظر : سيرة ابن هشام طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ٢١٨/٣، والطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٧/٣.

(وكان للزبير [1] بيوت فى عدة مدن مختلفة ، وكان يملك ألف جواد، وعشرة آلاف عبد .

وكان عبدالرحمن [2] يمتلك ألف بعير وعشرة آلاف رأس من الضأن ، وأربعمائة ألف دينار (٩١٢٠٠٠و١دولاراً) [3]

وكان عمر ((رضى الله عنه)) ينظر بحسرة إلى الترف الذى أخذ مواطنوه يتردون فيه) [4]

١- الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارى رسول الله ﷺ من المبشرين بالجنة . ومن الذين اختارهم عمر رضى الله عنه للشورى . الإصابة ٥٤٥/١.

٢- عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه من المبشرين بالجنة . ومن الذين اختارهم عمر رضى الله عنه للشورى . وكان معروفاً بالتجارة قبل الهجرة وبعدها المصدر السابق : ٢ / ٤١٦.

٣- جاء فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير- نشر المكتبة الإسلامية ١٩٨/٢- (لما نزلت : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قال الزبير : وأى النعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء ؟ . قال ﷺ : أما إنه سيكون ! فكان للزبير - رضى الله عنه - ألف مملوك يؤدون إليه خراجهم كل يوم ، فما يدخل بيته منها درهم واحد . يتصدق بذلك كله)

٤- قصة الحضارة صـ ٣٢و٣٣.

الفصل الثانى

الجذور التأريخية للتشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية

(الجذور التأريخية للتشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية)

الحديث عن الجذور التأريخية للتشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية حديث طويل ؛ غير أننى سأعرض جوانبه الرئيسة باختصار ، محاولاً التركيز على جهود المستشرقين فى هذا المجال ؛ لأن هذا التركيز يتلاءم مع عنوان هذا البحث ، ولأن ماسبق جهود المستشرقين لم يكن سوى محاولات لم يكتب لها النجاح المؤثّر ؛ نظراً لقوة الأمة المسلمة ، ومن ثمَّ عجز تلك المحاولات عن تفتيت تلك القوة ، أو التأثير البيِّن فيها .

ولكى تتضح الصورة ، ويصح المقال ؛ فلابد أن أؤكد على أن التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية أخذ عدة صور ، بدءاً من التشكيك باللسان وانتهاءً بحمل السنان !

وجذور هذا التشكيك بدأت تظهر مبكرة مع ولادة الدعوة إلى الإسلام فى أحضان مجتمع فيه اليهود ، والنصارى ، الذين يدعون شرف حمل ديانتين نزلتا من السماء ، ولايعترفون بما زيفوه وحرفوه فيهما ، وفيه الكبراء والمنتفعون الذين يعزُّ عليهم قبول دعوة تحرمهم من حلِّ امتيازاتهم ، وتساويهم بمن هم دونهم فى الحسب والنسب والشرف الدنيوى ، وفيه المنافقون الذين أبطنوا الكفر، وأظهروا الإيمان لخداع المسلمين .

ثم حين تطورت [1] الدعوة فوصلت إلى الدول والجماعات المجاورة ازداد التشكيك وتعددت وسائله .

وهكذا الحال عند انتشار الإسلام فى العصور اللاحقة .

١- أقصد بالتطور : الانتقال من حال إلى حال أخرى أو الحد بين الشيئين . وهذا هو معناه اللغوى الصحيح دون تحميله – خطأ – معنى التقدم كما يستعمله بعض الناس (انظر : لسان العرب لابن منظور ٢/٦٢٣ مادة " طور")

وفى ضوء هذا فإنه يمكن تقسيم الجذور التأريخية للتشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية إلى عدة مراحل رئيسة ، ينظر من خلالها إلى أهداف ذلك التشكيك وأسبابه ووسائله ونتائجه بالنسبة للدعوة وللخصوم .

أولاً : التشكيك من المشركين والمنافقين .

منذ الوهلة الأولى التى أعلن فيها نبينا محمد ﷺ رسالته العالمية إلى عموم الثقلين ؛ جنهم وإنسهم ، عربيهم وأعجميهم ؛ نشط كبراء قريش والمنتفعون بمكانتهم الاجتماعية ؛ لمحاربة هذه الدعوة وللقضاء عليها فى مهدها ، ووصفوه ﷺ بالسفه والجنون ، وبالسحر والكهانة الخ ...

وآذوه ، وآذوا من آمن به ؛ لأن أفهامهم الناقصة ، وعقولهم القاصرة لم تستوعب نشوء دعوة عالمية بأيدى مستضعفين ، فكيف إذا كانت أولى دعائم هذه الرسالة العالمية هى : المساواة بين الشريف والوضيع ، والغنى والفقير.

ثم كيف إذا كانت هذه الموازين الجديدة التى يوزن بها المؤمنون بهذه الرسالة هى : التقوى ، والعمل الصالح ، والتربية الإيمانية العليا ، ونحو ذلك من المعانى التى لم يألفها هؤلاء الناس ؟

لقد كانت المقاومة شرسة ، أياً كانت مسبباتها ودواعيها وحوافزها ؛ لأن شواهد عالمية الدعوة الإسلامية حوربت من كثير من أفراد المجتمع المكى والمدنى ، وشُكِّك فيها وفى صدق الداعى إليها .

وإن لم يكن الامتداد العالمى ذا بالٍ عند مشركى قريش ، بل ربما كان مفيداً لهم لأنه يحقق - بالمعنى الضيق - غلبةً للعنصر العربى ، وهذا مطمح من مطامح العربى الجاهلى ؛ إلا أن المبادىء التى جعلها الله سبحانه وتعالى حافظة عالمية الدعوة الإسلامية وسياجاً لها مانعاً من القصور ؛ لم تكن ملائمة لهؤلاء أو متوافقة مع نظرتهم تلك .

قال تعالى حاكياً شبهات المشركين حول عالمية الدعوة الإسلامية :

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [1]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

(ثم أدبر واستكبر : أى صرف عن الحق ، ورجع القهقرى ، مستكبراً عن الانقياد للقرآن، فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، أى ينقله محمد عن غيره ممن قبله ، ويحكيه عنهم ، ولهذا قال : إن هذا إلا قول البشر . أى ليس بكلام الله .

وهذا المذكور فى السياق هو : الوليد بن المغيرة [2] المخزومى أحد رؤساء قريش ... الذى دخل على أبى بكر رضى الله عنه فسأله عن القرآن ، فلما أخبره خرج على قريش فقال ياعجباً لما يقول ابن أبى كبشة فوالله ماهو بشعر ولا بسحر ، ولابهذى من الجنون ، وإن قوله لمن كلام الله .

فلما سمع بذلك النفر من قريش إئتمروا ، وقالوا لئن صبا الوليد لتصبو قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل [3] قال : أنا أكفيكم شأنه) [4]

فهذه الآيات الكريمات تبين أن هدف معارضة الخصوم للدعوة هو : العناد – مع تبين الحق عند المعارضين – وخشية انتشارها وامتدادها عالمياً ، وبالتالى القضاء على نفوذهم القائم على الظلم والجور .

١- المدثر ٢٣-٢٥.

٢- الوليد بن المغيرة المخزومى ، من قضاة العرب فى الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وهلك سنة ٧هـ . الأعلام ١٢٢/٨.

٣- عمرو بن هشام ، أبو جهل ، رأس المشركين وإمامهم ، وأشد الناس عداوة للنبى ﷺ والمسلمين . قتل فى معركة بدر الكبرى فى السنة الثانية للهجرة . الأعلام للزركلى ٨٧/٥.

٤- تفسير ابن كثير ٤٦٩/٤.

ثم إن مقاطعة قريش للمؤمنين برسالة الإسلام الربانية ، وتعذيبهم لهم ، وإلحاق الأذى بالنبى ﷺ نفسه ، ومسببات الهجرة إلى الحبشة ، ووقائع الهجرة النبوية الشريفة للمدينة المنورة .

ثم غزوات النبى ﷺ فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية بعد هجرته إلى المدينة المنورة ؛ كل ذلك شواهد جلية البرهان ، تؤكد حقيقة واضحة هى : التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية فى المجتمعين المكى والمدنى ، وتكذيبها والحملة عليها .

والمنافقون كان لهم حظٌّ وافرٌ فى التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ، وفى محاربتها ، وفى تثبيط همم القائمين بها .

ثانياً : التشكيك من اليهود والنصارى .

وموقف اليهود من دعوة النبى ﷺ إلى الإسلام لايحتاج إلى تدليل أو بيان ؛ فهو تشكيكٌ ، مبرراته واضحة جلية .

لأن الإسلام جاء بعالميته ناسخاً لديانتهم ، وجاء بواقعيته : أى بمراعاته حال المدعو -كما سأبين فى الباب التالى - فاضحاً لما أحدثوه فيها من تحريف فى دينهم ، لاتقبله الفطر السليمة .

فكان بسبب عالميته موجَّهاً إلى الناس كافة ؛ أى أن الإسلام حرمهم من التميز الذى طالما فاخروا به الآخرين ، وحرفوا التوراة من أجل أن تتم هذه المفاخرة مستندة إلى دليل قوى .

فكيف إذا جاء من مصدر التوراة وحىٌ يخبر بما تم من تحريف فيها ، ويلزم اليهود باتباع الرسالة العالمية الجديدة ؛ رسالة الإسلام ، فيصبحوا أتباعاً بعدما كانوا متبوعين ؟

إنهم يقرأون ليل نهار نصوصاً تمجِّد الجنس اليهودى وتضعه فى منزلة فوق منزلة أى بشر آخر ؛ حيث يزعمون أن (التوراة تقول : أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى) (١) وتقول : (أنت شعب مقدس للرب إلهك ، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب التى على وجه الأرض، ليس لكونكم أكثر من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم ، وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم) (٢)

فماسيكون موقفهم ممن يحرمهم من متعة هذا التميز والمفاخرة به ، وكيف تستسلم

١- اللاوين - الإصحاح ٢٠/١٩١ . نقلاً عن المعوقون للدعوة الإسلامية د. سميرة جمجوم صـ ٢١٣.

٢- تثنية الإصحاح٧ صـ٢٩٠ . المصدر السابق .

مشاعرهم وقلوبهم لما جاء به ؟

لقد جاءنا الجواب عن السؤال المطروح على لسان أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب رضى الله عنها [1] حين قالت: (كنت أحب ولد أبى إليه ، وإلى عمى إبى ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذانى دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ونزل قباء فى بنى عمرو بن عوف ؛ غدا عليه أبى حيى بن أخطب ، وعمى أبو ياسر بن أخطب ؛ مُغَلِّسَيْن قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس . قالت : فأتيا كالّيْن كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى [2] قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت إلى واحد منهما ، مع مابهما من الغمّ . قالت : وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لأبى حيى بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله مابقيت) [3]

إننا لن نجد ثمرة لهذا الإحساس بالغم والغبن والهزيمة سوى الكيد ، وسوء التدبير ، والطعن فى عالمية الرسالة الإسلامية ، وتأليب الخصوم عليها ، والتشكيك بكل قوة فى حقيقتها وحجيتها .

وهذا ماحدث فعلا من اليهود فى كل العهود الإسلامية ، بدءاً من عهد النبى ﷺ ، ومادبروه من المكائد ، ومحاولة شق عصا المسلمين فى أكثر من موقف ، ثم فى عهد خلفائه

---

١ - أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب ، وهو من سبط لاوى بن يعقوب ، من بنى النضير ، كانت مع السبى فأعتقها ﷺ ثم تزوجها ، توفيت رضى الله عنها سنة ٥٠هـ الأعلام ٣٤٦/٤.

٢- الغَلَسُ : ظلام آخر الليل ، وغلّسنا : سرنا بغَلَس، والغَلَسُ : أول الصبح حتى ينتشر . وكَلَّ : أعيا ، وكَلَّتْ : أعييت . والسقطة : الوقعة الشديدة ، وتساقط على الشيء : ألقى نفسه عليه . انظر لسان العرب لابن منظور على الترتيب : ١٠٠٥/٢، ٢٨٧/٣، ١٦٣/٢. مادة (غلس) ، ومادة (كلل) .

٣- سيرة ابن هشام بتحقيق طه عبدالرؤوف ٥٢/٣.

الراشدين .

بل إن المصادر التأريخية تشير بأصابع الاتهام إلى اليهود فى مقتل ثلاثة من الخلفاء الراشدين ، هم : عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعاً .

فكيد اليهود ، وتدبيرهم ، ومعاونتهم أعداء الدعوة الإسلامية ، بل وقتالهم المسلمين ؛ دليل على حدوث التشكيك منهم .

والنصارى أسهموا بنصيب كبير فى عملية التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ، لذات الأسباب التى سبق بيانها عند الحديث عن مبررات لجوء اليهود إلى التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ، كما يبرز جلياً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية [1] رحمه الله فى كتابه الجليل (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) [2]

وإذا كان تشكيك اليهود فى عالمية الدعوة الإسلامية قد أخذ طابع الدس والمكر فى الخفاء ؛ فإن تشكيك النصارى فيها كان جهاراً صريحاً .

ومن دلائل تشكيك النصارى فى عالمية الدعوة الإسلامية ، موقف الملوك الذين أرسل لهم النبى ﷺ كتبه ورسله ، يبلغونهم دعوة الإسلام الموجهة إلى كل العالم ، فلم يؤمن به معظمهم.

١- شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحرانى الدمشقى ولد عام ٦٦١هـ اشتهر بتصانيفه ومنهجه المتميز فى الاجتهاد وفى التأليف ، توفى رحمه الله فى معتقله بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ . خرج لقتال التتار ، وفاوض بنفسه ملكهم ليكفه عن دخول دمشق . وله مؤلفات كثيرة وعظيمة / الأعلام للزركلى ١٤٤/١ وابن تيمية بطل الإصلاح الدينى لمحمود الاستانبولى.

٢- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١/ ٢٦ - ٢٨ .

(*)
ثم هذا هو كسرى ملك فارس يرسل إلى عامله فى اليمن (باذان) قائلا : إنه بلغنى أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى ، فسر إليه فاستتبه ، فإن تاب وإلا فابعث إلى برأسه . فيرسل هذا رسولين يهددان النبى ﷺ ويتوعدانه ، فما كان من النبى ﷺ إلا أن كتب إليه : إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا ، فلما أتى باذانَ الكتابُ توقف لينظر ، وقال : إن كان نبياً فسيكون ماقال ، فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله ﷺ . قال ابن هشام [1] : قتل على يدى ابنه شَيْرَوَيه ، فأسلم باذان ومن معه من الفرس [2]

والسرد التأريخى ليس مجال هذا البحث ، وإنما حسبه الإشارة إلى بعض الدلائل الواضحة ، ليستبين عمق جذور التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ، وأن الجديد منه امتداد للقديم لأن الأهداف والمسببات واحدة ، وأن الصراع بين الحق والباطل قديم وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . والغلبة دائما للحق : ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [3]

ولذلك فإننى سأتجاوز مراحل من تأريخ الدعوة الإسلامية - لبعدها الزمنى عن المجال الزمنى لهذا البحث - وإن لم تختفِ فيها محاولات التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ؛ لأصل إلى المحاولات المستميتة فى العصور المتأخرة للوصول إلى هذا الهدف ؛ مراعاةً للتحديد الزمنى لهذا البحث ، ولأنها سبب من أسباب موضوعه ، وهو : الاستشراق والاستغراب ، وشبهاتهما .

---

١ - عبدالملك بن هشام المعافرى ، ولد بالبصرة ، وتوفى بمصر سنة ٢١٣هـ ، أشهر كتبه السيرة النبوية ، وله عدة كتب فى التأريخ . الأعلام٤/١٦٦

٢- انظر تفصيل ذلك فى السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبدالرؤوف ١/١٩١.

٣- الإسراء ٨١.

(*) روى البخارى (أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه رجلاً وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه مزقه فحسبت أن ابن المسيب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق) كتاب العلم ٦/١٥٤ وكتاب الجهاد ٦/١٠٨ وكتاب المغازى ٨/١٢٦ وكتاب الآحاد ١٣/٢٤١.

فإذا كان مولد الدعوة الإسلامية ليس بالحدث السعيد بالنسبة لبعض النصارى فى العهود الأولى على النحو السابق بيانه ؛ فإن الامتداد الإسلامى فى قلب العالم النصرانى، أى التطبيق العملى لعالمية الدعوة الإسلامية ،كان حدثاً مخيفاً بالنسبة لنصارى العهود المتأخرة ، الذين عانوا من تفرق الأتباع ، وعدم قناعتهم بتعاليم النصرانية البعيدة عن الواقعية ، مما جعلهم يسرعون الُخطا ؛ لكبح جماح هذه الدعوة ، ومنع تأثيرها عن العالَم النصرانى .

ومن هنا بدأت الحروب الصليبية الموجهة للعالم الإسلامى لتحقق ذلك الهدف ، وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين حاولوا تصوير هذه الحروب على أنها حروب استعمارية بحتة تهدف إلى السيطرة الاقتصادية إلا أن الحقيقة أنها كانت حروبا دينية ، المحرك الأول لها هو الثأر من الإسلام والمسلمين .

وبعد أن فشلت محاولة القضاء على الدعوة الإسلامية بالقوة العسكرية وأدرك النصارى واليهود وغيرهم من خلال نتائج الحروب الصليبية سراً كامناً فى النفوس المسلمة يدفعها إلى التضحية والفداء بوازع عقدى لاينتظر عائداً مادياً ولايخاف العقبات البشرية مهما كانت .

عند ذلك بدأ الأعداء التخطيط لمواجهة هذه القوة المكتشفة بأساليب تناسبها ؛ إدراكاً منهم أن الفكر لايقاوم إلا بالفكر ، وقد تبين لهم أن قوة المسلمين فى عقيدتهم أى فى قوتهم الفكرية ، فخططوا لإضعاف هذه القوة الفكرية أو القضاء عليها.

وأول هدف اتجهت إليه سهامهم هو : عالمية الدعوة الإسلامية ؛ إذ أن إقناع الناس بقومية الإسلام وخصوصيته للعرب مثلاً ؛ يعنى القضاء عليه بأقل جهد .

فكان أن لجأوا إلى الغزو الفكرى للتشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ، وبالتالى هدم الإسلام من جذوره .

ثالثاً : التشكيك من المعاصرين .

وأقصد بالمعاصرين غير اليهود والنصارى - بصفتهم اليهودية والنصرانية - من أعداء الإسلام الذين ظهروا فى القرون المتأخرة .

فالشيوعيون - من منظرين وأتباع مهما كانت جنسياتهم - ركزوا على منع زحف الإسلام وعالمية رسالته ، وفعلوا مابوسعهم لزحزحة المسلمين عن الإسلام بالقوة والقهر حيناً، ثم بالدعوة إلى الإسلام الاشتراكى ، والماركسى ، وغير ذلك من المصطلحات ؛ فى محاولة لإذابة الشعور الإسلامى الذى يتنامى دوماً ، ولمحاولة التشكيك فى جذور الدعوة الإسلامية ، ثم الانقضاض عليها .

والوثنيون ومن لادين لهم لم يقفوا مكتوفى الأيدى أمام عالمية الدعوة الإسلامية ؛ لأنها تعنى أن تُلْغَى طقوسهم التى يُلَبِّسُون بها على الجهال وضعاف العقول ، وتدر لهم أموالاً ومكانة تريد دعوة الإسلام قطعها لأن هذه المكانة جاءت بغير حق .

والمستشرقون وإن كان غالبهم من اليهود والنصارى ؛ هم من المعاصرين الذين تجردوا من ثياب الرهبان ، والأحبار ظاهراً وخلعوا على أنفسهم ألقاب (الاستشراق) و(البحث العلمى) لتسهل بعد ذلك لهم عملية تشكيك المسلمين فى عالمية الدعوة الإسلامية ، ومن ثَمَّ تنصيرهم أو - فى أضعف الأحوال - تركهم مسلمين بالاسم ، وبدون عاطفة دينية .

وهناك (الجاهلون من المسلمين ، الذين غزتهم هذه الشبهات ، ونَفَذَت إلى عقولهم بسبب الجهل الذى أصابهم ، وبُعْدِهم عن دينهم ، وما أكثر هؤلاء فى شبابنا اليوم ، الذين يعيشون فى الشك والريب ، ويتخبطون فى ظلام الشبهات ، وهناك بعض العلماء من المسلمين الذين تأثروا بالمستشرقين ، وأعجبوا بهم فرددوا أقوالهم وشبهاتهم ، وأعانوهم على نشرها بين المسلمين ، شعروا بذلك أو لم يشعروا ، حيث أخذوا عنهم فكرهم ،

وتلقوا عنهم دراستهم)[1]

باختصار فإن عالمية الدعوة الإسلامية تعرضت لكثير من حملات التشكيك والتشويه والمحاربة فى مختلف عصور التأريخ ، ومن أصناف من البشر ، وستستمر هذه المحاولات لأنها من ضرورات الصراع بين الحق والباطل .

١- الشبهات المثارة حول الإسلام وموقف المسلم تجاهها . د. محمد أبو الفتح البيانونى . دراسات استشراقية وحضارية صـ ٧٠و٧١.

الفصل الثالث

الوسائل المستخدمة في إثارة الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية

(الوسائل المستخدمة لإثارة الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية)

معرفة الوسائل المستخدمة فى إثارة الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية ؛ ضرورة مُلِحَّةٌ للوصول إلى مظان تلك الشبهات ، ومعرفة دوافعها ، وكشف مسبباتها لتفنيدها .

والإلمام بطبيعة تلك الوسائل ضرورة للتعرف على قياس نتائجها وآثارها .

المبحث الأول : طبيعة تلك الوسائل ، والهدف من دراستها .

معرفة طبيعة أى شيء ،وهدفه ضرورة للحكم الصحيح عليه، ولذا تحدثت عنها هنا:

أولاً : طبيعة تلك الوسائل :

استخدم خصوم الدعوة الإسلامية وسائل وأساليب شتى لإثارة الشبهات حول عالميتها ، وبذلوا جهوداً مضنية فى اختراع ، ورعاية ، وتشجيع تلك الوسائل ؛ للوصول إلى هدفهم المرسوم ، وهو : القضاء على الدعوة الإسلامية ، أو إضعافها فى أضعف الأحوال بزعمهم . ويمكن تصنيف طبيعة تلك الوسائل على النحو الآتى :

١ = اختلفت تلك الوسائل باختلاف الفاعلين لها ، وبالتالى اختلاف دوافعهم المعلنة والباطنة ، وقوة حماسهم فى النيل من الدعوة الإسلامية ، ومدى ماعندهم من قدرات وإمكانات فكرية ومادية .

٢ = كما اختلفت باختلاف العصور المستخدمة فيها ؛ نظراً لاختلاف طبيعة الوسائل والأساليب المناسبة لكل عصر .

٣ = واختلف تأثير تلك الشبهات بحسب قوة أو ضعف الكيان السياسى والفكرى للأمة الإسلامية ، وبالتالى قدرته ، أو عدم قدرته ، أو ضعف قدرته على دفع أو منع تغلغل

تلك الشبهات فى نفوس المسلمين .

٤ - تنوعت الجهود المبذولة ؛ بحيث شملت الجهد البدنى بالمشاركة الفعلية ، والجهد المعنوى بتشجيع الفاعلين لتلك الوسائل ، والبذل المادى الضامن لاستمرارها .

ثانياً : الهدف من دراسة الوسائل المستخدمة .

والهدف من هذا الفصل هو : بيان تلك الوسائل ، وكشف طبيعتها ، ومعرفة ضخامة الجهود - المادية والبدنية والمعنوية - المبذولة فى سبيل إنجاحها ؛ للتعرف على حجم الخطر المحدق بالدعوة الإسلامية .

ومن ثمَّ الاستفادة من تأمل تلك الأساليب ؛ للحذر من تأثيرها فى الفكر الإسلامى فى الوقت الحاضر ، وتنبيه الغافل من المسلمين إلى تأريخها ، ودوافعها ، وأنواعها ، وكيفية تنفيذها .

وفى مرحلة لاحقة إيقاظ إحساس المسلمين إلى أهمية تلك الوسائل لاستخدامها فى خدمة الدعوة الإسلامية بدلاً من أن يستغلها الشانئون فى محاربتها ، والنيل منها .

المبحث الثاني: عرض وسائل التشكيك في عالمية الدعوة الإسلامية .

حاولت جهدى فى هذا المبحث أن أقسم تلك الوسائل بحسب موضوعها ، وجعلت لكل قسم مطلباً مستقلاً أعرض فيه عدداً من الوسائل المستخدمة فى عملية التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية .

ومن المهم هنا التنويه إلى أمرين :

أولهما : لأننى أرجح جانب الهدف والغاية على جانب الشكل والصورة ؛ فإن الذى أراه أن الوسيلة هى : مركب المتوسِّل الذى يصل به إلى هدفه ، أياً كان معنوياً أو مادياً ، فلاتبقى بعد ذلك حدود فاصلة بين الوسيلة والأسلوب ، ولذا فقد خصصت المطلب الأول فى هذا المبحث للحديث باختصار شديد عن : الأساليب التى جاءت ضمن وسائل التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ؛ متلبسة بها ، ولاتنفك عنها بحال .

وثانيهما : أننى لاأدعى شمول كل الوسائل المستخدمة بالعرض والبيان ؛ إن فى هذا الفصل ، وإن فى البحث كله ؛ غير أننى لجأت إلى التقسيم على النحو الذى أوضحته لأسباب قصدتها ، ورأيت فائدتها ، ومنها :

١ = أن هذا التقسيم يسهل الإلمام بالوسائل المستخدمة .

٢ = أنه يساعد على فضح الأهداف الخفية لها ؛ ببيان طبيعتها وموضوعها .

٣ = أنه يكشف تنوع تلك الوسائل ، وتعدد المجالات المستخدمة فيها .

٤ = أنه يبين تغلغل تلك الوسائل فى حياة المسلم ، ويوضح دقة المسالك التى سلكها المرجفون لترويج بضاعتهم ، وتزيينها بالزبد ، وبالزيف ، وبالافتراء .

٥ = أن هذا التقسيم محاولة ؛ لكى يصحو ضمير الأمة المسلمة ، فى مجال الوسائل والأساليب الدعوية ؛ لأنه - فى رأيى - يعانى من الإعاقة والغفلة والضعف المخيف .

وفى هذا المجال المؤثر لك أن تعرف أن عدد وسائل الإعلام العائدة لخصوم

الدعوة - من صحافة وإذاعة وتلفاز وبث مباشر - التى تستخدم فى التنصير ، وفى محاولة التأثير على المسلمين ، تزداد كل يوم[1] ، بينما لاتوجد وسيلة إعلامية واحدة مخصصة للدعوة الخالصة كما يطمح المسلم الغيور على دينه بالمستوى المطلوب .

١ـ انظر تفصيلاً جيداً فى هذا الجانب فى كتاب : (التنصير فى الأدبيات الحديثة) للدكتور على النملة صـ ٥٥ ، وفى كتاب : (الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة) لعبدالوهاب عبدالواسع صـ ٣٥٢.

المطلب الأول : الأساليب المستخدمة فى وسائل التشكيك .

الأسلوب الأول : الطعن .

لقد حاولوا الطعن والتشكيك فى الرب وفى الرسالة وفى الرسول بل فى الاعتقاد كله .

ففى مجال الطعن والتشكيك فى الرب سبحانه وتعالى عما يقولون : يقول أرنست رينان ساخراً من الإسلام ، بل ومن الرب سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا :

(فيه سذاجة الفكر السامى المفزعة ، المقلصة للمخ البشرى مغلقة منافذه فى وجه كل لطيفة ، وكل إحساس رقيق ، وكل تأمل ونظر منطقى ، جاعلة إياه وجها لوجه مع حلقة مفرغة مستمرة : الله هوالله) (١)

بل إن الذات العلية لم تسلم من تطاولهم وطعنهم ، فقال " ماكدونالد " كلاماً لايصح حتى نقله عن رب العالمين أو كما يسميه (الله الكائن الأعلى عند المسلمين) (٢)

وفى مجال الطعن فى الرسالة زعم بعض المستشرقين أن القرآن الكريم مضطرب وليس معجزاً ، وزعموا أن القرآن فيه كلام متعارض ؛ مما يدل على أنه ليس من عند الله . (٣)

وفى مجال الطعن فى الرسول ﷺ زعموا أن القرآن الكريم من تخيلاته ﷺ وأنه مشحون بأموره الشخصية وذكروا على ذلك أمثلة كسورة الأحزاب وسورة النور

١- مناهج المستشرقين . بحث الدكتور / محمد السويسى ٢/٢٤.

٢- انظر دائرة المعارف الإسلامية ٢/٥٥٨-٥٩١. وقد تولى الرد على هذه التجاوزات عدد من الفضلاء منهم: أحمد شاكر .

٣- انظر تفصيل هذه الشبهات والرد عليها فى كتاب : (آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره) د.عمر رضوان ٢/٦١٥و٦١٦ ومابعدهما .

والتحريم وغيرهن ، وقال (جب)[1] :

(ومحمد فى البداية لم يكن نفسه على علم بأنه صاحب دعوة إلى دين جديد ، بل كانت معارضة المكيين له ، وخصومتهم له من مرحلة إلى أخرى هى التى قادته أخيراً وهو بالمدينة بعد أن هاجر إليها إلى إعلان الإسلام جماعة دينية بإيمانها الخاص ، بمنشآتها الخاصة)[2]

الأسلوب الثاني : التحريف .

وقد أخذت هذه الوسيلة عدة مسالك ؛ من أهمها ثلاثة مسالك ، هى :

المسلك الأول : التشويه[3] فى ترجمات القرآن الكريم وفى وصفه وفى وصف كتب الحديث ، وعندكتابة الدراسات عنهما تلك الدراسات التى يسمونها - زيفاً - علمية .

فلقد عُنِيَ كثير من المستشرقين بوضع ترجمات للقرآن الكريم إلى اللغات الأخرى ، كما أكثروا من تأليف الكتب المخصصة لدراسة علومه ، ووصفه ؛ زاعمين التجرد العلمى إلا أنها كانت مليئة بالأخطاء نتيجة الجهل بلغة القرآن وبواقع نظام الإسلام حيناً، ومليئة بالتحريف المتعمد أحياناً كثيرة . وإليك بعضاً مما كتبه المستشرقون فى هذا الباب :

١- هاملتون جب مستشرق إنكليزى عمل مديراً لمركز الشرق الأوسط بأمريكا وكان عضواً فى مجامع علمية عاش فى الفترة بين ١٨٩٥- ١٩٧١م . مستشرقون . نذير حمدان صـ ٥٨.

٢- الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام بحث د. علــى محمــود صـــ ٢٩.

٣- انظر للاستفادة نصوصاً مشوهة باللغات المختلفة مترجمة بزعم أصحابها عن القرآن الكريم فى كتاب المستشرقون وترجمة القرآن الكريم د محمد صالح البنداق صـــ ٨٥-١٣٣.

أولا : = ألف (ريتشارد بل)

١ = ترجمة القرآن . سنة ١٩٣٧.

٢ = مقدمة القرآن . ١٩٣٥م .

٣ = أسلوب القرآن الكريم . ١٩٤٢م

٤ = المتشابه فى القرآن الكريم ١٩٨٢م .

٥ = أهل الأعراف ١٩٣٢م .

٦ = سورة الحشر ١٩٤٨م.

ثانياً : = ألف (ريجى بلاشير) :

١ = القرآن ١٩٧٤م .

٢= مقدمة القرآن . ١٩٥٨م .

٣ = ترجمة القرآن بالفرنسية . ١٩٥٧م .

٤ = نبذة عن النفس فى القرآن . مجلة الساميات ١٩٤٨/١م .

ثالثاً : = ألف (فلهلم رودلف) صلة القرآن باليهودية والمسيحية . ١٩٧٤م .

رابعاً : = ألف (آرثر جيفرى) :

١ = تحقيق كتاب (المصاحف) للسجستانى .

٢ = كتاب : القرآن . وهو موضوع نشره فى مجلة العالم الإسلامى ١٩٣٥ م ، ومجلة الشرق الأوسط ١٩٤٧م [١]

١ـ مجلة العالم الإسلامى من أخطر وأخبث المجلات الاستشراقية ، أنشأها صمويل زويمر ١٩١١م .

فضلاً انظر الصفحة التالية=.......... ↖

٣ = دراسة كتاب (مختصر شواذ القراءات) لابن خالويه [١]، نشر فى مجلة العالم الإسلامى ١٩٣٨م .

٤ = أبو عبيد والقرآن . نشر فى مجلة العالم الإسلامى ١٩٣٨م .

والمتأمل فى ما أوردته من أسماء تلك الكتب ، وموضوعاتها - وهو قليل من كثير جداً وغيض من فيض - لابد أن يلاحظ تركيزها على ماهو مثير للشبهات والجدل ، وعلى مايصلح أن يكون مدخلاً للتلبيس على ضعاف العلم والإيمان .

خامساً : كتب " ألفردكيليوم [٢] guillaume عن صحيح البخارى : (ومن الخصائص المميزة لصحيح البخارى عناوين الأبواب ، أو مايسمى : ترجماتها التى تتسم فى كثير من الأحيان بالهوى ، كما تكون فى بعض الأحيان مضللة ، مثال ذلك : عندما يقدم لحديث يتكلم عن المساجد التى تشد إليها الرحال ، وهى المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ،والمسجد الأقصى بعنوان: (فى فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة) [٣]

المسلك الثاني : تضخيم شأن الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والضعيفة .

وذلك لإقناع المتلقى بأن الإسلام دين متناقض ، لايصلح لقيادة البشرية . فأكثروا من الاستشهاد بالإسرائيليات ، والأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وجعلوها حقائق ثابتة الدلالة، لاتقبل الجدل ، وبنوا عليها استدلالاتهم ، وأسسوا عليها نظرياتهم وفروضهم .

وتصدرفى هارتفورد بأمريكا ومجلة الشرق الأوسط مجلة استشراقية أمريكية كذلك ، ذكرها د. البهى . انظر ص٢٠٣ من هذا البحث .

١ - ابن خالويه ، الحسين بن أحمد من كبار النحاة أصله من همذان ، توفى سنة ٣٧٠هـ الأعلام ٢/٢٣١.

٢- الفرد جيوم (كييوم) أحد كتاب دائرة المعارف الإسلامية ومجمعى . مستشرق إنجليزى عاش عام ١٨٨٨م . مستشرقون . نذير حمدان صـ ١٢٢.

٣- دائرة المعارف الإسلامية ١٤/١٥٩.

ويكفينى الإشارة هنا دون تفصيل إلى بعض الأمثلة ؛ لأنها مما لافائدة فيه ، ويقول عنها الدكتور يوسف القرضاوى : (فلِمَ إذن تسويد الصفحات ، وإضاعة الأوقات فيما لايسنده علم ولاهدى ولاكتاب منير ؟) [1]

فهناك : قصة الغرانيق [2] التى شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام بعض المستشرقين وهناك اسم الشيطان وقصصه[3] ، وأسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم وعددهم ، وعصا موسى ﷺ من أى شجر كانت ، وأسماء الطيور التى أحياها الله قال ابن كثير[4] :

(قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق ، وماكان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركى قريش قد أسلموا ، ولكنها كلها من طرق مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح)

١- د. القرضاوى فى كتابه : ثقافة الداعية صـ ٤٦.

٢- أوردها ابن سعد فى الطبقات ، والطبرى فى تأريخه وبعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الحج ٥٢. قالوا مامخلصه : إن المشركين كانوا يقولون : لو كان محمد يذكر آلهتنا بخير أقررناه ، وكان أذاهم قد اشتد عليه ﷺ ورغب فى هداهم ، فلما نزلت ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ النجم ١٩و٢٠ ألقى الشيطان عندها : وإنهن لهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لهى التى ترتجى ، فتباشر بها المشركون وقالوا : إن محمداً رجع إلى دين آبائه ، فسجد المسلمون والمشركون . وسمع بذلك المهاجرون إلى الحبشة فرجعوا إلى بلادهم ظناً أن المشركين أسلموا وطار بهذه الرواية عدد من المستشرقين يؤسسون عليها بنيان نظرياتهم ؛ مثل مونتجمرى واط فى كتابه محمد فى مكة صـ ١٧٤-١٧٥.

٣- انظر فرح المستشرقين بمثل هذه المرويات فى دائرة المعارف الإسلامية (ترجمة محمد الفندى ورفقاه) - مصدر سابق - مادة (شيطان) ومانقله " فنسنك " عن ابن جرير الطبرى رحمه الله وغيره ١٤/٥١-٥٤.

٤- فى تفسيره ٣/٢٤١.

وعلّق على ذلك د. يوسف القرضاوى: (ومثل هذه الروايات الضعيفة المتهافتة يفتح لها المستشرقون صدورهم لأنها توافق هواهم وتخدم فكرتهم ، فى حين يردون - كثيراً - الروايات الصحيحة إذا عارضت فكرتهم) [١]

المسلك الثالث : الكذب والتزوير :

والكذب والتزوير حيلة العاجز ، وهما الدليل القوى على تغليب المستشرقين ، والمستغربين للهدف والغاية على الوسيلة ؛ فيبيحون لأنفسهم الكذب والتزوير ، رغم تكرار دعواهم التزام الحرص على البحث العلمى المنزه من الهوى .

(يقول أحد المسهمين فى الدراسات الاستشراقية عن واحد من أعلام المستشرقين ، وهو المستشرق (هنرى لامنس) :

وأبشع مافعله ، ولاسيما فى كتابه (فاطمة وبنات محمد) [٢] هو أنه كان يشير فى الهوامش إلى مراجع بصفحاتها ، وقد راجعت معظم هذه الإشارات فى الكتب التى أحال إليها فوجدت أنه إنما يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقاً فى هذه الكتب ، أو يفهم من النص فهماً ملتوياً خبيثاً ، أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد ، يدل على فساد الذهن وخبث النية ...

وكلام " عبدالرحمن بدوى " هذا له وزنه ؛ لأنه يأتى من باحث اشتُهِر عنه تعاطفه مع المستشرقين ، وميله إلى الإعجاب بإسهاماتهم فى مجالات الدراسة والتحقيق

١- ثقافة الداعية صـ ٥٠.

٢ - فاطمة بنت محمد رضى الله عنها زوجة على بن أبى طالب ، كانت تكنى بنت أبيها لشدة حبه ﷺ لها ، توفيت رضى الله عنها سنة ١١هـ . الإصابة ٣٧٧/٤.

والنشر والتصنيف) [1]

وقد سبق الحديث عن افتراءات جرجي زيدان ، وحواشيه المزيفة بالتفصيل [2]

الأسلوب الثالث : الترويج لنظريات فاسدة لاتستقيم مع ثوابت الإسلام .

قام كثير من المستشرقين ، وأتباعهم من المستغربين بالدعوة إلى :

١ = مايسمونه : (الحرية العقدية) .

٢ = مايسمونه : (فصل الدين عن الدولة)

٣ = تغذية البدع والانحرافات - ولاسيما العقدية منها - بين المسلمين .

كتب على حرب [3] مطالباً بالتحرر من قيود العقيدة بعنوان (المفكر العربي بين إرادة العقيدة وإرادة المعرفة) :

(فالكل يطالب بالتجديد ؛ تجديد التراث أو الاجتهاد ... والذى يهمنى إيضاحه أن محاولات التجديد قد تعرقلت أو أحبطت بقدر ماجرى التعامل مع مقولة : التجديد من خلال مضامين أيديولوجية ؛ قومية أو دينية ، عروبية أو إسلامية ...... فالإسلامى همُّه إثبات أحقية إسلامه لامعرفة الحقيقة . ومن هنا لايمكن للمفكر العربي أن يفكر بطريقة بجدية إلا إذا تحرر من هواجسه الدينية) [4]

١- أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات .د. على النملة . م جامعة الإمام العدد السابع ربيع الثانى ١٤١٣هـ صـ ٥٤٦.

٢- انظر المطلب الثالث من الفصل الأول من الباب الأول (محاولة التشكيك فى الدوافع) .

٣- على حرب : من المستغربين اللبنانيين والمقال موجود فى إرشيف جريدة الرياض ، ولم ينشر لمخالفاته العقدية .

٤- مقتطف على الترتيب من الصفحات : ١و٤و٥.

يقول (جب) :

(فمن جانب نشأ محيط "مدنى" فى التفكير صوِّر على أنه "التجديد" وهو يقوم على الاحتفاظ بالعقيدة الإسلامية ، ولكنه متأثر فى قوة بالأفكار الغربية .. والمثل التقدمى لهذا التجديد يميل إلى " العلمانية " التى تهدف إلى " فصل الدين عن الدولة ")[1]

ومن باب فصل الدين عن الدولة ، والتشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ، عن طريق التشكيك فى لغة الدعوة ماكتبه الدكتور طه حسين [2] فى كتابه : (مستقبل الثقافة فى مصر) حين قال :

(فالذين يزعمون أننا نتعلم اللغة العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب ، ثم يرتبون على ذلك مايرتبون من النتائج العلمية والعملية ؛ إنما يخدعون الناس ؛ فإن اللغة العربية ليست ملكاً لرجال الدين) [3]

فانظر إلى عباراته : (لأنها لغة الدين فحسب ثم يرتبون عليها مايرتبون ... رجال الدين)

إنها ليست إلا ترديد عبارات يقولها المستشرقون عن المسلمين ، كما أنها غريبة عن المنهج العلمى الرصين ؛ لأنها تشكيك وطعن ، دون تقديم أدلة مؤيدة للدعوى .

ومن صور الترويج لنظرياتهم الباطلة ، ومنها فصل الدين عن الدولة فى بلاد المسلمين : عقد مؤتمر استشراقى فى القاهرة سنة ١٩٠٦م بعنوان : (الدين لله والوطن

١- فى كتابه المذهب المحمدى . وقد نقلته عن الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د. محمد البهى صـ ١٥٦. لعدم حصولى على كتاب جب .

٢- طه بن حسين بن على بن سلامة حصل على دكتوراه فى الأدب ، أصيب بالجدرى فى الثالثة من عمره فكف بصره عاش بين ١٨٨٩-١٩٧٣م . الأعلام للزركلى ٣/٢٣١.

٣- مستقبل الثقافة فى مصر صـ ٢٣٠.

للجميع) !

وقد أكثر المستشرقون من تغذية البدع والخرافات والانحرافات العقدية من تحسين للموالد ، والطرق المحدثة ، والخلافات المذهبية ، وأوضح دليل على ذلك ماكتبه المستشرق " شتروتمان" [١] R.shrothmann عن الشيعة ، والزيدية ، ومايسميه: (الإسلام الرسمى ! الخ ...) [٢]

وماكتبه " ألفرد كيليوم " ـ امتداداً لحديثه السابق عن الإمام البخارى - رحمه الله - :

(وقد نال صحيح البخارى من عظم الشأن ماجعله يعتبر حافظاً للسنن من الغرق ، ونحو ذلك من الأخطار ، وصار قبر صاحبه ملاذاً للمؤمنين عند الشدة والضيق) [٣]

فكيف يكون قبر الإمام البخارى ملاذاً ؟ ولمن ؟ للمؤمنين ! ومتى ؟ عند الشدة والضيق !

وانظر مادة (تصوف) فى " دائرة المعارف الإسلامية " وماكتبه " ماسينيون" massignon ومصطفى عبدالرازق[٤] عنها .

وانظر ماحوته " دائرة المعارف الإسلامية " فى مادتها المشار إليها من أخبار

١- ريتشارد شتروتمان (هارتمان) مستشرق ألمانى عاش عام ١٨٨١م . مستشرقون . نذير حمدان صـ ١٧٠.

٢- مادة (شيعة) فى دائرة المعارف الإسلامية ١٤/٥٧-٨١.

٣- المصدر السابق ١٤/١٦١.

٤- مصطفى عبدالرازق باشا ، وصل إلى درجة وزير ، من المشاركين ببعض البحوث فى دائرة المعارف الإسلامية . انظر المصدر السابق (مادة تصوف) صـ ٥/٢٧٥ .

عن (رابعة العدوية) (١)

وانظر مادة (تقليد) التى كتبها " شاخت " (٢) schacht وذكر فيها كلاماً لايصح ثبوته أو استنتاجه عن أهل السنة والجماعة .

ولاسيما عن الإمام أحمد (٣) ، وابن تيمية ، وابن القيم (٤) .

وماكتبه عن من يسميه " إمام الوهابية : ابن عبدالوهاب "

فالمتأمل لماكتب سوف يدرك - دون كثير عناء - حرص المستشرقين وأتباعهم الشديد على تغذية البدع والانحرافات عن العقيدة (٥)

بل إن " لويس ماسينيون " ألف كتاباً بعنوان : (عاطفة

١- رابعة بنت إسماعيل العدوية . أم الخير ، صالحة مشهورة ، لها أخبار فى العبادة والنسك توفيت بالقدس سنة ١٣٥هـ الأعلام للزركلى ١٠/٣.

٢- يوسف (جوزيف) شاخت مستشرق هولندى ، عاش بين ١٩٠٢-١٩٧٠م من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق ، درس اللغات الشرقية ، وتخصص بالعربية ، حصل على الدكتوراه فى الفلسفة ودرّس اللغات الشرقية فى جامعات فرايبورغ وكونكسبرج والجامعة المصرية ، وعمل فى وزارة المستعمرات البريطانية ١٩٣٩-١٩٤٥. يهودى . الأعلام للزركلى ٢٣٤/٨.وقالوا عن الإسلام د. خليل صـ ٢٠٢. وذكر نذير حمدان أن وفاته ١٩٦٩م . مستشرقون صـ ١٦٦.

٣- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى أحد أئمة المذاهب الأربعة ، أصله من مرو ، رحل كثيراً فى طلب العلم ، له تصانيف عديدة أشهرها المسند الذى شمل ثلاثين ألف حديث عاش رحمه الله بين ١٦٤-٢٤١هـ الأعلام للزركلى ٢٠٣/١.

٤- أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبى بكر الشهير بابن قيم الجوزية . ولد عام ٦٩١هـ ، وهو من الأئمة المجتهدين ، وأكثر من التأليف فى مختلف العلوم ، وتوفى رحمه الله سنة ٧٥١هـ . انظر ابن قيم الجوزية: حياته وآثاره د. بكر أبو زيد .

٥- دائرة المعارف الإسلامية مادة تصوف ٥/٢٦٥-٢٩٨، ومادة تقليد ٤١٧/٥.

الحـــلاج [1] الشـــهيد الصوفـــى فـــى الإســـلام) طبـــع فـــى بـــاريس عـــام ١٩٢٢م ثـم طبـــع طبعـات أخـرى بعـد ذلـك .

مما يدل على حرص المستشرقين علـى تشـويه حقـائق الإسـلام ، واستغلال الخلافـات المذهبية ، مهما كان بعدها عن الكتاب والسنة ، وبناء النظريات عليها .

١- الحسين بن منصور الحلاج ، فيلسوف ، ظهر أمره فى عام ٢٩٩هـ ، وادعى الحلول وتوفى سنة ٣٠٩هـ . الأعلام للزركلى ٢/٢٦٠.

المطلب الثاني: الوسائل المستخدمة فى التشكيك .

أولا : الوسائل الإعلامية :

أهدافها :

حرص المستشرقون والمستغربون على الاستفادة من الوسائل الإعلامية المختلفة ؛ بغية الوصول إلى الأهداف التالية :

١ = التأثير فى الرأى العام الإسلامى لقبول فكرة جديدة تخدم أهدافهم ومخططاتهم.

٢ = تثبيت الرأى العام الإسلامى على فكرة قائمة زرعوها سابقاً أو نادى بها أتباعهم

٣ = تحويل الرأى العام الإسلامى عن فكرة قائمة فى ذهنه تعيق تحقيق أهدافهم .

أنواعها :

١ = كتب المستشرقون والمستغربون فى الصحف المحلية فى البلاد الإسلامية ؛ لتأيد آرائهم وزرع بذور التشكيك فى صلاحية الدين الإسلامى لقيادة البشرية باسم البحث العلمى الرصين ، وبدعوى عرض تجاربهم وخبراتهم ، ومالدى الغرب من نفائس المخطوطات الإسلامية .

وقد ظهرت فى العالم الإسلامى مجلات وصحف تتجه هذا الاتجاه .

٢ = لايمكن إغفال جهود المستشرقين والمستغربين فى التشجيع على إنشاء المجلات الفنية الهابطة التى تموج بها أسواق بلاد المسلمين اليوم ؛ لتفشو الرذيلة فى المجتمع المسلم ؛ فلا يتطلع إلى تبليغ الناس بدين الإسلام .

٣ = إنشاء المجلات الدورية والصحف المتخصصة فى مجال الدراسات الاستشراقية ؛ فقد أنشأ المستشرقون مجلات كثيرة ومن أخطرها : (مجلة العالم الإسلامى) التى

أنشأها الفرنسيون سنة ١٩٠٦م بإدارة " شاتليه " [١] ومجلة (الشرق الأوسط) و (مجلة العالم الإسلامى) فى أمريكا التى أنشأها " صمويل زويمر " [٢] سنة ١٩١١م .

فإنه من الأمور التى اهتم بها المستشرقون لبث أفكارهم وتحقيق أغراضهم إنشاء الجمعيات الاستشراقية ، وإصدار المجلات والدوريات ؛ فقد زاد عدد هذه المجلات وحدها عن (٣٠٠) مجلة خاصة بالاستشراق ، عدا المئات من مجلاتهم العامة التى تتعرض له فى موضوعاتها العامة كمجلة القانون المقارن ومحفوظات التأريخ، ومباحث العلوم الدينية .

أما بالنسبة للصحف فهى كذلك كثيرة ، فقد استطاع المستشرقون استئجار مجموعة من الصحف العالمية لبث أفكارهم وبحوثهم إلى الآخرين [٣]

٤ = إنشاء الإذاعات التنصيرية ومحطات البث التلفازى ، الموجهة للبلاد الإسلامية ، ولاسيما الفقيرة منها ، وإنشاء المنظمات التنصيرية .

فمثلا (جاء فى إحصائية نشرتها مجلة أمريكية عن العمل التنصيرى فى العالم من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٩٢م أنه بلغ عدد المنظمات العاملة فى مجال التنصير ٢١٠٠٠ منظمة ،

١- الفرد لو شاتليه : مستشرق متعصب ضد الإسلام ، واهتم بالطعن فى العقيدة . ورأس تحرير مجلة العالم الإسلامى الفرنسية التنصيرية . وله كتاب الغارة على العالم الإسلامى . علق عليه : محب الدين الخطيب . آراء المستشرقين د. رضوان ٧٣/١.

٢- صمويل زويمر منصر أمريكى ، شارك فى تأسيس البعثة العربية فى الخليج ، امتد نشاطه إلى جميع البلاد الإسلامية ، عاش بين ١٨٩٧- ١٩٥٢م . المسار الفكرى للاستشراق د. مازن مطبقانى . مجلة جامعة الإمام العدد السابع ١٤١٣هـ ص ٥٧١ . والفكر الإسلامى للبهى صـ ٤٤٨ . والمستشرقون لنايف بن ثنيان صـ٩٤.

٣- آراء المستشرقين حول القرآن د. عمر رضوان ٥٣/١و٥٤و٥٥ بتصرف .

وعدد المنظمات التى تبعث منصرين ٣٩٧٠ منظمة وعدد المعاهد التنصيرية ٩٩٢٠٠ معهد .... وعدد محطات الإذاعة والتلفزيون التى تبث برامج تنصيرية ٢١٦٠ محطة) [١] وفى العصر الحاضر فإن المستشرقين والمنصرين كانوا أسبق إلى استغلال المحطات الفضائية ، والبث المباشر خلالها ، وإعداد برامج مخصصة للعالم الإسلامى بلغاته ، وحشوها بمواد التنصير ، والإفساد .

ثانيا : الوسائل الثقافية الأخرى .

أهدافها :

استخدم المستشرقون والمستغربون الوسائل الثقافية إلى أقصى حد ممكن للتأثير فى نفوس المسلمين ؛ لأنهم يعرفون أن الفكر مفتاح مفيد للولوج إلى قلوب الناس وعقولهم ، وله قدرة عجيبة على التسلل الخفى إليهما .

أنواعها :

١ = إنشاء الأندية الماسونية ، ونوادى الروتارى فى بلاد المسلمين ، ودعمها فكرياً ومادياً ، إعلامياً واقتصادياً وسياسياً ، وتلميع المنتسبين لها ، وترقية منازلهم فى المجتمع .

وهذه الأندية ترفع شعار الدعوة إلى التسامح بين الشعوب والحقوق الأساس للإنسان وهذا الشعار مبهم وغامض ، إلا أنهم (يهدفون من وراء شعار الحقوق الأساس للإنسان إلى منع تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين) [٢]

(والماسونية ونوادى الروتارى لونان من نشاط اليهود المعادى للأديان عموماً وللإسلام على وجه الخصوص .... ولقد أدرك بعض النصارى خطر الماسونية على

١ـ الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة / عبدالوهاب عبدالواسع صـ ٣٥٢و٣٥٣.

٢ـ غارة تبشيرية جديدة . أبو هلال الأندنوسى صـ ٤٩.

النصرانية فصدر المرسوم البابوى ٨٦٤ يحذر الكاثوليك من الاشتراك فى الهيئات السرية والمشتبه فيها على الإطلاق ، وأما أندية الروتارى فهى أنشطة علنية تودى مهماتها أو بعض مهماتها تحت ستار الإخاء الإنسانى ... وقد منع النصارى الانتساب إلى هذه الأندية حفاظاً على الفضيلة والعقيدة كما جاء فى قرارهم) (١)

٢ = إقامة المحاضرات والندوات وتنظيم المؤتمرات الاستشراقية والتنصيرية (٢) مثل: مؤتمر فينا ١٨٨٦م ومؤتمر ستوكهولم ١٨٨٩م ولندن ١٨٩٢م والجزائر ١٩٠٥م وغيرها .

ومن المحاضرات : محاضرات المستشرق المجرى " عبدالكريم جرمانوس (٣) عن : (الإسلام فى بلاد المجر) ألقاها فى المجمع العلمى العراقى وفى غيره من الجامعات العربية ، ومحاضرات " بلاشير" فى معهد الدراسات بالرباط ومحاضرات " نللينو" فى جامعة القاهرة .

٣ = تأليف الكتب فى مختلف علوم الإسلام والعربية ولاسيما مايتعلق منها بتحقيق كتب التراث المبثوثة فى مكتبات الغرب وخزائن كتبه ، والحرص على نشرها وتوزيعها والترويج لمناهجها ؛ بقصد تشويه الإسلام ، وبث الشبهات حوله ، وانتقاص قدره فى نفوس أتباعه ، ووضعه فى مرتبة دون مرتبة الحضارة الغربية ، وسبق الإشارة إلى كثير منها.

١- الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام . بحث د. عبدالحليم محمود صـ١٦٩و١٧٠.

٢- انظر جدولا بتلك المؤتمرات فى كتاب : (المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية فى العالم العربى) لنايف ابن ثنيان صـ٣٢٦.

٣- عبدالكريم جرمانوس مستشرق مجرى ومحاضر فى عدة عواصم عربية وإسلامية وأسلم فى مسجد دلهى الأكبر عاش عام ١٨٨٤م . مستشرقون . نذير حمدان صـ ١٢١.

٤ = إنشـاء الجمعيـات التنصيرية[١] ؛ مثـل اتحـاد البعثـة التنصيريـة الإنجيليـة التـى تأسست عام ١٨٩٠م ، وجمعية اتحاد الطلبة النصارى التى تأسست عام ١٨٩٥م ، وزمالـة الإيمان مع المسلمين وأنشئت عام ١٩١٥م ، وغيرها كثير .

٥ = إنشاء المطابع العربية فى البلاد الغربية .

(ومن هذه المطابع مطبعة مايسترى فى مدريد ، ومطبعـة المعهـد المصـرى للدراسـات الإسلامية فى مدريد ، ومطبعة ليون فى هولندا .

أما الهدف من إنشاء هذه المطابع فهو لتسهل عليهم مهماتهم ؛ بإيصـال أفكـارهم إلى العالم الإسلامى ، بسهولة ويسر)[٢]

بل (أنشأوا المطبعة الأمريكية فى بيروت ، تلك المطبعـة التـى أصبحـت أهـم وسـائل التنصير فى الشرق كله)[٣]

٦ = إنشـاء الموسـوعات ودوائـر المعـارف والمعـاجم اللغويـة ؛ لتكـون مرجعـاً للبـاحثين فـى مجـال الدراسـات الإسـلامية والعربيـة مـن المسـلمين وغـيرهم ، مـع زرع هـذه الموسـوعات ودوائر المعـارف بأفكـارهم ، ومـايطعن فـى الإسـلام ويشـكك فـى مبادئـه وفـى عالميـة الدعـوة الإسـلامية .

وأوضـح دليـل علـى ذلـك : دائـرة المعارف الإسـلامية التـى ألفهـا عـدد مـن أشـهر المستشرقين ، وأوردت شيئاً مما كتب فيها من شبهات وافتراءات وتشويه وطعن .

١- انظر تفصيل ذلك فى كتاب التنصير فى الأدبيات العربية للدكتور : على النملة صـ ٤٠-٤٢.

٢- آراء المستشرقين حول القرآن د. عمر رضوان ٥٣/١.

٣- حقيقة التبشير صـ ١٦٨ .

ومثل كتاب : تأريخ الأدب العربى لبروكلمان ومعجم فيشر[1] اللغوى الأدبى ومعجم فينسك[2]

ومن المهم هنا التنويه إلى أن الذى ساعد المستشرقين على نجاح هذه الوسيلة هو خلو المكتبة الإسلامية من الموسوعات ودوائر المعارف ، المهمة للباحثين .

٧ = إنشاء المتاحف الشرقية والاهتمام بالسياحة ، وبجهود الرحالة إلى المنطقة للبحوث الجغرافية والأثرية ، وبالإرساليات التنصيرية المنظمة تحت شعارات إنسانية وخيرية وغيرها ؛ لجمع المعلومات ، ولتكوين قاعدة معلومات تأريخية وثقافية واقتصادية وسياسية عن تطور المنطقة ، ولمحاولة ربط الإسلام بجذور يهودية أو نصرانية أو يونانية أو رومانية أو فينيقية أو آشورية وغير ذلك ...

ومن الرحالة " جورج والين " [3] الذى طاف مصر والجزيرة العربية وبغداد وأصبهان وبصرى ودمشق فى حوالى ١٨٤٠م فاستمر أكثر من ست سنوات وكتب واصفاً رحلته ، ومؤلفاً كتاباً فى الفروق بين اللهجات العربية بين المتأخرين والمتقدمين .

١- فيشر : مستشرق ألمانى متخصص فى معاجم اللغة وفقهها عاش فى المدة ١٨٦٥-١٩٤٩.مستشرقون . نذير حمدان صـ ١٦٦.

٢- فنسك : مستشرق روسى عاش فى المدة بين ١٩٠٢-١٩٣٩م كتب ٣٠٠٠٠٠بطاقة فى معجمه ومات ولم يكمله . آراء المستشرقين حول القرآن د. رضوان ٥٢/١.

٣- والين : مستشرق فنلندى قام برحلته للشرق عام ١٨٤٠م وألف كتابه عن اللهجات العربية عام ١٨٤٥م . آراء المستشرقين حول القرآن . د. رضوان ٦٧/١.

ثالثا : الوسائل التعليمية .

تمهيد مهم :

ماقلته سابقاً فى بداية هذا الفصل عن قوة الارتباط بين الوسائل والأساليب والميادين أدعوك إلى تأمله هنا ؛ إذ أن التعليم قد يكون وسيلة من وسائل التشكيك فى عالمية الدعوة وقد يكون ميداناً ، تماماً مثل الجهاد قد يكون وسيلة لنشر الدعوة وقد يكون ميداناً ؛ والترهيب قد يكون أسلوباً أو وسيلة غير أنى للمبررات التى سبق أن أوردتها ، وأهمها تغليب جانب الغاية والهدف على جانب الشكل والصورة ؛ جعلت التعليم وسيلة هنا .

أهداف الوسيلة .

التعليم من أهم وأقدم وسائل الغزو الفكرى والتشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ، وصورة من أوضح صوره .

(وذلك أن التعليم فى الشرق الإسلامى كان يقوم على المنهج الدينى ...

ولم يكن من الممكن إبعاد المسلمين عن دينهم مع بقاء التعليم على أساس من المنهج الدينى . وكان أول من تنبه لذلك اللورد كرومر [١] ومستشاروه الإنجليز ، فكان قول كرومر : إن التعليم الوطنى عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتى كانت أساليبها الجافة تقف حاجزاً فى طريق أى إصلاح تعليمى ...

فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ، ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الأمل محصوراً فى إصلاح التعليم " اللادينى " [٢] الذى ينافس الأزهر حتى

١- اللورد كرومر المندوب السامى الإنجليزى فى مصر من مؤلفاته : مصر الحديثة نقله للعربية عبدالعزيز عرابى سنة ١٩٥٥م . مستشرقون . نذير حمدان صـ ٦٣.

٢- هناك عبارات خاطئة لغوياً أتجاوزها حفاظاً على النص وصحة العبارة فيها : التعليم الدينى بدلا من الوطنى، شديدة التمسك بدلا من الشديدة التمسك ... ، الارتقاء بدلا من تطوير ، غير الدينى بدلا من

فضلاً أنظر الصفحة التالية.......... ↖

يتـاح لـه الانتشـار والنجـاح ، وعنـد ذلـك فسـوف يجـد الأزهـر نفسـه أمـام أحـد أمريـن : إمـا أن يتطـور ، وإمـا أن يمـوت ويختفـى) [1]

أنواعهـا :

تنوعـت هـذه الوسـيلة فـى التطبيـق ، واتخـذت عـدة أسـاليب أو ميـادين مـن العمـل ، منهـا :

١ = التضييق علـى التعليـم الدينـى ، وعلـى أهلـه ؛ بحيـث توضـع القيـود ، وتصنـع العقبات فى طريق تلقى التعليم الدينى فى المـدارس المتخصصة لتدريس هـذا العلـم ، وفـى مدارس التعليم العام ، وإبعاد خريجيه عن المناصب الرسمية المهمة ، والنيل منهـم إعلاميـاً ، وتضخيم أخطائهم ، وتمكين المثقفين ثقافـة غربيـة مـن المنـاصب العليـا ، وتزيـين صورتهـم وأعمالهم إلى الناس ، بل وتضييق فرص العمل أمام خريجى التعليم الدينى .

والمستشـرقون لهـم وزر التخطيـط والتنفيـذ لهـذه السياسـة التعليميـة الهادفـة إلى طعـن الإسلام فى مقتل ، وشـل حركـة دعوتـه . (فيدعـو كرومـر صراحـة إلى تمكـين الطـائفـة المثقفـة ثقافـة غربيـة من المناصب المسئولة عن التوجيـه السياسـى والاجتماعـى) [2]

٢ = التشجيع على ابتعاث أبنـاء المسـلمين إلى بـلاد الغـرب ، ولاسيما فـى مرحلـة الشباب ؛ ليتمكنوا من إعادة صياغتهـم بالطريقة التى تجعلهـم تابعين وموالين للغرب فكريا .

اللاديني .

١- الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام . بحـث د. جريشـة صـ ٣٠٨.

٢- الاتجاهات الوطنية د. محمد محمد حسين ٢٧٥/١. وانظر الغزو الفكرى والتيارات المعادية . بحث د. جريشة صـ ٣٠٩.

يقول " هنرى جسب " [١] : (الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين (نصارى) وشعوباً مسيحية (نصرانية) ، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية فى نفسه ، وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء فى سبيل الزهو العلمى ؛ فإننا لانتردد حينئذ أن نقول : إن رسالةً مثل هذه قد خرجت من المدى التبشيرى (التنصيرى) إلى مدى علمانى محض ، إلى مدى علمي دنيوى . مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هيدلبرغ وكمبردج وهارفارد وشيفيلد لاالجمعيات التبشيرية (التنصيرية) التى تسعى إلى أهداف روحية فحسب) [٢]

٣ = نشر المؤسسات التعليمية الممجدة للحضارة الغربية من جامعات ومدارس ومعاهد فى بلاد الإسلام . ومن ذلك الجامعة الأمريكية فى بيروت ، والجامعة الأمريكية فى القاهرة ، و(المدرسة الإرسالية فى البحرين التى أسست عام ١٨٩٢م ثم فتح بعدها عشر مدارس للبنين والبنات مابين عام ١٩٠١و١٩٠٢م) [٣] وغيرها كثير وكثير فى مختلف الأقطار العربية .

يقول " نبروز " [٤] : (لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة

١- هنرى هاريس جسب أحد المنصرين ، وقد كتب كلامه هذا عام ١٨٧٠م . التبشير والاستعمار لفروخ والخالدى صـ ٦٦.

٢- المصدر السابق صـ٦٦و٦٧.

٣- المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية فى العالم العربى لنايف بن ثنيان صـ ٢٥٩.

٤- نبروز : مستشرق أمريكى ورئيس الجامعة الأمريكية فى بيروت عام ١٩٤٨م .

استغلها المبشرون (المنصرون) الأمريكيون فى سعيهم لتنصير سورية ولبنان) [١]

٤ = إنشاء كراسى جامعية فى الجامعات الغربية ؛ مثل مركز الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر ، ومثله فى جامعات تولوز بباريس ، واكسفورد ، وشيفيلد ، وليفربول بإنجلترا ، وجامعة إيرلندا الوطنية ، وجامعة تورنتو بكندا ، وجامعة هيدلبرج بألمانيا .

بل لاتكاد تخلو جامعة غربية معروفة من مركز مخصص للاستشراق .

٥ = التأثير فى مناهج التعليم ، وتوجيهها الوجهة الغربية المادية (ولاشك أن المناهج التعليمية والتربوية هى البوتقة التى تصهر الأمم بشكلها وروحها .

وعندما خضعت المجتمعات الإسلامية للاستعمار الغربى قامت الدول المستعمرة بمحاولة تغيير مناهج التعليم والتربية فى هذه المجتمعات ؛ بمحاولة جعلها تربية علمانية .

وأوحت إلى القائمين عليها بالإيحاءات غير الدينية ، وبأنه كما كان الدين فى أوروبا عائقاً للتقدم الحضارى ، ولم تتقدم تلك الدول المتقدمة مادياً إلا بعد تغيير مناهجها التعليمية وإبعادها عن المناهج القديمة التى كانت فيها الأفكار الدينية ؛ فكذلك الأمر فيما يتعلق بالشعوب الإسلامية ؛ فإن سيطرة الدين فى التعليم والتربية هى السبب الأول والأخير فى تأخر هذه الشعوب) [٢]

٦ = تأسيس المجامع العلمية العربية ، والانتساب إلى المجامع العلمية العربية

١- التبشير والاستعمار فى البلاد العربية لفروخ والخالدى صـ ٦٧.

٢- المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية فى العالم العربى لنايف بن ثنيان صـ ٢٦٩.

القائمــة[1]

فالـمجـــمع اللبنانــى العلمــى الــذى أســس عـــام ١٨٤٧م برئاســة الدكتـــور "طمسـون" [2] أنشـأه الأمريكيـون باسـم " الجمعيــة الســورية "

كمـا أنشـأ الأمريكيــون فيمــا بعــد (المجمــع العلمــى الشــرقى) عــام ١٨٨٢م برئاســة " فــانديك" [3]

ومـن أشهـر أعضــاء الــمجامع اللغويـة العربيـــة : شـــاخت ، وفيشـــر ، وجـب، وجولدتسـهير[4] ، وباسـيه رينيـــه[5] ، وغــيرهم .

٧ = ترجمة الكتب الإسلامية للغاتهم . وقد سبقت الإشارة إلى عـدة كتـب اهتمـت بترجمة القرآن . وهناك كتب كثيرة ترجمت عدداً من أمهات الكتب الإسلامية والعربية التى تخدم أهداف الاستشراق لأن هناك من المستشرقين من لايتكلم ولايقرأ باللغة العربية .

رابعا : الوسائل السياسية .

١ = تشجيع تحكيم القوانين الوضعية فى البلاد الإسلامية ، والضغط على حكومـات

١- انظر تفصيل ذلك مع بيان بأسماء المستشرقين الذين راسلوا أو انتخبوا أعضاء فى المجامع العلمية العربيـة مستشرقون لـ نذير حمدان صــ ١٣٩-٢٤٤.

٢- مستشرق إنجليزى من كتبه " مابين النهرين " عام ١٩١٠ م وعمل مع فيلبى بالعراق . مستشرقون . نذيـر حمدان صـ ٥٨.

٣- مستشرق أمريكـى الجنسية هولنـدى الأصـل عمل فـى الجامعـة الأمريكيـة ببيروت عـاش فـى المـدة بيـن ١٨١٨م- ١٨٩٥م . مستشرقون . نذير حمدان صـ ١٢٤.

٤- أجنتس جولدتسيهر مستشرق مجرى عرف بعدائه للإسلام ومن محررى دائرة المعارف الإسلامية ولد عام ١٨٥٠م ومات سنة ١٩٢١م . آراء المستشـرقين حـول القـرآن . د. رضـوان ١٦١/١ومستشـرقون . نذيـر حمدان صـ ١٦٤ والأعلام للزركلى ٨٤/١.

٥- رينيه : مستشرق فرنسى تخصص فى الأخلاق والعادات التونسـية ورأس مؤتمرالمستشـرقين فـى الجزائـر ١٩٠٥م عاش فى المدة ١٨٥٥-١٩٢٤م. مستشرقون . نذير حمدان صـ ١٦٢.

تلك البلاد للأخذ بهذه القوانين .

يرى " كولسون "[١] الذى درس القانون الإسلامى فى جامعة لندن أكثر من ربع قرن ويوصف بأنه من المعتدلين :

(بأن الوقت قد حان لدراسة الشريعة على مستوى متخصص فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة لتتعاون هذه الدراسات المتخصصة فيما بينها على رسم صورة أدق لأحكام الشريعة)[٢]

٢ = ولم يقتصر التأثير السياسى على تشجيع تحكيم القوانين الوضعية إلى حد الإلزام فحسب ، بل وصل إلى استغلال كل وسيلة سياسية يمكنهم محاربة الإسلام بواسطتها ، مختبئين خلف شعار الاستشراق ، والبحث العلمى .

ومن تلك الوسائل : البعثات الدبلوماسية ، التى ضمّت عدداً من المستشرقين .

(أما التنصير المختفى فينفذ بوسائل متعددة ، ومن أهمها :

البعثات الدبلوماسية فى البلاد الإسلامية عن طريق السفارات والقنصليات أو الملحقيات الثقافية والتجارية ، والمؤسسات الأجنبية الرسمية الأخرى)[٣]

١ـ نويل . ج . كولسون أستاذ القوانين الشرقية فى جامعة لندن ، وأصدر كتابه عن الفقه الإسلامى بعنوان : A history of islamic law. عام ١٩٦٤م وله كتابان آخران صدرا عام ١٩٦٩م و١٩٧١م . مناهج المستشرقين . بحث د. محمد العوا ١/٢٥٤.

٢ ـ تأريخ القانون الإسلامى . مقدمة المترجم د. محمد سراج .

٣ـ التنصير فى الأدبيات العربية د. على النملة صـ ٤٣.

خامسا : وسائل أخرى .

١ = استغلال الوسائل الإنسانية والاجتماعية .

لم تتوقف الوسائل عند حد معين ، بل استعمل خصوم الدعوة الإسلامية كل الوسائل ، بما فيها الوسائل الإنسانية والاجتماعية التى استغلت أبشع استغلال .

فقد (استخدموا الأعمال الطبية ، والأعمال الاجتماعية ، والرحالة من الجغرافيين ، والمهتمين بالآثار)(١)

٢ = الدعوة إلى تحديد النسل .

القوة البشرية شرط لابد منه لأى دين أو مذهب يتطلع إلى الانتشار .

وفى ضوء هذا فإن عالمية الدعوة الإسلامية لن تتحقق فى الواقع إلا إذا حمل مشعلها المؤمنون بها ، وإذا أريد لها الانتشار الواسع ؛ فلابد حينئذٍ أن يقوم بنشرها عدد كبير من المؤمنين بها .

وقد أدرك خصوم الدعوة هذه الحقيقة ، مع إدراكهم لمصادر القوة الأخرى ، مثل : وفرة المواد الخام واحتياطياتها ، وتميّز مواقع كثير من الدول الإسلامية ، وتنوع مناخها ، مما يساعد على تكامل قوة هذا العالَم .

فعملوا على إنقاص عدد المسلمين ؛ لئلا ينتشر الإسلام بهم فى مكان واسع ، ولكى يقضى على الإسلام بالانقراض قريباً .

وكانت وسيلتهم للوصول إلى هذا الهدف هى : الدعوة إلى تحديد النسل .

وعمل المرجفون عن طريق هذه الوسيلة الخبيثة ، مستغلين ظروف بعض أقطار

١- التنصير فى الأدبيات العربيةوحقيقة التبشير لأحمد عبدالوهاب صـ ١٧٩ ومابعدها .

المسلمين ، وتجاهل كثير من إخوانهم مساعدتهم ؛ فاستطاعوا التأثير في حياة المرأة ، بل وفي حياة الأسرة المسلمة تأثيراً سلبياً ، يخدم أهدافهم البعيدة ، تحت دعاوى لبست برقع الزيف ، والخداع .

(كانت خطة الغرب النصراني في وقف المدّ البشري الإسلامي ؛ أن يقوم بالدعوة إلى تحديد النسل في العالم الإسلامي بأية صورة من الصور ، حتى لو كانت هي أن يرصد مئات الملايين من الدولارات ويرسلها إلى الدول الإسلامية في صورة تبرعات خاصة بجهاز تنظيم الأسرة) (١)

إن سعة المكان واتساعه ، وشموله عدداً من القارات ، وخصوبة الأرض ، وأهمية الموقع الجغرافي ، وزيادة عدد السكان ؛ كل ذلك يقلق الغرب لأنه من أسباب قوة الأمة المسلمة ، ولذا حرصوا على الفتك بهذه الأسباب .

---

١ ـ الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د. سعدالدين صالح صـــ ٢٤٦.

الفصل الرابع

الرد على الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية

(الرد على الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية)

الرد على الشبهات المثارة حول عالمية الدعوة الإسلامية يتطلب معرفة تلك الشبهات معرفة واضحة ، ويقتضى معرفة المخاطب بالرد ؛ بمراعاة حاله ؛ لأن ذلك مقتضى الدعوة الحكيمة ، وصحة الخطاب . كما أن الرد موجه لعدة فئات ؛ منها المسلم الجاهل ، والمسلم الذى أثرت فيه تلك الشبهات ، والغربى الذى تجرد من النوايا المبيّتة ، ولكنه لم يسلم من الترسبات الفكرية ، والجهل بالإسلام وتعاليمه ولغته ، والمعاند الذى قصد الإساءة للإسلام عن عمد ليخدم هدفاً معيناً ، هو يسعى إليه بكل جهده .

ومن هنا رأيت أن أضع أمام عينى قبل الشروع فى الرد : الأطر العامة ، والأسس الواضحة التى سأبنى عليها الرد .

المبحث التمهيدى : الأسس العامة للرد على تلك الشبهات

فى ضوء ماسبق بيانه أثناء البحث عن طوائف المستشرقين والمستغربين ، واختلاف أهداف ودوافع الاستشراق والاستغراب ؛ فإن الأسس العامة للرد تكون على النحو التالى:

أولاً : الذى ظهر لى أنه لايمكن أن يكتسب الرد قوة علمية إلا إذا وفقتُ إلى حصر تلك الشبهات ، وتقسيمها بحسب أنواعها ، وطبيعتها وأهدافها ؛ واضعاً فى دائرة اهتمامى علاقة تلك الشبهات بعالمية الدعوة الإسلامية ؛ لأن الاستطراد فى عرض الشبهات والرد عليها تفصيلاً سوف يخرج بحثى عن موضوعه الأساس .

فمثلا : شبهة القول بـ(بشرية القرآن الكريم) يستوى فيها أن يدعى قاذف الشبهة أن القرآن من صنع نبينا محمد ﷺ بقصد التطلع إلى الزعامة ، أو أن يدعى أنه من تخيلاته ﷺ أو أنه ﷺ جاء به فى حالات الصرع أو أنه ﷺ اكتسبه من الأمم الأخرى . وهكذا .

ولذلك فقد بذلت جهدى لتصنيف تلك الشبهات تصنيفاً دقيقاً وشاملاً ، وملتصقاً

بموضوع البحث - بحسب قدرتي واجتهادي - لتتم مناقشتها مناقشة محددة ، دون أن تتشعب سبل المناقشة فيضيع الهدف منها .

ولأن عدم التحديد سينتج عنه تكرار وإعادة ، قد يتسبب في ملل المتابع ، وفي ذهاب تركيزه ، ومتابعته .

وقد جعلت كل شبهة في مبحث مستقل ؛ ليسهل استيعاب مضمونها ، والرد عليها .

ثانياً : تبين من الفصل التمهيدي للبحث اختلاف دوافع المستشرقين والمستغربين ، وتأثيرهم في فكر المتلقين ؛ فهناك مستشرق طرح شبهة من الشبهات أو نقلها عن غيره وهو يجهل النصوص الشرعية الدافعة لها ، فهذا خطابه يختلف عن المستشرق الذي علم النصوص فخان الأمانة العلمية بالطعن في النصوص أو تجاهلها دون وجه حق ؛ لأنها تعيق تحقيق الأهداف التي وضعها لعمله ، وأهمها التشكيك في عالمية الدعوة الإسلامية .

وهناك من المسلمين من لايعرف أهداف تلك الشبهات ، ولاموقف النصوص الشرعية منها ، ولكنه يرددها عن جهل بآثارها .

وهناك من افتتن بالمستشرقين والمستغربين لتأثره بادعائهم البحث العلمي ، والحياد ، فشغله افتتانه بهم عن معرفة الحق في مظانه ، ولم تبلغه النصوص الشرعية .

فهذان الصنفان من المسلمين خطابهما يختلف عن الخطاب الموجه للمسلم الذي رضع من ثقافة الغرب فاستمرأها ، وألزم نفسه الدفاع عنها ولو بالباطل ؛ لأنه تَنَكَّر لدينه ، وتجاهل ثوابته .

وفي ضوء هذا التباين في المخاطبين فقد راعيت الآتي :

١ = الجمع بين إيراد الأدلة النقلية مع شرح دلالاتها الصحيحة في ضوء فهم السلف الصالح ، الذين هم أقرب الناس لفهمها ، وبين إيراد الأدلة العقلية المقبولة ، دون التوغل في حوار لاينتهي إلى نتيجة مثمرة ، أو نظر عقلي لايحقق فائدة مرجوة .

٢ = الاستشهاد بأقوال المعتدلين أو المنصفين من المستشرقين والمستغربين أنفسهم ،

سواء عرف عن القائل الإنصاف فى عموم أقواله أو فى حادثة بعينها هى محل الاستشهاد .

٣ = الاستشهاد بالواقع والتطبيق النافى للشبهات المثارة ؛ على أن يستمد هذا الاستشهاد من ثوابت تأريخ الإسلام والمسلمين ، ولاسيما مايتصل منه بالعلاقة بين المسلمين وغيرهم فى الفتوحات الإسلامية ؛ لأن هذا التطبيق هو أوضح شواهد عالمية الدعوة الإسلامية ، وقلبها النابض .

المبحث الأول : شبهة القول ببشرية القرآن الكريم. (١)

هـذه الشبهة تـرددت كـثيراً فـى كـتب المستشـرقين ، ونعـق بهـا بعـض المسـتغربين ، وخطرها على عالمية الدعوة الإسلامية ظاهر جلى .

المطلب الأول : علاقة الشبهة بعالمية الدعوة الإسلامية . (*)

إن إثبـات بشـرية القـرآن الكـريم لابـد أن ينتـهى إلى القناعـة بأنـه : لاتمـيز للديـن الإسلامى ، ولاصحة لكونه خاتم الديانات ، ولاصحة لكون النبى ﷺ خـاتم النبيـين؛ لأن القرآن الكريم هو معجزته .

وبالتالى نفى تميُّز المسلمين بسبب هذا الدين ؛ لأن هذا إنما يؤكده القرآن الكريم فـإذا ثبت هذا – وهو لم ولن يثبت إلا فى خيال مرضى القلوب – فكيـف يصلـح الإسـلام دينـاً عالمياً ؟ وهل يستقيم عود الشىء إذا قطعت جذوره ؟

ثم إنه حين يستطيع المرجفون إقناع المتلقى ببشـرية القـرآن لابـد أن تتولـد عنـه قناعـة بجدوى المقارنة بين الإسلام وأى تنظيم بشرى ؛ مادام أن الكل جهد بشرى .

وهنا يفزع الشانئون للإسلام إلى بيان تميز غيره من النظم بدعوى قوة أهلها ، وضعـف الإسلام لضعف أهله فى وقت من الأوقات .

١- انظر تفصيلاً أكثر فى عرض بعض صور هذه الشبهة وصورها والرد عليها من النصوص الشرعية فى : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم للدكتور عمر رضوان ، وفى : المستشـرقون والقـرآن للدكتـور إسماعيل عبدالعال الصادر ضمـن سلسـلة دعـوة الحـق فـى العديـن ١٠٤و١٢٠ وبحث د. التهامى نقرة فى كتاب : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية ١/١٩-٥٧. وبحث د. عبدالحليم محمود فى كتـاب : (الغـزو الفكـرى والتيـارات المعاديـة للإسـلام) صـ ٢٦ومابعدها – محاولة تشويه القرآن – والمستشرقون وترجمة القرآن الكريم د. محمد البنداق.

(*) قد يقال إن هذه الشبهة – ومايماثلها – تتعلق بربانية الدعوة ؛ فـأجيب بـأن إيرادهـا هنـا تم مـن زاويـة علاقتها بعالمية الدعوة الإسلامية؛ لأنه لو صح – وحاشاه – أن يكون الإسلام إنتاجاً بشرياً لم يوصف بتميزه عن غيره من الأنظمة البشـرية ، فـلا يصلـح أن يكون عالمياً ، والشبهة الواحدة قد ترد فى أكثر من موضع تبعاً للزاوية التى ينظر منها إليها .

إن هذه النتيجة هي بالتحديد ماجعل كثيراً من المستشرقين وبعض المستغربين يستميتون في سبيل التشكيك في كون القرآن الكريم وحياً من رب العالمين ، وهو مايفسّر سبب كثرة تأليفهم كتباً مستقلة ، وإعدادهم أبحاثاً خاصة عن القرآن الكريم وعلومه للوصول إلى الهدف الذي يقضي على عالمية الدعوة الإسلامية . ولكن : أنى لهم ذلك ؟

المطلب الثانى : صور الشبهة والرد عليها .

١ = صور الشبهة

القول ببشرية القرآن هو نهر هذه الشبهة الذى تصب فيه روافد من القول الخمط ، ومن هذه الروافد الآسنة قولهم : إن محمداً ﷺ كانت تنتابه حالات من الصرع فيظن أن جبريل ينزل عليه بالوحى .

وقولهم : إن الرسول ﷺ كانت تنتابه حالات من التهيؤات والتخيلات النفسية فيظن أنها وحى ، وقالوا : إنه أخذ القرآن من بعض معاصريه من نصارى ويهود وحنفاء وصابئة ووثنيين وغيرهم .

وقالوا : إنه يشبه حالة الكهنة والمنجمين .

وقالوا : إن القرآن تعرض للنقص والزيادة بعد وفاة النبى ﷺ ، واخترعوا لتأييد قولهم أسباباً ودوافع ، وقالوا : إن القرآن متناقض مضطرب ، إلى غير ذلك من مزاعم لاتستند إلى دليل موثوق أو نظر عقلى صحيح .

ومن صور هذه الشبهة كذلك ؛ ما أثاره بعض المستشرقين عن مايمكن أن أسميه :

(نظرية الظروف الطارئة) فقال : إن محمداً ﷺ لم يكن يعلم ، أو لم يكن يفكر ، أو لم يكن يعلن أن دعوته ستكون عالمية حتى لاقى مالاقاه من كفار قريش من الأذى مما كان سبباً فى هجرته إلى المدينة ، ثم حربه مع قومه وما حققه من انتصارات أغرته على إعلان عالمية الدعوة الإسلامية .

٢ = الرد على الشبهة .

أولا : دلالة النصوص .

١ = الدعوة إلى التوحيد هى دعوة الرسل جميعا ، وبناء عليه فإن دعوة النبى ﷺ إلى التوحيد لم تكن بتأثير الوسط الوثنى أو النصرانى أو اليهودى أو غيره ، وإنما هى صدى

لدعوة إبراهيم ﷺ .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١)

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (٣) وقال عز وجل : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (٤)

فكل هذه الآيات الكريمة تدل على دعوة الرسل جميعاً إلى توحيد الله سبحانه .

ولذلك فإن حقائق التوحيد ؛ من صور الجزاء والعقاب ، والجنة والنار ، والساعة ، وغير ذلك ؛ معروفة للوثنيين ، وأهل الكتاب من الديانات السابقة ، فلا عجب إذا جاء مايشير إليها فى أقوال هؤلاء .

وحتى لايقال : إنه لامعنى لوصف الإسلام بالعالمية مادامت أصول الأديان السماوية واحدة فإننى أعيد القول : بأن ظروف الأمم التى أرسل إليها الرسل والأنبياء ، وعمرانها ومعاملاتها لم تكن متشعبة إلى درجة تستدعى وضع نظام تشريعى عام ؛ فقد جاءت الرسالات السماوية - قبل رسالة النبى صلىا لله عليه وسلم - على مر العصور وافية بحاجات

---

١. النحل ٣٦.

٢. الأنبياء ٢٥.

٣. البينة ٥.

٤. النحل ٥١.

من وجهت إليهم ، متفقة فى أصولها التى تدعو إلى تصفية العقيدة وصرف العبادة للواحد الأحد، إلا أنها فى الفروع تراعى ظروف وزمان ومكان وبيئة المرسل إليهم .

فيكون تفاوتها فى شرائعها بقدر ما تدعو إليه حاجة كل أمة وما حصل فى العمران البشرى من تغير (فلما نمت البشرية وعمرت الأرض وتعددت المصالح المشتركة والعلاقات المتبادلة ، وتهيأت الإنسانية للدعوة العالمية والرسالة الواحدة؛ أرسل الله تعالى الرسول العالمى محمدا ﷺ بالرسالة العالمية ، وختم به رسالات الأنبياء، وأكمل به الدين وأتم النعمة) (١)

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢)

وهكذا جاءت رسالة نبينا محمد ﷺ خاتمة لكل الرسالات ، واشتملت على خصائص تميزها عن غيرها وتعبر بها عن تخطيها حدود الزمان والمكان ، تلك الحدود التى كانت تقيد الرسالات السابقة ، وتستدعى بزوغ فجر رسالة جديدة بين حين وآخر كلما تآزرت الدواعى والمتغيرات .

٢ = صرحت النصوص بأن القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى أنزله على رسوله ﷺ ، فقال تعالى رداً على من زعم من المشركين ، وغيرهم أن القرآن من عند النبى ﷺ :

---

١ - انظر : محاضرات فضيلة شيخى مناع القطان ، فى الحديث الموضوعى على طلاب الدراسات العليا بكلية أصول الدين -مصدر سابق - .

٢ - المائدة ٣.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١) ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٢)

فهذه الآيات الكريمات تصرّح بنسبة القرآن الكريم إلى الله تعالى (نزلنا) ، وتنفى الافتراء عن الرسول ﷺ ، وتتحدى البشر أن يأتوا بسورة من مثله ولو اجتمعوا لذلك ، ولو كان كلام بشر لاستطاعوا فعل ذلك .

٣ = صرحت النصوص بأن القرآن الكريم معصوم من الزيادة والنقص ، برىء من التناقض والاضطراب . فى آيات كثيرة منها قوله عز وجل :

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٣)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (غير ذى عوج : أى هو قرآن بلسان عربى مبين لااعوجاج فيه ولاانحراف ولالبس ، بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله الله تعالى كذلك وأنزله بذلك لعلهم يتقون) (٤)

ومنها : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٥)

١- هود ١٣.

٢- البقرة ٢٣.

٣- الزمر ٢٧و٢٨.

٤- تفسير ابن كثير بتحقيق عبداللطيف والصديق ٤ /٥٦.

٥- الحجر ٩.

قال ابن كثير : (ثم قرر تعالى أنه هو الذى أنزل عليه الذكر وهو القرآن ، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل) [1]

وأما الرد بالنصوص الشرعية على دعوى (نظرية الظروف الطارئة) حيث زعم بعض المستشرقين أن النبى ﷺ لم يفكر فى دعوة الناس إلى الإسلام إلا بعد انتقاله ﷺ إلى المدينة المنورة ، فيقول الدكتور يوسف القرضاوى :

(قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [2] ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [3] ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [4] ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [5]

وقد زعم بعض المستشرقين أن محمداً ﷺ لم يكن يعلن فى أول أمره أنه مبعوث إلى الناس كافة ، وإنما فعل ذلك بعد ما أتيح له الانتصار على قومه من العرب . ولكن الآيات التى ذكرناها ترد عليهم . فكلها - لسوء حظهم - من سور القرآن المكية . ومثلها ممانزل من أوائل القرآن كثير) [6]

١- تفسير ابن كثير - مصدر سابق - ٢/٥٩٢.

٢- الأنبياء ١٠٧.

٣- الأعراف ١٥٨.

٤- الفرقان ١.

٥- ص ٨٧.

٦- الخصائص العامة للإسلام د. يوسف القرضاوى صـ ١٠٨.

ثانياً : دلالة العقل .

تضمن القرآن الكريم عتاباً للنبى ﷺ فى عدة مواضع منها قوله تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ ﴾ (١)

وقوله عـز وجـل : ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ (٣)

فهل يقبل العقل أن يصدر هذا العتاب والتقريع من شخص ضد نفسه ؟

وفى فتنة الإفك رميت زوجته ﷺ بالفاحشة ولبث وقتاً عصيباً قبل أن ينزل الوحى بتبرئتها ، فلِمَ لَمْ يخترع قرآناً يبرئها وينقذه مما اعتراه من الهم والغم على النحو الذى فصلته الروايات الصحيحة للواقعة ؟ وغير ذلك كثير .

والمصروع يتعطل تفكيره وتصيبه عوارض النسيان ، والعقل الصحيح ينفى أن تكون هذه حاله ﷺ عند نزول الوحى .

وفى القرآن إخبار عن الغيبيات ، تحققت كما أخبر . فهل يجيز العقل أن يصدر هذا الإخبار من شخص تنتابه تهيؤات نفسية أو تخيلات ، أو يستبد به صرع ، أو ينقل عن ديانات قديمة لم يبق منها إلا القشور ؟

ثم إن العقل يقودنا إلى المقارنة بين القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثم التساؤل : فإذا كان مصدرهما واحداً - وهو بزعم أصحاب الشبهات : النبى ﷺ ، مع اختلافهم فى

١ـ التحريم ١.

٢ـ الأحزاب ٣٧.

٣ـ عبس ١- ٣ .

المؤثرات والمصادر - فكيف يمكن تفسير الاختلاف الشاسع بين القرآن والسنة فى منهج التعبير ، وأسلوب العرض ، والإعجاز ؟

ثالثاً : دلالة الواقع .

الزعم بأن القرآن الكريم كلام البشر زعم يكذبه الواقع ؛ فقد تحدى الله سبحانه وتعالى أهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بعشر سور مثله ، بل بسورة واحدة ، فلم يستطيعوا .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢)

والواقع التأريخى يؤكد أن القرآن كلام الله ؛ فقد آمن به عدد من اليهود والنصارى لما وجدوه فيه من حقائق لم يكن يعرفها العرب عنهم .

وأقر بدين الإسلام ملوك الدول المجاورة للمسلمين فى العصر النبوى من أهل الكتاب - بغض النظر عن إسلامهم من عدمه - وقد مرَّ عند الحديث عن عالمية الدعوة الإسلامية - فى الفصل التمهيدى - ذكر ما ورد فى المصادر التأريخية عن تصديق **هرقل** عظيم الروم بنبوته ﷺ ، وما أكرم به **المقوقس** وفادة رسول رسول الله ﷺ .

رابعاً : أقوال المنصفين .

*** يلاحظ أننى عبَّرت - فى عرض أقوال المستشرقين أنفسهم الناقدة لشبهات بعضهم الآخر - بلفظ " المنصفين " وليس بلفظ " المحايدين " ؛ لأننى أرى أن الحياد المطلق

١- هود ١٣.

٢- البقرة ٢٣.

من طائفة المستشرقين غير ممكن ، إذ لابد أن يكون هناك تأثير للرواسب الفكرية السابقة على دراسة الإسلام وعلومه عندهم ، بينما الإنصاف قد يحدث فى مسألة لوضوح شواهدها ودلالاتها وبيناتها ، وفى النص التالى دليل يؤكد قولى هذا ، حيث يقول الدكتور " بوكاى " (١) :

(لقد أثارت دهشتى هذه الجوانب العلمية الحديثة التى يختص بها القرآن والتى كانت مطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة ، ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم سابق ، وبموضوعية تامة.

بيد أننى لاأنكر تأثير التعاليم التى تلقيتها فى شبابى حيث لم تكن الأغلبية تتحدث عن الإسلام ، وإنما عن المحمديين لتأكيد الإشارة إلى أن هذا الدين أسَّسَه رجل ، وبالتالى فهو ليس بدين سماوى ، فلا قيمة له عند الله .

وكان من الممكن أن أظل محتفظاً كالكثيرين بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام وهى شديدة الانتشار ، ولما تحدثت مع بعض المستنيرين من غير المتخصصين عرفت أنى كنت جاهلاً قبل أن تُعْطَى لى عن الإسلام صورةٌ تختلف عن تلك التى تلقيتها فى الغرب .

وكان هدفى الأول هو قراءة القرآن ، ودراسة نصه آية آية مستعيناً بمختلف التعليقات اللازمة للدراسة النقدية ، وانتبهت بشكل خاص إلى دقة بعض الإشارات الخاصة بالظواهر الطبعية ، ومطابقتها للمفاهيم التى نملكها اليوم عن هذه الظواهر نفسها ، والتى لم يكن لأى إنسان فى عصر محمد ﷺ أن يُكَوِّن عنها أدنى فكرة .

---

١. موريس بوكاى مستشرق ومفكر فرنسى ، يوصف بأنه من المعتدلين ، ويذكر أنه اعتنق الإسلام ، له كتاب مطبوع بعنوان : (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم) طبعته دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧م وله كتاب آخر بعنوان (ما أصل الإنسان ؟) نشره مكتب التربية لدول الخليج العربى . انظر بحث د. نقرة فى مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية ٥٦/١. وانظر بحث د. مصطفى الشكعة فى المرجع السابق ٢٧٨/٢. والمستشرقون والقرآن د. إسماعيل عبدالعال دعوة الحق العدد ١٠٤ صـ ٤١. وانظر : قالوا عن الإسلام د . خليل صـ٥٦.

ثم قرأت إثر ذلك مؤلفات كثيرة خصصها كتاب مسلمون للجوانب العلمية فى القرآن ، وعلى حين نجد فى التوراة أخطاء علمية فادحة ، فإنا لانجد فى القرآن أى خطأ. وقد دفعنى ذلك إلى أن أتساءل : لو كان مؤلّف القرآن إنساناً فكيف استطاع فى القرن السابع الميلادى أن يكتب مااتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة ؟

ليس هناك أى مجال للشك ؛ فنص القرآن الذى نملكه اليوم هو النص الأول نفسه . ومن ذا الذى كان فى عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالى عشرة قرون ثقافتنا العلمية ؟) [1]

١- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة) لموريس بوكاى ، صـ ١٤٤-١٤٨.

المبحث الثانى : شبهة القول بخصوصية الدعوة الإسلامية للعرب .

هذه الشبهة خطيرة جداً لأن بعض المستغربين - عن جهل أو عن خبث - كانوا ينعقون بهذه الشبهة - التى أطلقها أساتذتهم المستشرقون - من منطلق قومى ؛ جاهلين أو متجاهلين خطرها على عالمية الدعوة الإسلامية .

المطلب الأول : علاقة الشبهة بعالمية الدعوة الإسلامية .

إذا استطاع مطلق الشبهة أن يصل بالمتلقى المسلم إلى الاقتناع بها فإنه يكون قد استطاع أن يرتقى به درجة فى سلم الانصراف عن دينه .

فإن المسلم حين يجعل دين الإسلام خاصاً بالعرب فحسب لن يجد مبرراً للدعوة إليه ، ثم فى مرحلة لاحقة يرتقى به صاحب الشبهة درجة أخرى فى سلم الانصراف عن الحق ؛ فيقنعه بأن هذا الدين المخصص للعرب فحسب كان لشعب فى زمن غابر تخطته المدنية والحضارة ، وأن ضرورة العصر أن يتدين المسلم المعاصر بدين عالمى .

ومن هذا الباب لَبَّس الخبثاء على البسطاء ، وزينوا لهم مايسمونه : " الدين العالمى " الجديد ؛ دين الحرية والإخاء إلى ماليس له آخر من المسميات البراقة الخادعة .

فهم يجرونهم إلى دين : " لادين " !

المطلب الثانى : صور الشبهة والرد عليها .(*)

١ = صور الشبهة

نقل ابن تيمية رحمه الله تعالى هذه الشبهة بقوله : (قال الكاتب على لسان الأسقف: إنا سمعنا أن قد ظهر إنسان من العرب اسمه محمد، ويقول: إنه رسول الله ، وأتى بكتاب فذكر أنه منزّلٌ عليه من الله ، فلم نزل إلى أن حصل الكتاب عندنا .

قال : فقلت لهم : إذا كنتم قد سمعتم بهذا الكتاب وهذا الإنسان ، واجتهدتم على تحصيل هذا الكتاب الذى أتى به عندكم ، فلأى حال لم تتبعوه ، ولاسيما وفى هذا الكتاب يقول : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١) ؟

أجابوا قائلين : لأحوال شتى . قال : فقلت : وماهى ؟ قالوا : منها أن الكتاب عربى وليس بلساننا ، حسب ماجاء فيه . يقول : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ (٣) وقال: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) وقال: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟

١- آل عمران ٨٥.

٢- يوسف ٢.

٣- الشعراء ١٩٥ .

٤- الشعراء ١٩٨و١٩٩.

(*) سبق ذكر شىء من كتابات المستشرقين والمستغربين حول هذه الشبهة ، انظر صـ ١٢٤ ومابعدها .

تَعۡلَمُونَ﴾ [1] وقال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [2] وقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [3] وقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [4]

قالوا : فلما رأينا هذا علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية العرب ، الذين قالوا : إنه لم يأتهم رسول ولانذير من قبله . وإنه لايلزمنا اتباعه ؛ لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله ، خاطبونا بألسنتنا ، وأنذرونا بديننا الذى نحن متمسكون به يومنا هذا ، وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلغتنا ، على مايشهد لهم هذا الكتاب الذى أتى به هذا الرجل ، حيث يقول :

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [5] وقال : ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ [6]

وقال : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ [7] .

فقد صح فى هذا الكتاب أنه لم يأت إلا إلى الجاهلية من العرب ، وأما قوله : ﴿وَمَن

١ـ البقرة ١٥١.

٢ـ آل عمران ١٦٤.

٣ـ القصص ٤٦.

٤ـ يس ٦.

٥ـ إبراهيم ٤.

٦ـ النحل ٣٦.

٧ـ الروم ٤٧.

يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (١)

فيريد بحسب مقتضى العدل : قومه الذين أتاهم بلغتهم ، لاغيرهم ممن لم يأتهم بما جاء فيه.

ونعلم أن الله عدل وليس من عدله أن يطالب يوم القيامة أمة من الأمم باتباع إنسان لم يأت إليهم ، ولاوقفوا له على كتاب بلسانهم ، ولامن جهة داعٍ من قبله) (٢)

وبناء على هذا ذكر ابن تيمية رحمه الله صورتين لهذه الشبهة ، فقال : (إذا عرف هذا فهؤلاء القوم فى هذا المقام ادعوا أن محمداً ﷺ لم يرسل إليهم ، بل إلى أهل الجاهلية من العرب . فهذه الدعوى على وجهين :

إما أن يقولوا : إنه ﷺ بنفسه لم يدع أنه أرسل إليهم ، ولكن أمته ادعوا له ذلك .

وإما أن يقولوا : إنه ادعى أنه أرسل إليهم ، وهو كاذب فى هذه الدعوى .

وكلامهم يقتضى الوجه الأول ، وفى آخره قد يقال : إنهم أشاروا إلى الوجه الثانى ، لكنهم فى الحقيقة لم ينكروا رسالته إلى العرب ، وإنما أنكروا رسالته إليهم ، وأما رسالته إلى العرب فلم يصرحوا بتصديقه فيها ولابتكذيبه ، وإن كان ظاهر لفظهم يقتضى الإقرار برسالته ﷺ إلى العرب ، بل صدقوا بما وافق قولهم ، وكذبوا بما خالف قولهم) (٣)

١- آل عمران ٨٥.

٢- الجواب الصحيح ١/٢٦-٢٨.

٣- المصدر السابق ١/٣١.

٢ = الرد على الشبهة .[١]

خطر هذه الشبهة يظهر جلياً فى كونها تحاول أن تقطع الجذور الراسخة ، وأن تقضى على الأساس المتين لعالمية الدعوة الإسلامية .

ويظهر الخطر كذلك من سهولة الادعاء بدعوى العلم ، استناداً إلى الفهم مهما كان خاطئاً ، والظن وإن كان قاصراً ، ولذلك ركزت فى مناقشتها على الاستدلال العقلى، وأقوال المنصفين من غير أهل الإسلام أكثر من تركيزى على النصوص مع أنها بينة الدلالة ، واضحة الإلزام . فجاء الرد على النحو الآتى :

أولا : دلالة النصوص .

هناك نصوص كثيرة تدل على عالمية الدعوة الإسلامية وأن نبينا محمداً ﷺ مرسل إلى الناس كافة [٢] ، وأورد هنا آيتين ، وحديثين فقط ؛ لوضوح معناها ، وصراحتها فى الدلالة على عالمية الدعوة الإسلامية :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [٣]

والآية الثانية : قوله سبحانه : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ

---

١. انظر للرد على هذه الشبهة وصورها بتفصيل أكثر : الجواب الصحيح لابن تيمية رحمه الله بأجزائه الأربعة – مصدر سابق – وكتاب ماذا يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية لإبراهيم الجبهان صـ ٧٦ ومابعدها.

٢. سبق الحديث بالتفصيل عن أدلة عالمية الدعوة الإسلامية فى المطلب الأول من الفصل التمهيدى ، وبينت هناك شواهد العالمية وأدلتها .

٣. سبأ ٢٨.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ (١)

والحديث الأول : قوله صلى الله عليه وسلم : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود .. الحديث) (٢)

والحديث الثاني قوله ﷺ: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، ومنها : وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) (٣)

فقد دلت هذه النصوص على عموم رسالته ﷺ ، وعالميتها ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان وشخص !

ثانياً : دلالة العقل .

لقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الرد على شبهتهم هذه بصورتيها المذكورتين آنفاً ، مستعيناً بدلالة النصوص والعقل والواقع ، مما لامزيد بعده لمستزيد (٤)

فعن بطلان استدلالهم - عقلاً - بالقرآن الكريم على نفي عالمية الدعوة الإسلامية ،

١- الأعراف ١٥٨.

٢ - مسلم بشرح النووي في كتاب المساجد ٣/٥.

٣ - البخاري مع الفتح بتحقيق الشيخ ابن باز في كتاب التيمم ١/٤٣٦.

٤- نقلت النقاط الرئيسة من كتابه الجليل (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) بأجزائه الأربعة - في مجلدين - ونظراً لطول بحث الرد فقد اقتصرت على النقاط الرئيسة ومايزيل الشبهة فحسب ، ولجأت لضرورة الربط بين عناصر الجواب إلى التقديم والتأخير والتصرف اليسير . ومن أراد الاستزادة ففي هذا الكتاب الجليل متعة وإفادة ، فهو كتاب لايستغني عنه طالب العلم ، ولاطالب الحق .

وخصوصيتها بالعرب قال رحمه الله :

وهؤلاء بدأوا فى كتابهم بما ذكره الرسول ؛ مما زعموا أنه حجة لهم على عدم وجوب اتباعه ، وعلى مدح دينهم الذى هم اليوم عليه بعد النسخ والتبديل . ثم ذكروا حججاً مستقلة على صحة دينهم ، ثم ذكروا مايقدح فى **محمد** ﷺ .

فنحن نبدأ بالجواب على هذا ونبين أنه ﷺ أخبر أنه مرسل إليهم وإلى جميع الإنس والجن ، وأنه لم يقل قط : إنه لم يرسل إليهم ، ولافى كتابه مايدل على ذلك ، وأن مااحتجوا به من الآيات التى غلطوا فى معرفة معناها ، فتركوا النصوص الكثيرة الصريحة فى كتابه ، التى تبين أنه مرسل إليهم من جنس مافعلوه فى التوراة والإنجيل والزبور وكلام الأنبياء ؛ حيث تركوا النصوص الكثيرة الصريحة وتمسكوا بقليل من المتشابه الذى لم يفهموا معناه .

ومعلوم أن الكلام فى صدق مدعى الرسالة وكذبه متقدم على الكلام فى عموم رسالته وخصوصها ، وإن كان قد يعلم أحدهما قبل الآخر ، لكن هؤلاء القوم ادعوا خصوص رسالته ﷺ ، وذكروا أن القرآن يدل على ذلك ...

والكلام فيمن خاطب الخلق بأنه رسول الله إليهم كما فعل **محمد** ﷺ وغيره من الأنبياء الصادقين ، وكما فعل " **مسيلمة**" وغيره من المتنبئين الكاذبين ينبنى على أصلين :

أحدهما : أن يُعرف مايقوله فى خبره وأمره ، فيُعْرف مايُخْبِرُ به ويأمر به ، وهل قال : إنه رسول الله إلى جميع الناس ؟ أو قال : إنه لم يرسل إلا إلى طائفة معينة ، لا إلى غيرها؟

والثانى : أن نعرف هل هو صادق أو كاذب ؟ ودلائل صدق النبى الصادق ، وكذب المتنبى الكاذب كثيرة جداً ؛ فإن من ادعى النبوة - وكان صادقاً - كان من أفضل خلق الله تعالى وأكملهم فى العلم والدين ، فإنه لاأحد أفضل من رسل الله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه وإن كان بعضهم أفضل من بعض ، كما قال تعالى:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (١)

وإن كان المدعى للنبوة كاذباً فهو من أكفر خلق الله وشرهم ،كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ (٢)

ولما كان هذا فى أعلى الدرجات وهذا فى أسفل الدركات ؛ كان بينهما من الفروق والدلائل والبراهين التى تدل على صدق أحدهما وكذب الآخر ما يظهر لكل من عرف حالهما ...

فاحتجاجهم بما جاء عن النبى ﷺ لايصح بوجه من الوجوه ؛ لأنه لايجوز أن يَحْتَجَّ بمجرد المنقول عن محمد ﷺ من يكذبه فى كلمة واحدة مما جاء به (٣)

فإنه إن كان رسولاً صادقاً فى كل مايخبر به عن الله عز وجل فقد علم كل واحد أنه جاء بما يخالف دين النصارى ؛ فيلزم أن يكون دين النصارى باطلاً ... أما اليهود فإنهم كانوا جيرانه فى الحجاز وبالمدينة وماحولها وخيبر ، وقد آمن به فى حياته كثير من اليهود والنصارى بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينة ، وكثير منهم كانوا بغير مكة والمدينة ...

وأما النصارى فإن أهل نجران كانوا نصارى فقدم عليه وفدهم وناظرهم فى مسجده وأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران ، ولما ظهرت حجته عليهم ، وتبين لهم أنه رسول الله إليهم أمره الله إن لم يجيبوه أن يدعوهم إلى المباهلة ، فقال تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا

١- البقرة ٢٥٣.

٢- الأنعام ٩٣.

٣- ١/٢٨-٣٢ مع بعض التقديم والتأخير .

﴿وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (١) فطلبوا أن يمهلهم حتى يشتوروا فاشتوروا ، فقال بعضهم لبعض : تعلمون أنه نبى ، وأنه ماباهل قوم نبياً إلا نزل بهم العذاب ...

و قبل وفد نجران كان النجاشى ملك الحبشة قد آمن برسالة النبى ﷺ هو وقومه ، وكان إيمانه فى أول أمر النبى ﷺ لما كان هو وأصحابه مستضعفين بمكة ! (٢)

وبين رحمه الله معارضة العقل لشبهتهم التى مفادها أن الدعوة الإسلامية خاصة بالعرب ؛ لأن القرآن نزل بلسان عربى ، فقال :

(وأما كون القرآن أنزل باللسان العربى وحده فإن شرط التكليف : تَمَكُّنُ العباد من فهم ما أرسل به الرسول إليهم ، وذلك يحصل بأن يرسل بلسان يُعْرَف به مراده .

ثم جميع الناس متمكنون من معرفة مراده ؛ بأن يعرفوا ذلك اللسان، أو يعرفوا معنى الكتاب بترجمة من يترجم معناه ، وهذا مقدور للعباد ، ومن لم يمكنه فهم كلام الرسول إلا بتعلم اللغة التى أرسل بها ؛ وجب عليه ذلك ؛ لأن مالايتم الواجب إلا به فهو واجب .

وأما قولهم : نعلم أن الله عدل وليس من عدله أن يطالب أمة يوم القيامة باتباع إنسان لم يأت إليهم ولاوقفوا له على كتاب بلسانهم ولامن جهة داع من قبله ؛ فيقال لهم : إن هؤلاء يفهمون القرآن بالعربية ، وقد قرأوه وناظروا بما فيه ، وإذا كانوا مع ذلك يفهمونه بغير العربية ؛ كان ذلك أبلغ فى قيام الحجة عليهم ؛ فإنهم يمكنهم فهم ماقال

١- آل عمران ٦١.

٢- ١/٣٨و٧٨ مع تقديم وتأخير .

بالعربية ، وتفهيم ذلك لقومهم باللسان الآخر) [1]

ثالثاً : دلالة الواقع .

وبدلالة الواقع رد ابن تيمية رحمه الله قولهم : إنه لايلزمهم اتباع دعوة محمد ﷺ لأنه قد أتاهم رسل من قبله خاطبوهم بألسنتهم ، وأنذروهم بدينهم الذى هم به متمسكون وسلموا لهم التوراة والإنجيل بلغاتهم . فقال :

(أما قولهم : إنه لايلزمهم اتباعه لأنه قد أتاهم رسل من قبله ؛ فإن إثبات رسول من قبله ﷺ لايمنع إتيان رسول ثانٍ ؛ فإن الله قد بعث إلى بنى إسرائيل موسى ﷺ وكانوا على شريعة التوراة ، ثم بعث إليهم المسيح عيسى ابن مريم ﷺ ، فوجب عليهم الإيمان به ، ومن لم يؤمن به كان كافراً وإن قال : إنى متمسك بالكتاب الذى أُنْزِل إلىّ .

ودعواهم أنهم متمسكون فى هذا الوقت بالدين الذى نقله الحواريون عن المسيح ﷺ كذب ظاهر ؛ بل عامة ماهم عليه من الدين ؛عقائده وشرائعه كالصلاة إلى المشرق واتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس ، واتخاذها وسائط والاستشفاع بأصحابها ، وجعل الأعياد بأسمائهم واستحلال الخنزير ، وترك الختان والرهبانية وجعل الصيام فى الربيع ، وجعله خمسين يوماً ؛ لم ينقله الحواريون عن المسيح ﷺ ، وأما كفرياتهم وبدعهم فكثيرة جداً ، ولم ينقل أحد عن المسيح والحواريين أنهم أمروهم أن يقولوا فى صلاتهم السحرية : تعالوا بنا نسجد للمسيح إلهنا .

وقولهم : إنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل بلغاتهم إنما يستقيم إن كان صحيحاً فى بعض النصارى لافى جميعهم ؛ فإن العرب من النصارى وغير العرب لم يسلم إليهم أحد توراةً ولا إنجيلاً بلسانهم ، وهذا أمر معروف ، ولايوجد قط

١- ١٨٩/١و ٢١١. بتصرف يسير .

توراة ولا إنجيل معرب فى زمن الحواريين ، وإنما عربت فى الأزمان المتأخرة)[1]

رابعاً : أقوال المنصفين .

يقول " سير توماس أرنولد " :

(يرجع انتشار هذا الدين - الإسلام - فى تلك الرقعة الفسيحة من الأرض لأسباب شتى اجتماعية وسياسية ودينية ، على أن هنالك عاملاً من أقوى العوامل الفعالة التى أودت إلى هذه النتيجة العظيمة ؛ تلك هى الأعمال المطردة التى قام بها دعاة المسلمين ، وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام ؛ متخذين من هدى الرسول (ﷺ) مثلاً أعلى وقدوة صالحة ...

ولم تجىء مهمة تبليغ الرسالة فى تأريخ الإسلام بعد تريث وتفكير ، ولكنها كانت ملقاة علىْ عاتق المؤمنين منذ البداية) [2]

ويقول " واجنر " [3] :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [4]

لقد تركت هذه الآيات العظيمة أثراً بالغاً فى نفسى ؛ لأن فيها دليلاً على ذلك

١- ١/٢٠٣-٢٠٤ بتصرف يسير .

٢- الدعوة إلى الإسلام لأرنولدترجمة د. حسن حسن ورفيقيه صـ ٢٧.

٣- واجنر . م . هولندى أشهر إسلامه عام ١٩٥٢م بعد دراسة مستفيضة ، وله مؤلفات فى رد شبهات المستشرقين حول الإسلام . قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل صـ ٢٥٦.

٤- آل عمران ١٩ وسبأ ٢٨ على التوالى .

الطابع العالمى الذى يتميز به الإسلام ، فضلاً عما يمتاز به من النظم والتشريعات الأخرى ، وبيانه الكامل لحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام . لاشك أن دين الإسلام هو دين الحق والصدق والبرهان) [1]

فهذا المستشرق يعترف دون مواربة بعالمية الدعوة الإسلامية ، ويصرّح بأن سبب هذه العالمية هو : أن الإسلام دين الحق والصدق والبرهان ، فهو دين الإنسانية كلها وليس ديناً موجهاً لفئة معينة دون غيرها .

ويقول " ميليما " : [2]

(إن مبدأ الأخوة الإسلامية الذى يضم تحت جناحه البشر كافة بصرف النظر عن اللون أو الجنس أو المعتقد ؛ هذا المبدأ هو الذى جعل الإسلام الدين الوحيد القادر على تطبيق الأخوة فى حيز الواقع لافى المجال النظرى فحسب) [3]

وفى هذا النص اعتراف صريح بأن الإسلام دين البشر كافةً ، بصرف النظر عن الفوارق العارضة ، وأنه الدين الوحيد الصالح ليكون عالمياً .

وفيه تصريح بأن عالمية الدعوة الإسلامية ليست خيالاً أو نظريات تقال ، وإنما هى تطبيقات فى الواقع ثبتت صلاحيتها .

١- قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل صـ ٢٥٦.

٢- د. ر . ل . ميليما : هولندى رأس القسم الإسلامى فى المتحف الاستوائى بأمستردام ، له مؤلفات كثيرة عن الإسلام ، وانتمى للإسلام عام ١٩٥٥م المصدر السابق صـ ٢٤٦ .

٣- المصدر السابق صـ ٢٤٧ .

ويقول " مونته " : [1]

(لما كان الإسلام ديناً من الأديان أصبح قوة أدبية عظيمة جداً ، جديرة بالاحترام من وراء الغاية ، وإن هذا الدين بفضل مانشره بعض الباحثين من العلماء المجردين عن الأغراض وماوقف عليه بعض أرباب الرحلات قد أصبح معروفاً فى أوروبا معرفة تامة) [2]

فهذا النص يشير إلى الروح العالمية للدعوة الإسلامية ، وقدرتها على الانتشار إذا أتيحت لها السبل ، وسلمت من المعوقات ؛ لأن طبيعتها موافقة للفطرة المستقيمة ، والعقل السليم ، ولأنها تلبى حاجات البشرية فى كل عصر .

كما أن فيه اشارة إلى بعض الباحثين الصادقين المجردين من الأغراض ، مما يعنى وجود طائفة أكثر أسرتها تلك الأغراض ، فقيدتها ربقة الكذب والتزييف والخداع !

١- إدوارد مونته مستشرق فرنسى من أصل سويسرى وأستاذ اللغات الشرقية فى جامعة جنيف ، وله كتاب : (محمد والقرآن) عاش فى المدة بين ١٨٥٦-١٩٢٧م .مستشرقون نذير حمدان ١٦٩. و مقدمة شكيب أرسلان على حاضر العالم الإسلامى لستوارد صـ ٣٢.

٢- قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل صـ ٢٤٦.

المبحث الثالث : شبهة الربط بين الإسلام والقوميات .

هذه الشبهة ترددت كثيراً عند حديث المستشرقين عن قادة الفتوحات الإسلامية وعند الحديث عن علماء المسلمين النابغين .

المطلب الأول : علاقة الشبهة بعالمية الدعوة الإسلامية

القومية قيد لاتستطيع دعوى العالمية الفكاك منه ، ولذلك فإن هذه الشبهة خطر على عالمية الدعوة الإسلامية .

وتظهر خطورة العلاقة من قول "ساطع الحصرى" [١] :

(إن أسَّ الأساس فى تكوُّن الأمة وبناء القومية ؛ هو وحدة اللغة ، ووحدة التاريخ، ولكن لاوحدة الدين ، ولاوحدة الدولة ، ولاوحدة الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساس) [٢]

المطلب الثانى : صور الشبهة والرد عليها .

١ = صور الشبهة

جاءت هذه الشبهة فى صورتين :

الصورة الأولى : ادعاء أن الإسلام يدعو إلى القومية العربية ، لأن لسانه عربى .

الصورة الثانية : التركيز على أصول قادة الفتوح الإسلامية ، وعلماء المسلمين من غير العرب ، للانتقاص من قدرهم ، وبذر كراهيتهم فى نفوس المسلمين .

١- ساطع الحصرى : من رواد الفكر القومى وأحد منظريه. الإسلام ومأزق الفكر القومى . جمال سلطان ، صـ٢٢و٦١.

٢- القومية والدين لساطع الحصرى . مقال فى مجلة المستقبل ع٢٤س٣ فبراير ١٩٨١م .

٢ = الرد على الشبهة .

خطر شبهة القومية ينبع من افتتان كثير من المسلمين بها ، وظهور دعوات قوية للأخذ بها ، بل وتسللت إلى النفوس عبر عبارات المستشرقين عن تأريخ الإسلام ، وإليك مثالاً واحداً، فهذا (" جاستون فييت " [١] يسمى بلاد المغرب باسم : " بلاد لابربيرى" أى بلاد البربر ، لإيهام السكان أنهم ليسوا عرباً ، وهى تسمية أولع بها الفرنسيون عن خبث .

ويقول عن المأمون : إن دولته فارسية لاأثر للعرب فيها ! ثم يتخير فقرات من رسالة فى فضل الترك ، وهكذا تتوالى الصفحات والمختارات) [٢]

وقد بلغ خطر هذه الشبهة شأواً بعيداً إذ تلقفها المفتتنون بالشعارات الجوفاء والنعرات والعصبيات الممجوجة دون وعى أو دون فهم .

لقد أثيرت القومية داخل الأمة العربية ، وأثيرت القومية الطورانية فى تركيا وأثيرت غيرها من القوميات مثل الفارسية والبربرية والكردية .

بل ربما - وهذا أدهى وأمر - وصل تأثير القوميات حد الاقتتال بين المسلمين ؛ انتصاراً لقومية على أخرى .

ويمكن دفع هذه الشبهة بما يأتى :

١- جاستون فييت مستشرق فرنسى ، عمل أستاذاً للأدب فى الجامعة المصرية ، وهو ضابط ومترجم وسياسى من مواليد ١٨٨٧م . مستشرقون . نذير حمدان صـ١٢٥.

٢- الفكر الإسلامى الحديث د. البهى صـ ٤٥٧ومابعدها . ملحق دراسة حسين مؤنس للفكر الاستشراقى من واقع إنتاجه العلمى المنشورة فى الملحق الأدبى لجريدة الأهرام . بتصرف يسير .

أولا : دلالة النصوص .

النصوص التى تدل على أن انتماء المسلم لدينه لالقوميته ، وأن موازين الفضل فى الإسلام ثابتة لاتتغير بتغير الأشخاص ، تقام فيها سوق التقوى ، فلايقام أى وزن لما سواها كثيرة جداً غير أنى سأقتصر على آية وحديث .

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١)

(وقيل للنبى ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : أكرمهم أتقاهم . قالوا : يانبى الله ليس عن هذا نسألك . قال : فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : أفعن معادن العرب تسألوننى ؟ قالوا : نعم . قال : فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا) (٢)

قال ابن حجر رحمه الله : معادن العرب أى أصولهم التى ينسبون إليها ويتفاخرون بها ، وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعداد المتفاوت ، أو شبههم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن أوعية الجواهر) (٣)

فالآية الكريمة والحديث الشريف يدلان على أن التقوى ، لاالقومية والحسب والنسب ؛ هى ميزان العمل عند الله تعالى .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - :

١- الحجرات ١٣.

٢- البخارى مع الفتح فى عدة أبواب من كتاب الأنبياء ٦/٤١٤.

٣- الفتح على البخارى لابن حجر ٦/٤١٤.

(قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ أى : إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لابالأحساب) [1]

ثانياً : دلالة العقل .

الربط بين القوميات وبين الإسلام ضدٌّ للرشد ، وخلاف مسلمات العقلاء التى تهدى إلى سواه ؛ فإنه مما استقر فى فهم كل الناس ؛ أنهم كلهم لآدم .

فلم يبق إلا أن (القوميات التى تعصف بالعالم الإسلامى اليوم بل بكثير من العالم ليست إلا وليدة النظرة الضيقة للحياة والأحياء ، وهى إن حملت فى ظاهرها رغبة أصحابها فى أن يكون لهم كيان خاص ومصلحة خاصة إلا أنها تنطوى على نزعة تعصبية عرقية تتجاهل أبسط مسلمات العقل عند الناس ، وهى أن الناس جميعاً لآدم عليه السلام) [2]

ثالثاً : دلالة الواقع .

الواقع التأريخى للدعوة الإسلامية يؤكد فساد عملية الربط بين الإسلام والقوميات ؛ بدليل أنه لم تكن هناك فى واقع التطبيق فى البلاد المفتوحة فروق بين المسلمين وأهل البلاد المفتوحة ، بشهادة المستشرقين أنفسهم . يقول أرنولد :

(كان المثل الأعلى الذى يهدف إلى أخوة المؤمنين كافة فى الإسلام من العوامل القوية التى جذبت الناس بقوة نحو هذه العقيدة) [3]

١- تفسير ابن كثير ٢٢٢/٤.

٢- الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام بحث د. علـى محمـود صـ ١٥٦.

٣- الدعوة إلى الإسلام - مصدر سابق - صـ٩٤.

ويقول كذلك : (ولم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب ، بل إن للعالم أجمع نصيباً فيها ، ولما لم يكن هناك غير إله واحد ، كذلك لايكون هناك غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة) (١)

وواقع المدعوين الثابت تأريخياً ، حتى بلسان مطلقى شبهة القومية يدحضها .

(فالمستشرق " بارتولد " عُنِيَ كثيراً فى كتاباته عن آسيا الوسطى بإبراز فكرة القومية المغولية ، كما عنى بدراسة فضل الأويغور على الحضارة الإسلامية ...

وللرد على بارتولد ينبغى أن نعالج أثر الإسلام فى نفوس المغول من خلال المصادر الأثرية المادية والفارسية المعاصرة للحدث فضلا عن آراء بارتولد نفسه الذى لم يُخْفِ أثر الإسلام فى سلاطين المغول بعد إسلامهم) (٢)

رابعاً : أقوال المنصفين .

جاء فى كثير من أقوال نصارى الشرق والغرب ، مايمكن أن نعده إنصافاً ممن لايتصور منه الإنصاف ، وأكد أن القومية فعل غربى وليست من دين الله فى شىء ، ومن ذلك :

يقول " فيليب حتى " (٣) : (كان من نتيجة الاحتكاك بين العقلية السورية

١- الدعوة إلى الإسلام لأرنولد صـ ٤٨.
٢- دراسات استشراقية وحضارية ، بحث د. محمد أحمد صـ ٢١٣و٢١٤.

٣- فيليب حتى : نصرانى لبنانى ، حصل على الجنسية الأمريكية ، كان أستاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون الأمريكية ثم رئيساً لهذا القسم ، وتستعين به الخارجية الأمريكية فى شؤون الشرق الأوسط . وكتب عام ١٩٤٨م فى دائرة المعارف الإسلامية عن " الأدب العربى " وله كتب منها : العرب تأريخ موجز ، وأصل الدروز وديانتهم الصادر عام ١٩٢٨م ، وتأريخ سوريا . الفكر الإسلامى الحديث د. البهى

فضلاً انظر الصفحة التالية= .... ↖

والنتاج الفكرى الغربى أن تولدت مبادىء القومية العربية الشاملة ...

ومما لاريب فيه أن القومية إنما هى بضاعة غربية استوردها العالم بما فيه الشرق العربى من أوروبا) [1]

صـ ٤٤٩و٤٥٠.

١ـ العرب : تأريخ موجز لفيليب حتى صـ٢٥٦و٢٥٧.

المبحث الرابع : شبهة القول بعدم قدرة اللغة العربية على تحقيق العالمية للدعوة الإسلامية .

حاول المستشرقون الذين استطاعوا الوصول إلى المجامع اللغوية العربية ، أو الذين أسسوا مجامع لغوية خاصة ، أو الذين أظهروا الاهتمام بدراسة اللغة العربية ؛ أن يصوروا اللغة العربية وهى عاجزة عن الوفاء بمتطلبات عالمية الدعوة الإسلامية ، وحبذوا الاغتراف من اللغات الأجنبية ، واللجوء إلى العامية المحلية ؛ فى تناقض ظاهر ، غير أنه لقى قبولا من بعض المتلقين ؛ جهلاً ، أو حقداً ، فنشأت الشبهة وأصبح لها شأن .

يقول إدوارد سعيد : (١)

ثمة عنصر مهد الطريق لِبُنَى الاستشراق الحديث ؛ هو النزوع إلى تصنيف الطبيعة والإنسان فى أنماط ... لكن لئن كانت العناصر المتداخلة المترابطة تمثل اتجاهاً معلمناً- أى علمانياً - فإن ذلك لايعنى القول بأن الأنساق الدينية القديمة للتأريخ والمصير الإنسانى والمناسق الوجودية أزيلت .

هيهات ، بل إنها قد أعيد تركيبها ، وأعيد توزيعها ضمن الأطر العلمانية ، وكان كل من درس الشرق بحاجة إلى مفردات علمانية تنسجم مع هذه الأطر ، وكان المستشرق الحديث فى نظر نفسه بطلا ينقذ الشرق من مطاوى الإبهام ، وقد أعادت أبحاثه بناء لغات الشرق الضائعة وعاداته ، بل حتى عقلياته ، فأعاد بناء الهيروغليفية المصرية من حجر رشيد .

١- أدوارد . و. سعيد من مواليد القدس وتعلم فى مصر ، عمل أستاذاً فى جامعة هارفارد ١٩٧٤م ، وجامعة ستانفورد ١٩٧٥م ، وجامعة برنستن ١٩٧٧م ، ألف : بدايات الاستشراق ، والأدب والمجتمع ، والمسألة الفلسطينية ، وتغطية الإسلام ، وكتاب الاستشراق الذى ترجم للفرنسية والألمانية والأسبانية والإيطالية والتركية والفارسية والماليزية واليابانية ، والعربية . انظر مقدمة كتابه : الاستشراق .

وتقنيات المستشرق المحددة المعجمية ، النحو ، الترجمة ، فك الرمز الثقافى أعادت القيم النابعة من الشرق إلى مكانتها كفقه اللغة ، والتأريخ ، والخطابة ، والتماحك المذهبى .

لكن الشرق وفروع دراسة المستشرق تغيرت أثناء هذه العملية تغيراً جذرياً ؛ لأنها لم تكن تقدر على البقاء فى أشكالها الأصلية [1]

١- الاستشراق لأدوارد سعيد ترجمة . كمال أبو ديب مقتطف من الصفحات ١٤٢-١٤٥.

المطلب الأول:علاقة الشبهة بعالمية الدعوة الإسلامية[1]

اللغة هى لسان الدين فإذا قُطِع هذا اللسان ، فكيف يُسمع صوتُه ؟

فعالمية الدعوة الإسلامية إذن مرتبطة بلغتها أشد الارتباط ، والدعوة الإسلامية لن تستطيع تخطى حدود المكان ما لم تكن لغتها مسموعة ومفهومة ، فإذا كانت كما يقول الشانئون والمفترون عاجزة عن الإفهام والبيان - وهى لغة البيان - فلن تستطيع ذلك .

يقول الدكتور أحمد **سمايلوفتش** - وهو مسلم غير عربى اللسان - : [2]

(أصبحت اللغة العربية لغة الجميع من الخليج إلى المحيط ، بل تجاوزت هذه الحدود فأصبحت لغة المسلمين فى المعمورة كلها ، فبها يقرأون القرآن الكريم ، وبها يتفاهمون فيما بينهم ، وبها يدعون إلى الله القدير ، فوجودها وجودهم ، وحياتها حياتهم .

" الحملة على اللغة فى الأقطار الأخرى هى حملة على لسانها أو أدبها وثمرات تفكيرها على أبعد الاحتمال .

ولكن الحملة على لغتنا نحن هى حملة على كل شىء يعنينا ، وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية ، والدينية ، وعلى اللسان ، والفكر ، والضمير فى

١- سبق الإشارة إلى توضيح أكثر عن علاقة الشبهة بالعالمية فى الفصل الأول من هذا البحث (كتابات المستشرقين حول عالمية الدعوة الإسلامية) المبحث الثانى (الكتابات حول العالمية)المطلب الأول: (محاولة القضاء على الأساس وقطع الجذور) الصورة الثالثة (الدعوة إلى العامية) .

٢- سمايلوفتش : أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية فى سراييفو ، ورئيس المشيخة الإسلامية لجمهوريات البوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفنيا . وكتابه فلسفة الاستشراق بحث نال به الدكتوراه من الأزهر عام ١٩٧٤م . - الترجمة مأخوذة من مقدمة كتابه فلسفة الاستشراق .

ضربة واحدة ؛ لأن زوال اللغة فى أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لايبقى للعربى أو المسلم قواماً يميزه عن سائر الأقوام ، ولايعصمه أن يذوب فى غمار الأمم ، فلاتبقى له باقية من بيان ولاعرف ولامعرفة ولاإيمان ") (١)

وفى ضوء هذا فإن خطة المستشرقين والمستغربين لمحاربة اللغة العربية كانت تقوم على أساس التشكيك فى قدرة اللغة العربية على الوفاء بمتطلبات العصر فى مرحلة أولى ، ثم فى مرحلة ثانية تشويه هذه اللغة بإدخال كلمات غريبة عنها ، وفى مرحلة ثالثة الطعن فى أحقيتها كى تقود البشرية .

وكل ذلك بهدف قطع لسان الدعوة الإسلامية ، والوقوف فى طريق عالميتها .

١- انظر كتاب : (فلسفة الاستشراق لأحمد سمايلوفتش صـ ٦٦٧ علماً بأن مابين المعقوفين الصغيرين نقله من كتاب عباس العقاد : أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب طبع دار المعارف بمصر صـ١٢٧.

المطلب الثانى : صور الشبهة والرد عليها .

١ = صور الشبهة

من الملفت للانتباه كثرة مزاعم المستشرقين فى مجال اللهجات المحلية ، مع أنهم يثيرون شبهة ضعف اللغة العربية وعدم ملاءمتها لمتطلبات العصر ، وكأن اللهجات المحلية هى التى ستفى بهذه المتطلبات .

ومؤلفات المستشرقين فى هذا المجال (كثيرة ، اختص كل منها بدراسة لهجة من لهجات الأقطار العربية ، مثل : اللهجة المصرية ، والسورية ، والعراقية ، والتونسية، والمراكشية) [١]

وفى ضوء تعدد جبهات الحرب على اللغة العربية الفصحى جاءت هذه الشبهة من خلال ثلاثة طرق ، وبعدة وسائل وأساليب وصور .

لقد (أدرك الاستشراق بماله من معرفة بقوة تأثير اللغة العربية فى السير ، والحركة والتقدم ، وبما له من خبرة بعلومها وآدابها وفنونها ، وبما له من دراية لقرآنها ، وعروبتها وتراثها – أدرك أثر العربية الفصحى فى الدعوة الإسلامية ؛ فقرر أن يتناول السهم ليصوبه إلى قلب أصحابها ليرديهم قتلى.

ولكن ماهى السبيل لإصابة الهدف مباشرة ؟ وكيف يمكن الوصول إليه ؟ وبأى سلاح يمكن أن تكون الضربة ضربة قاضية ؟ هاهى ذى كلها :

أولاً : الدعوة إلى رسمية اللهجات المختلفة .

ثانياً : الدعوة إلى كتابة العربية بالأحرف اللاتينية .

١- تأريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر . نفوسة زكريا صـ ١١.

ثالثاً : دعوى أن الفصحى تقضى على قوة العرب الاختراعية .

ومن أجل هذا كله قام الاستشراق بإدخال تدريس لهجات العرب المختلفة فى مدارسهم وجامعاتهم ومعاهدهم ، وأسند تدريسها فى أول الأمر إلى أبناء العرب أنفسهم أمثال محمد عياد الطنطاوى[1] وميخائيل الصباغ وأحمد فارس الشدياق[2] وغيرهم ، ثم أخذ علماؤه فى دراسة لهجات العرب المتعددة وإخراج مؤلفاتهم فيها) [3]

ولم تقف الهجمة الشرسة عند حد .

ولذا فقد ركّز المستشرقون طعوناتهم فى حيوية اللغة العربية ، ومدى قدرتها على تلبية حاجات العصر الحاضر ، وروجوا لغيرها من اللغات بأساليب متعددة منها :

أ = زعمهم أن اللغة العربية اقتبست من لغات قديمة متنوعة مما يدل على قصورها ، وعدم قدرتها على ملاءمة التجديد فى كل عصر .

والمعروف أن الشعوب تتأثر ببعضها ثقافة وحضارة إلى غير ذلك من الأمور ، لذا فأمر طبعى انتقال بعض المفردات من أمة إلى أمة أخرى ...

ب = ومن ذلك زعمهم أن اللغة العربية عسيرة التعلم ، لذا رفعوا لواء الدعوة إلى العامية ليكون ذلك عقبة فى طريق تقدم اللغة العربية ، بل ولإضعاف تأثيرها فى نفوس المسلمين فيضعف فهمهم للقرآن الكريم .

١- محمد بن عياد بن سعد الطنطاوى ، أديب ومدرس مصرى ، تعلّم بالأزهر اتصل بالمستشرقين ، ودعى لتدريس اللغة العربية فى معهد اللغات الشرقية ببطرسبورج ، له عدة كتب . عاش بين ١٨١٠-١٨٦١م . الأعلام للزركلى ٦/٣٢٠.

٢- أحمد فارس بن يوسف الشدياق متخصص فى اللغة والأدب ، مارونى ولد فى لبنان عام ١٨٠٤م ، ثم رحل إلى مصر ، وتنقل فى أوروبا ، ثم أسلم وسمى نفسه : أحمد ، أصدر جريدة الجوائب ١٢٧٧هـ ، له عدة كتب ، توفى ١٨٨٧م بالأستانة . الأعلام للزركلى ١/١٩٣.

٣- فلسفة الاستشراق - مصدر سابق - صـ٦٦٨و٦٦٩.

٢ = الرد على الشبهة .

إن الـرد علـى هـذه الشـبهة يتطلـب - فـى رأيـى - وعيـاً بآثارهـا الواقعـة والمتوقعة ، وبالظروف التأريخية ، وبواقع الذين أطلقوا الشبهة ضد لغة ليسوا من أهلها ، ومن المعلوم أن الغريب عن الشيء يصعب أن يكون حاذقاً فيه .

ثم إن الدعوة إلى العامية بدعوى صعوبة اللغة العربية وعدم قدرتها على الاختراع شبهة خطيرة ومخيفة ، فكيف إذا دُعِيَ إلى رسمية اللهجات المحلية ، وكيف إذا اتجه العرب إلى الكتابة بالأحرف اللاتينية ، ثم كيف إذا اقتنعوا بأن اللغة العربية لاتناسب المخترعات الحديثة ؟

(فبعد أن أشرنا بإيجاز شديد إلى تلك الدعوات الثلاث وخطورتها إذ استهدفت جميعها القضاء على اللغة العربية ؛ يجدر بنا أن نتساءل : هل أثرت هذه الدعوات فى الحياة الأدبية المعاصرة ؟

يمكننا أن نجيب عن ذلك بدون أدنى تردد : نعم ، إنها أثرت بقدر كبير ، وامتد تأثيرها بالقدر نفسه فى الحياة العلمية المعاصرة كذلك) [١]

ويبقى بعد ذلك : كيف ندفع الشبهات المثارة حول اللغة العربية التى هى لسان عالمية الدعوة الإسلامية ؟

أولا : دلالة النصوص .

اللغة العربية هى لغة القرآن ، وقد ورد وعد ربانى صادق بحفظ القرآن الكريم ، واللغة العربية ؛ بحكم أنها لغته .

١- فلسفة الاستشراق لسمايلوفتش صـ ٦٧٤.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [1] وقال عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [3]

فالآيات الكريمات تدل بوضوح على حفظ اللغة العربية ؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربى مبين . (وهو الحافظ له من التغيير والتبديل) [4] فلن تتغير لغته .

غير أنه لايجوز الاتكال على مقتضى هذه النصوص ؛ فإن الله قادر على أن يحفظ القرآن بغير العرب ؛ بل يجب الحرص على لغة القرآن ، كما نحرص على القرآن ذاته .

(وليس هناك فى نصوص القرآن ضمان بدوام اللغة العربية الفصحى واستمرارها حية ، يستعملها الناس كافة ، ويفهمها القطاع الكبير من المجتمع ؛ إذا أعرض عنها أهلها ، وأحلّت كل طائفة منهم لهجتها العامية محل لغتها العربية) [5]

ثم إن نجاح الدعوة إلى العامية خطر يهدد اللغة الفصحى ، فهو كما يقول عنه عالم مسلم غير عربى : (ولو نجحت هذه الدعوة لأنتجت توزُّع اللغة العربية بين لغات شتى ، وانقطاع صلة العرب عن القرآن والأدب الإسلامى ، ولكان ذلك سبباً لتصبح اللغة العربية لغة غريبة عليهم ، فتفقد مكانتها ، ويحرم العرب كلهم من تراثهم الدينى وروحه ، فيقعوا فريسة الإلحاد ، والردة ، والخلافات ، والاضطرابات بكل سهولة) [6]

١- الحجر ٩.

٢- يوسف ٢.

٣- الشعراء ١٩٥ .

٤- تفسير ابن كثير ٥٩٢/٢.

٥- الفصحى ونظرية الفكر العامى د. ابن تنباك صـ١٦٠.

٦- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية لأبى الحسن الندوى صـ ١٩٥.

ثانياً : دلالة العقل .

التساؤل الملحُّ الذى يطرحه العقل الراشد هو :

إذا كانت اللغة العربية الفصحى لاتستطيع الوفاء بمتطلبات الرقى والنهضه ، فهل تستطيع اللهجات المحلية الوفاء بهذه المتطلبات ؟

ثم هذا العقل لايستسيغ هذه الشبهة ؛ لما فيها من التناقض ؛ فإن النظر العقلى الصحيح يهدى إلى ضد هذه الدعوى .

(وقد تحدث عدد من العلماء الأجانب وحاضر كثير من المفكرين عن معجزة اللغة العربية وذكر الذين يهتمون بدراسة اللغة كنشاط إنسانى استغرابهم لاستمرار اللغة العربية الفصحى فى طريق الحياة حتى الآن وخروجها منتصرة على كل الظروف والأحوال التى تمر بها) (١)

ثالثاً : دلالة الواقع .

من المؤلم أن يقال عن اللغة العربية : إنها لغة لاتتلاءم مع التطلع إلى التقدم و النهوض مع أن الواقع يكذب هذا الزعم أشد تكذيب ؛ فلقد أقبل الغرب نفسه فى فترة النهضة الإسلامية على الاغتراف من منابع اللغة العربية ؛ لأنها لغة التقدم ، وطبعت عدة كتب من كتب العلماء المسلمين ، واعترف كثير من الغربيين بفضل اللغة العربية على الحضارة الغربية وفى الواقع أنشئت مدارس وجامعات وكراسى جامعية لدراسة اللغة العربية (٢)

١- الفصحى ونظرية الفكر العامى د. مرزوق بن تنباك صـ ١٦٣.

٢- لمزيد بيان عن هذه الكراسى انظر : كتاب المستشرقون والدراسات الإسلامية . محمد مليبارى صـ ٤٥.

بل إننى لا أبالغ إذا قلت : إن الغرب افتتن باللغة العربية ، بشهادة الواقع الذى يحكيه غربى عن قومه فيقول :

(لقد أسِفَ أحد كبار الأسبان المتعصبين لهذا الإقبال فقال : إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربى فاحتقروا اللاتينية ...

إن إخوانى النصارى يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم ويدرسون التصانيف التى كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون ، ولايفعلون ذلك لدحضها ، والرد عليها ، بل لاقتباس الأسلوب العربى الفصيح .

إن الجيل الناشىء من النصارى الأذكياء لايبحثون أدباً ، أو لغة غير الأدب العربى ، ويجمعون منه المكتبات بأغلى الأثمان ، ويترنمون فى كل مكان بالثناء على الذخائر العربية) [1]

فتأمل النص مرة أخرى ، وقف طويلاً عند عباراته : (إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم الأدب العربى فاحتقروا اللاتينية ... الجيل الناشىء من الأذكياء .

حينئذ ستعرف أن اللغة العربية هى لغة المتذوقين الأذكياء ، ثم تأمل الدعوة اليوم إلى اللاتينية لتدرك الفرق .

قال ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره قوله تعالى : (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) :[2]

(وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها ، وأكثرها تأدية للمعانى التى تقوم بالنفوس ، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة

١- الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام . بحث د. على محمود صـ ١١٨.

٢- يوسف ٢.

أشرف الملائكة ، وكان ذلك فى أشرف بقاع الأرض ، وابتدىء إنزاله فى أشرف شهور السنة وهو رمضان ، فكمل من كل الوجوه) [1]

رابعاً : أقوال المنصفين .

يقول تيودور نيلدكه :

(إن معرفة الشعر العربى تحتاج إلى معرفة بدقائق اللغة العربية ، والاستعمال الشعرى، لايستطيع اكتسابها أى أجنبى ، وما أبعدنا عن إدراك أدق الفروق فى الاستعمال اللغوى العربى القديم) [2]

فهذا المستشرق يعلن بصراحة متناهية أن نزول من لايعرف السباحة إلى البحر خطأ جسيم يقود إلى خطر عظيم ، ويبين أن هذا هو شأن من يخوض فى الحديث عن اللغة العربية ، ويقدح فيها ، وهو جاهل بها ومن غير أهلها .

١- تفسير ابن كثير ٢/ ٥٠١.

٢- مناهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية . مكتب التربية العربى لدول الخليج . بحث د. محمد مصطفى هدارة ١/٤٣٠.

المبحث الخامس : شبهة القول بانتشار الإسلام بالسيف

هذه الشبهة تكتسب خطورتها من أمرين :

أولهما : استغلالها كره الإنسان - المجبول عليه - للعنف ، ونفرته منه .

وثانيهما : أنه ليس كل المتلقين من المسلمين - ناهيك عن غيرهم - على علم بثوابت دين الإسلام ، وحقائق الواقع ليمكنهم تمييز الجيد من الردىء من الأقوال والادعاءات .

المطلب الأول : علاقة الشبهة بعالمية الدعوة الإسلامية

الإسلام دين عالمى ودعوته دعوة عالمية ، ولهذا فقد انتشر الإسلام فى كثير من بلدان العالم فى وقت قصير جدا قياساً بعمر الدعوات .

فإذا كان الإسلام قد انتشر وتحقق صدق عالميته فلابد للشانئين والمرجفين أن يبحثوا عن وسيلة لهدم هذه العالمية التى بنت صرحها الشامخ الفتوحات الإسلامية .

فلم يكن غير الادعاء بأن انتشار الإسلام كان بقوة السيف لابرغبة المدعوين ؛ وأنه دين متسلط ، وأهله متوحشون ، فهو دين لايستحق أن يتبع ، وهم لايستحقون وصف الفاتحين ؛ لأن الفاتحين بزعم المرجفين - وحاشاهم - غزاة فحسب .

وفى ضوء هذا تظهر بجلاء علاقة هذه الشبهة بعالمية الدعوة الإسلامية ؛ فإنه إذا كانت عالمية الدعوة الإسلامية بهذه الصفة التى صوَّرها الحاقدون المفترون ؛ فلا حاجة للناس بها ، وهى تسلط وعنف ووحشية !

ومن المناسب هنا أن أنوّه إلى أن نفى انتشار الإسلام بالسيف ، والوحشية ؛ لايجوز أن ينتهى إلى نفى وسيلة القوة عن الدعوة الإسلامية ، بل هو دين القوة حقاً ، أعنى : القوة التى تستخدم فى موضعها ، وتدور فى فلك ضوابط الإسلام وقواعده العامة التى لايجوز إلغاؤها ، أو تجاهلها ، أو انتقاصها ، فهى ليست قوة الوحشية (وليست القوة المعتدية الأثيمة ، وإنما هى القوة الحارسة الرحيمة ، القوة التى تسيطر على الجوارح فلا

تتحرك لاقتراف إثم ، ولاتدفع الغرائز لارتكاب الشهوات المحرمة ، وإنما هى القوة التى تكبح جماح الشر ، والرغبة فيه ، فهى قوّةٌ خيِّرةٌ طيبة ، أما اتهام الإسلام بانه انتشر بالسيف فكذب محض يدحضه واقع الإسلام نفسه... فأى سيف نَشَرَ الإسلام فى أفريقيا ؟ بل أى سيف نشر الإسلام فى فرنسا ، وفى بريطانيا ، وفى أمريكا ؟

لاسيف ، وإنما هو العدل والحق والفضيلة والخير والسماحة فى الإسلام هى التى تنشره فى جميع الطبقات) (١)

وتتجلى علاقة هذه الشبهة بعالمية الدعوة الإسلامية واضحة عند التأمل فى شواهد خوف الغرب من انتشار الإسلام ، وحكمه للعالَم ، ومن هذه الشواهد :

(هناك كتاب مدرسى يدرس فى المدارس الثانوية يصف الإسلام كمايلى :

لقد أنشأه رجل غنى من جزيرة العرب يدعى محمد فادعى أنه نبى ، ووجد له أتباعاً من العرب الآخرين ، فأخبرهم أن الله قد اختارهم ليحكموا العالَم) (٢)

المطلب الثانى : صور الشبهة والرد عليها .

١ = صور الشبهة

جاءت هذه الشبهة فى كتابات المستشرقين والمستغربين فى عدة صور :

قالوا : إن محمداً ﷺ وأصحابه أخذوا – ابتداء – السيف فى يد والمصحف فى اليد الأخرى ، وأرغموا الناس على قبول المصحف خوفاً من السيف .

---

١ ـ هل انتشر الإسلام بالسيف – أحمد عبدالغفور عطار – مجلة الحرس الوطنى س ١ع٤ربيع الثانى ١٤٠١هـ صـ٩٦و٩٧.

٢ ـ الجذور التأريخية لتشويه صورة المسلمين . محمد أمين / مجلة الحرس الوطنى س١ع٤صـ١٣٨.

وصوروا اليد التى تمسك بالسيف أطول وأبطش من تلك التى تمسك بالمصحف .

ثم أرجعوا انتصارات قادة المسلمين إلى تفكك الدول المفتوحة ، ولاسيما فى المجال السياسى والعسكرى ، وإلى الأحوال السيئة - اجتماعية واقتصادية ودينية وغيرها - لشعوب البلاد المفتوحة ؛ بغرض التقليل من شأن تعاليم الإسلام ومبادئه ودعوته .

وقالوا : إن الإسلام دين العنف ، وأنه حريص على إهانة شعوب البلاد المفتوحة ؛ لعلهم يصلون إلى مبتغاهم وهو تنفير المدعوين من الدعوة الإسلامية ، وكبح جماح انتشارها الذى بثّ الرعب فى قلوبهم ، وأفسد عليهم عيشهم .

٢ = الرد على الشبهة .

من المسلم به أن الفتوحات الإسلامية الرائدة هى محل فخر المسلمين جميعاً ، وهى المورد الذى ينهل منه الناشئون حب الإسلام والفخر به ، فإذا شوه هذا المحل العالى فى نفوس المسلمين ؛ فماذا يبقى لهم من الإسلام ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال يجب أن تقودنا إلى نقد تلك الشبهة ، لنكشف زيفها وبطلان أساسها ، ولنحفظ محبة الإسلام ، ومحبة رموز الإسلام من علماء ، وقادة ، وشعائر صحيحة فى نفوس ناشئة المسلمين وكبارهم ، ولكى نقدم الإسلام لمن يجهله كما هى حقائقه وثوابته ، لا كما يصوره خصومه ، والشانئون له .

أولا : دلالة النصوص .

النصوص التى تدل على أن الإسلام انتشر بالحكمة والحسنى ، وأنه لم يستخدم السيف إلا مع المعاندين الذين وقفوا فى وجه عالمية الدعوة الإسلامية ، ومنعوا دين الله أن يبلغ عباد الله ؛ كثيرة جداً ، وصورها متعددة جداً .

غير أنى سأقتصر على آية وحديثين ؛ لأنها الأساس فى هذا الباب ، ولأنها توصّل قواعد عامة فى مبادىء الجهاد الإسلامى ، وغيرها - وهو كثير - يصل إلى ذات الهدف :

١ = قال سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ (١)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (لاإكراه في الدين : أي : لاتكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بيّنٌ واضح جليٌّ دلائله ، وبراهينه ، لايحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للإسلام ، وشرح صدره ، ونوّر بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لايفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً) (٢)

وعلى هذا فإنه لايجوز أن يكره أحد على الدخول في الإسلام ، ولكن هذا حكم ، ومن عاند الدعوة الإسلامية ومنع نور الله أن يصل إلى عباده فله حكم آخر .

ولو ترك الحبل على الغارب لمن شاء أن يمنع تبليغ دين الله لكان ذلك انتقاصاً من شأن الإسلام ، وقد قيل : (حق لاتسنده قوة أوهَى من باطل)

ولايعني هذا ضرورة القوة الظالمة ، وإنما المقصود القوة التي تحمي الحق من عبث العابثين، وكيد المغرضين .

والشر والخير في طبع الإنسان . قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (٣)

بل إن الله سبحانه لم يَكِل الناس إلى طبعهم فأرسل الرسل ليوقظوا في الناس فطرة الخير، فإذا حدث التبليغ ، وتمت الحجة ؛ جاء عقاب الله للمعاندين كما هو معلوم من حال الأمم السابقة .

١ـ البقرة ٢٥٦.

٢ـ تفسير ابن كثير - مصدر سابق - ١/٣٢٢.

٣ـ البلد ١٠ .

٢ = روى مسلم رحمه الله في صحيحه :

(كان رسول الله ﷺ إذا أمَّرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولاتغلوا ، ولاتغدروا ، ولاتمثلوا ، ولاتقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ماعلى المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولايكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فسلْهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولاذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنْزِلَهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله فإنك لاتدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا) (١)

وهذا الحديث الشريف كافٍ لدحض هذه الشبهة بصورها المختلفة لأنه :

أ = دلَّ على وجوب الدعوة قبل القتال .

ب = وضع قواعد للحرب (الجهاد) مثل النهي عن الغلول ، وعن الغدر ، وعن التمثيل بالخصوم ، وعن قتل الأطفال والنساء ، وغير ذلك ، وهذه القواعد لم تكن معروفة

١- صحيح مسلم بشرح النووي في كتاب الجهاد ١٢/ ٣٧-٤٠.

عند العرب قبل الإسلام ، ولاحتى عند النصارى واليهود ، ودينهم يدعو إلى التسامح .

ج = دلَّ الحديث على رعاية جانب الله وجانب رسوله وتعظيمهما عند القتال ؛ مما ينفى صفة العنف عن الإسلام .

٣ = وروى " البخارى " - رحمه الله - فى صحيحه :

(أن النبى ﷺ بعث معاذاً [١] وأبا موسى الأشعرى[٢] إلى اليمن فقال : يسِّرا ولاتعسِّرا، وبشِّرا ولاتنفِّرا ، وتطاوعا ولاتختلفا) [٣]

وجاء فى صحيح البخارى :

(إن هذه الآية فى القرآن ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٤]

قال فى التوراة:

يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولاغليظ ولاسخاب - وفى رواية صخاب - [٥] بالأسواق ، ولايدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن

١- معاذبن جبل بن عمروبن أوس الأنصارى الخزرجى ، قال عنه ﷺ : أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ . شهد المشاهد كلها ، وروى عن النبى ﷺ عدة أحاديث ، وله فضائل كثيرة ، مات بالطاعون سنة ١٧هـ فى خلافة الصديق رضى الله عنهما . الإصابة ٣/٤٢٦.

٢- عبدالله بن قيس بن سليم ، أبو موسى الأشعرى ، ساكن الرملة ، أحد الحكمين فى صفين ، روى عن ﷺ عددا من الأحاديث ، وولى أعمالاً للنبى ﷺ ولخلفائه ، له فضائل كثيرة ، توفى رضى الله عنه ٤٢هـ على الصحيح . الإصابة ٢/٣٦٠.

٣- البخارى مع الفتح فى كتاب الجهاد٦/١٦٢. وانظر مسلم بشرح النووى فى كتاب الجهاد ١٢/٤١.

٤- الفتح ٨ .

٥- السخب والصخب بمعنى : الصياح ، والصاد والسين يجوز فى كل كلمة فيها خاء . لسان العرب لابن

فضلاً انظر الصفحة التالية= .... ↖

يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ؛ بأن يقولوا : لاإله إلا الله ، فيفتح الله به أعيناً عمياً ، وأذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً) (١)

ودلالة النصوص السابقة على عناية الإسلام بالحكمة والرفق ، ومعرفة النصارى بهذا الأمر من كتابهم لاتحتاج إلى بيان .

ثانياً : دلالة العقل .

من صفات العقل الراشد صحة الاستنتاجات ، والإصابة في معرفة العلاقة بين الشيء ولوازمه ، والربط بين الأسباب والمسببات .

والعقل الراشد فى مجال عالمية الدعوة الإسلامية لابد أن يدرك أن الدين الذى انتشر فى العالم انتشاراً سريعاً ، وسهلاً ، وقوياً ، وبقى مدة طويلة جداً ، وكان عدد الذين حملوا مشعلَه قليلين بالمقارنة مع المدعوين ؛ هو لاشك دين صالح ليكون عالمياً ، وإلا لم يتقبله الناس ، ولاسيما حين يربط هذا العقل بين ذلك كله ، وبين بقاء الإسلام فى بلاد كثيرة رغم الأوضاع السياسية الضعيفة للدولة الإسلامية .

ثالثاً : دلالة الواقع .

دلَّ الواقع دلالة أكيدة وواضحة على فساد هذه الشبهة من خلال عدة شواهد :

١ = ما أكدته الأدلة والوقائع الموثوق بصحتها من حرص المسلمين على الدعوة قبل القتال ، بدءاً من العهد النبوى ثم العهود الراشدة من بعده .

يظهر ذلك من إرساله ﷺ الكتب إلى ملوك ورؤساء الدول الأخرى يدعوهم فيها إلى الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال إذا أبوا الإسلام أو دفع الجزية .

منظور بترتيب الخياط ١١٣/٢.   مادة (صخب) .

١- البخارى مع الفتح فى كتاب التفسير ٥٨٥/٨.

بل دلت الشواهد على أن المسلمين حرصوا على الدعوة حتى أثناء القتال ، كما حدث فى قتال **مسيلمة** وغيره .

وقد ذكرت شيئاً من ذلك عند حديثى عن خصيصة عالمية الدعوة الإسلامية فى مستهل هذا البحث فلا أعيده .

٢ = واقع الأهالى فى البلاد التى فتحها المسلمون ، ونشروا فيها الدعوة الإسلامية ومسارعتهم إلى اعتناق الدين الإسلامى بدون قتال فى كثير من الوقائع ، وبشهادة المستشرقين أنفسهم ، بل وفى هذا العصر فى بلاد لم يفتحها المسلمون ، وليست لهم فيها غلبة ، مثل : أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها .

٣ = واقع البلاد المفتوحة ، وما نقله التأريخ الصحيح عن وقائع الفتح الإسلامى بواسطة المؤرخين الثقات ، بل وبواسطة المستشرقين أنفسهم .

٤ = واقع الجيش الفاتح مقارنة بالبلاد المفتوحة ؛ فلقد كانت الجيوش الإسلامية صغيرة مقارنة بجيوش البلاد المفتوحة ، وإنما يتسلط ويقسو من يجد فى نفسه تفوقاً عددياً ومعنوياً ظاهراً .

٥ = أكدت وقائع التأريخ الإسلامى فى العهود الراشدة أن المسلمين فى فتوحاتهم التزموا التزاماً قوياً بـ (القواعد الإسلامية فى الحرب وهى :

أ = إعلان الحرب ، فالإسلام لايبدأ بالحرب إلا بعد الإنذار والدعوة إلى الإسلام .

ب = الرأفة فى الحرب ؛ فالإسلام يتبع الرأفة فى الحرب ، والرحمة بالضعفاء ، وينهى عن التنكيل ، والمثلة والتخريب ، وقطع الثمار، وقتل النساء والصبيان ...

ج = الجنوح للسلم وقد ذكر الله هذا فى قوله :

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (١)

د = معاملة الأسرى . وفى هذا يقول تعالى :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ﴾ (٢)

والتزموا بالقواعد الإسلامية فى السلم ومنها :

أ = حسن المعاملة ، فعلاقة المسلمين بغيرهم عند احترام دولتهم ومسالمتها علاقة بر وإحسان ....

ب = الالتزام بالمعاهدات والوفاء بها .

ج = نبذ العهد ، قال تعالى : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (٣)

فللمسلمين أن ينبذوا العهد إذا توقعوا خيانة الآخرين) (٤)

رابعاً : أقوال المنصفين .

من الملاحظ تركيز كثير من المستشرقين وبعض المستغربين على هذه الشبهة عند

١- الأنفال ٦١.

٢- محمد ٤.

٣- الأنفال ٥٨.

٤- نقلتها مختصرة من كتاب " رسالة الإصلاح " للشيخ مناع القطان صـ ٥٨-٦١.

حديثهم عن الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام ، ومع هذا فهناك أقوال كثيرة مـن عـدد من المستشرقين تنفى هذه التهمة عن الإسلام والمسلمين ، وإليك طرفاً منها :

يقول " جورج حنا " (١)

(إن المسلميـن العـرب (٢) لم يعرف عنهم القسوة ، والجور فى معاملتهم للنصارى ، بل كانـوا يتركون لأهل الكتـاب حريـة العبـادة ، وممارسـة طقوسـهم الدينيـة ، مكتفـين بأخذ الجزية منهم) (٣)

فهذا النص اعتراف بأن الإسلام دين التسامح والسلام ، لادين الوحشـية والعنـف ، كمـا أنه ليس دين الضعف والخور ، بل هو الرغبة فى الانتشار لتبليغ دعوته الصالحة .

يقول " هنرى دى كاسترى " : (٤)

(إن الدين الإسلامى لم ينتشر بالعنف والقوة ، بـل الأقـرب للصـواب أن يقـال : إن كثرة مسالمة المسلمين ، ولـين جانبـهم كانـا سبباً فـى سـقوط المملكـة العربيـة - يقصـد الإسلامية - ومن المظنون أن المسلمين لو عاملوا الأندلسـيين مثـل مـافعل النصـارى بـالأمم الساكسونية لأخلدت إلى الإسلام واستقرت عليه) (٥)

١- جورج حنا : طبيب نساء لبنانى تخرج من الجامعة الأمريكية له ٢٨ كتاباً مطبوعاً ومنها: من الاحتلال إلى الاستقلال، والجديد فى الواقع العربى، عاش فى المدة من ١٨٩٣- ١٩٦٩م . الأعلام للزركلى٢/١٤٥.

٢- النزعة القومية فى فكر الكاتب هى التى دفعته إلى هذه التسمية " المسلمين العرب" !

٣- قصة الإنسان لجورج حنا صـ ٨٩.

٤- الكونت هنرى دى كاسترى مقدم فى الجيش الفرنسى ، له عدة كتب ، منها : مصـادر غير منشورة عن تأريخ المغرب و الأشراف السعديون ، والإسلام خواطر وسوانح .عاش بين ١٨٥٠-١٩٢٧م . قـالوا عن الإسلام . د. خليل صـ ٦١.

٥- الإسلام خواطر وسوانح لـ " كاسترى " ترجمة أحمد زغلول صـ ٨٦.

وكلام هذا المستشرق خطير جداً ، وإن كنت لاأوافقه فيما انتهى إليه من نتيجة فيما لو لجأ المسلمون إلى القسوة مع الأندلسيين ، ولكنه اتجه اتجاهاً مخالفاً لأنداده .

ويقول " روجيه جارودى " : (١)

(إن مايطلقون عليه اسم " غزو أسبانيا " لم يكن غزواً عسكرياً ، لقد كان عدد سكان أسبانية فى ذلك الحين زهاء عشرة ملاتين نسمة ، ولم يزد عدد الفرسان العرب فى الأراضى الأسبانية البتة على سبعين ألفاً ، وإنما لعب التفوق الحضارى دوراً – أى أثراً – حاسماً) (٢)

فى هذا النص دليل دامغ على خطأ دعوى عنف الإسلام ، ويتضح هذا الدليل من المقارنة بين عدد الجيش الإسلامى الفاتح ، وعدد سكان البلاد المفتوحة ، حيث يظهر الفارق الكبير الواضح ، مما ينفى دعوى انتشار الإسلام بالسيف والعنف .

ويقول " غوستاف لوبون " :

(إن القوة لم تكن عاملاً فى انتشار القرآن ، فقد ترك العربُ المغلوبين أحراراً فى أديانهم ، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوامُ النصرانيةُ الإسلامَ واتخذوا العربية لغة لهم ؛ فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين ، ولما كان

١- روجيه جارودى : مستشرق ومفكر فرنسى معاصر ، وأحد كبار الحزب الشيوعى الفرنسى سابقاً أظهر إسلامه وسمى نفسه رجاء جارودى ، له عدد من المؤلفات منها : حوار الحضارات ومنعطف الاشتراكية الكبير ، والبديل ، وواقعية بلا ضفاف ووعود الإسلام . قالوا عن الإسلام د. خليل هامش صـ ٢١٤. ومناهج المستشرقين . مكتب التربية العربى . ٢٧٨/٢..

٢- حوار الحضارات لجارودى . صـ٩٧. ترجمة عادل العوا ،

الإسلام عليه من السهولة التى لم يعرفوها من قبل) [1]

فهذا المستشرق يقرر حقيقة جلية هى أن العدل سبب من أسباب انتشار الإسلام ، أى أن طبيعة الإسلام وتعاليمه السهلة ، الموافقة للفطر المستقيمة ، لهما تأثير قوى فى نفوس المدعوين .

وفى النص رد على دعوى سابقة ، وهو أن المدعوين اتخذوا اللغة العربية لغة لهـم ، وهـذا ينفى دعوى صعوبة اللغة العربية ، وعدم ملاءمتها للعصر ، وإلا لم يتخذها أولئك لغة لهم .

ويقول " أميل درمنغم " : [2]

(لم يشـرع الجهـاد لهدايـة النـاس بالسـيف ؛ ففـى القـرآن ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[3] والقــرآن يـأمر المسـلمين بـالاعتدال وبـألا يبـدأوا بـالاعتداء) [4]

ويقول " بشير أحمد شاد " : [5]

(السـوال الـذى كـان يقلقنـى هـو أننـا نحـن النصـارى نزعـم أن الإسـلام انتشـر

١- حضارة العرب لغوستاف لوبون . ترجمة عادل زعيتر ط٣ . القاهرة ١٩٥٦م .صـ ١٢٧.

٢- درمنغم : مستشرق فرنسى عمل مديراً لمكتبة الجزائر ، له " حياة محمد " طبع ١٩٢٩م و" محمد والسنة الإسلامية " وله عدد من البحوث فى عدد من المجلات . ويوصف بأنه من المنصفين . قالوا عن الإسلام د. خليل هامش صـ ٦٠ ومناهج المستشرقين ١/١٣٠.

٣- البقرة ٢٥٦.

٤- حياة محمد لدرمنغم ، ترجمة عادل زعيتر صـ ١٩٦.

٥- بشير شاد : ولدعام ١٩٢٨م لأسرة نصرانية هندية ، وعمل منصراً فى لاهور ثم أعلن إسلامه ١٩٦٨م . قالوا عن الإسلام د. خليل هامش صـ ٦٠ .

بحد السيف فقلت لنفسى : فلماذا تَقَبَّلَ الناسُ الإسلام ، ولايزالون يعتنقونه فى كل ركن من العالم ؟

لماذا يهتدى الناس فى كل بلد إلى هذا الدين كل يوم دون إكراه أو جبر من أى نوع ؟) [1]

إن هذين المستشرقين ينفيان نفياً قاطعاً شبهة انتشار الإسلام بالسيف فحسب ؛ لأن طبيعة الإسلام تدعو إلى الاعتدال ، والدعوة قبل القتال ، ولأن واقع البلاد المفتوحة ، وإقبال أهلها على الإسلام يؤكدان قبول الناس للإسلام ، بدون حاجة للعنف .

ويقول " روم لاندو " :

(فى عصر كان السلب والنهب هو القاعدة التى يتبعها كل جيش منتصر لدن دخوله مدينة " ما " يبدو العهد الذى أعطاه " **خالد بن الوليد** (رضى الله عنه) لأهل دمشق إنسانياً إلى أبعد الحدود ، ومعتدلاً إلى أبعد الحدود .

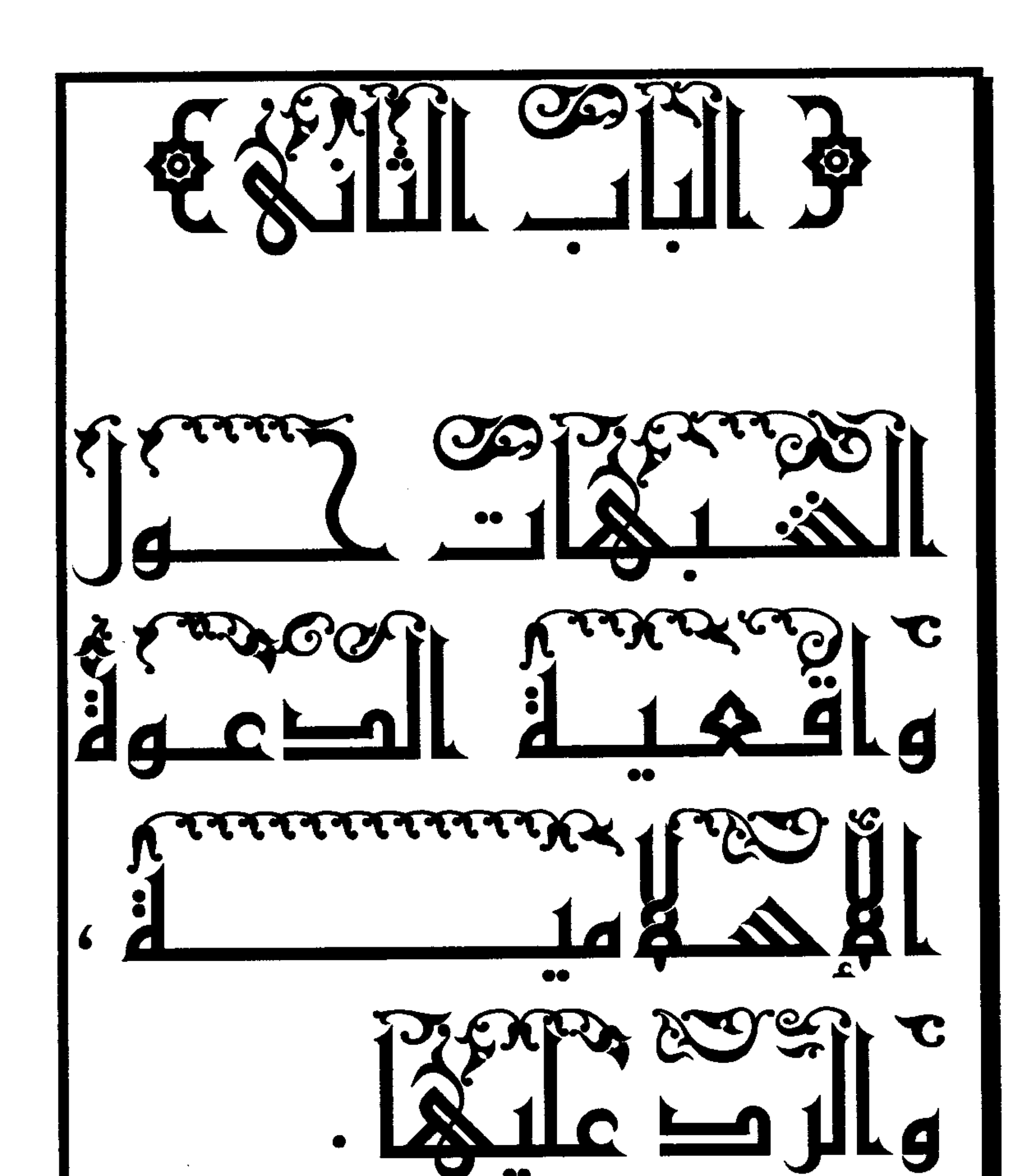
ويبدو جلياً فى الواقع أن الكتائب العربية (المسلمة) اعتبرت (عدَّت) نفسها محررة للشعب المضطهد ، وحاملة رسالة الإسلام إليه فى آن معا ، وقد اتخذ من شروط الاستسلام هذه نموذجاً احتذى فيما بعد عند فتح المدن السورية والفلسطينية الأخرى) [2]

إن الحق يسطع ، وإن حاول المبطلون إخفاءه ، فهذا المستشرق يعترف بشاهد من شواهد الحق ، وهو سماحة الإسلام ، ويدلل عليه بالعهود التى أعطاها القادة المسلمون أهل البلاد المفتوحة .

١- رجال ونساء أسلموا " لعرفات العشى ٧ / ١٧ - ١٨

٢- الإسلام والعرب للاندو ترجمة منير بعلبكى صـ ٦٠.

لقد حاولت عند نقل كتابات المنصفين أن أؤكد على ماذكرته فى المطلب السابق من شواهد تؤكد أن الواقع يدحض دعوى انتشار الإسلام بالسيف فحسب أو أن الإسلام دين العنف .


الباب الثاني
الشبهات حول
واقعية الدعوة
الإسلامية،
والرد عليها.

(تمهيد)

يشتمل هذا الباب على أربعة فصول . هى على النحو التالى :

الفصل الأول :

كتابات المستشرقين والمستغربين حول واقعية الدعوة .

الفصل الثانى :

الجذور التاريخية للتشكيك فى واقعية الدعوة .

الفصل الثالث :

الوسائل المستخدمة لإثارة تلك الشبهات .

الفصل الرابع :

الرد على تلك الشبهات .



كتابات المستشرقين والمستغربين حول واقعية الدعوة الإسلامية .

(كتابات المستشرقين والمستغربين حول واقعية الدعوة الإسلامية)

تمهيد :

سبق أن بينت فى الباب السابق عند الحديث عن كتابات المستشرقين والمستغربين حول عالمية الدعوة الإسلامية أنه لكى تتضح ملامح تلك الكتابات ، وليمكن تصنيفها ؛ كان لابد من بيان الأطر العامة لها ، ليسهل بعد ذلك معرفة مسبباتها وأهدافها ، ووسائلها ، وآثارها ، فكذلك الحال هنا .

الأطر العامة للشبهات المثارة حول واقعية الدعوة الإسلامية

بعد تأملى فى كتابات المستشرقين والمستغربين عن واقعية الدعوة الإسلامية ، ومراجعة ماروجوه حولها من شبهات ؛ رأيت أن الضرورة ملجئة إلى تصنيف تلك الشبهات بعد جمع مادتها ، ودراسة محاورها المشتركة ، وموضوعاتها المتكررة ؛ تلافياً للتكرار وحذاراً من سأم القارىء لها ، وذهاب متابعته لها .

فتبين لى أن هناك أطراً عامةً لتلك الكتابات يمكن جعلها محاور للحديث عنها ، وعرضها ، ومناقشتها ، وفق ماظهر لى من اجتهاد ، كما فعلت عند استعراض كتابات المستشرقين والمستغربين حول عالمية الدعوة الإسلامية .

أذكرها هنا مجتمعةً ، ثم أزيدها إيضاحاً وبياناً بحسب مناسبة الفصل ، أو المبحث ، أو المطلب ، وذلك عند استعراض الشبهات المُثَارة ، والجذور التأريخية لها ، وأساليب التشكيك فى واقعية الدعوة الإسلامية .

وقد اقتصرت على أهم ماورد فى ذلك كله من كتابات المستشرقين والمستغربين ، مع التركيز على نوع الكتابة ، وهدفها ، وقوة علاقتها بواقعية الدعوة الإسلامية ، دون

إطالة تتسبب فى تكرار الشبهة الواحدة ، أو الإعادة المملة .

فجاء المطلوب على النحو التالى :

(المحورالأول : التشويه)

فقالوا : إن الإسلام دين حيوانى ، يدعو إلى تعدد الزوجات ، وإلى الجنس .

(المحورالثانى : الدعوة إلى البديل)

١ - فقالوا : إن الإسلام دين مثالى خيالى لايراعى حال المدعو .

٢ - وقالوا : إن الإسلام دين جامد لايفى بمتطلبات العصر ، فهو يلزم المرأة بقيود تشكل عبئاً ثقيلاً عليها ، وتحرمها من حريتها ؛ فيتعطل نصف المجتمع !

وحينئذٍ فلابد من بديل ، والبديل الغربى الداعى إلى التحرر هو البديل المناسب عندهم .

(المحورالثالث : الطعن)

فقالوا : إن الإسلام يصادم الواقع لأنه : دين العنف ، حيث تقطع يد السارق ، ويرجم الزانى ، ويجلد السكران ، ويقتل القاتل ، وهو يظلم المرأة بحرمانها من كثير من حقوقها كالمساواة فى الميراث بالرجل .

المبحث الأول ﴿ التشويه ﴾

قالوا بأن الإسلام دين حيوانى ، يدعو إلى الجنس ، يريدون الوصول بقناعة المتلقى إلى أن الإسلام لايصلح أن يكون ديناً عالمياً يقود البشرية ؛ لأنـه ديـن لايراعـى حـال المدعـو ، ودين هذه صفته ، هو دين غير واقعى ، فلايصلح أن يكون عالمياً .

وأظهر صور هذه الشبهة تشويه كثـير مـن المستشـرقين والمستغربين المبـدأ الإسـلامى الهادف ، وهو : إباحة تعدد الزوجات . بل ووصل بهـم الأمـر إلى تشـويه سـيرة النبـى ﷺ للتدليل على حيوانية الإسلام المزعومة .

وسأورد هنا أمثلة من كتابات المستشرقين والمستغربين حول هذه الشبهة .

١ = يقول "قاسم أمين" فى كتابه (المرأة الجديدة) [١] :

(بدهى أن تعدد الزوجات احتقار شديد للمرأة ؛ مثل الديك الواحد الذى يعيش بين العشرات من الدجاج فيرتقى مُرْتَقَى الحيوان)

فهذا الكاتب يريد تشويه سنة إسـلامية لهـا مبرراتهـا وظروفهـا ؛ لأنهـا تراعـى حـال الإنسان ، فتتيح له إفراغ غرائزه فى سبيل مباح ، بينما يريد هذا الكاتب وأمثالـه أن تفـرغ فى سبيل حرام ، متشدقين بدعوى الحرية الجنسية .

فأين الحيوانية إذاً ، أفى مبدأ مضبوط بضوابط تحجزه عن الظلم والفساد أم فى حريـة جنسية لاتحجزها حدود ، ولايوقفها وازع ؟

١- قاسم محمد أمين كردى الأصل ، عاش بين ١٨٦٣-١٩٠٨م ، ولد بمصر ودرس الحقوق بفرنسا، لـه عدة كتب ، أشهرها " تحرير المرأة " الأعلام للزركلى ١٨٤/٥. وكتابه " المرأة الجديدة " نشر دار العلم للملايين فى بيروت .

٢ = ويقول " إجناس جولدتسيهر " [١] :

(تعدد الزوجات دليل على طغيان ميوله الجنسيه (ﷺ) ، وأنه لو كان نبياً حقاً لشغله أمر النبوة عن النساء ولذا فهو (ﷺ) يقول :

" حبب إلى من دنياكم الطيب و النساء ") [٢]

فهذا المستشرق سعى إلى بذر شبهة " حيوانية الإسلام " وزعم حيوانية النبى ﷺ مستدلاً بتعدد زوجاته ، وأورد جزءاً من حديث يدل ظاهره القريب على تأييد شبهته - بزعمه - وترك الجزء الذى يدينه .

٣ = ألف " جورج بوسكى " [٣] كتاباً ، أسماه (" قِيَم الإسلام

١- العقيدة والشريعة فى الإسلام لجولدتسيهر ، ترجمه إلى العربية : محمد يوسف موسى وآخرون صـ ١٠-٢٠.

٢- تكملة الحديث (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) إلا أن هذا المستشرق الخبيث أعرض عن بقية الحديث واكتفى بما ابتسره منه ليؤيد شبهته ، وهو يفعل ذلك مع أنه مثل أضرابه من المستشرقين يباهون كثيراً بدعوى البحث العلمى المجرد ! ونص الحديث عند الإمام النسائى (عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : حبب إلىّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وفى رواية : حبب إلىّ النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة . سنن النسائى بشرح الإمام الحافظ السيوطى وحاشية الإمام السندى بتحقيق عبدالفتاح أبو غدة . قال فى المشكاة : (وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : حبب إلى الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة . رواه أحمد والنسائى ، قال الألبانى : وإسناده حسن ، قال فى المشكاة : وزاد ابن الجوزى بعد قوله : " حبب إلى " : (من الدنيا) قال الشيخ الألبانى : بل هى زيادة ثابتة عند أحمد والنسائى فى رواية ، وقد اشتهرت على الألسنة زيادة أخرى وهى (ثلاث) ولاأصل لها فى شىء من طرق الحديث بل هى مفسدة للمعنى كما لايخفى . مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى ، بتحقيق الشيخ الألبانى . كتاب الرقاق - ٣/١٤٤٨.

٣- G.H . BOSQUET مستشرق فرنسى غزير الإنتاج ، عمل فى كلية الحقوق فى الجزائر ، وهو متعصب ضد الإسلام . له كتاب المواريث من صحيح البخارى بالاشتراك مع آخر ط١٩٣٣م والزواج المشروط ط١٩٣٤ م ومختصر الفقه الإسلامى ط١٩٣٥م ، وله كتب ومقالات كثيرة جدا ، انظر : مستشرقون .

فضلاً انظر الصفحة التالية= .... ↖

الجنسـية "

وهـو كتـاب تداولـه القـراء طيلـة ثلـث قـرن ، ونشـر تحـت إشـراف أكـبر أسـاتذة الغـرب ، ونقـل إلى الإنجليزيـة والأسـبانية والهولنديـة ، وأصبـح المدخـل المفضَّـل إن لم يكـن الوحيـد إلى قضيـة شائكـة ، معقـدة ، صعبـة ، تتعلـق بـأخص خصـائص حيـاة المسـلمين ، والتـى لايمكـن لأى أجنبـى - عـن الإسـلام - أن يطلـع عليهـا إلا بالممارسة الطويلة ، والبحث المستفيض؛ ألا وهى : قضية (الحيـاة الجنسـية) .

إلا أن المؤلف يدعى سعة الاطلاع والمعرفة ، مستغلاً ماتوصَّل إليه من دراسة بعض أمهات كتب الفقه الإسلامى ، فأصبح ينظر إليه وكأنه الخبير الاختصاصى العالمى للفقه الإسلامى .

ولا تكـاد تجـد باحثـاً غربيـاً أو مسـلماً يتطـرق إلـى هـذا الموضـوع دون أن يستند إلـى هـذا الكتـاب ، غير متفطن دائماً إلى ما اختبأ فى طياتـه مـن خرافـات عـن بطش المسلمين الجنسـى ، وعنفهـم الشـهوانى ، وانسـياقهم للـذة ، واندفـاعهم فـى طلبهـا ، وعدم سيطـرتهم على أنفسـهم ، فيستعصى عليهـم التقيـد بالـمبـادىء والأخـلاق ، ويُرْجِـع الـمؤلف كـل ذلـك إلـى الفقـه الإسـلامى ، وإلـى تـعـاليـمـه) [(١)]

فهذا الكتاب تناول بالبحث ، والاجتهاد موضوع : " الحياة الجنسية " فى الإسـلام ، وهو موضوع بحثه الفقهاء المسلمون المتخصصون . وجاء هذا المستشـرق ليشوه الحقـائق ، ويزرع الأغاليط ؛ ليمكنه بعد ذلك القول : إن الإسـلام ليس الدين الواقعى المروم لكل الناس .

نذير حمدان صـ ١٢٠، ومستشرقون . نجيب العقيقى ٣١١/١و٣١٣ .

١- الحياة الإجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشـرقين . د. عبدالوهـاب أبـو حديبـة . منـاهج المستشرقين . مكتب التربية العربى لدول الخليج ١٤٠/٢ .

٤ = مما جاء فى كتاب (الروح الإسلامية) لـ " ريمون شارل "[١]:

(إن المرأة التى تضجر من غزارة زوجها الجنسية بإمكانها أن تستنجد بالقاضى الذى سيتولى ضبط عدد المواقعات ، ويمكن للمرأة أن تطالب بالطلاق إذا تجاوز زوجها ذلك الحد ...

وإن بحرد وجود هذه الإمكانية للرجوع إلى القاضى لشاهد واضح على استهتار الشعوب الإسلامية بكل ما يتعلق بالشهوات التى يراعونها دون حياء)[٢]

فهذا المستشرق يصوِّر المسلم حيوانى الغريزة ، لاهمَّ له إلا إشباع غريزته تلك ، ولو وصل ذلك به إلى الاستهتار ، وعدم الحياء ، ولم يدرك أن الحياء فى الإسلام شعبة من شعب الإيمان !

٥ = وقد أكثر المستشرقون ، والمستغربون من إيراد قصة زواج النبى ﷺ بزينب بنت جحش رضى الله عنها[٣] ، فقالوا إنه رآها عارية فأعجبته فتزوجها ، وقالوا : إن زواجه ﷺ منها من قبيل سفاح الأقارب ، وممن أورد

١- ريمون شارل ، مستشرق فرنسى ، ومستشار للحكومة الفرنسية ، وكتب بلا انقطاع لمدة ثلاثين سنة ، ودرّس فى الجامعات ، وله كتاب (الروح الإسلامية) وكتاب : أنا مسلم (I am muslmane) صدرا فى باريس عامى ١٩٥٨و١٩٥٦م . انظر بحث (الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين) د. أبو حديبة المنشور ضمن إصدار مكتب التربية العربى لدول الخليج (مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية) ٢/ ١٤٦.

٢- الروح الإسلامية لريمون شارل صـ ٢٢٨-٢٣٠.

٣ - أم المؤمنين زينب بنت جحش الأسدية ، ابنة عمة النبى ﷺ ، وبسببها نزلت آية الحجاب ، توفيت رضى الله عنها سنة ٢٠ هـ ، وكانت أولى زوجاته ﷺ لحاقاً به . الإصابة ٣١٣/٤.

هذه الشبهة :

أ = " **جوستاف لوبون** " فى كتابه (حضارة العرب) فقال :

(وضعف **محمد** (ﷺ) حبه الطارىء للنساء ، وأطلق العنان لهذا الحب ، حتى إنه رأى اتفاقاً زوجة ابنه المتبنّى ، وهى عارية ، فوقع فى قلبه منها شىء فسرّحها بعلها ليتزوجها **محمد**)[١]

ب = وقال " **اميل درمنغم** " فى كتابه (حياة محمد) :

(شعر **محمد** فى العقد الأخير من عمره بميل شديد للنساء) [٢]

ج = نقلت " **بنت الشاطىء** " [٣] الروايات الضعيفة التى زعمت رؤيته ﷺ أم المؤمنين **زينب بنت جحش** فى صورة " ما " ثم إعجابه بها ، فزواجه منها رضى الله عنها [٤] ثم قالت بعد ذلك :

تلك قصة زينب نقلناها من تأريخ الطبرى [٥] ، وكتب السيرة والصحابة، لم نكد

١- حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر صـ ١١١و١١٢.

٢- حياة محمد لدرمنغم – مصدر سابق – صـ٢٩٩و٣٠٠.

٣- عائشة بنت عبدالرحمن مؤلفة مصرية مشهورة ولدت عام ١٩١٢م ، عضو فى عدد من الهيئات العلمية ومن الفائزات بجائزة الملك فيصل لعام ١٤١٤هـ . انظر : مجلة الفيصل ع ٢٠٨ شوال ١٤١٤هـ .

٤- انظر تفصيل ذلك فى كتاب الدكتورة بنت الشاطىء (تراجم سيدات بيت النبوة)

٥ ـ محمد بن جرير الطبرى الإمام المؤرخ المفسر ، أبو جعفر ، صاحب التصانيف المشهورة ، توفى رحمه الله سنة ٣١٠ هـ . الأعلام ٦٩/٦.

نتصرف فيها بكلمة ، ولست أدرى ما الذى أنكره " الدكتورهيكل "[1] منها حتى اندفع يردُّها إلى مفتريات المستشرقين والمبشرين (المنصرين) " الذين أضفوا عليها من أستار الخيال ، حتى جعلوها قصة غرام ووله "

ثم يقول - الكلام لبنت الشاطىء والقائل هو هيكل - : " ويكفى لهدم كل القصة من أساسها أن تعلم أن زينب بنت جحش هذه هى ابنة عمة رسول الله ﷺ ، وأنها ربيت بعينه وعنايته ، وأنه كان يعرفها أهى ذات مفاتن أم لا قبل أن تتزوج زيداً " ...[2]

وما أنبله من ردٍّ لولا أن قصة إعجاب الرسول ﷺ بزينب بنت جحش وحكاية الستر من الشعر الذى رفعته الريح ، وانصراف الرسول ﷺ عن بيت "زيد " وهو يقول : سبحان الله مقلب القلوب قد كتبت قبل أن تسمع الدنيا بالحروب الصليبية ، بأقلام نفر من مؤرخى الإسلام ورواة السيرة لايرقى إليهم اتهام بعداء النبى ﷺ والدس على الإسلام [3]

ويلاحظ أن الدكتور هيكل لم يدَّعِ أن المستشرقين اخترعوا سبب قصة زواجه ﷺ من زينب ؛ لأن المقرر أن المستشرقين عمدوا إلى الاستدلال بالروايات

١- د. محمد حسين هيكل . كاتب صحفى ، مؤرخ من أعضاء المجمع اللغوى عاش بين ١٨٨٨-١٩٥٦م ، عضو فى مجمع اللغة بمصر ، له عدة كتب . الأعلام للزركلى ١٠٧/٦.

٢ - زيد بن حارثة بن شرحيل من كبار الصحابة ، اختطف صغيراً ، واشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة رضى الله عنها ، فأهدته للنبى ﷺ ، وكان يحبه حباً شديداً ، وزوجه بنت عمته . الإصابة ٥٦٣/١.

٣- هذا الكلام نقلته من كتاب : تراجم سيدات بيت النبوة لبنت الشاطىء ، نشر دار الكتاب العربى ط١ عام ١٣٨٧هـ من الصفحات ٣٢٦و٣٢٧و٣٢٩ مع بعض التصرف لضرورة الاختصار ، وانظرفى مناقشة كلام د. بنت الشاطىء كلمة كلمة ، كتاب : مع المفسرين والمستشرقين فى زواج النبى ﷺ بزينب بنت جحش د. زاهر الألمعى صـ ٣٧-٤٨.

الضعيفة والمكذوبة ، مثل رواية ابن جرير الطبرى ، التى ضعفها الحفاظ الثقات وكان الأولى - بالنسبة لبنت الشاطىء ، ثم للمستشرقين - الاطلاع على حكم أولئك الحفاظ عليها ، وكذلك فإن ضرورة البحث العلمى تقتضى أخذ الشىء من مظانه ، وكتب الحديث - الموثوقة سنداً ومتناً - ، لاكتب التفسير والتاريخ هى مظان قول النبى ﷺ وفعله .

ثم إن هذه النصوص تدل دلالة واضحة على عدة أمور مهمة جداً :

أولها : حرص المستشرقين على تشويه الإسلام ووصفه بالحيوانية ، وتشويه صورة النبى ﷺ أى القدوة الحسنة فى نفوس المسلمين .

وثانيها : التأثير القوى للفكر الاستشراقى ، وشبهات المستشرقين فى نفوس المسلمين ، كما هو واضح من دفاع بنت الشاطىء عن المستشرقين .

وثالثها : أن دعوى الدافع العلمى المجرد التى يرددها المستشرقون فى كتاباتهم لايمكن التسليم بصحتها فى ظل اعتماد هؤلاء على الروايات الضعيفة ، والمكذوبة ، التى تولاها علماء المسلمين بالنقد والتوضيح لمن رغب فى العلم الصحيح .

٦ = قال أحد المستشارين فى التلفزيون المصرى :

(تعدد الزوجات يكاد يكون محرماً أو يصل إلى درجة المحرم فى القرآن ؛ لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ النساء /٣

وقوله سبحانه: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ النساء /١٢٩)[1]

١- انظر هذه المقالة ونقدها فى : شبهات وانحرافات فى التفكير الإسلامى المعاصر لتوفيق وهبة صـ ١١٠.

إن هـذا النـص يعطينـا فكـرة عامـة عـن تأثـير شـبهات المستشـرقين والمسـتغربين فـى المجتمعات المسلمة ، وهو تأثيرٌ وصـل حـد تفريـغ النصـوص القرآنيـة الكريمـة مـن مدلولاتهـا الصحيحة .

وهذا - فى رأيى - خطر عظيم ، لايصح للدعاة تجاهله ، أو التقاعس عن مواجهته .

المبحث الثانى ﴿ الدعوة إلى البديل ﴾

فقالوا : إن الإسلام دين مثالى خيالى لايراعى حال المدعو ، وقالوا : إن الإسلام دين جامد لايفى بمتطلبات العصر .

أى أن الإسلام ، بما فيه من قيود على الحرية مثل : الحجاب ، وضرورة الاحتشام دين جامد لايصلح لمسايرة العصر الحاضر .

ولأنه يدعو إلى الرغبة فى الآخرة - وإن لم يكن فى هذه الدعوة نسيان نصيب الإنسان من الدنيا - فهو دين مثالى خيالى لايصلح أن يكون ديناً ؛ لكل شخص ، فى كل زمان ومكان .

فهو دين غير واقعى ، وكل دين غير واقعى لا يستحق أن يكون ديناً عالمياً ، يقود البشرية كلها ، فى كل وقت ، ولابد حينئذ من بديل .

ولأن النصرانية بصورتها الراهنة ليست البديل المقبول فإن البديل الغربى ، بما فيه من دعوة للتحرر من كل القيود هو البديل المناسب عندهم .

وهؤلاء ينعتون الإسلام بالصفات المتناقضة ولايستحون من سقم منهجهم ، وتناقض كلامهم ، وعدم بنيانها على أساس متين .

وكان من الممكن أن يُرَدَّ على القائلين بمثالية الإسلام بما ذكره القائلون بحيوانية الإسلام ، والعكس بالعكس ؛ مع عدم تأييد المسلم لأى من الفريقين ، إلا أن ضرورة البيان تتطلب زيادة إيضاح لدحض هذه الشبهات .

وأوضح صور هذه الشبهة هى : الدعوة إلى حرية المرأة المسلمة ، وانفلاتها مما يزعمون أنه قيود تشل حركتها ، وتعطل فعلها ؛ ليلائم مظهرها الواقع المتقدم - بزعمهم - أسوة بالمرأة الكافرة .

١ = سبق أن أوردتُ ماكتبه " جرجى زيدان " عن الجنس وماحاول أن يوحى به إلى القارىء فى قصصه ورواياته التأريخية الكثيرة ، من أن

الجنس ، والمرأة ، والحب ، وما إلى ذلك أوضح دوافع الجهاد الإسلامى بزعمه .[1]

٢ = وعن المثالية المزعومة ، يقول " ريمون شارل " :

(فالقاعدة القانونية هى القرار الإلهى الذى يأتى فى قالب مخابرة تتصل بأعمال البشر، وتتعلق بأفعال الأشخاص المكلفين ، وبكلامهم وبتفكيرهم ، فتؤيد هذا وتستهجن ذاك، أو لاتبالى به ، ثم تحلل هذا وتحرم ذاك ، وتضبط النتائج والمسئوليات .

فالقاعدة لاتصلح إلا إذا عدنا بها إلى الأصول عن طريق المقارنة والاستنباط ، وهكذا فإنه يصبح مستحيلاً على الفقيه أن يأخذ بعين الاعتبار متطلبات الحياة الاجتماعية والاقتصادية إذ لابد له أن يبقى دائماً فى استنتاجاته وفى بنائه ملاصقاً للنص مهما كان تنافره مع حاجيات العصر)[2]

أرأيت كيف جعل هذا المستشرق ضرورات العصر ومتطلباته – على حد تعبيره – مقدمة على النص ؛ ليسهل قود المخاطب إلى مستنقع الانفكاك عن الدين بدعوى عدم ملاءمته مع حاجات العصر !

١- فى الفصل الأول من الباب الأول فى المطلب الثالث (محاولة التشكيك فى الدوافع)

٢- الروح الإسلامية لشارل صـ١٩٤.

٣ = يقول " داريوش شايغان "[١] :

(لم يعد عالم أصحاب الدين مع نظامه المغلق ، وقيمه القروسطية [٢] موجوداً فى أيامنا إلا فى الكتب ، فى الخلايا العقلية ، فى حرم المدن المقدسة .... تُفْرَض على النساء - مثلاً - تقاليدُ بالية ، تجاوزتها عقلياً الكثيرات منهن - على الأقل اللواتى وَعَيْنَ حقوقهن ، وهن كثيرات - نظراً لأن خيالهن تغذى من النماذج التى تصدر عن الحركات النسائية فى العقود الأخيرة ؛ أكثر مما تتغذى من المثل الدينية المستوحاة من فاطمة الزهراء[٣] ابنة النبى (ﷺ)

من هنا فإن الموقف شبه الخانق الذى نلحظه لدى النساء المتطورات ؛ هو موقف بطولى يدهش بشجاعته وعناده الكبير ، مع انصياعهن لأوامر السلطة مؤقتاً) [٤]

إن الخبث يفوح من بين السطور ؛ فالكاتب يسخر من التزام المرأة المسلمة بتعاليم دينها ، ويجعل هذا سبب تأخر المسلمين ، ثم هو - بوقاحة - يملى منهجاً ، وأسلوب عمل لتلتزم به المرأة المتطورة - على حد تعبيره - فيحثها على :

أ = التغذى من النماذج الصادرة عن الحركات النسائية ، وهو يعنى بها دعوات التحرر ، والمساواة ، ونحو ذلك من الدعوات الجوفاء .

١- شايغان : مستشرق فرنسى عاش فى إيران مدة طويلة . انظر مقدمة كتابه : (النفس المبتورة) الآتى ذكره .

٢ ـ يقصد الكاتب بالقروسطية : المثالية الخيالية ، التى تعتمد على القرطاس وتنسى الواقع .

٣- رغم التحفظ على وصف فاطمة رضى الله عنها بالزهراء فإن من الواضح : سخرية الكاتب من صفات المرأة المسلمة فى شخص فاطمة بنت محمد رضى الله عنها .

٤- النفس المبتورة لـ" داريوش شايغان صـ ١١٠-١١١.

ب = التنويه ببطولة وشجاعة الخارجات عن صف المسلمات الملتزمات بدينهن .

ج = يشير إلى ضرورة الانصياع لأوامر السلطة حين تمنع بعض المظاهر المخالفة للدين من النساء المنحرفات ، ولكنه يؤكد على أن هذا الانصياع مؤقت وليس بدائم !

٤ = فإذا تساءل متسائل عن حاجات العصر ، وضروراته ، التى لايلائمها الإسلام ؛ حينئذ سيجد الجواب جلياً فى قول منصِّر حقود هو : " زويمر " الذى قال أثناء الاحتلال الإنجليزى لفلسطين سنة ١٩٣٥م :

(لقد قبضنا أيها الإخوان فى هذه الحقبة من الدهر على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية ، وإنكم أعددتم نشئا فى ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله ، ولايريد أن يعرفها .

وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية (النصرانية) وبالتالى جاء النشء الإسلامى طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحى (النصرانى) لايهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ولايعرف همه فى دنياه إلا فى الشهوات فإن تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات يجود بكل شىء) [١]

إن هذا النص يعطينا صورة واضحة عن مدى الحقد على الإسلام ، الذى يحمله كثير من المستشرقين فى نفوسهم ، كما يوضح لنا بجلاء أن الأهم فى نظر أولئك هو إخراج المسلمين من الإسلام بإفسادهم ، ولو لم يدخلوا فى النصرانية .

٥ = يدعو " الطاهر الحداد " [٢] إلى تحرير المرأة ، ويذكر أن الإسلام

١- أساليب الغزو الفكرى لجريشة والزيبق - مرجع سابق - صـ٦٣.

٢- الطاهر الحداد : مستغرب تونسى ولد عام ١٨٩٩م ، والتحق بجامعة الزيتونة ١٩١١م ، له عدة كتب .

فضلاً انظر الصفحة التالية=.......... ↖

لايعارض هـذا التحرر ، فيقول :

(إن التشريع الإسلامي ترك باب الاجتهاد مفتوحـاً ، لأن سنوات الدعـوة فـي حيـاة الرسول ﷺ لم تكن كافية - في نظره - لاستكمال جميع الأمور) [١]

إن هذا النص يرشدنا إلى أسلوب خبيث من أسـاليب المستشـرقين والمسـتغربين ، وهـو التلاعب بالمصطلحات ، فهذا المستغرب يدعو إلى استغلال مبدأ الاجتهاد ، وهو مبدأ شرعى مقرر في الإسلام ، لإباحة التحرر والعهر ، الخ ... ، متجاهلاً ضوابط هذا المبدأ وشـروطه ، ومن أهمها : أنه لايجوز الاجتهاد مع وجود النص الصحيح .

٦ = أصدر " **محمد بن الخوجه** " [٢] كتابين بعنوان : (الاكثرات مـن حقـوق الإناث) و (اللباب في أحكام الزينة والحجاب)

(نادى في كتابيه بتعليم المرأة تعليماً خاصاً تتحصل به على بعض المعارف الضرورية ، وأوضح أن الإسلام هو دين العلم والمدنية ، وقارن بين المرأة الجزائرية والمرأة الأجنبية وامتدح الأجنبية لما تتمتع به من علم وحرية) [٣]

إن تأثير شبهات المستشرقين حول المـرأة تغلغلـت فـي النفـوس تغلغـلاً بيِّنـاً ، لاينكر ، وأنتجت اتجاهـاً فكرياً هداماً عنـد العـرب والمسـلمين ، ولاسـيما المسـتغربين منهـم ، تمثـل هـذا الاتجـاه الـردىء فـي التنصـل مـن تعـاليم الإسـلام ، والدعـوة إلى تحكيـم الواقع والتـأريخ بديـلاً عنـه .

انظر : المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق . د. مطبقاني صـ ٤٣.

١- امرأتنا أمام الشريعة والمجتمع للطاهر الحداد صـــ ٢٢.

٢- محمد بن الخوجة : جزائرى عاش فى المدة بين ١٨٦٥-١٩١٧م . انظر : المغـرب العربـي بيـن الاستعمار والاستشراق . د. مطبقاني صـ ٤٥.

٣- المصدر السابق صـ٤٥.

٧ = يقول " توفيق الحكيم " [١] :

(المرأة مخلوق تافه ، خلق من ضلع تافه للرجل ، ورغم ذلك سيطرت على الرجال ، والزواج فى رأيى قيد على حرية الرجل ، ويجب أن نبحث عن وسيلة أخرى للارتباط بين الرجل والمرأة غير الزواج) [٢]

إن واقعية الإسلام حفظت للمرأة حقوقها ، وطلبت منها أداء واجباتها ، أما هذا النص ففيه احتقار للمرأة ، يستمد مادته من نظرة جاهلية .

وفيه دلالة على أن المقصود من الهجمة الشرسة هو النيل من واقعية الإسلام ، سواء بدعوى ظلمه للمرأة ، أو بالانتقاص من المرأة نفسها ، والمهم ، بل الأهم هو أن تطرح هذه لباس حشمتها وعفتها ، وهو لباس حرص الإسلام عليه كثيراً .

٨ = أصدرت " هدى شعراوى" [٣] عام ١٩٢٣م مجلة نسائية عنوانها : (المصرية) وخصصتها للدعوة إلى (رفع الحجاب عن المرأة ، ومساواة البنات بالأولاد فى جميع مراحل التعليم حتى الجامعة ، وتقييد تعدد الزوجات ، وتقييد الطلاق ، وإلغاء بيت الطاعة) [٤]

١- توفيق الحكيم : أديب مصرى مشهور ولد عام ١٨٩٨م من أم تركية وأب مصرى ، لم يظهر إنتاجه إلا بعد عودته من باريس ، له مسرحيات وقصص كثيرة منها : عودة الروح ، أهل الكهف . صدرا ١٩٣٣م ، وشهرزاد ١٩٣٤م ، يوميات نائب فى الأرياف ١٩٣٧م . الموسوعة العربية الميسرة صـ٥٥٩.

٢- مجلة صباح الخير المصرية العدد ٩٧٥ الصادرفى ١٩٧٤/٩/١٢م .

٣- هدى سلطان شعراوى ، عاشت بين ١٨٧٩-١٩٤٧م ، وهى أول امرأة عربية بل ومسلمة أعلنت السفور ودعت إليه ، وحضرت عدة مؤتمرات نسوية فى الخارج ، وأسست الاتحاد النسائى المصرى عام ١٩٢٣م . انظر : الأعلام للزركلى ٧٨/٨.

٤- المرأة المسلمة أمام التحديات لأحمد الحصين صـ ٢٩٩.

٩ = تقول د. " نوال السعداوى " [١] :

(أنا شخصياً ضد الحجاب سواء كان بالرأى أو بالعقل ؛ لأن حجاب المرأة يعميها ، ويضعف أخلاقها ، السلاح الحقيقى للمرأة هو : العلم ، ومعرفة الصواب والخطأ ، والفتاة العمياء أو المحجبة هى التى يمكن أن تُخْدَع بسهولة ، أما الفتاة مفتوحة العينين ، الواعية فتستطيع أن تحمى نفسها بنفسها) [٢]

وهنا لابد من التأمل ؛ فالدعوة إلى تحرر المرأة جاءت من المرأة نفسها ، والبديل هو العلم المنفصل عن الدين أى " العلمانية " !

بل إن البديل لم يكن واضحاً عند البعض ، فهذا " غير الحكيم ! " يطلب البحث عن بديل للزواج المشروع دون تسمية أو وصف لهذا البديل ، ولكن المهم ، بل الأهم هو نبذ الدين ، وتعاليمه .

١٠ = كتب " خالد محمد خالد " عن المثالية المزعومة ، والدعوة إلى الاختلاط ، ورفع الحجاب ، والحرية الجنسية عدة مقاطع فى كتابه المسمى : (هذا أو الطوفان) [٣] أورد هنا أمثلة منها على النحو التالى :

أ = (انتهى عهد الخطايا ، ففى وجداننا فكرة قديمة عن التعبير غير السوىّ الذى يكتنف سلوكنا ، فالدين سمَّى أخطاءنا السلوكية ذنوباً وخطايا ، وعلم الأخلاق يسميها رذائل وعيوباً ، وكان هدف الدين والأخلاق ولايزال هو التنفير من هذه الأخطاء ، ولكن

١ـ نوال السعداوى : مصرية ، طبيبة ، وأديبة ، ومستشارة لشؤون التنمية باللجنة الاقتصادية لغرب آسيا . انظر : المرأة المسلمة أمام التحديات للحصين صـ ٣١٠ .

٢ـ المصدر السابق صـ ٣١٠ .

٣ـ هذا أو الطوفان لخالد محمد خالد . نشر مكتبة الأنجلو المصرية ط٣ ١٩٥٤م وأشير إلى أن الطبعة الأولى ظهرت ١٩٥٣م .

الإنسان الذى خلق هلوعاً بالغ فى تصوّر هذه الدلالات ، وسمح لها بأن تكون ثقيلة الوطأة على نفسه ، فلفحت الضمير الإنسانى بشعور طافح بالدونية ، واحتقار لِـلَذّات الإنسان ، وإحساس بالإثم والعار ... وكان علينا أن نثق بالطبيعة الإنسانية فهى وحدها (!) عدّتنا فى النضال ؛ لأن الدعوة إلى تحطيم الغرائز وتسفيه مشيئتها (!) دعوة إلى الخذلان الكامل ، ولقد علّمنا تأريخ الإنسان وتصوّرُ غرائزه وخصاله أن نثق بها - أعنى غرائزنا - ثقة كاملة)[1]

ب = ويقول :

(نستطيع أن نؤكد أن محاولات الاتصال الجنسى غير المشروع تكثر فى المدن الكبرى التى نضرب القاهرة مثالاً لها فى شهر رمضان عنها فى أى شهر آخر .

وهذا الشاهد بليغ الدلالة ؛ فنحن فى ذاك الشهر لانضار الغرائز ، ولانكبتها ، وإنما نصنع فقط يسيراً من القمع ، فكيف إذاً لو كبتناها كبتاً ، ينطوى على تحدٍّ وإقصاء ؟ ...

فهل حدث هذا نتيجة تفريط فى الدين وإنكار له ؟

كلا فما أكثر ما يصلى هؤلاء ويصومون ، ولكنه حدث نتيجة محتومة لجهلهم بحقوق طبيعتهم الإنسانية ، وعجزهم عن مسايرتها ، والتفاعل معها)[2]

ج = ويقول :

(دعونا نبدأ حديثنا عن الاختلاط بقضيتين هما فى حسابنا مفروغ من أمر صدقهما.

القضية الأولى : هى أننا لاننكر نشوء علاقة عاطفية ، وقيام علاقات جنسية من جراء الاختلاط ، ولكن يقابل هذا أن الخطيئة الجنسية تُقْتَرَف كذلك فى المجتمع الانفصالى البعيد

١- هذا أو الطوفان صـ ٥٥ ثم ٩٢ على التوالى .

٢- المصدر السابق صـ ٩٧ ثم ٩٨ على التوالى .

عن الاختلاط .

أما القضية الثانية ، وهى مترتبة على الأولى : فهى احتمال أن تكون الخطايا الجنسية فى المجتمع الانفصالى أقل عدداً منها فى المجتمع الاختلاطى ، ولكنْ يقابل هذا أيضاً أن الخطايا الجنسية المثالية ، أى الشذوذ والانحراف (!!) تُسَجَّل فى المجتمع الانفصالى أرقاماً قياسية عالية ، بحيث يُحْرِزُ فى سباق الجريمة تفوقاً لايطمع المجتمع الاختلاطى فى مثله أبداً ...

فلا بد للإذاعة من أن تؤدى واجبها كاملاً حيال هذا الأمر الجليل ، وتجعل فى أحاديثها وتمثيلياتها نصيباً مفروضاً ، بحيث تساعد الناس على انتزاع أقدامهم الغارقة فى أوحال الحياء الجنسى ، والانحصار النفسى ، وتعرض على أسماعهم مناقشات حرَّة ومهذبة للحياة الجنسية ، التى هى بالنسبة لنا جميعاً طلسمٌ ولغزٌ ومنطقةُ حرامٍ) [1]

فهذا الكاتب يغالط ثوابت لاسبيل إلى نكرانها ، ويقفز على مسلمات لاسبيل إلى القفز عليها ، وينشىء علاقات لايقبل العقل ما توصل إليه فيها .

فمن ذا العاقل الذى يصدِّق أن الصوم سببٌ للفحش والخطيئة ، مع أن المجرَّب عكس ذلك ، والعقل يهدى إلى أن الصوم يفطم الشهوة ؟

ومن ذا الذى يسلِّم بما انتهى إليه من مقارنات بين مايسميه المجتمع الانفصالى ! والمجتمع الاختلاطى ؟

١- هذا أو الطوفان صـ ١٨١ ثم ١٨٨ على التوالى .

ثم : هذا هو الواقع الذى يزعمون أن الإسلام لايلائمه ، والحقيقة أن الإسلام يحارب هذا الواقع بما فيه من الراحة والكسل ، والركض خلف الشهوات ، والارتباط بالدنيا دون تطلع للأخرى .

١١ = مقال صحفى نشر فى جريدة فى دولة عربية مسلمة عام ١٩٢٦م[١] يقول :

(بعض الفتيات التركيات يشبهن فتيات أوروبا ، وقد تلقى بعضهن العلم فى الكلية الأمريكية فى القسطنطينية .

وذكرت واحدة منهن : إن المرأة التركية اليوم حرة ، لن تسير فى الطرقات فى ظلام .

نلبس أحدث الأزياء الأوروبية والأمريكية ، ونرقص ، وندخن ، ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا .

ويعلق كاتب الجريدة : ولايسع كل محب لتركيا إلا أن يغبطها على هذه الخطوات !)[٢]

أرأيت كيف تأثر كاتب هذه الصحيفة بخطوات التغريب فى تركيا المسلمة ؟

ثم انظركيف أعلن الكاتب المفتون غبطته ، وغبطة كل محب لتركيا - الممسوخة - على خطوات التغريب ؟

١- جريدة السياسة الأسبوعية المصرية .

٢- أورد هذه المقالة : أساليب الغزو الفكرى. جريشة والزيبق. ص ٧٢ ولم أتمكن من الحصول على الجريدة.

وعلـى مـاذا تُغْبَـط ؟ علـى رقصهـا وتدخينهـا وعُرْيِهـا ....

١٢= يقـول " محمـد أركـون " :

(الحجـاب مثـلاً ، وكـل مـايمت إلى الجنـس وإلى وضـع المـرأة فـى الإسـلام ينتمـى لقـانون عرفـى سـابق علـى الإسـلام ، والإسـلام صـادق علـى تقـاليد قديمـة متعلقـة بأسـس قبليـة ، وأعطاهـا بعـداً مقدسـاً ، ويتعلـق الأمـر اليـوم بإعـادة التفكـير فـى هـذه المفـاهيم علـى ضـوء التـأريخ) [١]

إن هـذا المسـتغرب يريـد أن يصـل بنـا إلى أن الإسـلام لم يـأتِ بجديـد فـى مجـال النظـرة إلى المـرأة ، وإنمـا هـو أقـرَّ واقعـاً كـان موجـوداً قبلـه ، وحينئـذٍ فلمـاذا لايقـرُّ الواقـع الحـاضر ؟

ومقتضـى هـذا القـول أن نطـرح الإسـلام جانبـاً وأن نـأخذ الأصلـح – فـى نظـره – بحسـب رغبـات النـاس وشـهواتهم !

١٣ = يقـول " أميـن الريحـانى " [٢] :

(الأخـلاق التـى تنمـو فـى ظـل الاسـتعباد ، وتحـت نـيره ، وإن كـانت شـريفة كالصـبر والطاعـة والصـدق والوفـاء ، فـإن هـى إلا أخـلاق العبيـد ، فـالمرأة التـى تحـب كرهـاً ، وتكـون كرهـاً مـن الصـابرات الطائعـات السـاكتات

١- مجلة LE NOUVEL OBSERVATEUR الفرنسية العدد ١١٠٩ الصادر فى فبراير ١٩٨٦م . انظر: تهافت الاستشراق العربى صـ٥٧.

٢- أمين الريحانى نصرانى عاش بين ١٨٧٦-١٩٤٠ م ، نشأ فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتعرف بعد ذلك على أوروبا ، والبلاد العربية ، حيث زار فرنسا سنة ١٩١٦م ، وزار الحجاز واليمن سنة ١٩٢٢م . الرحالون العرب . د. نازك سابايارد صـ٣٠٦. والأعلام ١٨/٢.

تربى فى نفسها ، وفى نسلها ، وفى أمتها بذور العبيد .

وعلى المرأة الشرقية أن تسعى قبل كل شىء فى تحرير نفسها ، ولابأس إن تخلت عن بعض أو كل أخلاقها التقليدية) [1]

فتأمل كيف وصل الحال بالمسلمين ، والعرب فى قضية التأثر بالمستشرقين فى عملية تشويه الإسلام ومحاولة الدفاع عنه بجحد أحكامه ، وتشويهها ؟

وبهذا التأمل تظهر الحاجة إلى مقاومة الفكر الاستشراقى ، ودفع شبهاته ، وفضح أباطيله .

ولذا فواجب الدعاة فى هذا المجال كبير جداً .

١- القوميات لأمين الريحانى ١٧٦/١.

المبحث الثالث ﴿ الطعن ﴾

لقد أجهد كثير من المستشرقين ، وأذنابهم من المستغربين أنفسهم فى سبيل الطعن فى الإسلام ، ووصفه بالعنف ، والوحشية .

١ = فعن الوحشية المزعومة ، يقول " ريمون شارل " :

(الإسلام دين استبدادى ، لايعطى قيمة للشخصية الإنسانية ، والتعاليم القرآنية مبنية على النسبية ، والفعل الحرام قد يصبح حلالاً أو واجباً فى بعض الظروف ، وذلك نظراً لقساوة المسلمين ، الذين عرف عنهم تقتيل وتذبيح وتعذيب وأكل لحوم الأعداء) (١)

هذا المستشرق جعل الإسلام دين الوحشية ، وزرع تهمة خطيرة ، هى أن المسلمين يحرمون اليوم شيئاً ويحلونه غدا ، وبالعكس ، وهو يريد من هذا القول الوصول إلى بشرية الإسلام وتناقضه ، وعدم واقعيته .

يقول " سيمونيت " (٢) :

(يدل على وحشية المسلمين عقوبة المسيحى الذى أسلم ثم عاد للمسيحية (النصرانية) - أى ارتد - مقارنة بالمسيحى (النصرانى) الذى يدين بالإسلام فلا يوقع عليه جزاء) (٣)

١- الروح الإسلامية لشارل صـ ٦٦-٦٨.

٢- فرانسيسكو خافيير سيمونيت ، مستشرق كاثوليكى أسبانى متعصب ضد الإسلام وشديد الحقد عليه ، عاش فى القرن التاسع عشر الميلادى (الرابع عشر الهجرى) ألف كتابه قلوساريو عام ١٨٨٨م ، ثم ألف كتابه (تأريخ المستعربين فى أسبانيا historia de los mozarabes de espana . انظر الحضارة العربية فى الأندلس د. مصطفى الشكعة . مناهج المستشرقين . مكتب التربية العربى ٢/٣٢٢.

٣- تأريخ المستعربين فى أسبانيا لسيمونيت صـ٨٨.

فهل كان الإسلام بهذا العنف الذى صوّره به هذان المستشرقان ، أم أن الواقع ، وأقوال المنصفين يدحضه ؟ وهل عقوبة المرتد تطبق على النصرانى الذى أسلم فحسب أم أنها تشمل المسلم الذى ولد مسلماً ثم ارتد ؟

٢ = ويقول " مصطفى كمال المهداوى " [(١)] :

(آية السرقة لاتذكر سارقاً أى سارق ، وإنما هى تأتى به معرّفاً بـ" أل " التعريف ، فتقول :

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ المائدة٣٨.

و" أل " التعريف لاتأتى فى القرآن عبثاً ، ولايوجد فى القرآن حرف زائد إلا لحكمة ، ومعنى مقصود وسبب ، وفارق بين كلمة " سارق " وكلمة " السارق " فالسارق الذى تقطع يده فى القرآن هو : محترف السرقة ، الذى يرتكبها ويعاودها ، أما الذى يسرق مرة فى ظرف انفعالى فلا تنطبق عليه الآية ، وإنما يؤخذ بقوانين الردع الجنائية السائدة) [(٢)]

إن التأثر بشبهات المستشرقين جعل هذا الرجل يهذى بما لايدرى ، ربما بدافع الحماس للدفاع عن الإسلام ضد الوحشية والعنف ، وربما لغرض سيء فى النفس ، وفى كل حال فإن النتيجة هى : الطعن فى الإسلام ، وهو مايريده خصوم الدعوة .

٣ = وسبق أن أوردت [(٣)] بعضاً من كتابات المستشرقين والمستغربين

١- مصطفى المهداوى مفكر مصرى بدرجة مستشار . انظر : شبهات وانحرافات . توفيق وهبة صـ٣٢.

٢- مجلة صباح الخير المصرية العدد ١٠٩٣ الصادر بتأريخ ١٦/١٢/١٩٧٦م .

٣- فى الفصل الأول من الباب الأول عند الحديث عن كتابات المستشرقين والمستغربين حول عالمية الدعوة

فضلاً انظر الصفحة التالية=..........

عـن زعمهـم أن الإسـلام ديـن السـيف والعنـف ، وأن دعوتـه انتشـرت بهمـا ، وسأقتصر هنا على قول علمين من أعلام المستشرقين يدندنان حول هذا المعنى المزعوم ، ويصفان المسلمين بالوحشية ، والعنف ؛ لتنفير الناس من الإسلام :

أ = كتب " ماكدونالد " عن " الجهاد " :

(الجهاد هو نشر الإسلام بالسيف ...

ثم إن كتابة النبى (ﷺ) إلى حكام البلاد المحيطة به تبين أن هذا الموقف حيال الناس جميعاً كان يخالجه ، وأنه تطور على التحقيق عقب وفاته مباشرة عندما زحفت الجيوش الإسلامية إلى خارج الجزيرة العربية) (١)

ب = وكتب (دوزى) :

(ولم يبق المسلمون على أحد من الأسرى فى ذلك اليوم - يوم قتال مسيلمة إذ كانت تعاليم أبى بكر لخالد تنص على قتل المرتدين وعدم الإبقاء على أحد منهم إن قدر خالد عليه بالحديد والنار وغير ذلك من صنوف العقاب ، فتقدم خالد يسبقه خبر انتصاراته وبطشه) (٢)

لقد حاول هذان المستشرقان بكل جهدهما أن يطعنا فى الإسلام بسهم غائر ، وحاولا إلصاق تهمة الوحشية بالإسلام للتنفير منه ، بل وحاولا الإيهام بأن الجهاد لم يعرف إلا بعد وفاة النبى ﷺ ، غير أن الرد عليهما جاء من كل طريق ، حتى من بنى جنسهم فانكشف الغطاء .

الإسلامية .

١ـ دائرة المعارف الإسلامية - مصدر سابق - صـ ٧/ ١٨٨ -١٩٠.

٢ـ تأريخ مسلمى أسبانيا لدوزى صـ٣١.

بها ، ونَقْض العهد الذى أبرمه) [1]

ب = وكتب " جوزيف شاخت " عن مادة : " زنا " :

(ويقال - هكذا بصيغة التمريض منه - : إنه كانت فى القرآن أول الأمر آية كالآية التى يعترف بها عمر بن الخطاب ، وتسمى : آية الرجم (إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله)

ومن المستبعد أن تكون هذه الآية صحيحة ، ومن البيّن أن الأحاديث المتعلقة بها ، وذكر اسم عمر بصددها ، كل ذلك لايخلو من غرض .

ومهما يكن من شيء فإن الروايات التى تقول : إن النبى عليه السلام طبق حكم الرجم لهى أيضاً روايات غير جديرة بالثقة ، وعقوبة الرجم هذه ، وهى لابد أن تكون قد دخلت فى الإسلام منذ وقت مبكر ، ترجع بلاشك إلى الشريعة اليهودية) [2]

فهذا اليسوعى الحاقد ، وهذا اليهودى المتعصب لم يخجلا من تزييف التأريخ ، والتطاول على مسلمات الإسلام وثوابته فى سبيل إرواء غلهما بالطعن فى شخصية الرسول ﷺ والطعن فى الإسلام ، ووصف النبى ﷺ بالمخادعة ، وبالحرص على نقض العهود ، والتحايل ، ووصف عمر بن الخطاب رضى الله عنه بوضع آية الرجم ، والطعن فى السنة النبوية الشريفة ، وعدم الثقة بروانها ، كل ذلك لينفى واقعية الدعوة الإسلامية ، ويشكك فى تميّزها .

ولاينسى اليهودى المتعصب أن ينسب لبنى دينه الفضل فيدعى أن الرجم مأخوذ عن الديانة اليهودية .

١ـ دائرة المعارف الإسلامية - مصدر سابق - ٧/٣٢٨-٣٢٩.

٢ـ المصدر السابق ١٠/ ٤١٢.

٥ = وكتبت الدكتورة " نازك سابايارد " (١) :

(إن الصراع فى أدب رحالينا نجم عن شعورهم بتفوق الغرب السياسى والاقتصادى والعلمى ، فرغبوا فى أن يدرك الشرق شأو الغرب فى هذه المضامير .

فرأوا أن السبيل الوحيد إلى ذلك يكون باقتباس الحضارة الغربية ، أو الأخذ ببعض منجزاتها ، ونجد عناصر مشتركة بينهم .

ويلوح أن الدين كان أهم هذه العناصر بالنسبة لرحالينا المسلمين ، وقد تجلّى ذلك فى استيحائهم من الدين مايوصى بتبنى الحضارة الغربية ، أو تفسيرهم الدين تفسيراً يحاول التوفيق بينه وبين مقومات هذه الحضارة) (٢)

هذا النص يعطينا دلالة واضحة على تشرب المسلمين ، والعرب المفتونين بالحضارة الغربية ؛ بالفكر الاستشراقى ، وبالتالى ترويجهم مشروعات الطعن فى الدين الإسلامى ، مخدوعين بدعوى عدم واقعيته ، ومن ثمَّ محاولة تطويعه ليلائم الحضارة الغربية الفاتنة لهم ، أو تفسيره تفسيراً عصرياً يحقق هذا الهدف .

١- مستشرقة اهتمت بالمستغربين العرب فى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادى (الرابع عشر الهجرى) انظر تمهيد كتابها (الرحالون العرب وحضارة الغرب) - الآتى ذكره - صـ ٩.

٢- الرحالون العرب لسابايارد صـ ٤٤٩.

الفصل الثانى

الجذور التأريخية للتشكيك في واقعية الدعوة الإسلامية

(الجذور التأريخية للتشكيك فى واقعية الدعوة الإسلامية)

الجذور التأريخية للتشكيك فى واقعية الدعوة الإسلامية بعيدة الغور ، تجدها واضحة للعيان فى كل حقبة من حقب التأريخ ؛ غير أنى سوف أركز على جهود المستشرقين فى هذا التشكيك ؛ لأن هذا هو مجال هذا البحث ، ولأن ماسبق جهود المستشرقين لم يكن سوى محاولات لم يكتب لها النجاح المؤثّر ؛ نظراً لقوة الأمة المسلمة ، ومن ثمَّ عجز تلك المحاولات عن تفتيت تلك القوة ، أو التأثير البيِّن فيها .

ولكى تكون صورة التشكيك واضحة فى الأذهان ، ولكى تصبح أبعاده فى مرمى استيعاب الفكر ؛ فلابد أن أؤكد على أن بذور التشكيك فى واقعية الدعوة الإسلامية زرعت منذ وقت مبكر من تأريخ الإسلام ، وبالتحديد منذ العهد النبوى ، ولم تتوقف هذه البذور عن الإنبات عند انتشار الإسلام فى العصور اللاحقة .

وفى ضوء هذا فإنه يمكن تقسيم الجذور التأريخية لذلك التشكيك إلى عدة مراحل رئيسة ، ينظر من خلالها إلى أهداف ذلك التشكيك وأسبابه ووسائله ونتائجه بالنسبة للدعوة وللخصوم على النحو الآتى :

أولاً : التشكيك من المشركين والمنافقين .

جاء نبينا محمد ﷺ برسالة عالمية وواقعية ، أوضحتُ شواهدهما فى الفصل التمهيدى من هذا البحث ، حيث تبين من تلك الشواهد أن مقتضى واقعية الدعوة الإسلامية مراعاة جانب الروح ، والبدن .

ولأن العرب قبل رسالة النبى ﷺ كانوا غارقين فى اللهو والملذات ، أى تعظيم جانب البدن ، بينما لم يكن لهم أية اهتمامات روحية عليا ، عدا نفر قليل كانوا على الحنيفية (دين سيدنا إبراهيم ﷺ) لذا كانت واقعية الإسلام بالنسبة لهم عدواً لدوداً .

كما أن من شواهد حرب المشركين لواقعية الإسلام إنكـارهم توحيـد الإلهيـة [(١)] أى توحيد الله بأفعـال العبـاد ، وتوحيـد الأسمـاء والصفـات [(٢)]، أى توحيـده سبحانه بأسمائـه وصفاته التى شرع ، مع اعترافهم بتوحيد الربوبية [(٣)]، أى توحيد الله بأفعاله .

ولأن واقعية الإسلام تربط بين الشيء ولازمه - وتوحيد الألوهيـة مـن لـوازم توحيـد الربوبية - لذلك لم ينفعهم إيمانهم بتوحيد الربوبية .

قال تعالى حاكياً إيمانهم بتوحيد الربوبية ، وطالباً منهم الإتيان بلازم هذا الإيمان وهو التقوى ، التى يلزم منها الإيمان بسائر أنواع التوحيد :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [(٤)]

فى ضوء هذا يتضـح أنـه كـانت هنـاك - فـى العهـد المكـى - مواجهـة عنيفـة بـين المشركين الغارقين فى الملذات الدنيوية ، ولايريـدون عنهـا فكاكـاً ، وبـين مـا جـاءت بـه الدعوة الإسلامية التى تراعى التوازن الخيِّر بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، فـى مجـال

---

١ ـ توحيد الألوهية الذى (هو : إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل الخ ... وهو التوحيد الذى تضمنه قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) ، وهو معنى لاإله إلا اللـه) تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب صــ ٢٠.

٢- وهو إثبات الأسماء والصفات بأن (يوصف الله بما وصف به نفسـه وبماوصفـه بـه رسـوله من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل) الفتاوى لابن تيمية جمع ابن قاسم ٢٦/٥.

٣ ـ هو (توحيد الربوبية والملك ، وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شىء ومالكه ، وخالقه ورازقه ، وأنـه المحيى والمميت ....) تيسير العزيز الحميد - المصدر السابق صـ ١٦.

٤ ـ يونس ٣١.

التوحيد ، والفعل البشرى كله .

أما فى العهد المدنى فقد استلم راية التشكيك فئة المنافقين الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام ؛ ليتسنّى لهم الكيد ، والتشكيك والوقيعة بين المسلمين دون خوف ، وكانت معظم سهامهم موجهة إلى واقعية الدعوة الإسلامية ، بعد أن عجزت عن إيقاف عالميتها ، وإليك صورة من صور حربهم لواقعية الدعوة :

(فقد طفحت نفوس المنافقين بالنفاق ، وتحدثوا مع من سار فى ركابهم قائلين : نهانا محمد عن حلائل أبنائنا ، وسمح لنفسه بالزواج من حليلة ابنه .

ولما كانت هذه المسألةُ تَقْرِيْرَ مَبْدَإٍ جديد فقد مضى القرآن الكريم يؤكدها ، ويزيل عنصر الغرابة فيها ، ويردّها إلى أصولها البسيطة المنطقية التأريخية :

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ الأحزاب ٣٨.

فقد فرض الله له أن يتزوج زينب بنت جحش وأن يُبْطِلَ عادة العرب فى تحريم أزواج الأدعياء ، وإذن فلا حرج فى هذا الأمر مادام الله تعالى هو الذى فرضه ، وألزم به رسوله ﷺ .

علماً بأن " زيداً " رضى الله عنه ليس ابناً لمحمد على الحقيقة ، كما أن زينب ليست حليلة ابنه)[١] وقد جاءت حادثة الإفك[٢] واتهام أم المؤمنين عائشة[٣] رضى الله عنها بالفاحشة صورة من صور

١- مع المفسرين والمستشرقين د. الألمعى صـ ٧٧.

٢ - انظر تفصيل هذه الحادثة وتبرئة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى كتب التفسير /سورة النور الآيات ١١-٢٠ ، مثلا : ابن كثير ٢٨١/٣. وفى كتب الحديث ، مثلاً : البخارى فى كتاب الشهادات وكتاب التفسير وكتاب الأيمان وكتاب الاعتصام وكتاب التوحيد ، وفى مسلم فى كتاب : التوبة .

٣ - هى أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، وأمها أم رومان ، ولدت بعد المبعث بأربع سنين ، وتزوجها النبى ﷺ وهى بنت تسع فى السنة الأولى وقيل فى السنة الثانية للهجرة ، ولم يتزوج

فضلاً انظر الصفحة التالية=.......... ↖

الرغبة فى إشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا .

وهى وسيلة من وسائل التشكيك فى واقعية الإسلام ، القائم بنيانها المتين على عدم إطلاق يد الشهوات ، وحماية المجتمع المسلم من نارها المحرقة ، وآثارها المفجعة .

ولايغيب عن الأذهان أن الذى تولّى كبر أمر حادثة الإفك هو عبدالله بن أبى بن سلول رأس المنافقين . (١)

ثانياً : التشكيك من اليهود والنصارى .

قبل بعثة النبى ﷺ كان اليهود يباهون الناس بديانتهم ، ويدَّعون أنها الديانة التى نزلت من السماء .

وحين جاء الإسلام جاء برسالة سماوية حقة ، وواقعية - أى مراعية حال المدعو - وتُوَازِن بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، وهو مالم يكن موجوداً فى الديانة اليهودية المحرَّفة ، وبالتالى فقد فضح الإسلام ما أحدثه اليهود من تحريف فى دينهم ، لاتقبله الفطر السليمة ، وأصبحت ديانتهم غير ذات بال .

كما حاربت واقعية الإسلام ماهم عليه من حبٍّ للدنيا وانقطاع لها ، وإباحتهم كل الوسائل المتاحة أمامهم للتكسب المادى ، بما فيها ظلم للناس ، مما أوجد مجتمعاً طبقياً لاتعاون فيه ، ولاتناسب بين أفراده .

إننا لن نجد ثمرة لهذا الإحساس بالخطر المحدق سوى الغش والكيد ، وسوء التدبير ، وهذه صفاتهم عبر التأريخ .

ﷺ بكراً غيرها ، وتوفيت رضى الله عنها سنة ٥٨هـ . الإصابة لابن حجر ٣٥٩/٤.

١ ـ عبدالله بن أبىّ بن مالك بن الحارث الخزرجى ، المشهور بابن سلول ، رأس المنافقين ، هلك فى السنة التاسعة للهجرة . الأعلام ٦٥/٤.

فكان أمضى أسلحتهم : الطعن فى واقعية الرسالة الإسلامية ، ومناصرة خصومها ، والتشكيك بكل قوة فى حقيقتها ، وتوجيه سهامهم إلى موقع التميّز فى الدعوة الإسلامية ؛ لتموت الواقعية فى النفوس .

ولذا كان سعيهم حثيثاً ، ومتواصلاً فى كل عصر ، متى سمحت لهم الظروف ؛ لإشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا .

(كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجَلَبٍ [1] لها فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدَّت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشرُّ بينهم وبين بنى قينقاع) [2]

وهاهو الفعل يتكرر فى يومنا هذا ، ولكن عبر وسائل أكثر انتشاراً ، وفى ظل حماية لهؤلاء ، وتشجيع لامثيل له ، ومع وجود قوة مادية فى أيديهم لايمكن تجاهلها أو إنكارها .

ولم يكن النصارى بمنأى من الإسهام بحظ وافر فى التشكيك فى واقعية الدعوة الإسلامية ، لذات الأسباب التى سبق بيانها عند الحديث عن مبررات لجوء اليهود إلى التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية ، وواقعيتها .

ولست بصدد السرد التأريخى للتشكيك فى واقعية الدعوة الإسلامية ، لأن الإطار الزمنى لهذا البحث محدد بالقرن الرابع عشر الهجرى ، وإنما حسبى أن أشرت إلى بعض

---

١ ـ الجَلَبُ : مايجلب إلى السوق من إبل وغنم ومتاع للتجارة . المعجم الوسيط ١/١٢٨ . مادة جلب

٢ ـ السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبدالرؤوف ٣/٣١٤.

الدلائل الواضحة فى مختلف عصور التأريخ ، ليستبين عمق جذور التشكيك ، وأنه مستمر؛ لأن هذا مقتضى الصراع بين الحق والباطل ، وأن الجديد منه ثمرة القديم ؛ لأن الأهداف والمسببات واحدة .

ولذلك فإننى سأتجاوز - كما فعلت عند حديثى عن جذور التشكيك فى عالمية الدعوة الإسلامية - مراحل من تأريخ الدعوة الإسلامية - لبعدها الزمنى عن المجال الزمنى لهذا البحث - وإن لم تختفِ فيها محاولات التشكيك فى واقعية الدعوة الإسلامية ؛ لأصل إلى المحاولات المستميتة فى العصور المتأخرة للوصول إلى هذا الهدف ؛ مراعاةً للتحديد الزمنى لهذا البحث ، ولأن هذه المحاولات سبب من أسباب موضوع هذا البحث ، وهو : الاستشراق والاستغراب ، وشبهاتهما .

فإذا كانت واقعية الدعوة الإسلامية صادفت حاجة ملحة للبشرية فإنها لم تكن كذلك عند بعض النصارى فى العهود المتأخرة ، بسبب مادخل الديانة النصرانية من تحريف جعلها بعيدة كل البعد عن الواقعية .

مما جعلهم يسرعون الُخطا ، ويضعون الخطط ؛ لكبح جماح الدعوة الإسلامية ، التى تميَّزت بهذه الواقعية ، ومنع تأثيرها عن العالَم النصرانى .

وكان نصيب واقعية الدعوة الإسلامية من حساب هذا التخطيط كبيراً ؛ إدراكاً من المخططين لجدوى حرب هذه الواقعية .

إذ أن إقناع الناس بعدم واقعية الدعوة الإسلامية ، وعدم مراعاتها حال المدعوين بجلب النافع لهم فى دنياهم وأخراهم - وهو شرط مهم لصحة البلاغ - وعدم ملاءمتها للعصر الحاضر ؛ لو حصل الإقتناع به لكان هدماً للإسلام من أساسه .

ثالثاً : التشكيك من المعاصرين .

وأقصد بالمعاصرين غير اليهود والنصارى - بصفتهم اليهودية والنصرانية - من أعداء الإسلام الذين ظهروا فى القرون المتأخرة .

فالشيوعيون - من منظرين وأتباع مهما كانت جنسياتهم - يعرفون بمحافاة المذهب الشيوعى للفطرة السليمة ، أى معارضته لحال المدعو ومتطلبات الإنسان السوىّ .

وقد أدركوا أن الإسلام يحقق مراعاة حال المدعو ، ويفى بمتطلبات إنسانيته ، ولذا ركزوا على منع زحف الإسلام ، وفعلوا مابوسعهم لزحزحة المسلمين عن الإسلام بالقوة والقهر حيناً، ثم بمحاولة تشويه مبادىء الإسلام حيناً كما فعل الأتباع بالدعوة إلى الإسلام الاشتراكى ، والماركسى ، وغير ذلك من المصطلحات .

وقد يقول ساذج : إن أساس الشيوعية هو : محاربة الأديان كلها ووصفها بأنها مجرد خرافة ومخدر للبشر ؛ فهى لاتهتم بعالمية الدعوة الإسلامية ، أو واقعيتها ، ولاتضعها فى حسبانها .

والجواب بيِّنٌ جلى ؛ فلماذا لم تكترث الشيوعية بالنصرانية ، فى الوقت الذى أذاقت فيه المسلمين - الذين استطاعت الوصول إليهم بأية طريقة - سوء العذاب والخسف ؟

ليس هناك من جواب سوى أن النصرانية دين ميت بسبب التحريف ، ولايعيق انتشارالشيوعية ؛ فيسهل قود أتباعه إلى مايراد لهم لعدم تأثير مايعتقدونه فى نفوسهم ؛ لعلمهم بمصادمته لأبسط مسلمات العقل الواعى .

أما الإسلام فهو دين حى يخاطب الفطرة ، ويزكى النفوس ، ويوحد العالم على دين ربانى ، وواقعى صحيح ؛ فهو الخطر الحقيقى الذى يهدد الشيوعية ، فهى تحاربه لهذا الملحظ بكل ما أوتيت من قوة .

والوثنيون ومن لادين لهم الذين يدعون إلى خزعبلات ، أو جوانب روحية بحتة ، دون مراعاة لواقع الإنسان من حيث هو إنسان مزدوج الطبيعة ، له بدن وروح ، هؤلاء أحسوا بالخطر المحدق بهم من خلال ماتحمله الدعوة الإسلامية من واقعية ووفاء بحاجات الإنسان الروحية - الإيمانية - والبدنية ؛ فاشتركوا فى حرب الدعوة الإسلامية ؛ لأن أساس بنيانهم يقوم على دعواهم التوسط بين العبد وخالقه ، والتكسب بهذا التوسط ، والدعوة الإسلامية دعوة واقعية ليس فيها حواجز بين العبد وربه .

والمستشرقون وإن كان غالبهم من اليهود والنصارى ؛ هم من المعاصرين الذين تجردوا من ثياب الرهبان ، والأحبار ظاهراً وخلعوا على أنفسهم ألقاب (الاستشراق) و(البحث العلمى) لتسهل بعد ذلك لهم عملية تشكيك المسلمين فى واقعية الدعوة الإسلامية ، ومن ثَمَّ إدخالهم فى النصرانية ، فإن لم يستطيعوا - وهو ماحدث فعلاً فى الغالب لأن الواقعية ليس لها أساس متين فى النصرانية أو اليهودية المحرَّفة - فإخراجهم من الإسلام ، ولايهم بعد ذلك إلى أين ؛ فإن خروج المسلمين من الإسلام ، وضعف أتباعه يحرمه من قوة مواجهة خصومه .

ومما لاريب فيه أن واقعية الدعوة الإسلامية تعرضت للتشكيك ، بل والحرب من بعض جهال المسلمين ، الذين أثَّرت فيهم شبهات المستشرقين والمستغربين ، وربما كان هؤلاء ممن حصَّل علماً لاشك أن الله لم ينفعه به .

(فلسفة الإباحة الجنسية ليست جديدة على التأريخ الإنسانى ، وقد تتالت على التأريخ كالموجات ، ترتفع ، ثم تنخفض ، وطالما كانت سبباً فى انهيار حضارات قامت قوية ، ثم استقرت ، ثم دخل إليها الوهن من هذا الباب ، كما تدخل جراثيم المرض الجسم من مدخلٍ " ما " حدث ذلك للامبراطورية الرومانية ، وحدث فى سادوم

وعامورة ، وشهدنا نموذجاً مصغراً فى فرنسا بين الحربين العالميتين) [1]

وفى ضــوء مـا سبق بيانه يتضح بجـلاء لاغبـش عليـه أن واقعيـة الدعـوة الإسـلامية تعرضت لكثير من محاولات التشكيك والطعن والتشويه فى كل عصـر مـن العصـور ، وإن اختلفت قوة هذه المحاولات بحسب قوة المسلمين ، وقوة الخصوم .

وواجب الدعاة حينئذ ، وقد استقر فى يقينهـم أن الصراع بـين الحـق والبـاطل دائـم حتى يرث الله الأرض ومن عليها أن يبذلوا الممكن للدعوة إلى الحق ، وبيان دين الله للناس كما أنزله الله ، وكما شرع سبحانه أن يُعْبَـدَ بـه .

---

١ ـ ثورة الجنس د. حسان حتحوت . الإسـلام والحضـارة .
٢٣٦/٢.

الفصل الثالث

الوسائل المستخدمة لإثارة تلك الشبهات

الوسائل المستخدمة لإثارة الشبهات

حول واقعية الدعوة الإسلامية

أولا : الأساليب :

عمد المرجفون فى سبيل مواجهة واقعية الدعوة الإسلامية ، وبث الشبهات ضدها إلى عدة أساليب ، اقترنت بالوسائل ، بحيث لاتجد هذه إلا مع تلك .

ونظراً لقوة هذا الارتباط فإليك بعض صور تلك الأساليب :

١ = الخداع والكذب :

لقد اتخذ بعض المستشرقين – وكذلك بعض المستغربين – أسلوباً فريداً ؛ بقصد التضليل والتلبيس على المتلقين لفكرهم الردىء ، وذلك بتسويد الصفحات بذكر مراجع لاصحة لها ، أو لم تذكر شيئاً مما نقله هؤلاء .

(وقد ظهر من كلام أنيس **المقدسى** أنه خدع بما رآه من ثبت بالمصادر والمراجع التأريخية فى بداية كل رواية – من روايات جرجى زيدان – وهو أمر خدع به غير المقدسى من الكتاب .

وإن موضوعية الدراسة تدفعنا إلى القول – بإنصاف – : إن روايات **جرجى زيدان** قد أحدثت فى نفوس الناشئة شكا قاتلا فى نيات بعض أبطال الإسلام الذين بذلوا نفوسهم نصرة لدينهم وحفاظاً على أمتهم ، وذلك ما لايخطئه الدارس المنصف لرواياته التأريخية) (١)

١- وقفة مع جرجى زيدان د. العشماوى ٧٤و٧٥.

وتسويد الصفحات بالإحالات المكذوبة أسلوب خبيث من الأساليب التى يلجأ إليها كثير المستشرقين ؛ للتلبيس على القارىء ، ودفعه إلى الانخداع ، وبالتالى التسليم بصحة المعلومات التى يوردها ، بغض النظر عن مطابقة الواقع لذلك أم لا .

٢ = ابتسار النصوص :[١]

فربما ذكر المستشرقون أو المستغربون نقولاً مبتسرة ، لايصح الاستشهاد بها بالكيفية التى نقلت بها ، كما فى حديث :

(حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء)

الذى سبق أن بينت أن " شاخت " استشهد به على حيوانية النبى ﷺ - بزعمه -

فقد اقتصر على ذكر مايريد من الحديث ، وترك بقيته ، التى تهدم بناء نظريته الخاسرة ، ونظرته القاصرة ، وهى قوله ﷺ (وجعلت قرة عينى فى الصلاة)

٣ = الدعوة إلى ترك تحكيم الشريعة الإسلامية :

يقول كولسون :

(إن انقطاع الوحى بوفاة الرسول ﷺ جعل الشريعة الإسلامية بما تحقق لها من كمال التعبير ، والبيان ؛ ثابتة غير قابلة للتغيير ، وأصبح على المجتمع أن يتطلع إلى ماتمثله من معايير مثالية ، وصحيحة إلى الأبد)[٢]

فهذا المستشرق يحاول أن يوهم المسلمين بأن الإسلام دين جامد - توقف تميزه بانقطاع الوحى - فهو لايفى بمتطلبات العصر الحاضر .

---

١ - يقال ابتسر الرأى : أبداه قبل نضجه . المعجم الوسيط ٥٦/١. مادة (بسر)

٢- انظر فى عرض أقوال كولسون والرد عليها : مناهج المستشرقين ١/ ٢٥٣.

ويشير إلى أن الوسيلة المناسبة لسلخ الواقعية من نفوس المسلمين هى بالدعوة إلى تحكيم القوانين الوضعية لتُنسى التعاليم الربانية .

ثانيا = الوسائل :

ماذكرته فى الباب السابق من وسائل ، بمافى ذلك التطبيب والخدمات الاجتماعية ، والثقافية ، والتعليمية ، والسياسية ، والإعلامية ، والاقتصادية عند الحديث عن : (الوسائل المستخدمة فى إثارة الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية) ؛ يقال هنا .

فإن المستشرقين والمستغربين يدركون - حقاً - أن الواقعية هى التعبير الواضح ، الحىّ عن استحقاق الإسلام للعالمية .

فلو كان الإسلام ديناً غير واقعى لم يستحق أن يكون ديناً عالمياً .

غير أنى رأيتُ أن أذكر هنا صوراً واضحة تدلُّ على استخدام تلك الوسائل فى مواجهة واقعية الدعوة الإسلامية ، واكتفيت ببعض الأمثلة ، دون إطناب ؛ لأن مرادى بيان وقوع الفعل ، وطريقته ، وليس حصره .

كما أنى فى الباب السابق بينتُ أهمية كل وسيلة ، وخطرها ، وتأثيرها فلا أعيد ذلك هنا ؛ لدواعى الاختصار ، فمن تلك الوسائل :

١ = المؤتمرات التنصيرية :

فهذه لها أثر بالغ فى الدس والتشويه لأن المرأة المسلمة الملتزمة بحجابها وبدينها يصعب وصول المنصِّرين إليها ، ولذا اتجهت الأهداف نحو استخدام المرأة - الغربية والمسلمة الممسوخة - للوصول إلى المرأة المسلمة الملتزمة بدينها ، واقرأ - إن شئت - بعض قرارات مؤتمر تنصيرى بهذا الخصوص :

(لاسبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح ، إن عدد النساء المسلمات

عظيم جداً لايقل عن مائة مليون [1] ، فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن ، نحن لانقر إيجاد منظمات جديدة ، ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية (تنصيرية) أن تحمل فرعها النسائى على العمل واضعة نصب عينيها هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن فى هذا الجيل) [2]

٢ = الوسائل التعليمية :

والتعليم ميدان خطير ووسيلة خطيرة ، وقد استعمل خصوم الدعوة الإسلامية هذه الوسيلة فى مجال محاربة واقعيتها ، والقضاء عليها .

وحاولوا كل جهدهم إفساد التعليم - مناهجه ، وخططه ، وأهدافه - متى أمكنهم ذلك ؛ ليتخرج جيل مسلم ليس له من العلم سوى القشور .

وليعيش فى جو لايعينه على سلامة التحصيل العلمى المطلوب لعزته ، وعزة دينه .

(فمن أبرز ثمرات هذا الإفساد للتعليم أن حدث الاختلاط بين البنين والبنات فى معظم بلدان العالم الإسلامى ، وترتب على الاختلاط ماترتب من عيوب ، ومآخذ ، وابتعادٍ عن منهج الإسلام ...

ومن ثمراته أن تحوَّل ولاء معظم المتعلمين والمتعلمات إلى الثقافة الغربية والحضارة الغربية متجاهلاً ثقافته الإسلامية وحضارته ...

ومن ثمراته : تلك المؤتمرات التى عقدت ولاتزال تعقد فى العالَم الإسلامى للنشاط الثقافى ، وتبادل التجارب التعليمية ، والميدانية ، والمعلمين ، التى تتبناها

---

١ ـ بل الواقع أن نسبتهن أكبر من هذا العدد .

٢ـ التبشير والاستعمار للخالدى وفروخ صـ ٢٠٤.

منظمة " اليونسكو " وذلك للترويج للفلسفات ، والآراء الاجتماعية ، التى يتبناها الغرب ، ويدعو إليها) [1]

ومن أمثلة هذه المؤتمرات المشبوهة فى نواياها - فى ميدان التعليم - :

أ - مؤتمر الحلقة التربوية الذى دعت إليه الجامعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٩٥٤م

ب - مؤتمر التعليم الثانوى الذى -عقد فى مصر سنة ١٩٥٥م ، وشاركت فى الدعوة إليه الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

ج - مؤتمر تبادل المدرسين بين البلاد العربية الذى انعقد فى القاهرة سنة ١٩٥٦م بدعوة من " اليونسكو "

ومن الوسائل التعليمية فى مجال محاربة واقعية الدعوة الإسلامية ؛ لجوء بعض مؤسسات التعليم والإعلام إلى استغلال تعليم اللغة الإنجليزية - وغيرها من اللغات الرئيسة فى العالم - لخداع المتعلم بجعل كتب تعليم تلك اللغات من كتب الإنجيل ، أو من كتب الإلحاد ، أو الانحلال .

٣ = الوسائل الاعلامية :

استغل خصوم الدعوة الإسلامية هذه الوسيلة شر استغلال ، فامتلأت الصحف والإذاعات ، والمرئيات بالفُحش ، وسوء القول .

وفى مجال محاربة واقعية الدعوة الإسلامية بالذات أصدر بعض المستغربين صحفاً ، ومجلات مخصصة للسفور ، وداعية إليه بكل صفاقة .

---

١ - الغزو الفكرى .بحث د. على محمود صـ ١١٩و١٢٠.

فمثلاً : أسس عبدالحميد حمدى فى مصر سنة ١٩٥١م مجلة أسماها " السفور " نادت بنزع الحجاب ، وبتوسيع حقوق المرأة القانونية !

٤ = استخدام المرأة بدنياً فى عملية التشكيك .

أهمية هذه الوسيلة ، وصورها :

هذه الوسيلة فضلت ذكرها فى مجال الواقعية ، ولم أشر إليها عند الحديث عن الشبهات فى مواجهة عالمية الدعوة الإسلامية ، مع أنها استخدمت هناك أيضا ؛ لأن خطرها على الواقعية أوضح .

فإذا كان المستشرقون والمستغربون قد استخدموا المرأة فى مجال التنصير عن طريق التمريض ، والتطبيب ، والتعليم ، وغير ذلك ؛ فإن بواعث عملها هناك مفهومة وواضحة .

أما فى مواجهة واقعية الدعوة الإسلامية فإن الأمر مختلف :

فقد كان عملها هنا مفهوم الدوافع حيناً إذا أخذ شكل عملها فى مواجهة عالمية الدعوة الإسلامية ، بينما تخفى دوافعه المبيتة فى أحيان كثيرة إذا وصل الأمر إلى أخص خصائص الواقعية ، ومن هنا دخل الخطر .

وقد أخذت هذه الوسيلة عدة صور ، فاستخدموا المرأة الكافرة ، لأعمال ظاهرة على النحو السابق ، ولأهداف سيئة ، يراد منها إفساد المجتمع المسلم بأية صورة ، وفوق ذلك فإن هذا الإفساد اتخذ عدة صور كذلك .

واستخدم خصوم الدعوة الإسلامية ا المرأة المسلمة ، مدركة ماتفعل ، أو غير مدركة .

(أما فيما يتعلّق بالمرأة غير المسلمة فهى بحكم ثقافتها المنطلقة لديها القابلية لأن تُسْتَغلَّ فى جميع المجالات ، وإذا أغفلنا جانب التعميم استطعنا القول : إن بعض النساء على استعداد لخوض غمار الأعمال الميدانية ، (الترفيهية) مادامت تحقق بها أهدافاً تنصيرية ، إما بالتغرير بأن هذا يرضى المسيح ﷺ وإما بالعلم والإصرار المسبق بأن هذا ما ينبغى أن يكون .

ولاتمثّل الأعمال (الترفيهية) نسبة عالية فى انخراط المرأة فى حملات التنصير لأن هذا أمر مكشوف ورخيص ، ولكنه مع هذا يشيع فى الحروب بين الجنود المراد تنصيرهم .

والذى يمثّل النسبة العالية هو : عمل المرأة بكل جهد وقوة للدخول إلى مجالات النساء المستهدفات ، فتجتمع بهن ، وتقدم لهن الخدمات الصحية ، والاجتماعية ، والتربوية ، والثقافية ، الدقيقة ، والخاصة بشؤون المرأة) (١)

أما بالنسبة للمرأة فى العالم الإسلامى ، فإن كثيراً من تلك البلاد أصبحت تسمح بالمراقص ، وعلب الليل ، والملاهى .

وأصبح منظر المرأة شبه عارية - بل عارية - فى كثير من البلاد المسلمة على شواطىء البحار مألوفاً ، وليس محل إنكار ، أوتعجب .

فالمرأة فى هذه البلاد استخدمت بدنياً للقضاء على واقعية الدعوة الإسلامية ، أو لإضعافها عند العجز عن القضاء عليها .

---

١ ـ التنصير فى الأدبيات العربية د. على النملة صـ٤٩.

والمرأة لها تأثير قوى فى نفوس الرجال ، قال ﷺ :

(ماتركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء) ، وقال ﷺ : (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء) (١)

٥ = تحكيم القوانين الوضعية ، والسعى لجعلها المرجع الوحيد عند التحاكم .

وفرض تحكيم القوانين الوضعية فى البلاد الإسلامية لم يكن بالأمر الهيِّن على المستشرقين والمستغربين ، بل بذلت لأجله جهود ، واستفرغت طاقات ، مدة طويلة من السعى الدؤوب .

واستخدمت له وسائل ، وأساليب ، وميادين ، ومجالات ؛ فكانت واقعية الدعوة الإسلامية واحداً من المجالات المطروقة .

يقول " كولسون " :

(نشوء مناصب قضائية ، مثل : منصب والى المظالم ، ومفاهيم قانونية ، مثل : مفهوم السياسة الشرعية يرجع إلى الحاجة إلى قواعد قانونية واقعية لفض المنازعات بعيداً عن المفاهيم المثالية الدقيقة للشريعة الإسلامية ، بل وبصورة تمثّل انحرافاً - أحياناً - عن تلك المفاهيم الشرعية) (٢)

فهذا المستشرق يصم الإسلام بعار " المثالية " غير المتوازنة ، ويدَّعى أن منصب والى المظالم ، وعلم السياسة الشرعية دليلان على عدم واقعية الإسلام .

---

١ - صحيح مسلم بشرح النووى فى كتاب الرقاق / باب الفتنة بالنساء ٥٤/١٧و٥٥ على التوالى .

٢ - تأريخ القانون الإسلامىلكولسون ، ترجمة د. محمد سراج . صـ٦٣-٦٧.

والعقل الراشد يهدى إلى عكس هذه الدعوى تماماً ؛ فـإحداث منصب والى المظـالم ، وتأصيل علم السياسة الشرعية من باب الاجتهاد ، والاجتهاد فى الإسلام هو الدليل الساطع على واقعيته ، وتميّزه المتوازن .

كما أن هذه الواقعيـة تجلّـت فـى مئـات القواعـد الفقهيـة التـى تعـالج النـوازل الحادثـة وتحكمها فى ضوء الكتاب والسنة .

ولاعجب بعد ذلك أن يزعم هذا المستشرق - وغيره كثير - أن عدم واقعيـة الإسـلام أفضت إلى انحراف فى تطبيق الشريعة الإسلامية ، التـى اضطـرت - بزعمهـم - أن تفسـح المجال للأحكام المحققة لحاجات المجتمع العملية .

فقد يكون غلط هؤلاء نابتاً من خطأ النظرة إلى مبدأ " الاجتهاد" فى الإسـلام ، ومـن عدم إدراك الفرق بين مايوجبه الإسلام من مبادىء ، وما قد يحدث من قصور عند التطبيق .

وقد يكون الغلط بقصد التشكيك والطعن ؛ وفى كل حال فإن واجب الدعـاة تفنيـد الخطأ وعوره ، وبيان الحق وصوره .

الفصل الرابع

الرد على الشبهات المثارة

الرد على الشبهات المثارة حول واقعية الدعوة الإسلامية

أطر الرد على الشبهات .

قبل الرد على الشبهات المثارة حول واقعية الدعوة الإسلامية لابد أن أشير إلى أننى عُنِيتُ فى هذا الفصل بالأسس العامة ، والأطر الواضحة ، التى راعيتها عند الرد على الشبهات المثارة حول عالمية الدعوة الإسلامية (الباب الأول - الفصل الرابع - المبحث التمهيدى) ، القائمة على حصر الشبهات ، وتقسيمها بحسب موضوعها ، وأهدافها ، وطبيعتها ؛ وخشية التكرار فإننى لاأذكرها هنا اكتفاء بعرضها هناك .

غير أننى رأيت ضرورة الإيماء إلى تلك الأسس هنا - دون ذكر لها - ليسهل استحضار أهميتها ، وهدف هذا الفصل ، وطبيعة المعالجة فيه ؛ لأن هذه الأسس - فى رأيى - مطلوبة هنا ؛ بحكم ضرورتها ، كما هى ضرورة هناك .

المبحث الأول : شبهة القول بأن الإسلام دين حيوانى .

أولا : خطورة الشبهة .

هذه الشبهة خطيرة جداً ؛ لأن الاستسلام للشهوات ، والركض خلفها دليل ضعف ووهن ، ومن هذه حاله لايصلح لقيادة قطيع ، فضلاً أن يصلح لقيادة البشرية جمعاء .

ومن هنا حاول المستشرقون والمستغربون تصوير الإسلام وكأنه دين حيوانى لايهتم بغير إرواء الشهوات ، بل وتصوير النبى ﷺ وصحابته ، وقيادات المسلمين فى العصور الإسلامية المختلفة ، وهم يركضون خلف الشهوات ؛ لتسقط هيبة القدوة ، وتسقط عظمة الدين الإسلامى القائم على الواقعية المتوازنة .

ثانياً : علاقة الشبهة بواقعية الدعوة الإسلامية.

سبق أن بينتُ فى الفصل التمهيدى من هـذا البحث أن المقصود من واقعية الدعوة الإسلامية ؛ هو : النظر إلى الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة .

أى أن له حاجات روحية ، وحاجات مادية ؛ فالحاجات الروحية تغذيه بها واقعية الدعوة الإسلامية بواسطة الإيمان ، بل التزكية الإيمانية ، والحاجات المادية تجدها فى واقعية الدعوة الإسلامية من خلال تقدير الحاجات البشرية للإنسان ، تلك الحاجات التى لاتنسيه الواجب الذى خلقه الله تعالى من أجله ، وهو خلافته فى الأرض لإعمارها بالطاعة .

وفقدان جانب من هذين الجانبين يصيب الواقعية بخلل بيِّن ، ومن هنا فإن القول بحيوانية الإسلام والمسلمين سهم غائر فى كيان واقعية الدعوة الإسلامية .

ثالثاً : صور الشبهة والرد عليها .

١ = صور الشبهة

لهذه الشبهة عدة صور ، يمكن أن تتفرع إلى عدة صور ، غير أنى سوف أقتصر على الصور الرئيسة ؛ لأن الصور الفرعية مشمولة بها ، والرد على تلك يشمل هذه . فمن صور هذه الشبهة :

أ = قالوا إن الإسلام دين حيوانى لأنه يدعو إلى تعدد الزوجات ، الذى هو دليل على طغيان الشهوة الجنسية عند الإنسان ، وركزوا كثيراً على قصة زواج النبى ﷺ بأم المؤمنين زينب رضى الله عنها .

ب = قالوا إن المسلمين لايستطيعون الفكاك من سيطرة الشهوة عليهم ، وضربوا لذلك مثالاً برسول الله ﷺ الذى زعموا – وحاشاه – أنه شعر فى آخر عمره بميل شديد للنساء .

٢ = الرد على الشبهة .

من المسلم به أن مراعاة الإسلام لحال المدعوين ، وتوازن تعليماته فى مجال مراعاة حق

الجسد وحق الروح ؛ دليل قوى ، وأكيد على واقعية الدعوة الإسلامية ، ولذا فزع خصومها إلى تلفيق التهم لتشويه هذا الجانب المضيء .

ومن هنا فإن الرد على هذه الشبهة يكون على النحو التالى :

أولا : دلالة النصوص .

١- بخصوص زواجه ﷺ من أم المؤمنين زينب رضى الله عنها :

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (١)

وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٢)

فقد دلّت الآيتان الكريمتان على أن الأدعياء ليسوا أبناء . وعلى هذا :

(فإن زيداً رضى الله عنه ليس ابناً لمحمد ﷺ على الحقيقة ، فهو ابن حارثة ، كما أن زينب ليست حليلة ابنه على الحقيقة ، وإنما هى زوجة زيد بن حارثة رضى الله عنه ، أما نهى الإسلام عن حلائل الأبناء فالأمر واضح بأنه يراد من النهى تحريم حلائل الأبناء الحقيقيين ، ولايدخل الأبناء الأدعياء فى هذا) (٣)

زواج النبى ﷺ بزينب رضى الله عنها له حِكَمٌ ، أوضحها : إبطال التبنى ،

١- الأحزاب ٤.

٢- الأحزاب ٣٧.

٣- مع المفسرين والمستشرقين د. الألمعى صـ ٧٩.

وبالتالى إبطال مايتعلق به من أحكام كحرمة زوجة الابن المُتَبَنّى .

٢= بخصوص تعدد الزوجات :

قال الله تعالى :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ النساء/ ٣

وسبب نزول هذه الآية (أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها ، وكان لها عذق ، وكان يمسكها عليه ، ولم يكن لها من نفسه شيءٌ) (١)

فالآية تدل على أن العدل هو الدافع لإباحة تعدد الزوجات ؛ لئلا يصيب الضررُ فئةً من المسلمين .

قال ابن كثير رحمه الله :

(مثنى وثلاث ورباع : أى انكحوا ماشئتم من النساء ، إن شاء أحدكم ثنتين ، وإن شاء ثلاثاً ، وإن شاء أربعاً) (٢)

ثانياً : دلالة العقل .

١ = بخصوص زواجه ﷺ بزينب رضى الله عنها :

قامت هذه الشبهة فى إحدى صورها على القول بأن النبى ﷺ أعجب بزينب رضى الله عنها ، فأحبها وطلب نكاحها ، وأمر زيداً بتطليقها .

---

١ ـ البخارى مع الفتح فى كتاب التفسير ٨/٢٣٨.

٢ ـ تفسير ابن كثير ١/٤٧٤.

فهل يقبل العقل مثل هذا الهراء ؟

(رسول الله ﷺ من الذين يعرفون زينب بنت جحش معرفة تامة حيث رُبِّيت وكبرت ودرجت تحت رعايته وعنايته . وكان ﷺ يراها ولاسيما قبل نزول آيات الحجاب ؛ فلا حاجة لأن يسترق النظر ليراها على صورة غير محتشمة فيدعوه ذلك لزواجه منها) [1]

فالعقل ينفى هذا التهافت على باطل لغرض سيء .

٢ = بخصوص تعدد الزوجات :

ركّز المستشرقون والمستغربون على الاستدلال بمبدأ " تعدد الزوجات " للتشكيك فى واقعية الدعوة الإسلامية . [2]

والحق والصواب أن العقل يهدى إلى ضد الدعوى ؛ إذ أن التعدد دليل على هذه الواقعية ؛ لأنه يحقق المقاصد الأساس من الزواج ، فإن الأزواج والزوجات تختلف طاقاتهم البدنية ، وغرائزهم الجنسية ، وتجاهل هذه الغرائز ليس من الواقعية فى شيء .

والعقل يهدينا إلى أن نتيجة منع التعدد لابد أن تكون فى اتخاذ العشيقات ونحوهن ، ومايترتب على ذلك من سلبيات يرفضها العقل الراشد ، كما هى حال المجتمعات التى لم تهتدِ بنور الله .

ثالثاً : دلالة الواقع .

١ = بخصوص زواج النبى ﷺ ، بزينب رضى الله عنها ، فإن الواقع يكذب

١ـ آراء المستشرقين حول القرآن . د. رضوان ٦٥٣/٢.

٢ ـ انظر فى تفصيل الرد على المستشرقين فى شبهتهم حول تعدد الزوجات : تعدد الزوجات إعجاز تشريعى يوقف المد الاستشراقى . د. محمد أبو سعد .

المزاعم التى أوردها المرجفون بشأن هذا الزواج ، ويؤكد أن مثل هذه التأويلات غير صحيحة البتة .

(لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد اذكرها علىّ ، قال : فانطلقت ، فقلت يازينب أبشرى أرسل رسول الله ﷺ يذكرك ، فقالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربى ، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن) [1]

فهذا النص يرشدنا إلى أن الخاطب هو زيد رضى الله عنه ، وزينب رضى الله عنها تتطلع إلى رضا ربها .

(وهذا أيضاً من أبلغ ماوقع فى ذلك ، وهو أن يكون الذى كان زوجها هو الخاطب لها ؛ لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه ، وفيه أيضاً : اختبار ماكان عنده منها ، هل بقى منه شيء أو لا؟) [2]

هناك أمر مهم فى دلالة الواقع ، هو أن (زواج النبى ﷺ من زينب رضى الله عنها مفروض عليه بنص القرآن الكريم - لحكمة تشريعية - قال تعالى :

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ [3] [4]

فهذه الآية وردت بعد آية التزويج مباشرة .

١- مسلم بشرح النووى فى كتاب النكاح ٢٢٨/٩.

٢- فتح البارى على صحيح البخارى فى كتاب التفسير ٥٢٤/٨.

٣- الأحزاب ٣٨.

٤- آراء المستشرقين حول القرآن د. رضوان ٦٥٥/٢.

يقول ابن كثير رحمه الله فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾(١)

ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها ... قال على بن الحسين ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾ أى : أن الله تعالى أَعْلَمَ نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها قال ﷺ : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، فقال سبحانه : قد أخبرتك أنى مزوجكَها ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) (٢)

(*)
٢ - بخصوص تعدد الزوجات فإن الواقع يؤكد ضرورة هذا التعدد ، وأنه من ضرورات الواقعية ؛ لأنه فى قائمة مراعاة حال المدعو ، ومراعاة فطرته البشرية .

وقد دلَّ الواقع على أن بعض الزوجات لاتستطيع الوفاء بحقوق الزوج الزوجية ، ووقوع بعض الأزواج فى الإثم بسبب هذا التقصير .

كما دلّ الواقع على أن المشكلات الزوجية تتسبب فى بذر الكراهية فى الأسرة .

ودلت الإحصاءات على أن النساء أكثر عدداً من الرجال بسبب الحروب وغيرها ، وأن كثرة النساء نسبة إلى عدد الرجال سيفضى إلى عنوسة أكثر النساء لو لم يبح التعدد ، وإشاعة الفاحشة بينهن .

وواقع العالم الغربى دليل أكيد على واقعية الإسلام فى مجال تعدد الزوجات ؛ نظراً لما تعانيه المجتمعات الغربية من تفكك الأسر بسبب اتخاذ العشيقات ، وكثرة أولاد الزنا .

---

١ - الأحزاب ٣٧.

٢ - تفسير ابن كثير ٣/٥١١و٥١٢.

(*) الأسباب التى أوردتها هنا إنما هى مؤيدات لواقعية الإسلام فى إباحة التعدد،ولايلزم منها الربط بينهما بحيث لايجوز التعدد إلا عند وجودواحد منها.وإن كنت أرى أنه من غير المتصور أن يتم التعدد لغيرسبب ويكفى أن النبى ﷺ حث على تزوج الولود الودود.

والسبب عدم الوفاء بحاجات الإنسان الفطرية ، وعدم تقدير ظروفه الواقعة .

رابعاً : أقوال المنصفين .

١ = بخصوص زواجه ﷺ بزينب رضى الله عنها ودعوى شهوانيته ﷺ :

يقول "توماس كارليل "[١] : (وما محمد أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً ، وأشد مانجور ونخطيء إذا حسبناه رجلاً شهوانياً ، لاهمَّ له إلا قضاء مآربه من الملاذ ، كلا فما أبعد ماكان بينه وبين الملاذ أياً كانت)[٢]

فهذا القول شهادة على الخصوم ، من قبيلهم ، تبين زيف شبهاتهم .

٢ = بخصوص تعدد الزوجات :

يقول " هنرى دى كاسترى " :

(إن الناس بالغوا كثيراً فى مضار تعدد الزوجات عند المسلمين ، إن لم نقل : إن مانسبوه إليه من ذلك غير صحيح ؛ فماتعدد الزوجات هو الذى ولّد فى الشرق تلك الرذائل الفاضحة ، بل المعقول أنه من شأنه تلطيفها .

على أننى لست أدرى إن كانت تلك الرذائل أكثر منها فى الغرب ، بل تلك وصمة ألصقت بالإسلام بواسطة السوَّاح الذين يرون أمراً فى فرد فيجعلونه عامّاً من غير تثبت فيه ، ولولا هذا التعميم السطحى لما وجدوا شيئاً يملأون به مؤلفاتهم)[٣]

فتأمل رد هذا الكاتب على أهل ملته ، ومن وافقهم ، وتأمل إشارته إلى

١- توماس كارليل : كاتب إنجليزى عاش بين ١٧٩٥-١٨٨١م ومن آثاره : (الأبطال) وقد عقد فيه فصلاً رائعاً عن النبى ﷺ وله كتب أخرى . قالوا عن الإسلام د. خليل صـ ١٢٣.

٢- الأبطال لكارليل ، ترجمة محمد السباعى صـ ٨٣.

٣- الإسلام خواطر وسوانح صـ ٥٦.

منهج من مناهج المستشرقين الذين يتمطقون بدعوى " الحياد " و دعوى " البحث العلمى الدقيق " وهم يأخذون الروايات التى توافق هواهم ، وأهدافهم دون بحث وتثبت وتأكد يقتضيه البحث العلمى الصحيح .

المبحث الثانى : شبهة القول بأن الإسلام دين مثالى خيالى .

هذه الشبهة أخذت حيِّزاً كبيراً من اهتمام ، وكتابات المستشرقين والمستغربين .

أولا : خطورة الشبهة .

هذه الشبهة تكتسب خطورتها من أمرين :

أولهما : استغلالها حب الإنسان - المجبول عليه - للتقدم والارتقاء ، ومحبته درك مافاته ومحاكاة غيره فى التسابق إلى الفوز بالدرجات العلى .

وثانيهما : أنه ليس كل المتلقين من المسلمين - ناهيك عن غيرهم - على علم بثوابت دين الإسلام ، وحقائق الواقع ليمكنهم تمييز الجيد من الردىء من الأقوال والادعاءات .

ثانياً : علاقة الشبهة بواقعية الدعوة الإسلامية

القول بأن الإسلام لايلائم الواقع ، أو أنه لايفى بمتطلباته ؛ يراد منه : أن الإسلام دين توقف عند مرحلة معينة ، وحدود معينة ؛ فهو لايراعى حال المدعو ، وبالتالى فلا يصح خطابه ، ولايقبل ؛ لأن مراعاة حال المدعو ضرورة لقبول هذا المدعو للدعوة الموجهة له .

ومن ثمَّ فإنه لا يصلح أن يكون ديناً لكل الناس فى كل الأزمان .

ثم حين يفلحون فى التلبيس على الناس بهذه الشبهات ، ينتهون - فى مرحلة لاحقة غير منفصلة عن المرحلة السابقة - إلى أن ضرورات العصر تتطلب الانسلاخ من تبعية الدين الإسلامى الذى يعيق تقدم الإنسان ، ويكبت حرياته - هكذا زعموا -

وإذا استطاع الشانئون التأثير فى قناعة المسلمين بدينهم ؛ فإن الإسلام يكون حينئذ غريباً عن أهله ، أو كما قال قائلهم : دين فى الكتب الصفراء ، والعقول الخاوية .

ثالثاً : صور الشبهة والرد عليها .

١ = صور الشبهة

لهذه الشبهة عدة صور :

١ = زعموا أن الإسلام يفرض قيوداً غير واقعية على المرأة ، كالحجاب مثلاً .

٢ = زعموا أن الإسلام دين مثالى خيالى ؛ يدعو إلى الرهبنة ، والتعلق بالآخرة ، وتصوير أحوال النار والجنة ، الخ ...

٣ = زعموا أن الإسلام لايصلح للحكم والإدارة ؛ لأنه دين جامد .

٢ = الرد على الشبهة .

لو استطردت فى الرد على عناصر هذه الشبهة بالتفصيل لاستغرق ذلك معظم البحث ؛ غير أنى رأيت أن أكتفى بأمثلة على خطوات الرد ؛ لأن الهدف من البحث التنبيه إلى خطأ المرجفين ، وليس هدفه الاستقصاء .

أولا : دلالة النصوص .

١ = يرد على شبهة : أن الواقعية هى ترك الحجاب :

قوله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ... ﴾ النور ٣١.

فإن الآية تدل دلالة قطعية بصيغة الأمر على وجوب الحجاب ، وترك إبداء الزينة .

يقول ابن كثير رحمه الله :

(ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فإنهن لم يكن يفعلن ذلك ، بل كانت المرأة منهن تمر

بين الرجال مسفحة [1] بصدرها لايواريه شيء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها ، وأقرطة آذانها ، فأمر الله المؤمنات أن يستترن فى هيئاتهن وأحوالهن) [2]

٢ - ويَرُدُّ على شبهة أن الإسلام يدعو إلى الرهبانية فحسب ، قولُه تعالى :

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ القصص ٧٧.

فقد دلت الآية الكريمة على أن الإسلام دين واقعى يراعى حال المدعو ، فيحسب حساباً لحاجاته المادية فى الحياة الدنيا ، مع أمره بالتطلع إلى الجزاء من الله فى الآخرة .

كما دلت الآية الكريمة بوضوح على ثمرة الواقعية، وهى منع الفساد فى الأرض.

قال ابن كثير رحمه الله :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة : أى استعمل ماوهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة فى طاعة ربك ، والتقرب إليه بأنواع القربات ، التى يحصل بها الثواب فى الدنيا والآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا : أى مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والمساكن والمناكح ؛ فإن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولزوجك عليك حقاً ، فآت كل ذى حق حقه ، وأحسن كما أحسن الله إليك : أى أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك ، ولاتبغ الفساد فى الأرض : أى لاتكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به فى الأرض ، وتسيء إلى خلق الله ، إن الله لايحب المفسدين) [3]

---

١ - يقال لكل من عمل عملا لايجدى عليه : مسفّحٌ ، وقد سفّح تسفيحاً . لسان العرب لابن منظور بترتيب الخياط ١٥٤/٢. مادة (سفح)

٢ - تفسير ابن كثير ٢٩٧/٣

٣ - المصدر السابق : ٣ / ٤١٦.

٣ - ويرد شبهة أن الإسلام دين جامد لايصلح للحكم والإدارة قوله تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المائدة/ ٤٤

وقوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة/ ٥٠.

ففى الآيتين دليل صريح على أنه لايجوز التحاكم إلى غير الله ؛ لأن حكمه هو أحسن الأحكام ، وحكم الله بلغنا فى شرعه على لسان رسله صلى الله عليهم وسلم .

يقول ابن كثير رحمه الله :

(ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المُحْكَم ، المشتمل على كل خير ، والناهى عن كل شر ، وعدل إلى سواه من الآراء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم .... ومن أحسن من الله حكما : أى ومن أعدل من الله فى حكمه لمن عقل عن الله شرعَه ، وآمن به ، وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين ، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها ، فإنه تعالى هو العالِم بكل شىء ، القادر على كل شىء ، العادل فى كل شىء)[١]

ثانياً : دلالة العقل .

العقل السليم من غبش الباطل يدرك - دون ريب - أن الاستسلام للشهوات ضد الرشد ، وضد صلاح الإنسان .

ويدرك أن الفتنة هى أم الخطيئة ، وبالتالى فإن وضع قيود تحرس الناس من هذه الفتنة

١ - تفسير ابن كثير ٢/٧٢و٧٣.

ضرورة من ضرورات الإصلاح .

فالحجاب ، ومنع التبرج ، والنهى عن إبداء الزينة لغير المحارم ، ومنع الخضوع بالقول ، كل ذلك وأمثاله من الضوابط التى جاء بها الإسلام ؛ يدرك كل ذى عقل واعٍ أنها من الواقعية لاضدَّها ؛ لأنها تمنع الإصابة بمرض القلوب ، وهو داء الشهوات الذى هو أخطر داء .

ثالثاً : دلالة الواقع .

دلَّ واقع الغرب اليوم على أن تحرير المرأة من القيود ، والإيغال فى الشهوات إيذان بنهاية الحضارات ، وهلاك المجتمعات ، بل وقيل : " نهاية التأريخ ! " (١)

رابعاً : أقوال المنصفين .

(مسألة المثالية والواقعية فى الفقه الإسلامى ، أو فى أحكام الشريعة الإسلامية مسألة أثار حولها المستشرقون وغيرهم كثيراً من الجدل ، وتذرعوا بوصف المثالية المستمد من كون القرآن الكريم - مصدر الشريعة الإسلامية الأول - وحياً إلهياً إلى نفى وصف الصلاحية للتطبيق عن أحكام هذه الشريعة .

والأستاذ " **كولسون** " يقول فى مفتتح كتابه عن تأريخ القانون الإسلامى : ووصف قواعد هذه الشريعة - الإسلامية - بالمثالية لايعنى افتقار التعبيرات القانونية عنها للاعتبارات العملية الملائمة للحاجات الحقيقية للمجتمع ، كما أنه لايعنى أن عمل المحاكم الإسلامية لم يلحق أبداً بهذا المثال ؛ فإنه لاصحة لهذا أو ذاك . ولكن هذا الكاتب فى كتابه tensions onficts يخصص فصلا للتنازع بين النزعة

---

١ - هذا هو عنوان كتاب يحكى بعضاً من واقع الحضارة الغربية ، ألفه : فرانسيس فوكوياما ، ترجمه د. حسين الشيخ .

المثالية والنزعة الواقعية فى تطبيق القانون الإسلامى) [1]

إن هذا النص يرشدنا إلى أمرين :

أولهما : الشهادة بواقعية الدعوة الإسلامية ، وبملاءمتها لحاجات المجتمع ، وأن تطبيق شرع الله لم يكن عيباً فى المحاكم الشرعية .

وثانيهما : الإرشاد إلى منهج من مناهج المستشرقين ، وهو التناقض البيّن ؛ فهذا المستشرق اعترف فى أحد كتبه بالحق ، وأظهر توازن الإسلام فى مجال المثالية والواقعية - أى مراعاة حال المدعو - ولكنه تذكر أهدافه فى كتاب آخر فأخذ يبذر الشبهات والاجتهادات القاصرة .

ونستفيد من هذا أن الاستدلال بأقوال المنصفين ثقل فى ميزان الاستدلال ، وكأننا نقول لهذا المستشرق : (من فمك ندينك) ونقول لغيره (من فم بنى جنسك ندينك)

١- النظام القانونى الإسلامى د. محمد العوا . مناهج المستشرقين . مكتب التربية العربى لدول الخليج ٢٥٧/١.

المبحث الثالث : شبهة القول بأن الإسلام دين العنف والاستبداد .

أولاً : خطورة الشبهة :

هذه الشبهة تكتسب خطورتها من أمرين :

١ - أنها تعتمد على استثارة ما جبل عليه الإنسان من حب للحرية - ولكن أى حرية ؟ - وكره استغلال غيره له ، ولكنها استثارة بغير حق .

٢ - أنها تعتمد على استغلال المصطلحات فى غير محلها ، مثل المساواة الخ ...

ثانياً : علاقة الشبهة بواقعية الدعوة الإسلامية

النفوس المستقيمة تنفر من الذل والاستعباد ، والظلم ، والدين الذى يقوم على هذه الرذائل لايصح أن يقال عنه : إنه دين واقعى بأى صورة كانت .

ثالثاً : صور الشبهة والرد عليها .

١ = صور الشبهة

لهذه الشبهة عدة صور :

١ = زعموا أن الإسلام دين العنف والوحشية .

٢ = زعموا أن الإسلام ليس دين المساواة بين الجنسين .

٢ = الرد على الشبهة .

إن الزعم الكاذب لاتقوم له قائمة فى ميدان الاستدلال ، وهذه الشبهة تقوم على هذا الزعم ، دون غيره .

ومراعاة الإسلام لحاجات الإنسان المادية والروحية ، ومتطلبات أمنه ،

وضروراته التى لايحيا بدونها يلزم منها أن يضبط هذه الحاجات بضوابط تمنعها من إيذاء الغير ، وهذا هو عين التوازن .

ومن خلاله فإن خطأ هذه الشبهة يظهر جلياً ؛ لأنها تنظر إلى طرف واحد من طرفى معادلة التوازن تلك ، دون حساب للطرف الآخر ، وضرورة الربط بينهما .

أولا : دلالة النصوص .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (١)

وقال ﷺ : (قال الله ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) (٢)

وقال تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ (٣)

فقد حرَّم الله الظلم على نفسه وجعله محرَّماً بين العباد ، فلا مجال حينئذٍ للقول بأن عدم المساواة بين الجنسين فى الميراث أو غيره من ظلم الشريعة الإسلامية واستبدادها ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً ؛ لأن هذا شرع من الله لِحِكَمٍ بيَّن بعضها سبحانه .

وإذا كان المستشرقون يدعون أن التعليمات لدى قادة الفتح الإسلامى تضمنت القتل والتعذيب فإن من المناسب أن أذكر هنا ما تضمنته وصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه لكل أمير من أمرائه المجاهدين :

١- النساء /٤٠.

٢- مسلم بشرح النووى فى كتاب البر ١٣٢/١٦.

٣- النساء /٣٤.

(إنى موصيك بعشر : لاتقتلن امرأة ، ولاصبياً ، ولاكبيراً هرماً ، ولاتقطعن شجراً مثمراً ، ولاتخربن عامراً ، ولاتعقرن شاةً ولابعيراً إلا لمأكلة ، ولاتحرقن نخلاً ولاتغرقنه) (١)

ثانياً : دلالة العقل .

العقل الصريح يمج هذه الدعوى ، ولايستسيغها ؛ لأن التسوية بين غير المتماثلين دليل على فساد العقل .

والرجل والمرأة ليسا متماثلين على الإطلاق ، ولذا فإن الإسلام يعاملهما معاملة واحدة فى المواضع التى يتساويان فيها :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (٢)

وكذلك حال العقل السوىّ مع شبهة عنف الإسلام ؛ فالدين الذى حرَّم الظلم ووزنه بموازين الذرَّة يستحيل - عقلاً - أن يأمر بالعنف والوحشية والاستبداد أو يبيحها لأى ظرف كان .

ثالثاً : دلالة الواقع .

بالنسبة للمساواة المطلقة بين الجنسين فإن الواقع يكذب مثل هذه الشبهة ، وكل نفس بشرية تدرك أن الذكر يختلف عن الأنثى ، بل وصل واقع المشركين بهم إلى وأد البنات ، أى دفنهن حيَّات خشية العار والعيلة .

قال سبحانه وتعالى حاكياً واقع امرأة عمران حين ولدت مريم عليها السلام :

---

١ - موطأ الإمام مالك مع شرح الزرقانى ١٢/٣.

٢- آل عمران ١٩٥.

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ آل عمران ٣٦ .

وبالنسبة لوحشية المسلمين وحبهم للعنف فإن واقع الإسلام ، وتأريخ فتوحات الإسلام ، وقبول الناس به قروناً طويلة متعاقبة ، بل وإقبالهم على الدخول فيه أفواجاً فى كل عصر ، مهما كانت حال المسلمين من ضعف أو قوة ، حتى وقتنا الحاضر ينفى هذه الشبهة ، وقد بينتُ شيئاً من هذا عند حديثى عن : (شبهة انتشار الإسلام بالسيف) فى الباب السابق (الكتابات حول عالمية الدعوة الإسلامية)

يقول الدكتور مصطفى السباعى [١]

(للتدليل على تسامح المسلمين وتعصب خصومهم هذه شهادة لحبر كبير من أحبار النصرانية ، ليس بمتهم فى تحيزه ، لقد تحدث بطريرك انطاكية ميخائيل الأكبر ، وقد عاش فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر - بعد أن خضعت الكنائس الشرقية للحكم الإسلامى خمسة قرون - عن تسامح المسلمين ، واضطهاد الروم للكنائس الشرقية، فقال : (وهذا هو السبب فى أن إله الانتقام الذى تفرد بالقوة والجبروت ، والذى يُدِيل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء ويرفع الوضيع ، لما رأى شرور الروم ، الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا ، وسلبوا ديارنا... أرسل أبناء إسماعيل (العرب) من الجنوب (الجزيرة العربية) ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم) [٢]

---

١ ـ الدكتور الشيخ مصطفى بن حسنى أبو حسان السباعى عالم إسلامى مجاهد ، ولد بحمص وتعلم بها وبالأزهر عاش بين ١٣٣٣-١٣٨٤هـ (١٩١٥-١٩٦٧م) الأعلام للزركلى ٢٣١/٧.

٢ ـ من روائع حضارتنا للدكتور الشيخ مصطفى السباعى صـــ ٩٣.

نستفيد من هذا النص أن المسلمين أبدوا من التسامح مع النصارى مالم يبده معهم من اختلف معهم من أهل دينهم ، وقد سبق أن أوردت كلاما لأرنولد ، ولوبون ، وغيرهما يؤكد هذه الحقيقة .

بل إن واقع الغرب اليوم يشهد بانتقاص حقوق الأفراد ، وامتهان كرامتهم ، والبعد عن الواقعية في بلاد الحرية التي أقيم تمثالها في أكبر ميناء بحرى من مدنها ، وموانئها تجرى مأساة اضطهاد الزنوج ، وهي أبشع جريمة ضد الإنسان عرفها التأريخ ، ففي الميدان الثقافي لايسمح في عشرين ولاية أمريكية للزنوج أن يتعلموا في مدرسة واحدة مع البيض ، وفي ميدان العمل تقضي قوانين بعض الولايات بأنه لايسمح للعمال الزنوج أن يقيموا مع العمال البيض على صعيد واحد في المصانع ، وفي ميدان الشؤون الاجتماعية تقضي قوانين أربع عشرة ولاية بعزل الركاب البيض في القطارات الحديدية عن السود ، وعلى مرمى النظر من البيت الأبيض في واشنطن ينبسط حي يعيش فيه مائتان وخمسون ألف زنجي أي ربع سكان العاصمة كما تعيش الحيوانات في زرائبها [1]

وإذا كانت بعض مظاهر التمييز العنصري في أمريكا قد ألغيت فإن كثيراً من تلك المظاهر لاتزال باقية، يدل عليها تلك الاحتجاجات التي تظهر هنا وهناك عند أية مناسبة ؛ لأن النفوس متشبعة بالنظرة العرقية الضيقة .

رابعاً : أقوال المنصفين .

يقول " مارسيل بوازار " [2]:

---

١ ـ من روائع حضارتنا د. السباعي من الصفحات ٧٦-٧٨. مختصرة .

٢ ـ مارسيل بوازار ، مفكر وقانوني فرنسي ، اهتم اهتماماً كبيراً لمسألة العلاقات الدولية ، وحقوق الإنسان ، وله كتابات كثيرة في هذا المجال ، وهو مكلف بالبرامج الخاصة بمعهد الأمم المتحدة للتأهيل والبحث ، ويشغل منصب الأمين العام للجمعية الثقافية الدولية (الإسلام والغرب) وله :

فضلاً انظر الصفحة التالية= .... ↖

(لقد أظهرت الرسالة القرآنية ، وتعاليم النبى ﷺ أنها تقدمية بشكل جوهرى ، وتفسر هذه الخصائص انتشار الإسلام السريع بصورة خارقة خلال القرون الأولى من تأريخه) (١)

إن الرسالة القرآنية ، والتعاليم النبوية ، التى استأثرت بإعجاب هذا المستشرق ، ودلته إلى سبب انتشار الإسلام انتشاراً سريعاً ؛ لايصح أن تكون عنفاً واستبداداً ووحشية ؛ لأن النفوس لاتعيش مع القهر والظلم ، ولو كانت هذه التعاليم وحشية لم يستمر لواء الإسلام مرفوعاً فى أقطار متباعدة من الأرض قروناً طويلة .

وتقول " لورافيشيا فاغليرى " (٢)

(فى ما يتصل بالزواج لاتطالب السنة الإسلامية بأكثر من حياة أمينة إنشائية ، يسلك فيها المرء منتصف الطريق ، متذكراً الله من ناحية ، ومحترماً حقوق الجسد والأسرة والمجتمع وحاجاتها من جهة ثانية ...

واجتناباً للإغراء بسوء السلوك ، ودفعاً لنتائجه يتعين على المرأة المسلمة أن تتخذ حجاباً ، وأن تستر جسدها كله ، وليس هذا ناشئاً عن قلة احترام للنساء ، أو ابتغاء كبت إرادتهن ، ولكن لحمايتهن من شهوات الرجال) (٣)

إنسانية الإسلام والإسلام اليوم . انظر : مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين د. على النملة صـ ٤٣، وقالوا عن الإسلام د. خليل صـ ٥٣.

١ - إنسانية الإسلام لمارسيل بوازار . ترجمة عفيف دمشقية صـ ٧٤ ومابعدها .

٢ - لورا فيشيا ، باحثة إيطالية ، انصرفت إلى التأريخ الإسلامى قديماً وحديثاً ,فقه اللغة العربية ، من آثارها : قواعد العربية الصادر عام ١٩٣٧م والإسلام ١٩٤٦م ودفاع عن الإسلام ١٩٥٢م . ولها عديد من الدراسات الاستشراقية . قالوا عن الإسلام د. خليل صـ ٧٥.

٣ - دفاع عن الإسلام للورافيشيا . ترجمة منير البعلبكى المقطع الأول صـ ٨٨ والمقطع الثانى صـ ١٠٣.

إن أهمية هذين النصين تظهر بجلاء لاغبش عليه فى أنهما يدلان على :

١ - أن الإسلام دين تقدمى ، أى عكس مايروجه كثير من المستشرقين والمستغربين ، الذين يصفونه بالجمود والرجعية .

٢ - أنه دين واقعى يراعى مطالب الروح ومطالب الجسد .

٣ - أن الشهادة على عدالة الإسلام فى المساواة بين الجنسين بحسب طبيعة كل فريق صادرة من امرأة غربية فى موضوع يخص بنات جنسها ، ضد أقرانها من المستشرقين .

الباب الثالث

أثر شبهات المستشرقين والمستغربين فى الدعوة الإسلامية

تمهيد

يتكون هذا الباب من ثلاثة فصول على النحو التالى :

الفصل الأول : الآثار التربوية والثقافية فى المجتمعات المسلمة .

الفصل الثانى : الآثار الفكرية فى المجتمعات غير المسلمة.

الفصل الثالث: وسائل وأساليب الدعوة فى مواجهة الشبهات.

الفصل الأول

الآثـار التربوية والثقافية

فى المجتمعات المسلمة

(الآثار التربوية والثقافية لشبهات المستشرقين والمستغربين حول الدعوة الإسلامية فى المجتمعات المسلمة)

" الإسلام قوى بذاته " لقد أثبتت الوقائع ، وأحداث التأريخ صحة هذه الحقيقة فى عدة مواقف .

فبعد وفاة النبى ﷺ كانت الظروف الاجتماعية والسياسية صعبة جداً ؛ فقد كان الأعداء يتربصون بالمسلمين ؛ ففى الداخل هناك المشركون والمنافقون والمرتدون ، وفى الخارج هناك الروم والفرس .

(وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة فى كُلِّ قبيلةٍ ، ونجم النفاقُ ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، والمسلمون كالغنم فى الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم) (١)

ومع ذلك وفى هذه الظروف الصعبة هيأ الله للمسلمين نصراً مؤزراً فى حروب المرتدين التى حفظت الكيان السياسى للدولة الإسلامية .

وهيأ سبحانه أمر جمع القرآن الكريم ، فجُمِع فى الصحف فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ثم جمع فى المصحف فى عهد عثمان رضى الله عنه . فحفظ هذا الجمع للإسلام الجانب الدينى والتشريعى .

والشبهات التى أثيرت حول الدعوة الإسلامية كان لها تأثير سلبى على كثير من

١ـ انظر البداية والنهاية لابن كثير ٦/٣٤٣.

المتلقين ، إلا أنها لم تكن شراً محضاً فقد جعلها المولى سبحانه سبباً لهداية بعض الناس ؛ فكان لها تأثير إيجابى من جهة أخرى ، وإن لم يكن هذا التأثير الإيجابى مقصوداً أو مرغوباً فيه ممن أطلق تلك الشبهات ، وروَّج لها .

(فمهما يكن الرأى فى الاستشراق بين مدح أو قدح فإن هناك التقاءً بين المنصفين على أمرين :

أولهما : أن الاستشراق انبثق من أفكار تنصيرية ، هى من وجهة نظرنا - نحن المسلمين - تخريبية ، تهدف إلى مهاجمة حصوننا من داخلها ، وتلك هى أخطر أنواع الحروب.

وثانيهما : أن المستشرقين كانوا أساتذة بارعين فى التحقيق والتدقيق ، والغوص فى التراث؛ بغض النظر عن أغراضهم ، وعن تباين هذه الأغراض التى قد تخلو فى أحايين قليلة من الشوائب إلا الهدف العلمى المحض ، ولأهمية الأثرين الكبيرين للاستشراق والمستشرقين فى السياسة والفكر ؛ كان حتماً أن يُعْنى المؤلفون العرب بهذين الأثرين وماينتج عنهما من آثار فرعية كثيرة) (١)

وفى ضوء هذه النتيجة فإننى عُنِيتُ بإبراز الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية لتلك الشبهات فى المجتمعات المسلمة ، وفى المجتمعات غير المسلمة على قدر طاقتى ، وأدواتى .

١- مقدمة كتاب الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية للسامرائى كتبها عبدالعزيز الرفاعى صـ ٥.

المبحث الأول

﴿ الآثار التربوية ﴾

قبل الدخول فى لجة بيان الآثار التربوية للشبهات حول الدعوة الإسلامية لابد – فى نظرى – من التأكيد على أهمية محاكاة الناس لغيرهم واثرها البين فيهم .

وفى هذا مبحث نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أورده هنا ، قال :

(فمع وجود ذلك – أى الفعل المتواصى به – فى نظرائهم يقوى المقتضى عندهم كماهو الواقع ؛ فيقوى الداعى الذى فى نفس الإنسان وشيطانه ، ومايحصل من الداعى بفعل الغير والنظير .

فكم ممن لم يرد خيراً ولاشراً حتى رأى غيره ، لاسيما إن كان نظيره يفعله ففعله ؛ فإن الناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض ...

فإذا كان هذان – وجود الشيء عند النظير وحب التشبه به – داعيين قويين فكيف إذا انضم إليهما داعيان آخران :

أولهما : الموافقة فى الأهواء والشهوات ؛ فإن كثيراً من أهل المنكر يحبون من يوافقهم على ماهم فيه .

وثانيهما : بغض من لايوافقهم ، بل وقد يعادونه ويؤذونه إذا لم يشاركهم .

وهذا الموجود فى المنكر نظيره فى المعروف وأبلغ منه ، كما قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا

لِلَّهِ﴾ (١)

فإن داعى الخير أقوى) (٢)

وفى ضوء هذه الحقيقة التى قررها ابن تيمية نجد أن الشبهات التى أثارها المستشرقون والمستغربون حول الدعوة الإسلامية لها آثار تربوية كثيرة فى نفوس المسلمين ؛ وأن لها طرفين :

الطرف الأول : سلبى ، أثّر بالنقص فى قناعة بعض النفوس المسلمة بعالمية الدعوة الإسلامية وامتدادها وقوتها ، وواقعيتها .

والطرف الثانى : إيجابى ، أيقظ البواعث الكامنة والمتطلبات الطبعية فى النفوس المسلمة للدفاع عن دعوة الإسلام ، ودفع كيد الشانئين عنها .

وقد خصصت لكل طرف فى كل مبحث من مباحث هذا الفصل مطلباً مستقلاً للحديث عنه ، وبيان درجته .

١- البقرة ١٦٥.

٢- الحسبة لابن تيمية رحمه الله بتحقيق النجار صـ ١٥٣-١٥٧.

المطلب الأول : الآثار الإيجابية .

إن أهم الآثار التربوية الإيجابية للشبهات حول الدعوة الإسلامية فى المجتمعات المسلمة - فى رأيى - هى :

١ = **ظهور الصحوة الإسلامية** ؛ فإن تلك الشبهات أثارت فى النفوس المسلمة كوامنها ، وفطرها المستقيمة ، فكانت هذه الشبهات صدمة نبهت عقولاً كانت غافلة ، وأيقظت ضمائر كانت نائمة .

فمثلاً (شهدت بلدان المغرب العربى صحوة إسلامية مباركة فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى فى الوقت الذى كانت فيه هذه البلاد تعانى من وطأة الاحتلال ، ولقد تعرضت هذه الصحوة وماتبعها من قيام الحركة الإسلامية لحرب عنيدة من قبل قوى الاستعمار المختلفة بما فيها الاستشراق ...

ولم يفتأ بعض المستشرقين يكيدون للإسلام والطعن فيه بشتى الوسائل ، وقد توالت ردود الفعل من الحركة الإسلامية تنكر هذا الكيد والهجوم على الإسلام) [١]

نعم إن غزو الاستشراق بلاد المسلمين فكرياً أثمر صحوة إسلامية فى كل مكان تعرض لذلك الغزو ؛ فإن الصراع بين الحق والباطل لابد أن يستمر .

وكما أن النصارى لم ينتصروا على المسلمين عسكرياً فى الحروب الصليبية فهم لم ينتصروا عليهم عقدياً ، ولم يستطيعوا تشكيكهم برسالتهم ؛ بل ازدادوا تمسكاً بدينهم .

ومن المؤكد أن شبهات المستشرقين والمستغربين قد أحدثت تأثيراً إيجابياً فى نفوس كثير من المسلمين ؛ نتيجة مواجهة الاستشراق والتنصير .

ذلك أن (من النتائج المثمرة التى أودت إليها مواجهة التنصير ؛ انتشار الوعى

١- المغرب العربى بين الاستعمار والاستشراق د. مازن مطبقانى صـ ١٥و٢٢.

الإسلامي لدى كثير من الطبقة المثقفة في عصرنا الحاضر ، كما تعمقت فى نفوس الناشئة من أبناء المسلمين مفاهيم الشريعة الإسلامية .

وتوالت دفعات المتخرجين من الجامعات الإسلامية تبشّر برسالة الإسلام ، وتجوب بها فى المعمورة ، داعية إلى التفيؤ بظلال هذه العقيدة السمحاء الوارفة ، وتعمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة ، التى ظهرت فى كثير من المجتمعات المسلمة نتيجة الغزو التنصيرى لها ، وكان لهذه الجهود الخيِّرة من هؤلاء الدعاة المصلحين أثرها الطيب فى انبثاق الصحوة الجديدة للشبان المسلمين ، والتى من ملامحها تطبيق الشريعة الإسلامية فى عدد من الدول الإسلامية) (١)

ولكن هل تستطيع هذه الصحوة أن تقف على قدميها فى مواجهة أعاصير التنصير والتغريب بدون تعاون المسلمين ، وبذل الجهود فى مجال مواجهة الغزو الفكرى أياً كان مصدره ؟

(فى ظل هذه التطورات يؤمَّل ألايُعوَّل كثيراً على مجرد المؤشرات الحسنة التى ظهرت على الساحة الإسلامية ؛ بل لابد مع هذا من تكثيف الجهود فى مواجهة الحملات التنصيرية ، واتخاذ الوسائل الحديثة فى سبيل المواجهة) (٢)

إن الذى أعنيه هنا هو : أن الغزو الفكرى وشبهاته لابد أن تثمر دروساً تربوية إيجابية نجدها فى الجهود الخيِّرة المبذولة بإخلاص ودأب للتصدى لذلك الغزو .

٢ = توحُّد كلمة المسلمين لمواجهة العدو المشترك . فإن من طبائع البشر أن يتحدوا مع أقرانهم إذا تعرضوا للخطر المحدق .

١- التنصير فى القرن الأفريقى . سيد أحمد يحى صـ ٢٠٩.

٢- التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله د. على النملة صـ١٠٨.

(فقد رأى القوم الحمية الدينية التى قابلتهم بها المقاومة ، وعرفوا أنها صادرة عن الروح الدينية ، وأيقنوا أن لاقرار لهم فى البلاد التى استعمروها إلا إذا قبضوا على هذه الروح فى الأجيال المقبلة من أهلها ، بل إن خطتهم كانت ترمى إلى أمرين أساسين :

أحدهما : إنشاء جيل مجانس لهم فى ثقافتهم ؛ ليسهل عليهم التفاهم معه .

وثانيهما : أن تخلو الأجيال المقبلة من الدين ، ومن الثقافة الإسلامية ، والحمية الدينية) (١)

٣ = شبهات المستشرقين حول المعانى التربوية للإسلام دفعت إلى تأمل هذه المعانى .

فإن بعض المسلمين ممن لم يكن لهم علم بالمعانى التربوية لكثير من تعاليم الإسلام ، وحين اطلعوا على شبهات المستشرقين والمستغربين دفعهم ذلك إلى التعرف على حقيقة تلك المعانى فى مظانها الصحيحة ؛ فوجدوا حقائق مشرقة تقبلتها عقولهم وتشربت بها نفوسهم ؛ فزادتهم إيماناً ويقيناً بسمو الدين الإسلامى .

(لقد كانت ظروف القرن التاسع عشر - بما تم فيه من استعمار الغرب للشرق الإسلامى ، وبما ساد فيه من التفكير الوضعى الواقعى لدى الغربيين من جانب ، وبما ظهر من ضعف الشرق اجتماعياً وسياسياً ، ومن سيطرة " التواكل " على حياة الإنسان فيه من جانب آخر - داعية إلى إيقاظ بعض المفكرين المسلمين وحافزة لهم على دراسة مايجب أن يكون عليه موقف الشرق الإسلامى إزاء :

❁ السلطة الاستعمارية الصليبية فى بلاد الشرق .

❁ وإزاء التفكير الغربى المادى الإلحادى ، وماعساه أن يحدثه من أثر سلبى يزيد فى

١- الغزو الفكرى . بحث د. عبدالستار سعيد صـ ٢٥٨.

ضعف المسلمين .

❁ وأخيراً إزاء الضعف متعدد الجوانب ، والذى طال عليه الأمد ، واستحوذ على نفس الفرد والجماعة فى الشعوب الإسلامية) [1]

نعم إن المعانى الروحية أصبحت قريبة من بحث المفكرين الإسلاميين ، فعملوا على تدنيتها إلى أفهام الناس لدفع الشبهات عن الإسلام .

٤ = شبهات المستشرقين حول الدعوة الإسلامية زادت ارتباط المسلمين بثقافتهم التربوية ، وتعلقهم بمعانى التزكية الإيمانية .

جاء فى كتاب " التبشير والاستعمار " نقلاً عن " جورج سارتون " [2] :

(إن المنصرين قد درسوا العالم الإسلامى من جميع نواحيه ، ثم وضعوا الخطط للقضاء على كل مقاومة أو مناعة فيه فى كل ناحية من تلك النواحى ، لقد استغلوا فى سبيل مآربهم كل وسيلة ، من العلم والطب والسياسة والحياة الاجتماعية ، ومن الثقافة والأدب واللغة.. لقد حرصوا على أن يسلبوا الإسلام كل مناحى الشخصية ، وكل أسباب الحياة ، ولكن العالم الإسلامى لم يمت ؛ لقد ظل العالم الإسلامى يستمد الحياة من ثقافته التى مازالت حية تنير العالم منذ ألف وأربعمائة سنة .

إن الشرقيين والعرب والمسلمين قد اقتنعوا أنهم أخذوا يتأخرون منذ مطلع العصور الحديثة فى ميادين الاختراعات المادية والعلوم النظرية والعملية ، وفى عالم السياسة الدولية ، وفى أسباب الحرب وآلاتها ، ولكن الشرقيين والعرب والمسلمين موقنون حق

١- الفكر الإسلامى الحديث د. البهى صـ ٢٣٠.

٢- جورج سارتون: مستشرق بلجيكى حصل على الدكتوراه فى العلوم الطبعية والرياضية عام ١٩١١م درس اللغة العربية فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ١٩٣١-١٩٣٢م له عدة مؤلفات . قالوا عن الإسلام د. خليل صـ٦٧.

الإيقان أنهم فى العصور الوسطى قد أدوا للعالم كله رسالة من أعظم الرسالات التى أدتها أمة من الأمم ؛ بشهادة " الفرنجة " أنفسهم قبل عصر التنصير وبعد عصر التنصير أيضاً) [١]

وفى ضوء هذه المعطيات فإن الشبهات المثارة ، وهى من إنتاج الفكر أسهمت فى إحداث صراع بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى ، وتسبب هذا الصراع فى صرف العقل المسلم نحو البحث والتنقيب عن المعانى التربوية فى ثقافته الأصيلة .

(وتعكس حياة وتأريخ " عزت بيغوفيتش " [٢] صورة واقعية من كفاح المسلمين فى يوغسلافيا - السابقة - من أجل المحافظة على هويتهم الإسلامية ، ومواجهة المحاولات التنصيرية الصربية المتكررة لطمسها ، واهتم بالنشاط الإسلامى نتيجة الاضطهاد الذى كان يمارس فى حق المسلمين) [٣]

وفى ضوء هذا فإن اضطهاد المسلمين أثار كوامن وفطرة وبواعث الإيمان فى نفس بيغوفيتش وغيره للدفاع عن العقيدة .

(فالصراع إذاً عند المؤمنين خير فى جملته ، وإن بدا جانب الضرر فيه أظهر

١- التبشير والاستعمار للخالدى وفروخ صـ ٢١٧.

٢- ولد بيغوفيتش فى البوسنة سنة ١٩٢٥م وصار محامياً ثم رئيساً لجمهورية البوسنة والهرسك . ، اشترك فى جمعية الشباب المسلم عام ١٩٤١م وسجن عام ١٩٤٦ ثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة بتهمة القيام بنشاط إسلامى ، ألف عام ١٩٧٠م كتاب : الإعلان الإسلامى ، كما ألف عام ١٩٧٦م كتابه الفريد : الإسلام بين الشرق والغرب باللغة البوسنية ، وترجم إلى الإنجليزية ، ولم يترجم - على حد علمى - إلى العربية رغم جودته ، وغزارة مادته انظر : المسلمون فى البوسنة والهرسك د. فهد بن عبدالله السمارى . صـ٢٨ و٢٩.

٣- المصدر السابق صـ ٢٨.

للمدى القصير وللنظرة المتعجلة ، وهو العامل الأساس الذى يكمن وراء كل تقدم بشرى وحضارى ؛ فهو الذى يحمل الضعيف والمتخلّف على أن يخلع أثواب الخمول والكسل ، ويشمّر عن ساعد الجد والعمل ، ويتحمل تكاليف الجهاد والكفاح ؛ ليكون الأفضل والأعلى .

وهو الذى يحمله على التضحية براحته والسهر ؛ لاستكمال وجوه النقص فيه ؛ لأنه يعرف أن ضعفه يعرّضه لعدوان الأقوى واستعباده ، وأنه فى حال قوته يجنى ثمرة عمله ، بينما هو فى حال ضعفه يعمل العمل نفسه لصالح مُستعبِديه ...

ذلك أن الإنسان تحت الشعور بالخطر والخوف من الفناء تنطلق مواهبه وإمكاناته الكامنة بأقصى طاقتها للدفاع عن الذات ، وتزداد هذه الجهود المبذولة إلى درجات خيالية لم يكن أصحابها أنفسهم يتصورون إمكانها تحت ضغط المنافسة بين الأطراف المتصارعة .

ومن المعروف الذى تثبته المشاهدة أن سرعة الذى يجرى فى سباق سلمى للبطولة تختلف عن سرعته حين يجرى فراراً من خطر يهدد حياته ؛ لأن فى جسم الإنسان قوى مدخرة لاتبرز إلا تحت الشعور بخطر الفناء ، وهى تبرز عند ذلك بروزاً تلقائياً خارجاً عن إرادته) (١)

إن من المهم - حقاً - أن ندرك ، ونعي حقيقة القوة الذاتية الكامنة فى طبع الإنسان ضد الخطر المحدق ؛ لأن هذا الإدراك هو سبيلنا لكى نثيرها عند الحاجة إليها .

وأهم من ذلك أن نعرف حق المعرفة أنها تنبعث من تلقاء نفسها ، ودون استصدار أمر من صاحبها ؛ فهذا الإدراك يجعلنا نسعى - جادين جاهدين - إلى أن نحسن تهيئة المسالك الراشدة لعملها .

١- الإسلام والحضارة الغربية د. محمد حسين صـ ١٩٤و١٩٥.

وفى مجال التطبيق العملى فى مجال هذا البحث فإن الهجمات الشرسة من المستشرقين والمستغربين ، وما أطلقوه خلالها من سهام الشبهات المسمومة ؛ كانت المثير للقوة الذاتية فى نفوس كثير من المسلمين ؛ لتنطلق - تحت تأثير شعورها بتهديد الخطر - من مرقدها لتدفع الخطر المحدق بها .

المطلب الثانى : الآثار السلبية .

إن أهم الآثار التربوية السلبية لتلك الشبهات فى المجتمعات المسلمة - فى رأيى - هى :

١ = سوء الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لعدد كبير من الدول الإسلامية .

فقد اندفعت بعض الدول المسلمة إلى الأخذ بنظريات المستشرقين الخاطئة عن الإسلام ، وطبقتها على شعوبها ؛ فساءت أحوالها . (١)

(منذ أتيح للغرب الصليبى أن يتسلط على الشرق الإسلامى أخذ يُحْدِث التغيير السياسى اللازم لبقاء سيطرته أولاً ، ثم لتحقيق الهدف من هذه السيطرة ثانياً .

فكان : احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠م ، ولتونس سنة ١٨٨١م ، ولمراكش سنة ١٩١٢م ، وللشام سنة ١٩٢٠م ، وكان احتلال بريطانيا للهند سنة ١٨٥٧م إيذاناً بزوال إحدى الدول الإسلامية الكبرى التى قامت فى مستهل القرن السادس عشر ، واحتلالها لمصر سنة ١٨٨٢م ، وللعراق سنة ١٩١٤م ، ولفلسطين سنة ١٩١٨م .

ولم يكن ذلك التوزيع وليد الصدفة ؛ فلقد كشف الاتفاق المنعقد بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٠٤م عن جانب من سياسة تقطيع أوصال العالم الإسلامى ، وصحب ذلك التقسيم إثارة القوميات المختلفة كالقومية الطورانية فى تركيا ، والقومية العربية فى البلاد العربية ، حتى اقتتل المسلمون تحت قيادة النصارى باسم القومية والتحرير) (٢)

١- انظر فى ذلك : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للندوى صـ ١٦٨.

٢- أساليب الغزو الفكرى لجريشة والزيبق صـ ٤٥.

وقد بينتُ عند الحديث عن الدافع السياسى من دوافع الاستشراق (المطلب الثانى من مدخل الدراسة - الاتجاهات الفكرية للاستشراق والاستغراب فى القرن ١٤هـ) أن كثيراً من المستشرقين عملوا فى وزارات المستعمرات ، والحربية ، والخارجية لبلدانهم ، وكانوا عوناً لها فى تقديم المعلومات التى احتاجت إليها وهى فى طريقها إلى استعمار بلاد المسلمين ؛ لأنهم كانوا مستشارين مسموعى الرأى والنصيحة ، ولاريب أن من أهم هذه المعلومات الشبهات التى تضعف ارتباط المسلم بدينه ، وتمهد الطريق للمستعمر .

وفى ضوء هذا فإن الاستشراق قد أسهم بشبهاته حول الدعوة الإسلامية فى تقطيع أوصال البلاد الإسلامية ، والمجتمعات المسلمة .

٢ = كبت شعائر الإسلام من الظهور فى بعض البلاد الإسلامية ، وتشويهها فى بلاد أخرى .

فإن تلك الدول المسلمة التى أثرت فيها الشبهات حول الإسلام ؛ حاولت ترقيع الإسلام ؛ بإظهار مالم تثر حوله الشبهات ، وهو فى الغالب ماليس له تأثير تربوى فى حياة المسلم ، ومحاربة ما أثيرت حوله الشبهات ، وهو مافيه الجانب التربوى والإيمانى ؛ مثل الحجاب ، والصلاة إلخ ...

٣ = شيوع البدع والخرافات فى كثير من بلاد المسلمين .

فشاعت الدعوة إلى التصوف ، والفرق الضالة ، والتعلق بالقبور ، والاحتفال بالموالد ، والأعياد مثل : عيد الأم وعيد الطفل وعيد الثورة ، وغير ذلك من الأعياد التى أصبحت ظاهرة فى المجتمعات المسلمة منذ القرن الرابع عشر الهجرى ولاتزال فى كثير منها تحت مسميات مختلفة .

فقد استطاعت كتابات المستشرقين والمستغربين المغلفة بدعوى البحث العلمى المنزه عن الهوى ، والمؤكد باستدلالات وشواهد من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة الوصول إلى قناعة كثير من المسلمين بصحة تلك البدع ؛ رغم أن تلك الاستدلالات لاتقوم بها حجة ، ولاتقف على قدمين فى ميدان النقد الصحيح ؛ لأنها لاتزيد عن تأويل خاطىء

للنصوص الصحيحة ، أو نصوص موضوعة أوضعيفة ، ولكن المرجفون لبّسوا على ضعاف العقول والإيمان حتى صرفوهم عن أوجه الحق .

(قد يبدو للناظر أن هذه الفلسفات الهدامة ، وماتردده من أفكار وماتروجه من أزياء الفكر والسلوك بمعزل عن تلك الركائز والوسائل المعادية للإسلام ، والحق أن هذه الفلسفات من تلك الركائز ، وتلك الركائز من هذه الفلسفات ، ومايجهل ذلك من مثقفى المسلمين أحد) (١)

وكانت البدع ميداناً فسيحاً اقتحمه المستشرقون والمستغربون على حين غفلة من المسلمين فأثّر فى أغلبهم أبلغ التأثير وأقساه .

(ومجال القول كثير متسع فى التصوف والمتصوفة ؛ غير أن الذى نستطيع أن نقرره هو: أنه إذا كان للحال التى وصل إليها المجتمع الإسلامى من ضعف وتخلف أكثر من سبب فإن للتصوف المكان الأول بين تلك الأسباب التى أوهنت عزائم المسلمين ، وألقت عليهم ظلالاً كثيفة من الضعف والتخلف) (٢)

والقاديانية ، والبابية ، والبهائية ، وغيرها من الفرق الضالة ، ومالقيته من تشجيع الاستشراق والتنصير والاستعمار ؛ لايحتاج إلى تدليل أو بيان شواهد ؛ لأنه من المشهور الذى يكاد يكون مشاهداً بالعين . (٣)

٤ = رجوع بعض المسلمين عن دينهم ، ولايبالى الحاقدون إلى أين يتجه المسلمون بعد تركهم دينهم .

١- الغزو الفكرى . بحث د. على محود ، صـ ١٥٩.

٢- المصدر السابق: بحث عبدالكريم الخطيب صـ ٤٢٠.

٣- انظر فى ذلك مثلاً الفكر الإسلامى للبهى صـ ٣٧-٤١.

فقد استطاع مثيرو الشبهات أن يؤثروا في بعض المسلمين - وهم قلة نادرة جدا - بدعوى قصور الإسلام وعجزه عن تلبية متطلبات العصر ؛ كما استطاع آخرون استغلال الظروف الاجتماعية والاقتصادية لبعض المسلمين حتى صرفوهم عن دينهم إلى النصرانية ، أو جعلوهم بلا دين .

بل وضيّق المستشرقون على التعليم الديني ، وعلى المتمسكين بدينهم في كل مكان كانت لهم فيه صولة وجولة ، وسلطة مباشرة ، أو غير مباشرة .

(والمجتمع المسلم لم يسلم من هذه الظاهرة - التنصير - بل ربما يكون المجتمع المسلم أكثر المجتمعات تعرضاً للتنصير ، نظراً للمقاومة التي يلقاها المنصرون من المسلمين أفراداً ، قبل المؤسسات والجماعات . ذلك أن المسلم يتربّى على الفطرة وعلى التوحيد، ويصعب حينئذ أن يتقبّل أيَّ أفكار فيها تعارض مع الفطرة ، أو فيها خلل في الجوانب العقدية ، وفي مخاطبة العقل مادام يملك البديل الواضح .

ومع هذا تستمر حملات التنصير على المجتمعات الإسلامية آخذة وسائل عديدة ، ومفهومات متجدّدة تختلف عن المفهوم الأساس ، وهو محاولة إدخال غير النصارى في النصرانية . والتنصير ظاهرة متجددة ومتطورة في آن واحد ، وتطورها يأتي في تعديل الأهداف وفي توسيع الوسائل تبعاً لتعديل الأهداف ، واتخاذ الأساليب العصرية الحديثة في تحقيق الأهداف المعدَّلة حسب البيئات والانتماءات التي يتوجه إليها التنصير حتى وصلت هذه الظاهرة عند البعض إلى أن أضحت علماً له مؤسساته التعليمية ومناهجه ودراساته ونظرياته) (١)

٥ = ظهور دراسات واجتهادات في المجتمعات المسلمة لمحاولة التقريب بين مبادىء الإسلام ، والمصطلحات الغربية .

١- التنصير في الأدبيات الحديثة د. علي النملة صـ ١٣.

فقد نفر قوم من المسلمين إما خبثاً نتيجة ولعهم بالغرب وبحضارته ، أو جهلاً بثوابت الإسلام وقواعده العامة ؛ فنقبوا فى الفقه الإسلامى ، والتأريخ الإسلامى، وسير الصالحين ؛ للبحث عن مؤيدات وشواهد لبعض المصطلحات الغربية ؛ فجعلوا المصطلح الغربى قدوة ، وطفقوا يبحثون فى الإسلام عن مقابل أو شبيه له . ومن الموضوعات التى طرقها هؤلاء فى هذا المجال : الديموقراطية والشورى ، والربا والربح ، والإسلام الاشتراكى الخ ...

ولم يفطن هؤلاء إلى الفوارق الرئيسة بين المصطلحات الغربية والمسميات الإسلامية .

(من أهم الأهداف التى يسعى المنصِّرون إلى تحقيقها فى مواجهة الإسلام : إخراج المسلمين من الإسلام ، أو إخراج جزء من المسلمين من الإسلام ... وبذر الاضطراب والشك فى المبادىء الإسلامية لمن أصرُّوا على التمسك بالإسلام ، ولم يُجْدِ فيه الهدف السابق (محاولة الإخراج من الإسلام) ، وقد تكرر هذا الهدف فى محاولات المنصِّر المعروف " صامونيل زويمر " الذى خاض تجربة التنصير فى البلاد العربية بعامة ، وركّز على منطقة الخليج العربية بخاصة) [1]

بل وصل الأَمْرُ - وهذا أدهى وأَمَرُّ - إلى التجاوز عن تنفيذ الحدود الشرعية ؛ مثل حد الزنا والسرقة حتى لايقال : إن الإسلام دين العنف والوحشية .

وحين يلقى المرء نظرة على ماحوله من بلاد المسلمين ، فلا بدَّ أن يسأل نفسه : كم بلداً من بلاد المسلمين تنفذ الحدود الشرعية ؟

وسيجد حينئذ الجواب مفزعاً، وسيظهر له أثر الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية ، وواقعيتها ، بل حول الإسلام كله ظاهراً جلياً . والله المستعان .

٦ = تغريب التعليم والتربية ، وتمجيد ثقافة المستغرب ولغته .

١- التنصير فى الأدبيات العربية د. على النملة صـ ٣٤. ويلاحظ تركيزى على مايتعلق بالعنصر الذى أعرضه هنا وسيأتى ذكر بقية الأهداف عند الحديث عن العنصر المخصص لها فى ضوء تقسيم البحث .

وترتّب على هذا التغريب انتقاص المعانى التربوية والتزكية الإيمانية التى حرص الإسلام على رعايتها عند طلب العلم .

ومن باب هذا التأثير صورتان خطيرتان - فى رأيى - وهما :

الصورة الأولى : محاربة التعليم الدينى ؛ كما حدث للأزهر فى مصر من بعض المستشرقين ، بل حتى من بعض خريجيه الذين استغربوا .

الصورة الثانية : فصل التعليم الدينى عن التعليم العام ؛ لتستقر فى الأذهان قناعة بالفصل بين الدين والحياة . ولتبقى العلوم التطبيقية بمنأى عن تأثير الدين فيها .

فمن وسائل المستشرقين لتحقيق شبهاتهم : (فصل العلوم الدينية عن العلوم الأخرى فصلاً يجعل بينهما هوة سحيقة ، واصطناع الخلاف والشقاق ، ثم العداء بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، وبين علماء هذين القسمين ، وتيسير سبل المال والمجدالدنيوى لمتعلمى علوم الدنيا ، وحجبها عن نظرائهم من متعلمى علوم الدين .

ولم تقتصر عملية الفصل هذه على مستوى التعليم التخصصى العالى ، ولكن المكيدة كانت شاملة ، تهدف إلى عزل طلاب علوم الدنيا عن الدراسات المتعلقة بعلوم الدين عزلاً تاماً فى الصيغة والطريقة والمضمون ، وإلى عزل طلاب علوم الدين عن الدراسات المتعلقة بعلوم الدنيا عزلاً تاماً أيضاً ؛ لئلا تتكشف الملاءمة التامة بين الأصول الصحيحة لقسمى علوم الدين وعلوم الدنيا ، فينصر الحق من كل منهما الحق من صاحبه ، وينفى عنه الدخيل الدعى ، ولئلا تتكامل منهما المعرفة على صراط الله المستقيم ، فيحتل المسلمون الصادقون مجد الدنيا والآخرة) [1]

ولكن هل تحقق لهم ذلك ؟

١- الغزو الفكرى . بحث حبنكة الميدانى صـ ٥١٠.

الجواب نعم فى الصورة ، أما فى واقع الأمر فإننا نرى كثيراً من الأطباء والمهندسين وعلماء الكيمياء والفيزياء هم أشد الناس تمسكاً بدينهم .

بل وامتدت نار الخطر - فى المجال التربوى - لتلتهم الأخضر واليابس فوصلت حتى الريف بما فيه من فطرة .

(وقد وقع بين يدى كتاب أصدرته الجامعة الأمريكية فى بيروت عام ١٩٥٦م يحتوى على محاضرات فى نظم التربية ؛ هى سجل لما دار فى مؤتمر دعت إليه هذه الجامعة ، واشترك فيه جماعة من كبار المسئولين عن التربية فى مصر وفى سوريا والعراق والأردن ولبنان ...

و المركز الدولى للتربية الأساس فى العالم العربى لاعمل له إلا سلخ الريف العربى من دينه وخلقه وعروبته ، وطبعه بالطابع الأمريكى ، وهو يتولى هذه المهمة إتماماً لما بذله الغرب من جهود فى " فرنجة " هذه المنطقة ، بعد أن تبين للمستشرقين أن تأثير "الفرنجة " لم يتجاوز المدن)[1]

٧ = **التنفير من الخلافة الإسلامية** ؛ لأنها عامل توحيد للمسلمين .

(لذا ركّز المستشرقون والمنصرون والمستعمرون فى دراساتهم وأعمالهم للحيلولة بين المسلمين وهذا المطلب العزيز ، فأخذ المستشرقون على عاتقهم نشر كل مايسيء للخلفاء بتوهين شخصياتهم ، وتشكيك الناس فى حسن أخلاقهم وإدارتهم ، فأخذوا يكيلون لهم كل تهمة باطلة كما هو الحال مع الخليفة الصالح هارون الرشيد [2] الذى صوروه رجل مجون وفسق ؛ زوراً

١- حصوننا مهددة من داخلها د. محمد محمد حسين صـ ١٩و٢٠.

٢- هارون الرشيد بن محمد المهدى العباسى خامس خلفاء الدولة العباسية ، عاش بين ١٤٩-١٩٣هـ ولاه أبوه غزو الروم فى قسطنطينية ، وحاصرها حتى صالحه أهلها على مبلغ من المال ، ولى الخلافة بعد أخيه الهادى سنة ١٧٠هـ ، كان يحج سنة ويغزو سنة ، شجاعاً كثير الغزوات . الأعلام للزركلى ٦٢/٨.

وبهتانـاً) [١]

ووحدة المسلمين خطر يهدد النصرانية ، ويهدد كل دين باطل ، ويحجز كـل المطـامع الاستعمارية ، يقول " **أورمسبى غو** " [٢] فى وثيقة سرية محفوظـة فـى المركـز العـام للوثائق بلندن :

(إن الحـرب علمتنـا أن الوحـدة الإسـلامية هـى الخطـر الأعظـم الـذى ينبغـى علـى الأمبراطورية أن تحذره وتحاربه ، وليس الأمبراطورية وحدها ، بل وفرنسا أيضاً ، ولفرحتنـا فقد ذهبت الخلافة ، وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة) [٣]

٨ = توهين الشخصية الإسلامية وتحطيمها ؛ لأن عزة المسلم وركيزة شـخصيته العامة هى حصنه الحصين ودرعه المتين .

(فركز المستشرقون علـى تحطيـم الشـخصية الإسـلامية كزعمهـم أن النـاس أجنـاس فالغرب جنس آرى فطر علـى الذكـاء والنبـوغ والمواهـب والعلـم والعبقريـة ، وأن الشـرق جنس سام لايرقى لهذا المستوى ، وليس بأهل له ؛ فالغرب غرب والشرق شرق) [٤]

٩ = شيوع الاختلاط بين الذكور والإناث ، والدعوة إلى تحرر المرأة فى المجتمعات المسلمة ؛ لأن الحـاقدين يعرفـون أن المـرأة مدخـل مهـم إلى إفسـاد أى مجتمـع ، ومسخ قيمه التربوية العليا .

١ـ آراء المستشرقين د. رضوان ١/٤٥.

٢ـ وزير المستعمرات البريطانى فى الحكومة البريطانية عام ١٩٣٨م . انظـر : الاستشـراق والخلفيـة الفكريـة د. محمود زقزوق صـــ ١٢٠.

٣ـ المصـــدر الســـابق صـــ ١٢٠.

٤ـ آراء المستشرقين د. رضوان ١/٤٥.

(فمن أبرز ثمرات الإفساد أن حدث الاختلاط بين البنين والبنات في معظم بلدان العالم الإسلامي في المرحلة الابتدائية ، وفي بعضها في المرحلتين المتوسطة والثانوية ، وفي أغلبها في المرحلة الجامعية ، وترتب على الاختلاط ماترتب من عيوب ومآخذ وابتعاد عن منهج الإسلام في تنشئة البنين والبنات في ظروف تحفظ لهم حياءهم وكرامتهم الإنسانية وتصون أنوثة الأنثى ورجولة الرجل من الابتذال والامتهان ، ومن ثمراته - أي الإفساد - أن تحول ولاء معظم المتعلمين والمتعلمات إلى الثقافة الغربية والحضارة الغربية ، فارتمى في أحضانها يعبُّ من فسقها وانحلالها وانحرافها بالفطرة الإنسانية عما فطرها ا لله عليه) [١]

١٠ = الدعوة إلى ما يسمى : " الحركات الإصلاحية " التي تحقق أهداف الغرب في الوصول إلى البلاد الإسلامية ، وتحقيق مطامعه فيها ، وتبتعد بالدين عن روحه ومعانيه التربوية العليا .

أي مايمكن أن أسميه : " الإسلام التعبدي " لا الإسلام الحركي . فادعوا أن الإسلام دين المسجد أما في الحياة وشئونها المختلفة فلا مكان له ، وكان هدفهم قطع صلة الدين بواقع الحياة ، فلايكون له أثر حاضر في كل وقت ، ومكان .

(هذا بعض ماكان من شأن إضعاف القِيَم الإسلامية ، والتيئيس من التضامن والتكتل الإسلامي ، وهو مظهر من مظاهر النزعة الأولى في الفكر الإسلامي في صلته بالاستعمار الغربي ، وهي نزعة تمكن للاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية ... هذا الاتجاه من اتجاهي الفكر الإسلامي الحديث في صلته بالاستعمار الغربي هو : الاتجاه الممالئ للاستعمار والممهد لحكمه والرضاء به ، سواء أكان من المسلمين أنفسهم أو من غيرهم) [٢]

١- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . بحث د. علي محمود صـ ١١٩.

٢- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د. محمد البهي صـ٥٣و٥٥ على التوالي .

١١ = نزوع معظم المجتمعات فى البلاد الإسلامية إلى تقليد الغرب فى حياته الاجتماعية .

وللأسف الشديد فإن هذا التقليد تمّ فى القشور ، دون المفيد ؛ فجاء فى اللباس والعادات ، دون الأخذ بأسباب الصناعات ومكامن العلوم .

(لقد فاجأت صحوة أوروبا الهائلة المسلمين وهم فى غفلة من أمرهم ، وزاد الطين بلة أن كان المسلمون فى فترة ركود حضارى وجمود احتماعى ، سببه الأول : التفريط فى تطبيق دينهم تطبيقاً صحيحاً ، ولذا كانوا هم الطرف الضعيف فى الصدام الحضارى ، وتبعاً لذلك كانت لديهم قابلية شديدة للتأثر وتشرب الأنماط الوافدة ، وصح استنتاج ابن خلدون [١] فى مقدمته حين قال :

" إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب ؛ فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده ، كما هو فى الأندلس مع أمم تجدهم يتشبهون بالغالبين فى ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم ، حتى فى رسم التماثيل فى الجدران ، والمصانع ، والبيوت ، حتى لقد يستشعر الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء ، والأمر لله " [٢]

وماقاله ابن خلدون هو ماجرى هنا حذو النعل بالنعل ، ولنأخذ مثالاً على ذلك من مصر بعد فترة الاحتلال ، وهو ينطبق على معظم بلاد المسلمين فى ذلك الوقت ، يقول د. " محمد حسين " فى تصوير هذا :

" كان المترفون من الأغنياء يتهافتون على ماتخرج المصانع الأوروبية من وسائل

---

١ - عبدالرحمن بن محمد بن خلدون عالم ولد ونشأ بتونس ، وهو مؤسس علم الاجتماع ، ومقدمته لها شهرة عظيمة ولاسيما فى علم الاجتماع ، توفى سنة ٨٠٨هـ . الأعلام ٣٣٠/٣.

٢- مقدمة ابن خلدون الفصل ٢٣صـ١٢٣.

الترف ، حتى غـدت توافه الكماليات مـن ألـزم الضروريـات ، وأصبـح قصـارى مايبلغه أحدهم من التمدن : أن يتقن تقليد الأوروبيين فى استعمال أدوات المـائدة الأوروبيـة ، وأن يحسن حفظ أساليبهم فى استعمال الملابس " (١)

وبمرور الوقت ، وتحت حراسة الاحتلال بدأ تيار " التفرنج " والتغريب يقوى ويشتد وتتربى عليه أجيال وطلائع أخذ العـدو الكـافر يشـد أزرهـا ، ويمكـن لهـا فـى قلـب أمتـها ويفتـح لـها طريـق القيـادة والشـهرة ، ويسـلط عليهـا أضـواء الدعـايـة ؛ لتـصبـح " النموذج" أو المثال الذى ينبغى تقليده) (٢)

١٢ = نقل التربية النصرانية إلى الأطفال الصغـار فـى المجتمعـات المسـلمة ؛ لأن المنصرين يعرفون أن الطفل هو المرتع الخصب لزرع النبتة الجديدة ؛ فبذلوا فى سـبيل ذلـك جهوداً كبيرة ، واستعانوا بالمرأة فى عملية التأثير على الأطفال ؛ لعلمهم بقدرتها على التأثير القوى فيهم ، وتقبلهم لتوجيهاتها ؛ بحكم عامل الأمومة .

(وهـم يبذلون عناية خاصة بالأطفـال الصغـار ويعـدون دخـول طفـل فـى مدارسـهم صيداً ثميناً لايقدر بمال ؛ نظراً لما فى الأطفال من قابلية التشكّل بالشكل الذى يريدونه .

ولقد قالت مرة مديرة مدرسة إحدى رياض الأطفال التنصيريـة : ليـس هنـاك طريـق أقصر إلى هدم حصن الإسلام من هذه المدرسة وأمثالها) (٣)

وهـم أيضـاً يبذلـون مزيـد عنايـة ، ومزيـد جهـد لافتتـاح المـدارس الداخليـة للبنـات ؛ لأن التأثير فيهـا ينتقـل إلى الدارسـات بصـورة أبلـغ وأسـرع ، ولأنـه يتـم فـى جـو

١- الاتجاهات الوطنية د. محمد حسين ٢٤١/١.

٢- الغزو الفكرى جامعـة الإمام بحث د. عبدالستار سعيد صـ٢٥٩-٢٦٣ بتصرف يسير .

٣- مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية . إبراهيم الجبهان صـ ١٠٣.

مريح لهـم :

(وكان اهتمام المنصرين بالمدارس الداخلية للبنات أشد ، قالوا : إن التنصير يكون أتمّ حبكاً فى مدارس البنات الداخلية ؛ لمايكون فيها من الأحوال المواتية والفرص السانحة ، إن المدرسة الداخلية تفضل المدرسة الخارجية ؛ لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق ، ولأنها تنتزعهن من نفوذ حياة بيتية غير نصرانية .

ويفرح المنصرون إذا احتمع فى مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة ؛ لأن نفوذ هؤلاء يكون حينئذ فى بيوتهن أعظم .

ومن أجل ذلك طلب المنصِّرون الأمريكيون عام ١٨٧٠م مبلغ ثلاثين ألف دولار لمدرسة دينية للبنات فى بيروت ، وعللوا طلبهم هذا بقيمة المرأة فى الحياة البيتية ، وأن تلك المدرسة ستساعد على تنصير سورية فى المستقبل) [١]

لاأحد يجهل أن النقش فى الصغر كالنقش فى الحجر ، يصعب أن يمحى أثره ، ولذا فقد كانت الطفولة هدفاً لسموم المستشرقين والمنصرين .

فإذا اجتمعت البيئة الملائمة لبذر نبتة الشبهة والتنصير ، ثم كانت الحالة الاجتماعية ، والحاجة داعية إلى طلب ماعند صاحب الشبهة والنحلة الرديئة فالحال أشد وأسوأ :

(لقد ذكر أحد المنصرين أن ملاجىء أنشئت فى عدد من مناطق الجزائر فى شمال أفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحياناً ، إن هذه السبيل قد لاتجعل الأطفال نصارى ، لكنها لاتبقيهم مسلمين كآبائهم) [٢]

١٣ = الدعوة إلى الحرية الفكرية ، والتحرر من الدين فى المجتمعات

١ـ التبشير والاستعمار فى البلاد العربية للخالدى وفروخ صـ ٨٧.

٢ـ حقيقة التبشير . أحمد عبدالوهاب صـ ١٨٩.

المسلمة ؛ لأن الإسلام قوة حارسة للفكر من الغزو والتشويه ، فلابد من القضاء على القوة الحارسة ؛ لإفساد الفكر .

يقول أحد منظريهم : (الدين ليس فى الحقيقة سوى استقرار الفرد على علاقة مابينه وبين الكون ، أصله وغايته ، ومافيه من ناس وحيوان ؛ فدعامة الدين يجب أن تكون قوة داخلية نابعة من الذهن ، نؤمن بها إيماننا بالحقائق العلمية المجربة ، وليس يجوز أن تكون سلطة خارجية تأمرنا بالإيمان فنؤمن ، فإذا لم نؤمن عوقبنا بالجلد أو الحبس أو القتل ، ثم يجب أن نذكر أن العقائد التى تأمرنا بها سلطة خارجية ، وتطالبنا بممارستها لايمكن أن تكون سوى قواعد ، والقاعدة جامدة جمود الحروف المؤلفة منها كلماتها ، ولكن حياة الإنسان دائمة التطور ، والتطور هو التحول من حال إلى حال ؛ فمثل هذه العقائد إذاً يجب أن تتناقض مع الحياة ، وتتعارض مع رقى الإنسان إلا إذا أتيح لها علماء يقومون بتفسيرها بحيث لاتتناقض مع روح الزمن ، وأما إذا لم يتح لها ذلك فإنه يجب حينئذ إما أن تجمد الأمة وتموت ، وإما أن تخلع هذه العقائد عنها...

ويعد قاسم أمين فى طليعة العاملين للحرية فى مصر ، فقد تربى بأوروبا ، واشتغل بالقضاء فى مصر ثم قابل أحوال العائلة عندنا بما هى عليه فى أوروبا، وعزا ضعف الأخلاق ، والجهل الفاشى بين الناس ، وسوء التربية المنزلية إلى حجاب المرأة (!!) ، فدعا إلى السفور ، وأنكر أن الإسلام يحتم حجاب المرأة ، وقد أحدثت دعوته ضجة كبرى بين المصريين حينئذ ، ولكننا نعرف الآن حكمة هذه الدعوة ، ونشعر أن كل يوم يمر على امرأة مصرية محجبة هو يوم لايُكتَسب من حياتها ، وهو خسارة على الأمّة بأجمعها ، ومن الغريب أننا سبقنا الأتراك إلى القول بحرية المرأة ، وسبقونا هم إلى العمل بها)[(١)]

إن المتأمل فى هذا الكلام يصل إلى عدة حقائق ، أهمها : تغلغل الفكر الاستشراقى ،

١- حرية الفكر فى التاريخ وأبطالها لسلامة موسى صـ ١٧١-١٧٢و ٢١٧ على التوالى .

وتربيـة المماليك لـه تربيــة غربيــة ؛ فالكـاتب جعـل الدين ليـس إلا الأشياء المحسوســة ، وألغى الأمـر والنهــى ، وطلـب أن يتخلـص الدين مــن التكاليـف عموماً وإلا طرحـه الناس، وأعرضوا عنـه .

ثم أشاد بدعوة قاسم أمين إلى حرية المرأة ، وصدَّقه فـى أن تـأخر المسـلمين ، وسـوء أخلاقهم ، وسوء تربيتهم إنما هو بسبب حجاب المرأة ، ولم يوضح كيف حدث هذا ؟

ولم يوضح إن كان مايعيشه الغرب ، ولاسيما المرأة الغربية المتبرجـة - حيـث الجريمة وانقطاع العلائق الاجتماعية - هو حسن الأخلاق وحسن التربية !

ثم هـو يتحسَّر علـى سبـق الأتـراك إلى العلمانيــة وتحريـر المـرأة ، ويتمنـى اللحـاق بركبهم لأن كل يوم يـمرُّ علـى امـرأة مسـلمـة محجبـة هـو خسـارة على الأمة بأجـمـعـهـا بـزعـمـه .

المبحث الثانى

﴿ الآثار الثقافية ﴾

لاريب أن الغزو الفكرى ، والشبهات المثارة من المستشرقين والمستغربين لون من ألوانه ؛ لابد أن يشمل ثقافة الفرد والمجموع ؛ لأن الثقافة هى باب الفكر ، وتلك الشبهات تحاول العثور على مفتاح هذا الباب لتفتحه به .

المطلب الأول : الآثار الإيجابية .

هناك آثار ثقافية إيجابية نتجت عن إثارة الشبهات حول الدعوة الإسلامية ، ومن أهمها - فى رأيى - :

١ = تفعيل الحركة الثقافية المتعلقة بدراسات المستشرقين فى مجال التعليم الجامعى فى بعض البلاد الإسلامية .

وذلك بإنشاء أقسام للاستشراق والدراسات الاستشراقية فى كليات الجامعات ؛ للعناية بالدراسات الإسلامية عند المستشرقين نقداً وتمحيصاً ، ومعرفة سلبها وإيجابها ، والتعرف على الظاهرة الاستشراقية ونشأتها وتأريخها وأهدافها ومدارسها . وأثر ذلك فى تعريف الغرب بالإسلام ، وتصحيح النظرة الخاطئة ، وتكميل النقص ؛ لتتم عملية التعريف الصحيح بالإسلام .

ومن الأمثلة على هذا الاتجاه : إنشاء مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية فى كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

فهذا المركز يهدف إلى : (إجراء الدراسات الجادة والمتميزة بالدقة والتوثيق والأصالة ، وبخاصة فى مجال الدراسات الاستشراقية والحضارية ، وإعداد المادة الصالحة للتعريف بالإسلام على حقيقته ، بأسلوب عصرى ، يُراعى فيه حسن العرض ، وإيجازه ، وجمال الإخراج ... ودراسة آراء المستشرقين تجاه الإسلام دراسة نقدية ، وبخاصة ماكتب منها بلغات عالمية كالإنجليزية والألمانية والفرنسية وغيرها ، والتعرف على الحضارات

والمفاهيم المتعددة ، وتقديم مايصلح من تجاربها للبشرية في جو من النزاهة والتوثيق ، وترجمة بعض البحوث والكتب الجادة التي يمكن أن يفيد منها الباحثون في دراستهم ، وتخيُّر مايصلح منها للنشر كاملاً أو جزئياً ، مع دراسة كافية أو تعليقات نقدية على الحواشي إن أمكن ، وإعداد وتدريب مجموعة مختارة من الباحثين ، وصقل قدراتهم على أيدي العلماء العاملين في المركز ؛ بغرض الإفادة من بحوثهم ، وإعدادهم في المستقبل ليكونوا باحثين أكفياء يحققون حاجات المركز وبعض المؤسسات التعليمية وفق الحاجة وفي ضوء خطة مدروسة) [1]

٢ = تأليف الكتب وكتابة المقالات ، وإعداد الرسائل الجامعية للرد على تلك الشبهات .

والهدف من التأليف هو : نقد هذه الشبهات وبيان ما فيها من زيف . والاستشهاد بأقوال المنصفين للدلالة على صدق الدعوى بضلالها .

إن إلقاء نظرة على مراجع هذا البحث تعطيك مقياساً تقريبياً للجهد العلمي الثقافي المبذول من علماء المسلمين وكتابهم ؛ لبيان حقيقة الدعوة الإسلامية ، وتنقيتها من الشبهات المثارة حولها .

٣ = إحياء الاهتمام بلغة القرآن الكريم في المجتمعات التي استطاع الاستعمار تغريبها مدة طويلة من الزمن .

فإن شعوب تلك البلاد العربية لما رأوا الهجمة الشرسة على لغتهم الأم ، ولغة دينهم ثارت كوامنهم ، وتحركت بواعث اليقظة الإيمانية فيهم ، وظهرت الدعوة إلى "التعريب" والتمسك بلغة القرآن بين المسلمين للرد على محاولات "التغريب" .

١- دراسات استشراقية وحضارية . الكتاب الدوري المحكم الصادر عن كلية الدعوة بالمدينة المنورة . العدد الأول ١٤١٣هـ صـ١٦.

٤ = نشر كثير من المؤلفات الإسلامية المخطوطة فى مكتبات الغرب .

حيث أتاح المستشرقون بما حققوه من تلك الكتب الفرصة للمسلمين للتعرف على محفوظات خزائن الكتب فى الغرب والشرق من المؤلفات الإسلامية التى انتقلت إلى هناك فى فترات الفتوحات الإسلامية كما حدث فى بلاد الأندلس ، أو بسبب استيلاء المستعمر على الثروات الفكرية للبلاد الإسلامية المستعمَرَة كما حدث لكثير من بلاد المسلمين فى مختلف العصور .

وإذا كان حصر مانشر للرد على المستشرقين والمستغربين مستحيلاً ؛ لكثرته ؛ فإننى أكتفى بما أشرت إليه فى هذا البحث من كتب المستشرقين والمستغربين ، وأؤكد على أن هذا النشر تمّ من طريقين :

أولهما : من المستشرقين والمستغربين الذين درسوا فى الغرب ، وكان بعض مانشروه مفيداً للحركة العلمية الإسلامية .

وثانيهما : من المسلمين فى بلاد الإسلام لرد الشبهات المثارة ضده .

وقد أخذ هذا الرد مسارين مهمين :

المسار الأول : تصحيح التشويه فيما نشره المستشرقون والمستغربون .

المسار الثانى : نشر الكتب التى تجاهل المستشرقون والمستغربون عمداً تحقيقها ونشرها ؛ لأن مضمونها ، وما توصلت إليه من نتائج عن حقائق الإسلام ، وثوابته ، وقواعده العامة ، وتأريخه ، وأنظمته المختلفة ؛ لاتتفق مع أهدافهم المبيَّنة ، ونياتهم الخبيثة .

٥ = ظهور الدعوة إلى تدريس العلوم التطبيقية مثل الطب فى الجامعات الإسلامية باللغة العربية ، وتقديم مشروعات تنفيذية لذلك .

ولاريب أن شبهات المستشرقين التى حملتها كتبهم ، وما حققوه من أمهات الكتب الإسلامية والعربية ، ولاسيما فى مجال العلوم التطبيقية ؛ كان لها أكبر الأثر

فى ظهور هذه الدعوة ، بل وتطبيقها عملياً ، وإجراء التجارب الميدانية ، وإعداد الجداول الإحصائية ؛ لإثبات إمكان الأخذ بها .

بل ودللت بعض الدراسات فى هذا المجال على أن تدريس بعض العلوم التطبيقية باللغة العربية أفضل ، وأكمل . (١)

---

١ ـ انظر مثلا : (تجربتى فى تعليم الطب باللغة العربية) د. زهير أحمد السباعى ، نشر النادى الأدبى بالمنطقة الشرقية فى المملكة العربية السعودية ط١ الدمام عام ١٤١٥هـ .

والدكتور زهير السباعى كان عميداً لكلية الطب بجامعة الملك سعود بالرياض زمناً طويلاً ، وهو الآن عضو مجلس الشورى .

المطلب الثانى : الآثار السلبية .

هناك آثار ثقافية سلبية أحدثتها الشبهات المثارة حول الدعوة الإسلامية ومن أهمها – فى رأيى – ما يأتى :

١ = تشويه كثير من أمهات الكتب العربية والإسلامية .

ونشر مايسىء للإسلام منها ؛ بتحقيق بعض المستشرقين الحاقدين لها ؛ فكان التشويه بما أضافوه إليها ، وما علقوا به عليها من افتراءات ، وشبهات ظالمة ، بعيدة عن الحق والصواب ، فوق تخيّرهم نشر الأفكار المنحرفة عن المنهج الصحيح للإسلام من الفرق المحسوبة عليه .

(عمل المستشرقون على إحياء التراث الباطنى المجوسى القديم مستهدفين تحطيم أصالة الفكر الإسلامى ، ويبدو هذا واضحاً فى تركيزهم على إحياء كل المخطوطات التى تحمل هذه السموم ، وخاصة مايتصل بالإلحاد والإباحية ، ومايتصل بوحدة الوجود والحلول والاتحاد والمجون) [١]

وتحقيق الكتب الإسلامية والعربية تميز بتنوعه ، وبتعدد مجالاته :

(لقد قام المستشرقون بعملية التحقيق فى كل موضوع من موضوعات الكتاب والسنة والسيرة النبوية والفقه والكلام ، كما تحدثوا عن الصحابة الكرام رضى الله عنهم وعن التابعين والأئمة المجتهدين والمحدثين والفقهاء ... فى أسلوب لايخلو من التشكيك وإثارة الشبهات ، ويكفى لزعزعة العقيدة والترغيب عن الإسلام لرجل ذكى ليس له نظر عميق فى هذا الموضوع) [٢]

١ـ أساليب الغزو الفكرى لجريشة والزيبق صـ ٢٥و٢٦.

٢ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للندوى صـــ ١٩٠.

٢ = شيوع حركة الابتعاث إلى الغرب ؛ بدعوى النهل من ثقافته .

وتظهر السلبية واضحة فى تلك الدراسات المخصصة للتأريخ والحضارة الإسلامية فى جامعات الغرب ، ناهيك عن العلوم التطبيقية التى تحتاج إليها المجتمعات المسلمة فى حياتها ، وتشجع الدول على تعلمها ، والغرب اليوم هو رائدها .

(ومن أخطر الآثار : الانحراف العقدى ، والانهيار الخلقى ، اللذان يصاب بهما كثير من أبنائنا الطلبة ؛ ذلك لأن عوامل الإفساد والإغواء التى يتعرضون لها قد تتغلب على عناصر المقاومة التى تكون لدى بعضهم ؛ فالانطلاق من جو مجتمع مغلق إلى جو مجتمع مفتوح يحدث هزة عنيفة لايمكن أن تُتجاهل ... ومن الآثار الخطيرة : تخلُّف المبتعث فى لغته الأم ، وقد يكون تخلفه هذا سبباً يدعوه إلى أن يقف منها مواقف مسيئة للغته وأمته) (١)

٣ = ظهور طبقة المستغربين ، وتوليهم المناصب العليا فى بلدانهم .

بل واستطاعوا التأثير فى العملية التعليمية فى بلدانهم :

(ولو أن الأمر وقف عند حد احتلال هؤلاء مناصب الوزارة والقيادة لهان الأمر شيئاً " ما " ولكن الأمر كان أعظم رُزْءاً ، وأجلّ كارثة ؛ فقد كان المجلس الذى أشرف على التعليم أيام " محمد على " من الأجانب ، والأرمن والمصريين الذين أتموا دراستهم فى الخارج) (٢)

١- الابتعاث ومخاطره للشيخ محمد الصباغ صـ ٤٢-٤٥.

٢- المصدر السابق صـ ٣٢.

٤ = ظهور الدعوة إلى العناية بالآثار ، وكل ما يتعلق بالتأريخ قبل الإسلام .

وترتّب على هذه الدعوة تبجيل كل مايذكى الارتباط بالأرض والوطن ، بدلا من الارتباط بالدين .

(ومن أساليبهم ، وهو أسلوب خبيث يخفى على أكثر الناس : بعث التأريخ السابق على الإسلام فى كل بلد من البلاد الإسلامية .

يقول الدكتور " كون " [١] : منذ الآن يجب أن يبذل علماء الآثار الغربيون جهداً مشتركاً لتدريب علماء الآثار المسلمين حتى يستطيعوا القيام بالعمل الذى يقومون به ، ويجب أن يبذل كل جهد ممكن للتأكد من أن هذه الأبنية والأهرام والتماثيل سيحافظ عليها ...

وبذلك تحقق ماكان يرجوه الغرب من التفات المسلمين لهذه الآثار وعنايتهم بها وغيرتهم عليها ، بعد أن كانوا لايكترثون بها ، والغاية التى كانت تستهدفها هذه العناية بالآثار القديمة هى تلوين الحياة المحلية فى كل بلد من البلاد الإسلامية بلون خاص يستند فى مقوماته إلى أصوله الجاهلية الأولى) [٢]

والتأثير الثقافى بتوجيه نظر المسلمين إلى الآثار الدارسة لم يقتصر على بلد إسلامى دون بلد بل هو منتشر فى الكل ، وتخصص له الصحف والمجلات صفحات أسبوعية مستقلة ، وهناك متاحف مستقلة مرتبطة بإدارات متخصصة فى مجال الآثار ، مرجعها - فى الغالب - الجهات التعليمية والتربوية .

١- كون : مستشرق من المشاركين فى مؤتمر الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة فى جامعة برنستون سنة ١٩٥٣م وقوله المشار إليه هنا مقتطف من بحثه لهذا المؤتمر صـ٢٨٩-٣٠١. الإسلام والحضارة الغربية د. محمد محمد حسين صـ ١٣٥.

٢- المصدر السابق صـ ١٥٠.

وهناك أقسام أو تخصصات فى هذا المجال فى الجامعات بالدول العربية ، إن لم تكن فى كل بلد من البلاد العربية والإسلامية .

والعناية بالآثار التى أقصدها هى : العناية التى تمجِّد التأريخ الجاهلى ، وتحيى القوميات بوثنياتها القديمة . (١)

٥ = شيوع التحدث بالعامية والكتابة بها ، والكتابة بالأحرف اللاتينية ، وتسكين آخر الكلمة ، والطعن فى اللغة العربية فى بلاد المسلمين .

وماذلك إلا نتيجة ترويج شبهات المستشرقين والمستغربين حول صعوبة اللغة العربية ، والدعوة إلى العامية والقومية .

(ونحن فإن كنا نفهم رأياً من هذه الآراء الحاضرة فإننا لانفهم كيف يكون إحياء العربية باستعمال العامية ، وكيف نرضى لغة القرآن التى تأبى إلا أن تتقيد بها اللهجات الأخرى كما مَحَتْ من قبل لغاتِ العرب جميعها على فصاحتها وقوة الفطرة فى أهلها وردَّتها إلى لغة واحدة هى القرشية .

ثم نرضى من جهة أخرى هذه اللهجات العامية التى تأبى أن تتقيد بشىء ، وهى أبداً دائمة التغير بالأسباب المختلفة التى تؤثر فيها ، وتديرها فى الألسنة حتى صارت فى بعض قرى مصر كأنها مالطية متمصرة ، وصار بعض أهل هذه القرى لايفهم عن بعض كما ترى بين أقصى الدلتا وأقصى الصعيد ؟) (٢)

٦ = فساد التوجهات الثقافية والفكرية فى معظم الصحف والمجلات فى

---

١ ـ انظر فى حكم العناية بالآثار على وجه التعظيم فتوى سماحة الشيخ ابن باز . مجموع فتاوى سماحته ،جمع د. محمد الشويعر ٣/٣٣٤-٣٤٠ .

٢ـ تحت راية القرآن لمصطفى الرافعى بتصحيح العريان صــ ٥٤.

المجتمعات المسلمة .

حيث اتجهت هذه الأوعية الثقافية إلى التركيز على مثيرات الفتنة ، وإشغال القارىء بأساليب الجدل ، والرمز ، التى لاطائل من ورائها .

وماذلك إلا بتأثير من شبهات المستشرقين والمستغربين ، وبتشجيع منهم بالترغيب فيها ، بل وبالترهيب أحياناً .

(لقد رحب الفرنسيون بصدور مجلة " السفور " [١] التى نادت بإزالة الحجاب ، وتوسيع حقوق المرأة القانونية) [٢]

٧ = تطبيق القوانين الوضعية فى معظم البلاد الإسلامية .

حيث اقتصر وجود الإسلام فى تلك البلاد على قانون الأحوال الشخصية فحسب .

وحتى هذا لم يسلم فى العصور المتأخرة من محاولة التعديل ، كماهى الحال فى المطالبة بمساواة الرجل والمرأة فى الميراث ، وحق الطلاق ، والزواج الخ ...

(حين فكروا فى إبعاد تركيا عن الإسلام بذلوا جهودهم " لعلمنة " القانون ، وتدرجوا ففى كل عشر سنوات يتم علمنة جانب من جوانب القانون حتى تمت أكبر علمنة بإلغاء الخلافة ، وفى مصر اقترنت " علمنة " القانون بالاحتلال الأجنبى ...

وأكثر الدول الإسلامية - بكل أسف - تمت فيها " علمنة " القانون ، والدول التى لاتزال فيها بقايا تطبيق الشريعة تحيط بها المؤامرات من كل جانب لعلمنة القانون ، ويجرى

١ـ أسسها فى مصر عبدالحميد حمدى ، فى ١٩١٥/٥/٢١م . المغرب العربى بين الاستعمار والاستشراق د. مازن مطبقانى صـ ٤٤.

٢ـ المصدر السابق صـ ٤٤.

التمهيد لهذه العملية بما يجرى من " علمنة " التعليم و " علمنة " الإعلام) [1]

ولكن : ما أسباب الحرص على تحكيم القوانين الوضعية ؟

(إن أهل الغرب قد فهموا حقيقة الإسلام من خلال الكتب التى هاجمته وزيفته ، فهم الآن بين أمرين ، أحلاهما مرٌّ ، ولذلك فإن مهمتهم أن يقتحموا الآفاق لإثارة الشبهات والشكوك ، وقطع الطريق على تطبيق الشريعة الإسلامية ، والحيلولة دون تمكين الأمم من تحقيق إرادتها ، والعمل على تشويه النصوص بأيدى مسلمين جغرافيين) [2]

٨ = ظهور تيار الحداثة فى المجتمعات المسلمة .

وهذا التيار عرف بالحرص على إشغال الناس بالمعميات المبنية على مصطلحات لايفهمها غير أتباع هذا التيار ، والجدل العقيم ، والرمز الذى لاينتهى إلى فائدة أو نفع ديني أو دنيوى .

(إن جميع دعاة الحداثة لايختلفون فى أن الحداثة تهدف إلى إيجاد تصور جديد للكون والحياة وأثر الإنسان فى هذه الحياة ، وهو تصور يخالف الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً ... فهذا رائد من رواد الحداثة ، هو أدونيس [3] يوكد أنه " بين عقلانية المجتمع المقرونة بعقلانية الدين ، وإبطال النقل ، وباطنية الدين ، وإبطال الظاهر ، والمنهج الشكى

١ـ أساليب الغزو الفكرى لجريشة والزيبق صـ ٧٤.

٢ـ المعاصرة فى إطار الأصالة لأنور الجندى صـ ١٣٤.

٣ـ اسمه على أحمد اسبر لقب باسم على أحمد سعيد بالإضافة إلى لقب أدونيس الذى غلب عليه ، وهو سورى عاش فى لبنان ، ولد سنة ١٩٣٠م شارك سنة ١٩٥٧م فى تأسيس مجلة " شعر " ورأس تحريرها ، نال الدكتوراه من جامعة " القديس ! " فى بيروت عام ١٩٧٣م وكانت رسالته عن " الثابت والمتحول ... " انظر : أسلوب جديد فى حرب الإسلام لجمعان الزهرانى . صـ ٢٠.

الاختبارى التجريبى ، وإبطال النبوة ؛ كانت تنمو حركة التحول والإبداع فى المجتمع العربى " وهنا ملاحظة مهمة جداً ، لقد سمّى أدونيس إبطال النقل والظاهر والنبوة إبداعاً) [1]

والمتأمل فى أدب الحداثة – وحين أسميه أدباً فمن باب التجاوز أو التنزل مع الخصم لا أكثر – يلاحظ تلفعه بعباءة الغموض ، وعيشه فى فضاء التعتيم ؛ مما يدل على خبث الأهداف ، وسوء المنهج .

(يقول أحد الحداثيين : إن ظاهرة الغموض التى من شأنها أن تعدّ السمة الأولى للقصيدة الجديدة نتيجة حتمية أفضت إليها سلسلة من التطورات التى طرأت على العلاقة المتوترة بين الشاعر المبدع والقارىء المتلقى) [2]

إن ظاهرة الحداثة ، وتفشيها فى المجتمعات المسلمة ؛ دليل قوى على ضعف البناء الثقافى للأمة المسلمة فى هذا العصر ، ولاأبرىء الدعاة والمخلصين من وزر التقصير فى الاستفادة من الوسائل المتاحة ؛ لبث رسالة ثقافية غزيرة المعنى ، واضحة المفهوم ، رفيعة الهدف تكون بديلاً لداء الحداثة .

١- أسلوب جديد فى حرب الإسلام لجمعان الزهرانى . سلسلة دعوة الحق الصادرة عن رابطة العالم الإسلامى العدد٨٩ عام ١٤٠٩هـ صـ١٩و٢٩. على التوالى .

٢- انظر : الحداثة فى ميزان الإسلام لعوض القرنى صـ ٣٩.

الفصل الثانى

الآثار الفكرية لشبهات المستشرقين والمستغربين حول الدعوة الإسلامية في المجتمعات غير المسلمة

(الآثار الفكرية لشبهات المستشرقين والمستغربين حول الدعوة الإسلامية فى المجتمعات غير المسلمة)

من المسلم به أن الشبهات التى أطلقها المستشرقون والمستغربون حول عالمية الدعوة الإسلامية ، وواقعيتها ، بل حول الإسلام عموماً ؛ إنما هى ثمرات من ثمرات الفكر .

ولذا فإنه لابد أن تنتج آثاراً فكرية فى المجتمعات غير المسلمة ؛ تبعاً لأهداف من صدر عنهم ذلك الفكر ، وتبعاً لاستعداد المتلقين ، وقدراتهم الفكرية ، وخلفياتهم الثقافية .

ولأن مفكرى هذه المجتمعات والمتلقين فيها - عادة - أصناف متباينة من البشر ، تختلف أهدافهم ، وتتباين استعداداتهم ، وقدراتهم الفكرية ، وخلفياتهم الثقافية ؛ فإن من المسلم به أن تتنوع هذه الآثار بين السلب والإيجاب ، والنفع والإضرار .

(العالم العربى يعدُّ كنزاً حضارياً لانظير له فى بقاع العالم الأخرى ؛ ففيه شيدت حضارات وثقافات ، ونشأت لغات وفلسفات ، وولدت علوم وفنون ، ونزلت شرائع وأديان .

وقد أثارت هذه القيم علماء الغرب فاهتموا بدراستها ، واكتشاف أسرارها . وتحقيقاً لهذه الغاية السامية أيقن الغرب أنه لابد له أولاً إذا أراد النهوض أن يدرس لغات الشرق وآدابه وحضاراته ، خصوصاً حضارة الإسلام ، وماحققه هذا الدين ورجاله من أهداف سامية اجتماعية وأخلاقية وثقافية ؛ فأقبل المستشرقون على هذه الدراسات بنهم وشغف ، وانطلق كثير منهم إلى آفاق بناءة ، استفاد منها الشرق والغرب على حد سواء .

ومن الجلىّ " أن الباعث على دراسة لغات الشرق فى أول الأمر كان دينياً حربياً فى

القرون الوسطى ، ثم تحول بعد ذلك إلى أغراض علمية هدفها كشف ماتكنه العلوم والفنون الشرقية من كنوز ثمينة ، وكان للمستشرقين فضل تنبيه الأفكار بمؤلفاتهم إلى إدراك الحقيقة الخالدة التى طالما أنكرها الغربيون ، وهى : أن المدنية الأوروبية الحديثة مبعثها الشرق وعلومه وحضارته وفلسفته " ولاريب أن الاستشراق قد أبلى بلاءً حسناً فى خدمة الإنسانية بأسرها متأثراً بهذه الدوافع العلمية ، ولكن الفضل يعود أصلاً إلى علم العرب وثقافتهم) [١]

إن الحقيقة المؤكدة هى : أن كتابات المستشرقين عن الإسلام وحضارته أثّرت فكرياً فى المجتمعات غير المسلمة ؛ بتنبيهها إلى ما تجهله عن هذا الدين .

ومع أن كل متابع متابعة علمية فاحصة ، متأنية لما كتبه أولئك المستشرقون يدرك الأهداف المبيتة من تلك الكتابات إلا أن الذى لايصح الاستكبار عنه أن تلك الكتابات فتحت الآفاق واسعةً أمام كثير من الغربيين ، ويستوى فى ذلك أن يكون هؤلاء من المستشرقين أو من المتلقين ؛ للتعرف الصحيح على الإسلام ، وإن لم يُرَد لها أن تصل إلى هذه النتيجة .

فكان التأثر الفكرى سلبياً عند النظر إلى الأهداف السيئة المبيتة ، والدوافع الرديئة الباعثة ، والترسبات الفكرية المسبقة .

وكان ذلك التأثُّر إيجابياً عند من استطاع التجرد من تبييت تلك الأهداف السيئة ، والدوافع الرديئة ، والتخلص من الترسبات الفكرية المسبقة ، وإن كان هذا الصنف النافع قليلاً فى المستشرقين .

وتبعاً لذلك تفاوتت نظرة مفكرى العرب والإسلام حول قبول الإنتاج الفكرى

١- انظر : فلسفة الاستشراق لأحمد سمايلوفتش صـ ٥١و٥٢ ، علماً بأن مابين المعقوفين الصغيرين نقله من تأريخ دراسة العربية ليوسف جبرا صـ ٥٢.

للمستشرقين قبولاً مبدئياً بين الرفض ، والإيجاب ، والتوقف بين ذا وذاك .

(هناك من قال بملء فيه : إن كل مايأتى عن المستشرقين مردود دون أن نجهد أنفسنا فى النظر فيه ؛ وذلك لأن ماجاء به المستشرقون على مر الأيام والسنين لم يتعدَّ فى مضمونه الإهانات المباشرة وغير المباشرة للتراث العربى الإسلامى ؛ بل لاتكاد تقرأ إسهاماً من هؤلاء إلا وتجد وراءه دافعاً يدفعه إلى وضع نقطة سوداء صغيرة فى ذلك التراث ، وعليه فإن إنتاجهم مرفوض من مبدئه ، وفى رفضه مايدعوهم إلى تغيير آرائهم ونظراتهم حول هذا التراث .

وفئة أخرى من المفكرين تؤمن بما ذهبت إليه الفئة الأولى من العلماء ، ولكنها تأخذ هذه المجموعة من الإسهامات وتعرف خلفيتها ومنطلقها فتدرسها ، ثم ترد عليها ، وتوضح للآخرين مواقع الخطأ فيها ، وتبرز لهم مواطن الضعف ، وأسباب هذا الضعف ودوافعه ، وحجة هذه الفئة أن كتابات المستشرقين اليوم قد عمَّت وصار لها وجود ، ولها رواد وقرَّاء ومفكرون ومصدِّقون ، فهى لم تقف عند إسهامات فردية من مجموعة من علماء الغرب ، ولكنها إسهامات جماعية وفردية فى آن واحد ، تدعمها مؤسسات علمية كبرى كالجامعات والهيئات العلمية الكبرى ، بل تدعمها حكومات ...

وهذا الاهتمام المباشر بالتراث من قبل الأفراد والهيئات والحكومات خلَّف وراءه فئة ثالثة من أولئكم الذين ينظرون إلى أعمال المستشرقين ، ويكوِّنون حولها مواقف واضحة ، تلكم الفئة الثالثة الأخرى هى التى رحَّبت بالإنتاج الاستشراقى ، ونظرت إليه على أنه نصر جديد لهذا التراث ، حيث رزق من يدرسه دراسة متأنية ، ويبرز فيه بعض المآخذ التى ترد إلى الأشخاص ، ولايمكن أن تكون حجة على التراث ، ويفتن هؤلاء عندما يعلمون مثلاً أن المعلقات قد ترجمت إلى أكثر من لغة ، وأن الحديث النبوى الشريف قد فهرس من قبل مجموعة من المستشرقين ، وأن معانى القرآن الكريم قد ترجمت إلى أكثر من مائة وإحدى وعشرين لغة ، على أن هناك من يعدّ أخطاءهم ويعترف بها ، ولكنه يراها أخطاء

بشرية مثل تلكم التى يقع فيها أى بشر على أى صعيد كان) [1]

إن موقف المسلم من الاستشراق - فى رأيى - لايصح أن يكون الرفض المطلق ، كما هو حال الفئة الأولى ؛ لأن هذا من العجز عن مواجهة التحديات الواقعة ، ولأنه من القعود عن أداء رسالة الدعوة ، وهذا خطأ بَيِّنٌ ، يقود إلى خطر عظيم يصيب الدعوة فى مقتل .

ولايصح أن يكون موقفه القبول المطلق ، كما هو حال الفئة الثالثة ؛ لأن هذا من السذاجة والاستغفال .

وإنما الواجب على الداعى المسلم - وكل مسلمٍ قادرٍ عليه مسئولية تبليغ الدعوة بنسبة " ما " - الوعى بالأخطار المحيطة به ، وبدينه ، وبذل الوسع - كل الوسع - للذود عن حمى الدعوة ؛ ليدرك الخصوم أن فى المسلمين رماحاً !

(فى عالمنا العربى الإسلامى المعاصر لايكاد يجد المرء مجلة أو صحيفة أو كتاباً إلا وفيها ذكر أو إشارة إلى شيء عن الاستشراق أو يمت إليه بصلة قريبة أو بعيدة .

وهذا أمر ليس بمستغرب ؛ ذلك أن الاستشراق فى حقيقة الأمر كان ولايزال جزءاً لايتجزأ من قضية الصراع الحضارى بين العالم الإسلامى والعالم الغربى .

بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ، ونقول : إن الاستشراق يمثّل الخلفية الفكرية لهذا الصراع ، ولهذا فلايجوز التقليل من شأنه بالنظر إليه على أنه قضية منفصلة عن باقى دوائر هذا الصراع الحضارى ؛ فقد كان للاستشراق - من غير شك - أكبر الأثر فى صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام ، وفى تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على

١ـ الاستشراق فى الأدبيات العربية د. على النملة صـ ١٠٧-١١٠.

مدى قرون عديدة) [1]

وإذاً فإن معرفة الآثار الفكرية للاستشراق - النافع منها والضار - ضرورة لدفع كيده في الجوانب السيئة ، وللإفادة من جوانبه الإيجابية .

ومن ثَمَّ فإن بيان هذه الآثار ؛ وتوضيح صورتها للناس ضرورة أخرى .

١ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د. محمود حمدي زقزوق صـ ١٩ و٢٠.

المبحث الأول

﴿ الآثار الإيجابية ﴾

من المهم هنا أن أشير إلى أن تأثر الغرب فكرياً بالإسلام لم يكن وليد القرن الرابع عشر الهجرى – الإطار الزمنى لهذه الدراسة – وإنما بدأ قبل ذلك بكثير :

(إزاء النهضة الثقافية التى سادت ديار الإسلام فى المشرق والمغرب لم يَرَ " شارلمان " [1] غضاضة أن يتوجه فكرياً إلى الشرق الإسلامى للإفادة من علومه فى ظل ارتباطه الوثيق بالكنيسة الغربية ، فتقرب إلى الخليفة " الهادى " [2] ، ثم حتى ثمار هذه الاتصالات بتوطيد عرى الصداقة مع الخليفة " هارون الرشيد " .

ولايخفى أن " شارلمان " كان يسعى بطبيعة الحال إلى استمالة الخليفة العباسى بأساليب ووسائل متعددة درءاً لخطر المسلمين فى الأندلس ، مدفوعاً بذلك الخلاف الذى ساد بين العباسيين فى الشرق والأمويين فى الأندلس ، وموافقاً بذلك اتجاهات الكنيسة فى الغرب الأوروبى) [3]

١ـ شارلمان : من سلالة رؤساء البلاط التى عرفت بالأسرة الكارولنجية حكم الغرب عام ٧٧١م وفى عهده زاد ارتباط الدولة بالكنيسة وحققت بلاده فى عهده نهضة واسعة . انظر : العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة د. سليمان الرحيلى . صـ ٧١ وانظر دراسات استشراقية وحضارية / بحث د. محمد أحمد عن منهج نقد الاستشراق فى مجال التاريخ الإسلامى صـ ٢٢١.

٢ـ موسى الهادى بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور أخو هارون الرشيد ولى الخلافة بعد أبيه سنة ١٦٩هـ وتوفى سنة ١٧٠هـ الأعلام للزركلى ٣٢٧/٧.

٣ـ منهج نقد الاستشراق فى مجال التأريخ الإسلامى . د محمد أحمد ، دراسات استشراقية وحضارية

فضلاً انظر الصفحة التالية=..........

إن المتأمل فى مجريات التأريخ يجد أن دوافع اندفاع النصارى إلى بلاد الإسلام لاتخرج عن الكيد وسوء التدبير ، ومحاولة منع انتشار الدعوة الإسلامية ، وغير ذلك من الآثار السلبية .

غير أن هذه الدوافع لم تمنع من إحداث تأثير فكرى إيجابى لصالح الإسلام ؛ لما فيه من تألق وإشراق اكتسبه من كونه الدين الربانى الصحيح ، والدين العالمى الخاتم .

ويمكن إيجاز بعض الآثار الفكرية الإيجابية فى المجتمعات غير المسلمة فى النقاط التالية :

١ = إنشاء أقسام خاصة باللغة العربية في الغرب ، وقيام المستشرقين بنشاط فكرى متنوع في مجال الدراسات الإسلامية .

ورغم أن الهدف من هذه الأقسام فى الغالب ليس خدمة الإسلام ولغته ، وإنما معرفة هذه اللغة للتمكن من معرفة تعاليمه ، ومبادئه ؛ للطعن والتشكيك فيها ؛ إلا أن هذه الأقسام كان لها أثر إيجابى فى تعرف بعض المنصفين ممن درسوا فى تلك الأقسام على الإسلام .

(تتمثل جهود المستشرقين على مدى تأريخهم الطويل فى أعمال مختلفة ، تشكّل فى مجموعها كُلاً واحداً . ويمكن تلخيص هذه الأعمال فى عدة أمور هى : التدريس الجامعى ، وجمع المخطوطات وفهرستها ، والتحقيق والنشر ، والترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية ، والتأليف فى شتى مجالات الدراسات العربية والإسلامية) [١]

واتجاه الغرب نحو إنشاء أقسام للغة العربية ، وتنوع نشاطهم الفكرى ليس بالجديد، بل هذا الاتجاه هو نواة حركة الاستشراق برمتها ؛ (فإن الاستشراق قد سبق الاستعمار

صـ ١٧٩.

١ـ الاستشراق والخلفية الفكرية . د. زقزوق صـ ٧١.

في النشأة ، وفى تحديد الأهداف ، ومع الإحجام عن سرد الآراء الواردة حول بداية الاستشراق وتأريخه ، ولو أخذنا بآخرها من حيث البدء لوجدنا أن الاستشراق بدأ رسمياً عام ١٣١٢م بصدور قرار مجمع فينا الكنسى بإنشاء عدد من الكراسى العربية فى الجامعات الأوروبية ، وقبل ذلك كانت هناك حركات تشير إلى بدايات غير رسمية) [١]

وقد أشرت عند التعريف بعدد كبير من المستشرقين الذين ذكرت شبهاتهم وأعمالهم فى هذا البحث إلى أنهم دَرَسوا ودرَّسوا فى تلك الأقسام ، مثل :

سلفستر دى ساسى أستاذ العربية فى مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس ١٧٩٥م ، وريتشارد بل أستاذ اللغة العربية بجامعة أدنبرة ، ومونتجمرى واط عميد قسم الدراسات العربية فى الجامعة ذاتها ، وريجى بلاشير أستاذ كرسى اللغة العربية بجامعة السربون بفرنسا ، وتيودور نولدكه الألمانى أستاذ اللغات السامية والتأريخ الإسلامى فى جامعات غونتجن وكيل وستراسبورج ، ومكسيميليانوأغوسطين أستاذ العربية فى عدد من الجامعات الأسبانية ، وجورج كمبفاير أستاذ اللغات الشرقية والعربية المعاصرة فى جامعة ليبزغ بألمانيا . وإدوار ساخو أستاذ العربية فى الجامعة ذاتها، وغيرهم كثير .

ومن نشاطهم الفكرى فى هذا المجال : إنشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية ، وكان لهذه الجمعيات نشاط إعلامى واضح ، لا ريب أن له أثراً كبيراً فى الفكر الغربى

١- الاستشراق فى الأدبيات العربية د. على النملة . صـ٦٦، رأى الدكتور على النملة أن الاستشراق بدأ عام ١٣١٢م ، فى حين يرى د. جابر قميحة أن الاستشراق بدأ عام عام ١١٣٠م حينما فتح الأسقف ريموند مدرسة طليطلة لترجمة كتب المسلمين إلى اللاتينية . انظر مداخلة د. قميحة فى محاضرة د. مطبقانى فى النادى الأدبى بالمنطقة الشرقية فى المملكة العربية السعودية ، والتى نشرتها جريدة الاقتصادية التى تصدر من لندن فى عددها رقم ٧٤٥ الصادر يوم الخميس ١٤١٦/١/١٧هـ صـ١١.

سلباً وإيجاباً .

(ففى عـام ١٨٩٥م ظهـرت فـى بـاريس مجلة تمنـح اهتمامهـا بصفـة خاصـة للعـالم الإسلامى ، وهى مجلة " الإسلام " وخلفتها عام ١٩٠٦م مجلة " العالم الإسـلامى " التـى تحولت إلى مجلة " الدراسـات الإسـلامية " وفـى عـام ١٩١٠م ظهـرت مجلـة " الإسـلام " الألمانية ، وفى بطرسبرج بروسيا ظهرت مجلـة " عـالم الإسـلام " عـام ١٩١٢م ولكنهـا لم تلبث إلا وقتاً قصـيراً ، وفـى بريطانيـا ظهـرت مجلـة " العـالم الإسـلامى " عـام ١٩١١م ، وللمستشرقين اليوم عدد هـائل مـن المجلات والدوريـات يزيـد علـى ثلاثمائـة مجلـة متنوعـة بمختلف اللغات) [1]

٢ - ظهور طائفة من المستشرقين أقبلت على الدراسات الإسلامية بدافع علمـى خالص، رغبة فى الاطلاع على حضارة الإسلام .

وفـى الغالب فـإن الدراسـات الاستشراقيـة الموبـوءة بالشبهـات ، ومـا فيهـا مـن تناقض بيِّنٍ ، وتطاول على البدهيات والحقيقة ، كانت دوافع نحو رغبة مستشرقين آخريـن فى البحث العلمى الصادق .

وفى أحيان أخرى الإقبال على الدراسات الاستشـراقية عـن الإسـلام ؛ لإشـباع نهـم علمى متجرد ، وذلك بدافع من حب الاطـلاع علـى حضـارات الأمـم وأديانهـا وثقافاتهـا ولغاتها . ومع التسليم بوقوع الأخطاء ؛ إما لجهلهم بالإسلام أو باللغة العربية .

ومن أولئك الذيـن أقبلـوا علـى الاستشـراق بدوافـع علميـة محضـة ، فـاقتنعوا برسـالة الدعوة الإسلامية فأسلموا دينيه [2] الـذى سمَّى نفسه : " ناصر الدين " و "عبدالكريم

١- الاستشراق والخلفية الفكرية . د. زقزوق صـ٥١و٥٢.

٢- إيتين دينيه مستشرق فرنسى عاش بين ١٨٦١-١٩٢٩م وأشهر إسلامه عام ١٩٢٧م وحج عام ١٩٢٨م وكان يقضى معظم وقته فى الجزائر . قالوا عن الإسلام د. خليل صـ٦٣.

جرمانوس " و" موريس بوكاى و" روجيه جارودى " الذى سمى نفسه "رجاء" و"ليوبولد فايس" الذى سمى نفسه " محمد أسد " .

٣ = كثرة دخول غير المسلمين فى الإسلام لما وجدوه فى نفوسهم من القبول ، ووصول الدعوة إلى أماكن وأشخاص لم تكن لتصل إليهم لو لم تحارب إعلامياً بشكل واسع .

يقول المستشرق "ليون كايتانى "[١] مبرراً تأليف كتابه المسمى : " حوليات الإسلام " والذى أنفق على طباعته من حسابه الخاص مبالغ كبيرة :

(إنما أريد أن أفهم من عملى سر المصيبة الإسلامية التى انتزعت من الدين المسيحى (النصرانى) ملايين من الأتباع فى شتى أنحاء الأرض مايزالون يدينون برسالة محمد (ﷺ) ويؤمنون به نبياً ورسولاً)[٢]

فهذا المستشرق الحقود أزعجه كثرة الداخلين فى الإسلام فهبٌ يبحث عن طريق مهما كلفه ثمنه ؛ لصرف الناس عن الإسلام ؛ ولكن عمله يبرهن على قدرة الإسلام على التأثير فى النفوس ، وموافقته للفطر السليمة ، وبالتالى خوف الشانئين منه .

والأثر الفكرى البليغ فى المجتمعات غير المسلمة ؛ تمثل فى سرعة قبول تلك المجتمعات بالإسلام والقرآن الكريم . وهذا القبول والتأثير الفكرى ظاهرة أقلقت المستشرقين ، وحيَّرتهم كثيراً ، فهذا " ريجى بلاشير " يقول :

(قلما وجد بين الكتب الدينية الشرقية كتابٌ بَلْبَل بقراءته دأبَنا

١ـ كايتانى : مستشرق وأمير ايطالى وأحد كتاب دائرة المعارف الإيطالية عاش بين ١٨٦٩-١٩٢٦م . انظر : الغزو الفكرى . بحث د.على محمود صـ ٨٨و٨٩، وانظر:المستشرقون للعقيقى صـ ٣٧٢

٢ـ الغزو الفكرى صـ ٨٨.

الفكـرى أكـثر مـما فعلـه القـرآن) [1]

٤ = ظهـور طائفـة مـن المستشـرقين شـنعت علـى مواقـف المستشـرقين المتعصبين بشأن الإسلام والدراسات الإسـلامية .

(ولايقتصر الأمر فى تحديد موقف المستشـرقين على أقوال ضمن إسهامات حول علوم المسلمين ، بل ربما وجدنا الكتب والمقالات التى خصصت لتحديد الموقف ، والتشنيع على مواقف بعض المستشرقين من الإسلام . وهذه المواقف هى التى أسهمت إسهاماً فـاعلاً فى تحديد الموقف الغربى بعامة من الإسلام ؛ إذ استقى الغـرب معلوماتـه عـن الإسـلام مـن المستشرقين ، فهذا " ريتشارد دبليو سذرن " [2] يخرج بكتاب كامل حول (النظرات الغربيـة للإسـلام فـى القـرون الوسـطى) يؤكـد فيـه على أن سـوء الفهـم الـذى عاشـه الغرب إنما قـام علـى سـوء الفهـم الـذى نقلـه المستشـرقون عـن الإسلام للغـرب ...

وقـد أصـدرت اليونسـكو [3] كتابـاً حـول الإسـلام اليـوم لــ" مارسـيل بـوازار" ومما قـال فيـه : أسباب عدم تفهـم الغرب للإسـلام عديـدة ومعقـدة ؛ إنهـا تستند على دوافـع دينيـة ، تأريخيــة ، نفسـية ، ثقافيـة ، تثقيفيـة ، ومجـدداً الآن علـى اعتبـارات سياسـية واجتماعيـة واقتصاديـة) [4]

١ـ انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية . د. زقزوق صـ١١٦.

٢ـ سذرن : مستشرق معاصر ، أستاذ التأريخ فى جامعة أكسفورد . مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين د. على النملة صـ ٤٢.

٣ـ UNESCO منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم . انظر :قائمة مداخل أسماء الهيئات . إدارة التصنيف بمكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ١٤١٥هـ صـ ١٥٧.

٤ـ مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين د. على النملة صـ ١٤و١٥.
١٤١٤هـ صـ ١٤و١٥ .

المبحث الثانى

﴿ الآثار السلبية ﴾

الحرب الفكرية الغربية ضد المسلمين قديمة قدم الصراع بين الحق والباطل ، بين الإسلام الدين الربانى الحق ، والنصرانية المحرفة .

(لقد دفع سقوط الأندلس بعض المتعصبين إلى الدعوة إلى محو آثار الحضارة العربية الإسلامية ، ومن هؤلاء رئيس أساقفة اكزيمنبس ، الذى أحرق ثمانين ألف كتاب من كتب العرب بعد طردهم من أسبانيا ، وقد لقيت هذه الدعوة معارضة قوية تعكس استمرار روح الحضارة العربية فى أوروبا بعد سقوط الأندلس ، الأمر الذى ساعد على تقدم الدراسات الاستشراقية فى نهاية العصور الوسطى ، وبالذات بعد أن اتجهت أسبانيا إلى تعميق صلاتها بالدولة العثمانية ، ووجدت البابوية فى ذلك فرصة لتشجيع الدراسات الاستشراقية خلال القرن السادس عشر الميلادى من أجل مصلحة التنصير ، وذلك بالوقوف على المؤلفات التى خلفها المسلمون فى أوروبا) (١)

فى ضوء ماسبق يمكن استنتاج النقاط التالية :

١ = وجود جذور ضاربة فى عمق التأريخ للفكر الغربى المناوىء للدعوة الإسلامية .

٢ = وجود نسبة قبول كبرى ، واقتناع تام لدى الغربيين العاديين نحو الإسلام ، وأن أصحاب السلطة فى الغرب يحاربون هذا القبول بالفكر المناوىء .

١ـ دراسات استشراقية وحضارية . منهجية علم الاجتماع المعرفى فى كتابات المستشرقين. للدكتور كردى صـــ ١٤٤.

٣ = أن الاستشراق – وهو حركة فكرية بلاشك – كان أداة قوية ، وسلاحاً ماضياً في يد المستعمر الغربي يحارب به الإسلام في الغرب وفي بلاد الإسلام .

ويمكن تبين أهم الآثار الفكرية السلبية للاستشراق في النقاط التالية :

١ = قطع الطريق على بعض من عندهم قابلية الاستجابة للدعوة الإسلامية من النصارى في المجتمعات غير المسلمة ؛ فإن بعض نفوس من وصلت إليهم الدعوة الإسلامية بوسائل فردية مثل التجارة كانت مهيأة للاستجابة لمعطياتها ؛ فجاءت هذه الشبهات لتقطع الطريق على هذه الاستجابة ، ولتمنع نفوس المدعوين من التعرف الصحيح على مبادىء الدعوة ونظام الإسلام ؛ تهيئة لقبولها.

٢ = اتجاه كثير من المستشرقين ــ والمستغربين كذلك ــ إلى صرف الناس في المجتمعات غير المسلمة – التي ليس فيها نصارى – عن الإسلام ، ومنع وصول الدعوة الإسلامية إليهم ؛ بما اتخذوه من وسائل ومعوقات للقضاء على الدعوة هناك ، وتكوين رأى عام مناهض للإسلام .

(من أهم الأهداف التي يسعى المنصِّرون إلى تحقيقها في مواجهة الإسلام : الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام ، وهذا الهدف موجه الجهود في المجتمعات التي يغلب عليها النصارى ، ويعبِّر عنه البعض بحماية النصارى من الإسلام ، والحيلولة دون دخول الأمم الأخرى – غير النصرانية – في الإسلام ، والوقوف أمام انتشار الإسلام بإحلال النصرانية مكانه ، أو بالإبقاء على العقائد المحلية المتوارثة) [١]

يتضح من هذا النص أن النصارى يحاربون الدعوة الإسلامية فحسب ؛ لأنها الدعوة التي تخيفهم ، بما فيها من فطرة ، وواقعية ، وأما الديانات ، والعقائد الأخرى فهي لاتخيفهم

١ـ التنصير في الأدبيات العربية د. على النملة صـ ٣٤. ويلاحظ تركيزي على مايتعلق بالعنصر الذي أعرضه هنا وسبق ذكر بقية الأهداف عند الحديث عن العنصر المخصص لها في ضوء تقسيم البحث .

لأنها ليست قادرة على جذب الناس إليها ، ولامانع من استغلالها ، واستغلال دعوى العلمانية لتكون عقبات فى طريق تقدم الدعوة الإسلامية .

(يقول صمويل زويمر : مادام المسلمون ينفرون من المدارس النصرانية فلا بد أن ننشيء لهم المدارس العلمانية ، ونسهل التحاقهم بها ، هذه المدارس هى التى تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب) [1]

ولاريب أن هذه المدارس الموبوءة فكرياً موجودة فى الغرب ، وفى الشرق حيث المجتمعات غير مسلمة ، وقد يُبْتَعث إليها كثيرٌ من أبناء المجتمعات المسلمة !

كما سبق أن بينت فى هذا البحث موقف علماء النصارى الذين ناقشهم شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه الجليل : (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) حول دعواهم صحة ديانتهم ، ودعواهم أن الإسلام ليس موجهاً لهم ولشعوبهم .

فدعواهم تلك ليست إلا صداً عن دين الله وعن أوجه الخير ، ومنعاً للإسلام من الوصول إلى عباد الله ؛ لأنه دين الفطر السليمة ، والعقول المستقيمة ، والحق المستبين .

(يقول " مارسيل بوازار " :

" وفى نهاية المطاف يبدو أن للاستشراق بمُرَاكَمَتِهِ المعارفَ المتبحرة التى لاتنشر نشراً واسعاً خارج حلقات العارفين ، والتى تواصل التفوق على دراسة الظاهرات الاجتماعية الشاملة التى تولد من التأكيد المشروع لهوية أصيلة ، تأثيراً على الرأى العام الغربى أقل من تأثير هذا الرأى عليه ؛ فهو يقوده أحياناً ويفرض عليه آراءه غالباً "

وأظن هذا خاصاً برسم الصورة ، وإلا فالرأى العام الغربى يفرض أحياناً على

١- غزو فى الصميم للميدانى صـ ٢٨.

المستشرق مساره العام ، ويترك له رسم الصورة حول هذا المسار) (١)

والأخطر أن الفكر الموجه للمجتمعات غير المسلمة مليء بالكذب والتزييف والتشويه ، وأن أفراد هذه المجتمعات ليست لديهم أية خلفية عن الإسلام وحقائقه وثوابته ، فيسهل حينئذٍ على المستشرقين توجيه فكر هؤلاء كما يريدون .

(إن فهم الكثير من المسلمين للاستشراق يختلف عن فهمي له ، بل إن الكثير من الانطباعات العامة التى اكتسبها القارىء المسلم من خلال قراءاته وسماعه تختلف تماماً عن انطباع كل من كان على اتصال مباشر واطلاع شامل على مايكتبه هؤلاء المستشرقون بلغاتهم فى مجلاتهم المختلفة أو حولياتهم التى لاتصل إطلاقاً إلى العالم الإسلامى بله الدول الأوروبية المجاورة ، والسبب هو عمق الحاجز اللغوى بين مستشرقى هذه الدول ، فظهر نوعان من الكتابات الاستشراقية : نوع محلى ، وآخر للتصدير ، ولكل من هذين النوعين سمات خاصة واتجاهات أخص ، والغالب على النوع التصديرى سمة العلمية المجردة المفتعلة ، ولو قارنا بين ماقد كتبوه عن الإسلام ، ومايكتبونه فى المجلات العلمية ، وبين مايلقونه فى المؤتمرات الاستشراقية ، أو ماينشرونه عن الإسلام فى الصحف والمجلات الصادرة فى بلدانهم وبلغاتهم ؛ لظهر البون الشاسع فى مدى العلمية المفتعلة عند الكثير من هؤلاء المستشرقين) (٢)

والأخطر والأغرب من جهود المستشرقين فى تشويه الإسلام فى المجتمعات غير المسلمة ومنع دعوته من الوصول إليها ؛ أن يكون المستغربون أشد صداً لدعوة الإسلام عن الوصول إلى الناس فى المجتمعات غير المسلمة ، وهم أبناء جلدتنا ، ولغتنا ، وقد

١- مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين د. على النملة صـ ١٦و١٧.

٢- المستشرقون بين الموضوعية والافتعالية د. قاسم السامرائى صـ ١١.

ينتسبون لديننا .

(خلال العقد والنصف الأخير ظهر صنف من الكتاب العرب الذين ينتمون إلى نخب ثقافية مُسْتَحْذِيَةٍ تؤلف الكتب الهجائية المكتوبة بالإنجليزية تحديداً ، وتنطوى على نبرة تشهيرية مفعمة بالتشفى ، تحرض القارىء الغربى - وليس العربى ! - الذى تتوجه إليه تحريضاً عنصرياً يناهض العرب ، كما هو الشأن فى كتاب " المأزق العربى " لفؤاد عجمى اللبنانى ، وكتاب : " القسوة والصمت " للعراقى : كنعان مكية) (١)

والوقوف فى طريق عالمية وواقعية الدعوة الإسلامية ، ومنع انتشارها فى الغرب يسير وفق خطط مدروسة ، ومتابعة مستمرة فى مختلف المستويات .

(إن مواجهة أوروبا مع الإسلام مظلمة للغاية ، وإن وراءها ألف عام من الصراع المسلح ، وفرنسا بالذات تعانى من ضغط المهاجرين الذين أصبحوا يشكلون خطراً استراتيجياً كبيراً عليها ، وإن تصاعد التشدد الإسلامى بهدف غزو أوروبة من الداخل يدفع الأوروبيين إلى الحذر ، وفيما يتعلق بفرنسا فإن العمل يتم باتجاهين للرد على تهديد الإسلام ، بمنع تسلل المهاجرين إليها ، ودمج المهاجرين المسلمين بالمجتمع الفرنسى ومنع أية تعبئة إعلامية إسلامية تأتى من الخارج لكى توتر الشعور العام ، وتشن حرباً على الغرب من داخله) (٢)

إن العقبات فى طريق دعوة الإسلام كثيرة ، وإن من الواجب أن يكون وعينا بهذه العقبات قوياً ، والأوجب أن يكون مثمراً بحيث نبذل الجهود ليفطن كل مسلم فى أى

١- المثقفون والسلطة للأستاذ خلدون الشمعة . مجلة آفاق الإسلام الصادرة فى عمان العدد ٤ السنة الثانية كانون الأول ١٩٩٤م صـ ١٠٣.

٢- العالم الإسلامى فى الاستراتيجية الفرنسية لقيس العزاوى . مجلة قراءات سياسية العدد الرابع السنة الأولى ١٩٩١م صـ١٨٢و١٨٣ بتصرف يسير . والمقال عرض ودراسة لكتاب السلام فى عين الإعصار لجاك زيلكور وهربرت دوبوفور .

مكان إلى تلك العقبات ؛ ليأخذ حذره ، وليجد منا عوناً ، وموازرة .

٣ = التضييق على الحركات الإسلامية ، وعلى المسلمين فى المجتمعات غير المسلمة .

إن من المسلم به أن الغرب يعدُّ نفسه فى صراع دائم مع الإسلام والمسلمين ، مهما أظهر من علامات التسامح والتقارب ، ومن المؤكد أن الغرب النصرانى لن يسمح - إذا استطاع بأية وسيلة - بانتشار الإسلام فى بلاده ؛ لإدراكه مسببات ذلك الصراع ومبرراته وخلفياته ، يقول الدكتور فهد السمارى عن الإسلام فى أوروبا الشرقية :

(ولأن الغرب يدرك حجم القوة الكامنة فى أوروبا الشرقية بحكم تأريخها السابق فإن المؤسسات التنصيرية والغربية ستراقب عن كثب جميع التحركات الإسلامية وترصدها تحسباً لذلك .

ولايعنى هذا أن المسلمين لن يستطيعوا التحرك بسبب ذلك ، وإنما ينبغى عليهم إدراك هذا الخطر والإعداد له قدر المستطاع لكى لايتعرض العمل الإسلامى لشىء من التأخير والإعاقة من قبل المؤسسات الغربية والتنصيرية) [١]

إن المتأمل فى النصين الذين نقلتهما سابقاً عما يواجهه العمل الإسلامى فى أوروبا الشرقية ، وعن مخططات مواجهة الإسلام فى فرنسا ؛ يجدهما ليسا إلا صورة من صور مقاومة انتشار الدعوة الإسلامية فى الغرب النصرانى .

ثم سوف يدرك أن سبب هذه المواجهة راجع إلى إدراك الخصوم لسهولة هذا

١- العمل الإسلامى فى أوروبا الشرقية - التحديات والمستقبل - للدكتور : فهد بن عبدالله السمارى . صـ ٣٩و٤٠.

الانتشار إذا وجد طريقاً مفتوحاً ، وللاحظتهم سرعة تقبل المدعوين له ؛ لما فيه من مؤيدات الفطرة ، ومن شواهد العقل السليم .

ثم لأن الإسلام بنظامه الرباني الصحيح يفضح الانحرافات الخطيرة في الديانتين الرئيستين في الغرب اليوم : النصرانية واليهودية .

٤ = من الآثار الفكرية السلبية الخطيرة للاستشراق والمستشرقين تغلغل فكرهم في الهيئات الدولية [١] وسماع كلمتهم عن الإسلام دون أهله .

قد لايحتاج الإنسان المتأمل إلى كبير عناء ليدرك أن القائمين على المنظمات الدولية ، والمسيطرين عليها ليسوا من المسلمين ، بل إن النصارى واليهود هم أصحاب الكلمة المسموعة فيها ، وحينئذٍ لن يستغرب أن تعمد هذه المنظمات إلى الاستعانة بغير المسلمين للحديث عنهم :

(والغريب أن الهيئات العالمية مثل اليونسكو - وهي هيئة دولية تشترك فيها الدول الإسلامية - تستكتب المستشرقين ؛ بوصفهم متخصصين في الإسلاميات ، للكتابة عن الإسلام والمسلمين في الموسوعة الشاملة التي تصدرها اليونسكو عن (تأريخ الجنس البشري وتطوره الثقافي والعلمي) »» وقد أثارت كتاباتهم حفيظة المسلمين على مؤسسة اليونسكو ، والمهم : مافيها من مجافاة للحقائق التأريخية ، وتهجم على نبي الإسلام ، وكتب الكثيرون احتجاجات على هذه

١ـ لمعرفة مدى تغلغل المستشرقين - لاسيما اليهود منهم - بأسمائهم ومناصبهم في الهيئات الدولية ؛ انظر : النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية لفؤاد الرفاعي صـ ١٠٠ ومابعدها.

الإساءات التى ليست إلا وحياً لتقاليد موروثة ، وامتداداً للروح الصليبية ، وهو عمل كان ينبغى أن تتنزه عنه هذه المؤسسة الكبيرة ») [1]

ومن المهم هنا أن أشير إلى أن عدم انتظار الإنصاف من المؤسسات والمنظمات الدولية بسبب المبررات التى أوردتها سابقاً ؛ لايجوز أن يدفعنا إلى السكوت عن المطالبة بحق المسلمين ؛ بحكم عضويتهم فى تلك المؤسسات ، وما يترتب على هذه العضوية من التزامات مادية وغيرها .

ولو كان هناك تعاون بين الدول الإسلامية ، وكلمة موحدة فى تلك المنظمات والمؤسسات لكان لها رأى مسموع ، ومؤثر .

وإن واجب الدعاة ، والمخلصين أن يسعوا لجلب الأسباب الداعية لتوحيد كلمة المسلمين ، بفضح المخططات المرسومة لتشتيت هذه الكلمة ، والآثار السيئة التى تنتظرهم إذا أفلحت مخططات التشتيت .

٥ = من الممكن أن يعدّ من الآثار الفكرية السلبية للاستشراق مدحهم الإسلام مدحاً عاماً لاينتهى إلى تحبيذ العمل به اليوم ؛ لأن هذا المدح قد يفضى إلى القعود عن العمل بالإسلام كلية .

من المهم أن يكون المسلم واعياً بأساليب بعض المستشرقين ، المتصفة بالمكر فهم قد يمدحون الإسلام بالثناء على تأريخه المجيد ، وتضحيات رجاله .

ثم يحاولون أن يقنعوا المسلم بأن ذلك التأريخ ، وتلك التضحيات إنما وُجِدت لظروف خاصة ، فهى مقيدة بوقتها ، ولاتصلح للوقت الحاضر ، فهى مناسبات للاحتفال بها لاغير .

١ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . محمود زقزوق صـ ١٣٩. علماً بأن مابين المعقوفين

فضلاً انظر الصفحة التالية= .... ↖

والقناعة بهـذا التوجيه الفكرى الخبيـث خطيرة جـداً ، ولها آثـار سـلبية كـبرى .

(هنـاك ملاحظة تخصنـا - نحـن المسـلمين - وتتلخـص هـذه الملاحظـة فـى أن جانب المدح والثناء قـد يكـون لـه تأثير تخديرى علينـا .

فيجعلنـا نغمـض عيوننـا مستسـلمين لتلـك الأحـلام السـعيدة التـى تذكرنـا بـالعز الـذى كـان ، ونركـن إلى ذلـك ، ونعيـش علـى صيـت آبائنـا وأجدادنـا ، ونظـن أننـا عظمـاء لأن أجدادنـا كـانوا عظمـاء) [1]

الصغيرين نقله الكاتب من كتاب " الإسلام والمستشرقون " د. عبدالجليل شلبى صـ٣و٤.

١ـ الاستشراق والخلفية الفكرية . د. زقزوق صـ١٥٠و١٥١.

الفصل الثالث

وسائل وأساليب الدعوة الإسلامية في مواجهة شبهات المستشرقين والمستغربين .

(وسائل وأساليب الدعوة الإسلامية فى مواجهة شبهات المستشرقين والمستغربين حول الدعوة الإسلامية)

طبيعة الصراع بين الحق والباطل تقتضى : أن يكون هناك طرفان ؛ أحدهما فى جبهة الحق ، والآخر فى جبهة الباطل .

وتقتضى أن تستخدم فى هذا الصراع أساليب ووسائل ليتمكن كل طرف من الوصول إلى هدفه المرسوم ، وغايته التى يروم .

وفى قضية الحرب الشرسة التى شنّها الغرب ضد الإسلام ، تعددت الوسائل ، والأساليب ، والميادين ؛ فكان أن وجد المسلمون أنفسهم يركبون كل وسيلة تبحر بهم للدفاع عن شرف دينهم ، وصحة معتقدهم ، ومنع تشويه معطيات فكرهم .

غير أن الذى يمكن التركيز عليه فى هذا المجال ؛ هو وجود وسائل دخلت المعركة دون أن يستخدمها أحد الطرفين ؛ وأعنى بذلك مايمكن أن أسميه الوسائل الذاتية ، التى تمثلت فى خصائص الدين الإسلامى اللافتة لنظر من عنده عقل بصير ، منزَّه عن الهوى والانحراف ، وغير مشغول بالرواسب الفكرية المعتمة .

وفى ضوء هذا فقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين :

أولهما : الوسائل الذاتية فى الدعوة الإسلامية لمواجهة شبهات المستشرقين .

وثانيهما : الجهود المبذولة من المسلمين فى مواجهة تلك الشبهات .

المبحث الأول

(الوسائل الذاتية لمواجهة الشبهات)

الإسلام دين رباني ، أنزله الله سبحانه وتعالى على خاتم رسله نبينا محمد ﷺ ، وهو دين عالمي لكل البشر ، في كل زمان ومكان ؛ ولذا كانت له خصائص مشرقة ومؤيدات مضيئة تلفت الأنظار إليه بنورها الساطع ، وهديها الصحيح ؛ فهو دين الفطرة ، يقول النبي ﷺ : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[1])[2]

قال ابن حجر- رحمه الله :

(المراد : أن الكفر ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه ، بل إنما حصل بسبب خارجي ، فإن سلم من ذلك السبب استمر على الحق ، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله سبحانه وتعالى:﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الإسلام .

وقوله : يهودانه : أي يهودان المولود بعد أن خُلِق على الفطرة ، تشبيهاً بالبهيمة التي

١ـ الروم ٣٠.

٢ـ البخاري مع الفتح في كتاب الجنائز ٣/٢١٩ . ورواه في خمسة مواضع .

خُدِعت بعد أن خُلِقت سليمة) [1]

وهو دين يراعى حال المدعو ؛ لأن الإسلام (لايقارن بأى مذهب آخر فى نظرته المتزنة للإنسان وتحقيق مطالبه المادية والروحية ؛ بحيث لايطغى جانب على الآخر ؛ فالانقطاع للعبادة منهى عنه ، والانغماس فى الدنيا خطر وضرر على حياة الإنسان) [2]

وقد بينتُ فى الفصل التمهيدى من هذا البحث شواهد هذا التميّز فى نظام الإسلام وأدلته عند الحديث عن خصائص الدعوة الإسلامية ، وأهم تلك الشواهد فيما يخص وسيلة الجذب الذاتى ، والانجذاب إلى الإسلام :

(أ) وفاؤه بحاجة الإنسانية جميعا فيما يصون وحدتها ، ويرعى إنسانيتها ، ويحمى أفرادها فى العاجل والآجل .

(ب) تشريعاته التى تضمن قيام الإنسانية كلها فى محيط واحد، لاتنزع معه إلى عصبية دم، أو اختلاف لون ، أو فرقة جنس .

(ج) اتساقه مع حقائق الكون وخصائص الوجود ، بحيث لايتعارض مع ما يثبت من حقائق العلم ، أو يختلف مع منطق الفكر .

تلك الخصائص الفريدة جعلت فى الإسلام قوة جذب ذاتية (فقد جعل الله فى الإسلام جاذبية ، وجعل الله فى الإسلام قدرة على الانتشار ، والاحتواء ، وغاية مافى الأمر أن الله تعالى جعل انتشاره متعلقاً بالعباد كى يسعدوا بحمله إلى الناس ؛ فالإسلام فى توحيده ، وفى عبادته ، وفى معاملاته ، وفى أخلاقه ، وفى كل مافيه يجذب الناس إليه ،

١- الفتح على البخارى ٣/٢٥٠.

٢- كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام د. محمد الحسن ود إبراهيم المعتاز صـ ٨٣.

وكل مايحتاجه الناس أن يقدّم هذا لهم) [1]

وحين استعرت نار شبهات المستشرقين والمستغربين حول عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها استطاعت الوسائل الذاتية أن تجذب إليها كثيراً من الناس الذين تأملوا فيها بعقول صافية ، وقلوب باحثة عن الحق فأسلموا دون أن يدعوهم إلى الإسلام مسلم واحد .

وتتبين قوة الجذب الموجودة فى الدين الإسلامى ، وقوة تأثيرها عند مقارنة تعاليم الإسلام ونظامه بما فى اليهودية والنصرانية ، وهما أكثر الأديان أتباعاً فى الغرب .

تقول " مافيز . ب . جولى " [2] (إنها كانت نصرانية متحمسة ، ولكن سرعان ماوجدت أمامها أشياء كثيرة لاتستطيع الاقتناع بها بعد قراءة الإنجيل ، مما أدى إلى إلحادها ، الأمر الذى جعلها تقبل على دراسة الأديان الأخرى ، فوجدت أن البوذية والمسيحية (النصرانية) تدعوان إلى إهمال الروابط الدنيوية .

كما أن تعدد الآلهة (الثالوث) وتعدد نصوص الأناجيل جعلت كثيراً من النصارى يعتنقون الإسلام .

أما اليهودية فإنها بالإضافة إلى تعدد نصوص التوراة فهى موجهة إلى أقلية مختارة ، وبذلك تؤدى إلى وجود هوة فاصلة بين مختلف طبقات المجتمع وخرجت من قراءتى بأنها تنقصها المقومات التى أرى أن لابد من توافرها فى الدين .

١ـ انظر: محاضرات د.فضل إلهى على طلبة الدراسات العليا بقسم الدعوة عام ١٤١٢/١٤١٣هـ عن تأريخ الدعوة.

٢ـ نصرانية بريطانية درست الإسلام فانتهت بها دراستها إلى أن أسلمت . كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام – مصدر سابق – صـ ٨٤.

ووجدت أخيراً الإسلام هو أكمل الأديان وأقربها إلى العقل والمنطق ، كما أن الإسلام أقرَّ حق المرأة فى المِلْكية ، بينما لم يتم ذلك فى أوروبا إلا فى القرن العشرين) (١)

فهذا النص يبين أن الحقوق التى أعطاها الإسلامُ المرأةَ ليست موجودة فى غيره من الديانات ، والاعتراف بهذه الحقيقة جاء من نصرانية جذبها نظام الإسلام الفريد إلى رحابه الطاهرة النبيلة .

وقدأدرك المستشرقون أهمية الوسائل الذاتية فى الإسلام ، وخطرها على النصرانية ، ويعبِّر عن هذا الإدراك " **جوستاف لوبون** " بقوله :

(تشتق سهولة الإسلام من التوحيد المحض ، وفى هذه السهولة سر قوة الإسلام ، وقد ساعد وضوح الإسلام ، وما أمر به من العدل والإحسان على انتشاره فى العالم .

وتفسر هذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام ، كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام .

كما تفسر السبب فى عدم تنصّر أى أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً سواء أكانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة) (٢)

فهذا المستشرق يقرر حقيقتين مهمتين ، أولاهما : أن نظام الإسلام الموافق

١ـ كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام د. محمد الحسن ود إبراهيم المعتاز صـ ٨٤و٨٥.

٢ـ انظر: حضارة العرب لغوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر صـ ١٢٥.

للفطرة وحاجات الإنسانية ، أى قوة الجذب الذاتية ؛ هو السبب الأوضح فى اعتناق النصارى الدين الإسلامى .

والحقيقة الثانية : أن الأمم التى تدخل الإسلام تدخله عن قناعة بما فيه من سمو وحقائق ، ولذا فهى لاتعود إلى النصرانية مرة أخرى ، سواء كانت غالبة أو مغلوبة ؛ لأن دخولها فى الإسلام تم عن قناعة ذاتية ، دون ضغوط خارجية .

ولأن الاستشراق هو العين التى يبصر بها التنصير والاستعمار كل مايتعلق بالإسلام والشرق ؛ فقد انتبه المنصّرون ، ومن ثَمَّ المستعمرون إلى هذه الخطورة ؛ فطفقوا يصرفون الناس عن وجوه الخير ؛ بالتحذير من خطر الإسلام ، والعمل على تكوين خلفية مشوهة عنه فى المجتمعات غير المسلمة ، لئلا تتلقفه قلوب وعقول الناس الخاوية من المعانى التربوية الصحيحة ، المتشوقة إلى الدين الربانى الصحيح .

وهم أيضاً عملوا مابوسعهم فى المجتمعات المسلمة لإبعاد المسلمين عن دينهم بتشويه حقائقه ، والطعن فى صلاحيته ، وتزيين البدائل عنه ، بكل الوسائل المتاحة لهم .

المبحث الثانى

(وسائل وأساليب المسلمين لمواجهة تلك الشبهات)

هناك جهود كثيرة بذلها المسلمون للدفاع عن الدعوة الإسلامية ، وعن حقائق الإسلام الناصعة ، وثوابته الراسخة ، وهى جهود مشكورة - إن شاء الله تعالى - غير أن سيل الشبهات المنهمر كان أقوى منها ؛ بما لديه من استعدادت بشرية ، ومادية ، وبما هُيِّئَت له من وسائل سياسية ، وعسكرية ، واقتصادية ، وإعلامية ، وثقافية ، متعددة ، ومتنوعة .

وكانت موازين الصراع بين المهاجمين والمدافعين غير متوازنة ؛ ففى الغالب كانت الجهود المبذولة للدفاع عن الإسلام من عمل أفراد تفتقر إلى التنسيق ، والتآزر ، والدعم المادى ، وربما فى حالات كثيرة تفتقر إلى الدعم المعنوى .

كما أن بواعث تلك الجهود فى بعض الأحيان قد لاتزيد عن عاطفة أثيرت ، أو رد فعل على حدث معين .

بينما غزاة الفكر أقدموا على عملهم بتنسيق موحد ، وآزرتهم حكومات ودول ، وجماعات متعددة ، وخصصت لهم مبالغ طائلة للصرف على أعمالهم ، وحظوا بتهيئة إعلامية وفكرية .

يضاف إلى ذلك أن المحركين الفاعلين فى الغزو الفكرى للمسلمين استغلوا الدافع الدينى عند من يستخدمونهم أبشع استغلال ، ومن عدة مداخل ؛ بالشحن الفكرى الحاقد على الإسلام والمسلمين حيناً ، وبالتعبئة الذهنية المُشَوِّهة لحقائق التأريخ حيناً آخر ، أو بهما معاً فى أحيان كثيرة .

وهذا الاستغلال جعل الغزو الفكرى ليس إلا عملية انتقام من اعتداء إسلامى مزعوم على النصرانية ، وإذلال لها فى وقت من الأوقات ، ولابد من الانتقام له .

وجعلوا هذا الانتقام واجباً دينياً لازماً .

وفي ضوء ما أوضحته عن الجهود المبذولة من المسلمين ، ومن خصوم الدعوة الإسلامية ، وعدم تكافؤ الفرص بين الفعل ورد الفعل فقد رأيت أن من المناسب أن أجعل هذا المبحث في مطلبين ، هما :

المطلب الأول : الوسائل والأساليب المستخدمة من المسلمين لمواجهة الشبهات

المطلب الثاني : الوسائل والأساليب المقترحة لمواجهة الشبهات .

المطلب الأول

الوسائل والأساليب المستخدمة من المسلمين لمواجهة الشبهات .

من المؤكد أن هناك جهوداً كبيرة بذلت فى سبيل مواجهة الاستشراق والتنصير ، وأنه قد استخدمت عدة وسائل وأساليب فى هذه المواجهة ، غير أن الوسائل والأساليب فى مجال الدعوة الإسلامية مضبوطة بضوابط تحجزها عن الزيغ والخطأ .

(فلم يقف المسلمون - على العموم - مكتوفى الأيدى أمام الحملات التنصيرية ... ويبدو أن هناك اتفاقاً بين المهتمين بالإسلام والمسلمين على المواجهة هدفاً من أهداف الدعوة إلى الله فى الزمن الحاضر .

على أن المواجهة لاتتوقف عند مجرد حماية المجتمعات المسلمة من غائلة التنصير ، بل إنها تتعدى ذلك إلى درء الفتنة ، وعلى أنه لايفهم من كون التصدى للتنصير والمنصِّرين هو غاية فى حد ذاته ، ولكن الدعوة إلى الله تعالى تقتضى العمل على التغلب على الصعاب التى تعترض الطريق .

ومن أبرز هذه الصعاب على مايبدو لى هى هذه الحملات التى لاتزال تتواصل على المجتمع المسلم .

وتتحقق المواجهة بمجموعة من الوسائل التى هى - دائماً - خاضعة للتغيير والتبديل والتكييف بحسب البيئات التى تقوم فيها المواجهة .

والمهم عند المسلمين أن هذه المواجهة بأساليبها المتعددة لاتخرج بحال من الأحوال عن الإطار المسموح به شرعاً مهما كانت قوة الحملات التنصيرية ، ومهما اتخذت من

وسائل غير نزيهة) [1]

إن المسلم فى كل عمل يعمله لايجرمنه شنآن قوم على أن لايعدل فى قوله ، وفعلـه ؛ لأن هذا العدل واجب دينى يُلْزِمُه به الإسلام ، فهو يلتزم به فى كل الظـروف والأحـوال ، ومهما تعرض له من ظلم .

ولعل أهم تلك الوسائل والأساليب مايأتى :

أولاً = الوسائل والأساليب المستخدمة فى المجال العقدى .

لعـل أوضحهـا : الدعـوة إلى الجهـاد فـى البـلاد التـى خضعـت للتنصـير تحـت حمايـة الاسـتعمار ، مثـل مـاحدث فـى القـرن الأفريقـى (ففـى سـنة ١٨٩٧م نـزل المنصِّـرون النصـارى الصومـال البريطـانى ، فثـار الـرأى العـام لذلـك ، واتجـه السـاخطون إلى الشـيخ محمـد بـن عبـدالله حسـن ، وطـالب رجـال الإدارة بإبعـاد المنصِّريـن ، ولكـنَّ البريطانيـين لم يستجيبـوا لهـذا الطلـب ، فكـان هـذا الوضـع مطلـع ثـورة الجهـاد الكـبرى) [2]

ومـن الوسـائل فـى هـذا المجـال المهـم : طباعـة وتوزيـع الكتـب التـى تبـين مـافى النصرانية واليهودية مـن تحريـف ، وقـد بذلـت جهـود مشـكورة فـى هـذا المجـال .

(حيـث قـامت رابطـة العـالم الإسـلامى وتقـوم بطبـع وتوزيـع العديـد مـن الكتـب المتخصصـة فـى العقيـدة النصرانيـة ، وذلـك بغـرض فضـح مافيهـا مـن تناقضـات تأباهـا الفطـرة الإنسـانية السـليمة ، كمـا تهتـم الرابطـة بـالرد علـى افـتراءات المنصِّريـن والمستشرقيـن الذيـن تعـودوا علـى التهجـم دونمـا دليـل علـى الإسـلام ورسـول

١ـ التنصير . مفهومه ... د. على النملة صـ ٨٩.

٢ـ التنصير فى القرن الأفريقى لسيد أحمد صـ ١٤٣و١٤٤

الإســلام) [1]

وليست رابطة العالم الإسلامى الجهة الوحيدة التى قامت بهذا العمل ، بل هناك مؤسسات تعليمة ، وخيرية فى مصر ، وفى السعودية ، وفى غيرها من بلدان المسلمين اهتمت بهذا الجانب المهم .

وجهود الأزهر فى هذا المجال ظاهرة ، بيِّنة .

ثانياً = الوسائل الإعلامية :

فقد كان من البدهى أن يتجه العلماء والدعاة إلى الإفادة من الوسائل الإعلامية للرد على الشبهات المثارة حول الإسلام ؛ لأن الإعلام كان من أشد وسائل المواجهة ، ويمكن الاستدلال على هذه الجهود بالإشارة إلى هدف كل من :

١ = الندوة العالمية للشباب الإسلامى التى (تأسست سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م وهى هيئة مستقلة ، وملتقى إسلامى يجمع جهود العاملين فى حقل منظمات الشبان والطلاب المسلمين فى العالم ، وتهدف إلى التعاون والتنسيق فى مجالات النشاط الإسلامى فكراً وتخطيطاً وتنفيذاً) [2]

وقد أصدرت عدداً من الكتب ، والموسوعات فى مجال التوعية العقدية والفكرية والمذاهب المعاصرة ، ولها نشاطات إعلامية بارزة .

٢ = منظمة المؤتمر الإسلامى وقد (تأسست منظمة المؤتمر الإسلامى لوزراء الخارجية فى العالم الإسلامى فى مدينة جدة سنة ١٣٨٩هـ ، وهى تعدّ ملجأً لكل الجماعات

١ـ التنصير فى القرن الأفريقى لسيد أحمد صـ٢٠٠.

٢ـ انظر : التنصير فى الأدبيات العربية د. على النملة صـ ٨٥.

والأقليات والدول المسلمة فى العالم) [1]

وأبرز النشاطات الإعلامية لهذه المنظمة ؛ المؤتمرات العامة ، والصحافة ، ولها نشاط فى مجال التنسيق الإذاعى بين الدول الإسلامية .

٣ = رابطة العالم الإسلامى (نشأت رابطة العالم الإسلامى فى ١٣٨١/١٢هـ ـ ١٩٦٢/٥م .

وتمثل فيها الشعوب الإسلامية كافة ، وقد انبثق إنشاؤها عن المؤتمر الإسلامى العام الأول الذى عقد بمكة المكرمة بعد الانتهاء من أداء مناسك الحج من عام ١٣٨١هـ ، وتهدف إلى تبليغ دعوة الإسلام ومبادئه وتعاليمه .

وتتخذ لذلك الوسائل المناسبة من العمل على تحكيم شرع الله ، والأخذ بمبدأ الشورى ، والإفادة من منافع الحج ، وإقامة ندوة عالمية سنوية بمكة المكرمة ، وتهتم كثيراً بمقاومة جميع الحركات والتيارات المعادية للإسلام) [2]

وتطبيقاً لبعض الأهداف المشار إليها (فقد أنشأت رابطة العالم الإسلامى مجلتين شهريتين بالعربية ، والإنجليزية ، علاوة على جريدة أسبوعية للتأثير الإعلامى ، وفضح أساليب التنصير ، وقد عقد مؤتمر تمهيدى للصحافة فى عاصمة قبرص المسلمة عام ١٣٩٩هـ ، وآخر فى جاكرتا سنة ١٤٠٠هـ ، وأسهمت الرابطة فى بثٍّ إذاعى فى بعض الدول الأوروبية ، وغيرها لبثّ تعاليم الإسلام السامية ؛ بحيث تتلاءم وظروف هذه المجتمعات ، وتواكب التطورات الحديثة ، وذلك بشتى اللغات التى تتحدث بها هذه

١ـ انظر : الغزو الفكرى ، عبدالرحمن الميدانى صـ ٤٩٤.

٢ـ المصدر السابق ٤٩٤ ، وانظر : التنصير فى الأدبيات العربية للدكتور النملة صـ ٨٥.

المجتمعات) [1]

ومن المهم هنا التنبيه إلى أن الجهود المبذولة فى المجال الإعلامى من المسلمين لاترقى إلى مستوى الجهود المبذولة من خصوم الدعوة الإسلامية ؛ حيث سبق أن بينتُ عند الحديث عن وسائل الغزو الفكرى ضخامة عدد الإذاعات ، والمجلات والصحف المتخصصة فى التنصير ، بينما جهود المسلمين فى مواجهة خصوم الدعوة تأتى ضمن جهود أخرى ، مثل صفحة فى صحيفة ؛ أو بحث فى مجلة ، أو برنامج فى إذاعة ، كصحيفة الدعوة التى تصدر أسبوعياً فى الرياض ، ومجلة المجتمع التى تصدر فى الكويت ، وغيرهما كثير فى مصر وباكستان ولندن . ومثل إذاعة القرآن الكريم فى المملكة ، وهى ليست مخصصة للدعوة ، فضلا عن تخصصها فى مواجهة الاستشراق والتغريب .

وإنما لاتخلو برامجها ، وموضوعاتها من شيء من هذا .

ولـذا فإنه يمكن القول : إن هذه الجهود تفتقر إلى التنظيم القوى ، والتنسيق المطلوب ، وليس هناك عذر مقبول كى نبرِّر به عدم وجود أية وسيلة إعلامية تكون مخصصة للدعوة إلى الإسلام ، ومواجهة المستشرقين والمستغربين فى أى بلد إسلامى إلى يومنا الحاضر .

بل لاتوجد وسيلة إعلامية واحدة مهما صغر حجمها ، أو ضعف تأثيرها ، تعبِّر عن هموم المسلمين جميعاً ، ولاتُقيَّد بتبعية سياسة دولة معينة .

ثالثاً = الوسائل الثقافية .

حيث لم يُعرِض المسلمون عن هذه الوسائل ، بل اهتموا بها ؛ لأهميتها فى مواجهة الشبهات الموجهة من المستشرقين والمستغربين للطعن فى الإسلام . وكان لجهودهم فى هذا المضمار عدة صور :

١ـ التنصير فى القرن الأفريقى لسيد أحمد ص٢٠١و٢٠٢.

أ = ألف العلماء والدعاة عدداً من الكتب ، ونشروا مقالات فى الدوريات العلمية؛ كلها تبين سقم منهج المرحفين ، وتفضح عَوَرَ كلامهم . ولكثرة ما ألّف وكتب فسأقتصر على مؤلّفين اثنين ، كان لهما فضل المبادأة إلى كشف خَطَل المستغربين والمستشرقين ، وعلى مؤلف : عُرِفَ عنه غزارة الكتابة فى موضوع المستشرقين ، وبيان خطرهم ، وعلاقتهم باليهودية والتنصير ؛ فإن المقصود بيان كيفية استخدام الوسيلة ، لاحصر مستخدميها .

١ = أ = ألّف الشيخ الدكتور مصطفى السباعى :

١ = كتاب : " السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى " وقد بيّن رحمه الله فى مقدمته أنه عانى منذ عام ١٣٥٨هـ مع بعض المستشرقين والمستغربين فرأى تأليف هذا الكتاب للرد على شبهاتهم ، وقد نشر المكتب الإسلامى هذا الكتاب القيّم ، وكانت طبعته الثالثة عام ١٤٠٢هـ .

٢ - كتاب : من روائع حضارتنا ، وقد خصّصه رحمه الله لبيان تميز الحضارة الإسلامية ، والرد على الشبهات المثارة حول تلك الحضارة ، واستطاع رحمه الله أن يفضح دعوى تسامح النصرانية بالوقائع التأريخية المتفق عليها ، وأورد رحمه الله تطبيقات كثيرة من وقائع التأريخ للدلالة على سمو الإسلام .

قام المكتب الإسلامى فى بيروت بنشر الكتاب بإذن من ورثة المؤلف ، وكانت طبعته الثانية عام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .

٣- كتاب : الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم ، نشر المكتب الإسلامى ط٢ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م وعنوان الكتاب دليل على موضوعه .

ب = ألّف الشيخ مصطفى الرافعى [١] كتاب " تحت راية القرآن " (أو المعركة بين القديم والجديد) نشرته المكتبة التجارية الكبرى الطبعة السادسة ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م .

١- مصطفى صادق بن عبدالرزاق الرافعى عاش بين ١٨٨١-١٩٧٣م عالم بالأدب وشاعر ، من كبار الكتاب ، وله عدة مؤلفات . الأعلام للزركلى ٧/٢٣٥.

صحح أصوله محمد العريان .

٢ = ألّف الدكتور على النملة [١] عدة كتب ، وكَتَبَ عدة مقالات ، منها :

١ = الاستشراق فى الأدبيات العربية ، نشره مركز الملك فيصل للبحوث بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٢ = التنصير فى الأدبيات العربية ، نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٥هـ .

٣ = التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته طبعة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م بدون ذكر جهة نشر .

٤ = مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين (استقراء للمواقف) نشر مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٤هـ .

٥ = مصادر معلومات المستشرقين عن الإسلام والمسلمين . مجلة عالم الكتب المجلد الخامس عشر العدد السادس الجماديان ١٤١٥هـ ص٥٧١-٥٨٨.

٦ = كُنْهُ الاستشراق : مناقشات فى التعريف والنشأة والدوافع والأهداف . دراسات استشراقية وحضارية ، كتاب دورى محكم تصدره كلية الدعوة بالمدينة المنورة . العدد الأول ١٤١٣هـ ص٢٢-٦٠

٧ = أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين . مجلة جامعة الإمام العدد السابع ربيع الثانى ١٤١٣هـ . ص ٥٢٠-٥٦٤.

١- الدكتور/على بن إبراهيم النملة ، أبو حمد ، عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية ، وأحد أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - قسم المكتبات .

٨ = الاستشراق فى خدمة التنصير واليهودية . مجلة جامعة الإمام العدد الثالث رجب ١٤١٠هـ صـ٢٣٧-٢٧٣.

٩ = العلاقة بين الاستشراق والاستعمار . التوباد المجلد الأول العدد الرابع شوال ١٤٠٨هـ صـ ٣٨-٤٢.

١٠ = المستشرقون : مواقف ومواقف . مجلة الحرس الوطنى المجلد السابع العدد الرابع والأربعون شوال ١٤٠٦هـ صـ ٤٤-٤٥.

وإن إلقاء نظرة سريعة على مراجع هذا البحث تعطى دلالة واضحة على حجم الجهود المبذولة من علماء المسلمين فى مجال التأليف لمواجهة شبهات المستشرقين والمستغربين حول عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها ، بل حول الإسلام كله .

ب = أنشئت مراكز الدراسات والبحوث .

مثل : الهيئة الإسلامية للبحوث وتطوير المجتمع فى جاكرتا ، ومركز الدراسات حول العلاقات بين الإسلام والنصرانية التابعين لرابطة العالم الإسلامى (١)

ومثل : مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية فى كلية الدعوة بالمدينة المنورة ، وقد سبق التعريف به فى صفحة ٣٧٨ من هذا البحث .

وهناك اهتمامات أخرى بالاستشراق فى عدد من الكليات ؛ تجدها فى أقسام الثقافة الإسلامية ، والدعوة ، والمذاهب المعاصرة فى عدد من الجامعات .

ولعل هذا البحث صورة من صور اهتمام قسم الدعوة بكلية الدعوة والإعلام بالرياض بجانب دراسات المستشرقين والمستغربين عن الإسلام ، ودفع شبهاتهم .

١ـ انظر : التنصير فى القرن الأفريقى لسيد أحمد ص٢٠٣ .

ج = الدعوة إلى إعداد « موسوعة للردعلى المستشرقين »

هذه الموسوعة - لو وجدت - ستحقق مستوى عالياً من التنسيق ، وسيكون لها تأثير قوى فى عملية توحيد الجهود ، وبالتالى قوتها ، وقوة أثرها .

كما أنها ستوفر جهوداً كثيرة يتكرر بذلها لدحض بعض الشبهات ، بسبب عدم التنسيق بين أصحابها ، بينما تحتاج شبهات أخرى إلى جهود للرد عليها فلا يتهيأ لها ذلك .

(لقد دعت المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة فى القاهرة فى نهاية عام ١٩٧٩م إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد موسوعة للرد على المستشرقين ، وأُعِدَّ تقرير ختامى عن المنهج العلمى الواجب اتباعه فى إعداد هذه الموسوعة فى ضوء المناقشات التى دارت فى الندوة ، وتم تسليم التقرير فى حينه إلى المسئولين عن الندوة المذكورة ، وقضى الأمر ونامت الفكرة) [١]

رابعاً = الوسائل التعليمية .

التعليم وسيلة مهمة من وسائل الدعوة إلى الله منذ انطلاقة الدعوة المباركة فى عهد النبى ﷺ ، ثم العصور الراشدة ، ولاسيما عصور الفتوحات بعده ، وكذلك فى عصرنا الحاضر .

(فقد استطاعت كل من : الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة ، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن تخرِّج أعداداً هائلة من الدعاة أسهمت ، وتسهم فى نشر الدعوة الإسلامية فى أنحاء البلدان الإسلامية ، وغير الإسلامية) [٢]

١ـ الاستشراق والخلفية الفكرية د. زقزوق صـ ١٥٦و١٥٧.

٢ـ التنصير فى القرن الأفريقى لسيد أحمد ص٢٠٣ .

كما لاتنكر جهود الأزهر فى مصر فى هذا المجال المهم ، فقد أنشأ عدداً من كليات الدعوة فى عدد من المحافظات ، لها أثر قوى فى تبصير الناس ، وكشف الشبهات الموجهة ضد الإسلام .

وإذا أخذتُ فى الحسبان كثرة عدد سكان مصر ، ووجود عدد كبير من غير المسلمين فيهم ؛ تبيَّن ضخامة الجهود المبذولة ، وصعوبة العقبات والعوائق المعنوية والمادية ، التى يواجهها الأزهر .

وقد سبق أن بينت كيف أنه ضُيِّق على الأزهر بسبب تعليمه الدينى ، وأثره فى حياة الناس ، الذى لم يرق للمنصِّرين والمستشرقين والمستعمرين ؛ فحاربوه لأجله .

وكذلك عقدت فى عدد من الكليات فى المملكة وفى الدول الإسلامية دورات لإعداد وتأهيل الدعاة .

خامساً = المؤتمرات والندوات .

هذه الندوات والمؤتمرات تحظى بنصيب من التركيز الإعلامى الذى يستأثر باهتمام الناس ، ولذا فإن فائدتها كبيرة .

وقد عقدت كثير من المؤتمرات على مستوى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية ، وعلى مستوى الوزراء ، وعلى مستوى المفكرين والعلماء ، غير أن اللافت للانتباه هو : ضعف تنفيذ التوصيات والاقتراحات ، إن لم يكن عدمها ، وسأقتصر على بعض الأمثلة لبعض المؤتمرات فحسب .

١ = (عقد المؤتمر الأول للتعليم الإسلامى فى مكة المكرمة فى شهر ربيع الثانى من

سنة ١٣٩٧هـجرية)[١]

٢ = (قرر مجمع البحوث الإسلامية المنعقد سنة ١٩٦٥م بمصر أن الإسلام رغّب في زيادة النسل ، وأنه لايصح وضع قوانين تجبر الناس على تحديده ،كما انعقد المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة بمكة المكرمة سنة ١٩٧٧م ، وقرر تحذير المسلمين من الدعوات المشبوهة التى يروجها أعداء الإسلام لتحديد النسل)[٢]

٣ = (عقد المؤتمر العالمى الأول للمنظمات العالمية الإسلامية بدعوة من رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة سنة ١٣٩٣هـ ، وعقد المؤتمر العالمى الأول لرسالة المسجد سنة ١٣٩٥هـ بدعوة من الرابطة كذلك ، وعقد المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى بدعوة من جامعة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٩٦هـ بمكة المكرمة)[٣]

٤= (عقد أول مؤتمر إسلامى بالرباط من ٩-١٣٨٩/٧/١٢هـ الموافق من ٢٢-١٩٦٩/٩/٢٥م ، وأعلن فيه أن الدول الإسلامية ستتشاور بقصد تعزيز التعاون الوثيق بينها)[٤]

١ـ انظر : غزو فى الصميم للميدانى صـ٢٥٩.

٢ـ احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام د. سعدالدين السيد صالح صـ٢٥٣.

٣ـ الغزو الفكرى . بحث الميدانى صـ ٤٩٤.

٤ـ التنصير فى الأدبيات العربية د.على النملة صـ ٨٥.

المطلب الثانى

الوسائل والأساليب المقترحة لمواجهة الشبهات .

حول عالمية الدعوة الإسلامية وواقعيتها [1]

الاستشراق غزو فكرى منظم ، والغزو الفكرى خطر عظيم ، والتخاذل أمامه يعنى الجناية على أجيال من الأمة الإسلامية ، ولذا فإن بيان المطلوب فى مجال الوسائل والأساليب اللازمة لمواجهة شبهات المستشرقين والمستغربين حول الدعوة الإسلامية ضرورة لايصح النكول عنها أو التراخى فى الدعوة إليها . ويمكن إيجاز أهم المطلوب فيما يأتى :

١ = ينبغى (تدعيم شريحتين هامتين :

أولاهما : الدعاة المسلمون الذين يتخرَّجون من المعاهد الإسلامية المنتشرة فى أنحاء كثيرة من العالم الإسلامى .

وثانيتهما : القائمون بتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وذلك فى إطارٍ من المبادىء التالية :

أ = أن يرتبط المبعوثون العرب فى أوروبا وأمريكا بالموسسات الدينية فى تلك الجهات ، والتى ينبغى أن يخصص لها دعاة قادرون فى فهم المنهج الإسلامى ، والحيلولة دون أن تجد الدعاوى العلمانية طريقاً إلى هؤلاء المبعوثين .

١ـ انظر فى تفصيل ذلك : مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين د. على النملة صـ٢٩-٣٤. والاستشراق والخلفية الفكرية د. محمود زقزوق صـ ١٥٥-١٨٢. والتنصير فى القرن الأفريقى لسيد أحمد صـ١٩١-٢٠٨. ومنهج نقد الاستشراق د. محمد أحمد . دراسات استشراقية وحضارية صـ ٢٢٠، وغزو فى الصميم للميدانى صـ٢٢٩-٣٢٧.

ب = أن ننهض بعمل جاد يستهدف ترجمة الموسوعات العلمية إلى اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية والروسية ، على أن يتسلح الدعاة بهذه التراجم للإفادة منها فى فهم نهجنا الإسلامى القويم ...

ومن بين الأولويات العلمية الملحَّة : مشروع إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة ، فلايجوز أن نظل نقتات فكرياً من دائرة المعارف الإسلامية التى قام بإعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية فقد تجاوزها المستشرقون ، وأوشكوا على الانتهاء من إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة ، وواجبنا – نحن المسلمين – أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية ، وباللغات الأوروبية الرئيسة) [1]

٢ = إنشاء مؤسسة إسلامية علمية عالمية ، ولكى تحقق الهدف المرجو منها فلابدَّ من أن (تستطيع استقطاب الكفاءات العلمية الإسلامية فى شتى أنحاء العالم ، وتقف على قدم المساواة مع الحركة الاستشراقية) [2]

ثم لابد أن تسعى إلى هدفين مهمين جداً :

أولهما : العناية بالجانب العلمى التوثيقى والبحثى ، بما فى ذلك بيان خصائص الإسلام ، ودفع الشبهات عنها ، والعناية بأمر الترجمة الصحيحة للقرآن الكريم .

وثانيهما : الاهتمام بالدعوة إلى الله ، وتهيئة الوسائل المادية والمعنوية والبشرية المطلوبة ، بما فى ذلك : تأسيس دار نشر قوية ، ووكالة أنباء متمكنة ، وإذاعات متخصصة فى الدعوة عكس واقع وكالة الأنباء الإسلامية ، ومنظمة الإذاعات الإسلامية القائمتين.

ووجود هذه المؤسسة ضرورة لتكافؤ الفرص بين الاستشراق وسبل مواجهته .

١- منهج نقد الاستشراق فى مجال التأريخ الإسلامى د. محمد أحمد . دراسات استشراقية وحضارية صـ ٢١٩و٢٢٠.

٢- الاستشراق والخلفية الفكرية د. زقزوق صـ ١٦٥ .

فإن (العالم العربى والإسلامى يبقى قوة من الدرجة الثانية على صعيد إنتاج الثقافة والمعرفة والبحث ، فما من باحث عربى أو مسلم يستطيع المخاطرة بتجاهل ما يحدث فى المجلات البحثية والمعاهد والجامعات فى الولايات المتحدة وأوروبا .

غير أن العكس ليس بصحيح ؛ فليس هناك – مثلا – مجلة رئيسة واحدة للدراسات العربية تصدر فى العالم العربى اليوم ، بالضبط كما أنه ليس ثمّة مؤسسة تعليمية عربية واحدة قادرة على مضاهاة أماكن مثل : اكسفورد ، وهارفارد وجامعة كاليفورنيا – لوس أنجليس – فى دراسة العالم العربى ، ودع عنك أى أمر آخر غير شرقى !)[1]

وربما أمكن الاستفادة المثلى من رابطة الجامعات الإسلامية لتكون نواة المؤسسة العلمية المطلوبة ؛ لوجود نواتها – القدرة البشرية – فى الجامعات الأعضاء .

٣ = الحضور الإسلامى فى الغرب ، وأقصد الحضور الفاعل ، المؤثّر :

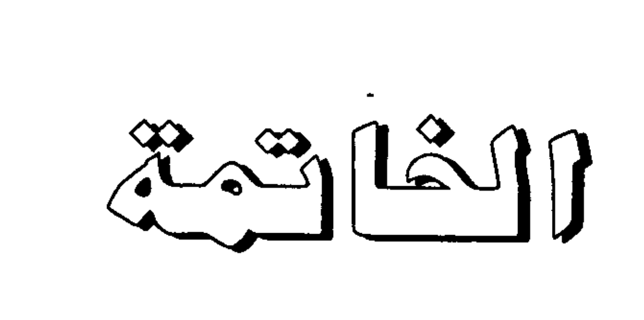
(فمن الملاحظ أن الحضور الإسلامى فى المؤسسات العلمية فى الغرب ضعيف جداً ، إن لم يكن معدوماً ، وليست هناك أهمية إسلامية كبيرة للكثير من أبناء العالم الإسلامى الذين يساعدون فى التدريس فى تلك المؤسسات ؛ نظراً لأنهم لايستطيعون – إلا فيما ندر – أن يصرحوا بوجهات نظر تتعارض مع وجهات النظر الاستشراقية حول الإسلام ...

ومن أجل ذلك نقترح سبيلاً آخر لتقوية الحضور الإسلامى فى المؤسسات الأكاديمية فى الغرب ، وذلك بمحاولة اقتحام مجالات تدريس العلوم العربية والإسلامية فى الغرب عن طريق الاتفاقات الثقافية التى تعقد بين بلدان العالم الإسلامى ودول أمريكا وأوروبا)[2]

١ـ الاستشراق . إدوارد سعيد صـ ٣٢٠.

٢ـ الاستشراق والخلفية الفكرية د. زقزوق صـ ١٨٠

ومن الطرق للوصول إلى هذا الهدف إنشاء كراسى للغة العربية والدراسات الإسلامية فى جامعات الغرب على نفقة الدول الإسلامية ، مع اشتراط أن يقوم بتدريس هذه المواد علماء أكفياء من المسلمين المؤهلين تأهيلاً علمياً وعقدياً والعارفين بلغات الغرب .


الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى بنعمته تتم الصالحات ، والشكر له سبحانه على تيسيره لى أمر إتمام موضوع رسالتى ، وتوفيقه بأن ذلّل العقبات فى طريقـى ، وهدانـى إلى الإفـادة مما بين يدى من حقائق ومعلومات .

نتائج البحث :

ثم إنه قد تبين مما عرضته فى هذا البحث أمور من أهمها :

١ = سلامة الرئة التى تتنفـس بهـا الدعـوة الإسـلامية ، وأنهـا دعـوة حيَّةٌ ، عالميـة وواقعية ، تساير كل عصر، وكل مجتمع ، وكل جيل .

٢ = عِظَمُ أمر هـذه الدعوة التى تراعـى حـال المدعـو فتخاطب العقل ، والقلـب ، والبـدن ، فـى توازن مثمر ، كما ظهر تعدد مجالاتها ، وضرورتها ، وقدرتهـا القويـة علـى مواجهة الخصوم .

٣ = ضخامة عمل المستشرقين والمستغربين ، وخطر شبهاتهم ؛ بسـبب دأبهـم علـى البحث ، ومن ثمَّ وصولهم إلـى منزلة علميـة رفيعة فى نفوس المتلقين ؛ نتيجة ضعف الجهـد العلمى للدعاة ، والعلماء المخلصين .

وقد تبين من البحث أن كثيراً من الموسوعات ، ودوائر المعارف المتخصصة فى علـوم الإسلام من وضع المستشرقين .

٤ = تبين من البحث أن دعوى المستشرقين الحيـاد العلمـى أو الـتزام المنهـج العلمـى المجرد أو مايسـمونه : " البحـث عـن الحقيقـة " ليسـت إلا دعـوى يكذبهـا واقـع معظـم المستشرقين والمستغربين ، ومناهجهم المناقضة لدعواهم ، وتأثرهم بما ترسـب فـى نفوسـهم من آثار فكرية ، مما يدعو إلى الحذر منهم ، وبذل الجهد لبيان زيفها .

٥ = الجهد الذى قمت به فى هذا البحث جهد فردى ، وقـد تبـين مـن البحـث أن

شبهات المستشرقين والمستغربين لقيت دعماً هائلاً ، ولاسيما الحركة الاستشراقية من الحكومات الغربية ، ومن المؤسسات العلمية ، والجامعات الغربية ، بل ومن الأفراد فى الغرب .

ومع أنى مؤمن بأهمية الجهود الفردية ، وعلى علم بأن هذه الجهود أثمرت بإذن الله ثماراً طيبة فى تأريخ الدعوة الإسلامية ؛ إلا أننى أرى أن تضافر جهود العاملين فى حقل الدعوة إلى الله ، أفراداً ومؤسسات ودولاً ضرورة متأكدة ، تدعو إليها مقتضيات النجاح والتفوق .

٦ = وجود متخصصين فى مجال مواجهة شبهات المستشرقين والمستغربين ؛ للرد عليها بالوسائل المختلفة ضرورة ملحة ، تحتاج إلى إعداد قوى ، وتهيئة مناسبة .

٧ = أن الغزو الفكرى أقوى أثراً من الغزو العسكرى ، ولذا فقد بينتُ فى بحثى علاقة أنشطة الغزو الفكرى بالاستشراق والاستغراب ، كما بينت أن شبهات المستشرقين ، والمستغربين أنتجت آثاراً تربوية ، وثقافية ، وفكرية خطيرة ، فى المجتمعات المسلمة ، وفى المجتمعات غير المسلمة .

وإن ظهور تأثيرها فى الأجيال المتعاقبة يدل على نهج أصحابها سياسة "التخطيط بعيد المدى " أو " سياسة النَفَس الطويل " التى ينفذها المستشرقون والمنصِّرون ، والمستعمرون ؛ لمحاربة الإسلام ، ومنع انتشاره بين عباد الله .

٨ = أن الله سبحانه وتعالى امتن على المسلمين بأن أكرمهم بحمل هذه الدعوة إلى الناس ، وتبيَّن أنها تحتاج - عند تبليغها إلى الناس - إلى من يحمل مشعلها ، وهو مشعل ثقيل ، لاتحمله إلا السواعد المغذاة بالإيمان ، والعلم الصحيح .

أما الإيمان فهو الدافع القوى للاستمرار والعطاء السخى ، لأن المؤمن لاينتظر الثواب إلا من الله ، فتقوى عزيمته ، وتشتد شكيمته ، للسير فى مدرجة الدعوة الحق مهما كانت العقبات فى طريقه ، من الأقربين والأبعدين .

وأما العلم الصحيح فهو ضمان الاستقامة وسلامة المنهج ؛ لأن العاطفة وحدها لاتصلح أن تكون منهجا لدعوة ناجحة ؛ فإن ضررها سيكون أكثر من نفعها ، بَلْهَ أن تسير فى ركابها الدعوة الإسلامية الخالدة .

٩ = تبين من البحث حاجة الناس - جميعاً - إلى الدعوة الإسلامية لأنها هى الدعوة الوسط - بمعنى الأخْيَر - .

والدعوة الوسط بالنسبة إلى الناس - كل الناس - ضرورة ، كضرورة الغذاء والشراب . والقائمون بها وفق الضوابط الصحيحة هم خير الناس ، وقد وعدهم الله بأعظم الفلاح ، وبالأجر العظيم .

قال تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

وقال سبحانه : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

١٠ = تبين من البحث تنوع أساليب ووسائل المستشرقين والمستغربين فى التشكيك والطعن فى الإسلام ، وتحريف النصوص ، وتشويه ثوابت الدين ، بل والكذب بذكر مصادر لاوجود لها ، أو ذكر نصوص مبتورة ، يأخذون منها ما يخدم أهدافهم .

١١ = تبين من البحث أن التنسيق بين العاملين فى مجال الدعوة إلى الله يعانى من الضعف ، والفتور ؛ لضعف العلم الصحيح ، وإصابة بعض الدعاة بحب التنافس أو الرياسة أو العصبية للجماعة دون الأمة الخ ...

١- آل عمران ١٠٤.

٢- آل عمران ١١٣-١١٥.

التوصيات :

فبناء على النتائج التى تَبَيَّنَتْ من البحث ، ورغم علمى بأنه سبقنى إلى الكتابة حول المطلوب لأجل الدعوة فى مجال الاستشراق ؛ علماءُ أفاضل ، وباحثون مخلصون ، اقترحوا مقترحات مفيدة ، وأوصوا بتوصيات نافعة .

وقد سبق بيان شىء من هذه المقترحات ، والتوصيات فى الباب الأخير : ﴿ أثر شبهات المستشرقين والمستغربين فى الدعوة الإسلامية ﴾ ، الفصل الثالث ﴿ وسائل وأساليب الدعوة فى مواجهة الشبهات ﴾ ، المبحث الثانى ﴿ الجهود المطلوبة ﴾

فإن هذا لايمنع من أن أدلى دلوى بما أرى أهميته تكميلاً للنفع والفائدة ، على النحو الآتى :

أولا : الإعداد التربوى :

١= ضرورة بيان سنن الله فى أمر المدعوين ، والدعوة . وأنه يلزم من ذلك الصبر على المدعو ، والتثبيت ، والتطمين ، وعدم اليأس ، وتربية الوازع العقدى فى نفس المسلم ، وتحذيره من عواقب التخلى عن الدعوة إلى الله على الفرد والمجتمع .

٢ = ضرورة علم الدعاة بالفرق بين الإكراه والحكمة ، وهذا يلزم منه أن يتحلى الداعى بمنهج الحكمة فى كل عمله ، وأن يعرف كيف يدفع شبهة الإكراه عن الدعوة .

ومما يعين الداعى على نجاحه فى هذا الجانب المهم ؛ أمران :

أولهما : الاستفادة من النماذج القرآنية الكثيرة التى فرّقت بين الحكمة والإكراه ، وعالجت موضوعهما ، وآثارهما .

وثانيهما : معرفة الوقت ، والمكان ، والشخص الذى يستخدم فيه ، ومعه اللين والرفق ، والأسلوب أو الوعاء الأمثل الذى يقدم فيه .

ومعرفة الوقت ، والمكان ، والشخص الذى يستخدم فيه ، ومعه الشدة والقوة ،

والأسلوب أو الوعاء الأمثل الذى يقدم فيه.

ورغم أن هذه المعرفة من باب معرفة حال المدعو ؛ إلا أن موضوع استخدام الرفق أوالشدة فى الدعوة أمر يحتاج إلى معرفة دقيقة ، ووعى كامل ، وتجربة غنية .

ولعله من المناسب أن أنصح بمطالعة كتاب : " من صفات الداعية : الرفق واللين " للدكتور فضل إلهى ؛ ففيه فوائد كثيرة فى هذا الجانب .

٣ = دفع المدعو بقوة بناء الدعوة إلى الاعتراف بالحق ، وإن كان مكابراً ؛ بحسن الاستدلال ، وتفنيد الشبهات بأسلوب علمى ، واضح متين .

وهذا العنصر التربوى مهم جداً فى موضوع مناقشة المستشرقين ، ومحاورتهم ، سواء بطريقة مباشرة ، أو عن طريق الكتابة .

٤ = إيضاح التشابه بين ظروف الدعوة فى الحاضر والماضى ، وتنمية الوعى بأهمية فهم واقع الدعوة ، والظروف المحيطة بها ، وطبيعة الخصوم ، والاستفادة من التجارب السابقة ، وإبراز العقبات فى طريق الدعوة إلى الله وتقديم الحلول لها .

٥ = محاربة الأمراض الاجتماعية الخطيرة فى صفوف الدعاة ، ولاسيما تلك التى وصفها النبى ﷺ بالمهلكات ؛ كالشح المطاع ، والهوى المتبع ، والدنيا المُؤْثَرَة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، وما إلى ذلك من الكبر ، والعجب ، وحب الرياسة .

٦ = الاهتمام بترتيب الأولويات فى مجال الدعوة إلى الله ، وتقديم ماتدعو حال المدعو إلى تقديمه ، وتأخير ماتدعو حاله إلى تأخيره ، حتى تتهيأ الفرصة لعرضه وبيانه .

ولابد من اليقظة الكاملة فى استخدام المصطلحات الشائعة ، والالتزام بالإطار المنهجى للكلمة ، وتوظيف جهود الجامعات الإسلامية فى مختلف المجالات دعوياً .

وقد أحسنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فعلاً حين حرصت على تأصيل العلوم المختلفة إسلامياً ، وبذلت فى سبيل ذلك مادياً ، وشجعت الدراسات والبحوث العلمية المتخصصة فى هذا المجال .

٧ = ضرورة إعادة النظر فى مناهج التعليم المطبقة فى البلاد الإسلامية ، وضرورة مراجعتها بصورة متجددة ؛ كى تلائم واقع الدعوة الإسلامية اليوم ، وما تحتاجه من علوم ، ومعارف ، وتجارب ، وماتواجهه من تحديات ، وعوائق .

ومن الضرورة الاهتمام بالدراسات الاستشراقية ، وإقرار دراستها فى مراحل التعليم المختلفة ؛ لكشف باطلها ، والحذر منها ، ولإعداد جيل يكون عنده وعى تام بأهمية الدعوة إلى الله فى العصر الحاضر .

ولكى يكون لدى الباحثين المسلمين العلم الذى ينتج القدرة على مواجهة خصوم الدعوة بالحجة الدامغة والبرهان القاطع .

٨ = الحذر من انفصال الفكر عن الفقه فى الدين . وأعنى بذلك ضرورة عدم الفصل بين العلوم الدينية من توحيد ، وفقه ، وتفسير مثلاً ، والعلوم الدنيوية من طب وكيمياء وفيزياء مثلاً .

بل لابد من إعطاء الدارسين فى مجال العلوم الدنيوية قسطاً كبيراً من العلوم الدينية الضرورية ؛ لكى يكون كل مسلم ، مهما كان تخصصه ؛ على بصيرة بدينه، وعلى وعى بما يحاك له من شبهات ، ومعرفة مايبطلها ، ويُذْهِبُ أثرها .

ولكى يكون علماؤنا فى كل تخصص دينى أو دنيوى مسلحين بقوة الإيمان ضد هجمات الغزو الفكرى ، وشبهاته .

٩ = ضرورة إحياء رسالة المسجد فى الإسلام ؛ فإن المسجد فى عهد النبى ﷺ ثم فى عهود خلفائه الراشدين رضى الله عنهم ، وعند سلف الأمة الصالح فى مختلف العصور ؛ كان ميداناً ووسيلة للدعوة إلى الله ، وتربية الناس بالعلم الصحيح ، ومنطلقاً للجهاد ، وتبليغ الناس دين الله الحق .

ذكر ابن سعد فى الطبقات – ١١٧/٢و١١٨– أن أول عمل عمله النبى ﷺ حين قدم إلى المدينة المنورة أن أمر ببناء المسجد .

وروى الإمام **البخاري** رحمه الله – في كتاب الصلاة – « **أنه ﷺ قدم المدينة ، فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم : بنو عمرو بن عوف ، وأنه ﷺ أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ من بني النجار ، فقال : يابني النجار ثامنوني بحائطكم هذا ، فقالوا : لا والله لانطلب ثمنه إلا إلى الله** »

واهتمام النبي ﷺ بالمسجد دليل قاطع على أنه مركز عبادة وتربية إيمانية ، ومصدر إشعاع وهدى ، ، وجامعة تعليم وإرشاد ، وملتقى دعوى هام ، وقد فهم السلف الصالح هذا الهدف النبيل فاهتم المسلمون بإنشاء المساجد في كل بلد فتحه المسلمون .

١٠ = ضرورة زيادة الاهتمام بالجانبين التطبيقي ، والتدريبي في مجال الدعوة الإسلامية ؛ لما لهذين الجانبين من أهمية قصوى ، وآثار بليغة في الداعي ، والمدعو ، والدعوة ذاتها .

ولذا فإنني – مع الإشادة بماتقوم به كلية الدعوة والإعلام بالرياض في مجال التدريب من اهتمام كبير – أرى إلزام طلبة كليات الدعوة ، والإعلام في الجامعات الإسلامية بسنة تدريبية في مجال تخصصهم في إحدى المؤسسات العلمية الموثوق بها ، أو الجهات العاملة في المجال الدعوي ، تكون من فروض التخرج في مجال الدعوة إلى الله .

وأن يكون هذا التدريب بإشراف علماء متخصصين في الدراسات الإسلامية ، والتربوية ، والدعوية .

لأن مايكتسبه المتدرب في الواقع ، والتطبيق العملي ، والميداني من خبرات بظروف الدعوة ، وبالمسالك الراشدة لإرشاد الناس ، وتربيتهم تربية إيمانية ، وعلم بالعقبات ، وكيفية التغلب عليها يفوق بمراحل كثيرة مايُلْقَى عليه في قاعات الدروس من نظريات وضوابط الخ ....

ومجالات التدريب الدعوي في بلادنا – ولله الحمد – كثيرة ومتنوعة ؛ فهناك مراكز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهناك مكاتب الدعوة والإرشاد في الداخل ،

وهناك مكاتب الدعوة فى الخارج ، وكلها تابعة لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، وهناك المكاتب التعاونية لتوعية الجاليات والدعوة والإرشاد ، المنتشرة فى الأحياء بترخيص رسمى .

وهناك مؤسسات موثوق بها فى مجال الدعوة إلى الله فى الداخل والخارج ؛ فإلحاق الطلاب بها لتدريبهم يدعم جهودها ويحفزها على البذل ، ويفيد المتدربين ، والجهة التى أوفدتهم للتدريب ، بل لاأبالغ إذا قلت : إنه يفيد الأمة بأسرها .

ثانيا : الإعداد المادى :

١ = إعداد القوة المادية - من مال وإعلام واقتصاد - للأمة المسلمة إعداداً قوياً ؛ لِيُرْهَب جانبُها ، وتُخْشَى هيبتُها .

ولأن المستشرقين والمستغربين يلقون دعماً سخياً لاتوقفه حدود من حكومات ومؤسسات قادرة مادياً وإعلامياً وسياسياً واقتصادياً ؛ فإنه لابد لمواجهة القوة بمثلها من تضافر جهود الحكومات ، والمؤسسات المسلمة ، والأفراد المسلمين ؛ للوصول إلى دعوة قوية ومثمرة بإذن الله .

٢ = نشر العلم الصحيح بوسائل النشر المتاحة كافة ، وتأسيس المراكز العلمية البحثية المستقلة فى التخصصات الإسلامية كافة ، وتكثيف جهود الدعاة المتخصصين فى مجال الاستشراق والتغريب خصوصاً ، ومضاعفة أعدادهم ، وتشجيعهم بالحوافز الممكنة .

ونظراً لما عانيته عند إعداد هذا البحث من مشكلة الترجمة ؛ لأن أغلب إنتاج المستشرقين ، بل وبعض المستغربين العرب بغير اللغة العربية ؛ مما يتطلب الإلمام باللغة التى كتب بها البحث ؛ فإننى لاأنسى التنبيه إلى أنه من المهم إعداد مراكز ترجمة أمينة على مستوى علمى موثوق به ، ورفيع المستوى ، وعقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات فى الدول الإسلامية ، وخارجها ؛ لبيان الحق الذى يُزْهِقُ الشبهات ، ويقطع الطريق على الأدعياء والشانئين .

٣ = دعوة الكتاب ، والأدباء - ولاسيما فى مجال القصة لقوة تأثيرها - لإبراز

الشخصية المسلمة المستقلة للمسلم ، وشمول الإسلام وعالميته ، وواقعيته ؛ بأسلوب حى ، غير مباشر ، تتشربه النفوس ، وتتلقفه التطلعات .

وأن يحرص المسلمون على إشغال وسائل الإعلام ووسائطه بمادة علمية ، تربوية ، إيمانية تفيد المسلم فى دينه ودنياه .

فإن وسائل الإعلام اليوم بما فيها من تقنيات ، ومغريات ، وحيوية ، وجاذبية اخترقت حُجُبَ البيوت ؛ وتلهفت إليها التطلعات والعواطف ؛ فإذا لم تشغل هذه التطلعات والعواطف بالحق والخير ؛ تسرَّب إليها الباطل والشر .

٤ = تشجيع حركة التعريب فى البلاد الإسلامية التى حاول الاستعمار تغريبها ؛ مادياً وبحثياً ، بالوقوف إلى جانب المسلمين فى تلك الدول ، وبذل الجهود المباشرة لتحقيق أمانيهم وتطلعاتهم ، وبالدعم المادى .

٥ = تشجيع التوجهات الإسلامية الرائدة فى مجال مخاطبة الشبان والناشئة ، ومن هذه التوجهات الخيِّرة قيام دار أراكان للنشر والتوزيع بالرياض بإعداد : " القاموس الإسلامى للناشئين والشباب "

هذا القاموس أعد مادته عدد من العلماء المسلمين المتخصصين فى مختلف العلوم ، وراجعه علماء تربية ، وفِقْه ، من المسلمين المتخصصين من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وجامعة الأزهر ، وحظى بتزكيات من عدد من العلماء الذين اطلعوا عليه .

ومع ذلك فإن دائرة الإفادة من هذا المشروع الحى ضيقة بسبب عدم توافر الدعم المادى اللازم لنشره وتعميمه على المسلمين ، وغير المسلمين .

مع أن ترجمته إلى عدد من اللغات الحية ، وتوزيعه على أكبر عدد من الناس سيحقق فوائد جمة ، ومنافع كثيرة .

وقد طبع منه ثلاثة أجزاء زادت صفحاتها على ١٩٠٠ صفحة ، ربما تظل حبيسة الأدراج مدة طويلة .

٦ = حث الجهات العلمية ، ولاسيما الجامعات ، ومراكز البحث العلمي على دعم الدراسات الإسلامية في مجال مواجهة الاستشراق والتغريب ، ونشرها في أنحاء العالم الإسلامي ، مع التركيز على البلاد التي تتعرض لضغوط أكبر من المستشرقين والمستغربين ، وأن تعطى هذه الدراسات أولوية في الرسائل الجامعية ، والمجلات العلمية والدوريات المتخصصة .

اعتذار :

وماقدمته في سطور هذا البحث ؛ إنما هو جهد مُقِلٍّ موصوم بالنقص والتقصير ؛ فإن وجدتَ - ولابد أن تجد - خطأ ، أو تجاوزاً ؛ طغى به القلم ، أو زاغ عنه البصر ، أو قصر عنه الفهم ؛ فهو من ضعف أدواتي ، وتقصيري في البحث والتقصي ، وأستغفر الله عن خطأي وعمدي .

وأسأل الله الكريم أن يستر بكرمه عثاري ، وأن يرفع بفضله زللي ، وأن يسد بمنّه خللي ، وأن يتقبله - خالصاً لوجهه - عملي .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

﴿ الفهارس ﴾

تشمل :

أ = فهرس الآيات القرآنية الكريمة .

ب = فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

ج = فهرس الأعلام .

د = فهرس الأماكن .

هـ = فهرس المصادر والمراجع .

و = فهرس موضوعي بأهم ماورد في البحث من كلمات .

ز = فهرس الموضوعات .

أ = ﴿ فهرس الآيات الكريمة ﴾

الآية	رقمها	السورة ورقمها	موقعها في البحث
(١) ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾	٥	الفاتحة/١	٣٠٩
(٢)﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ... ﴾	٢٣	البقرة / ٢	٢٢٦و٢٢٩
(٣)﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل ... ﴾	٣٠	البقرة / ٢	٣٨
(٤)﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ... ﴾	٩٦	البقرة / ٢	٦٥
﴿ ود كثير من أهل الكتاب ...﴾	١٠٩	البقرة / ٢	٨٢
(٥)﴿ كذلك قال الذين من قبلهم ... ﴾	١١٨	البقرة / ٢	٢١
(٦)﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ...﴾	١١٩	البقرة /٢	١٤٥
(٧)﴿ ولن ترضى عنك اليهود ...﴾	١٢٠	البقرة /٢	٢١
(٨)﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ...﴾	١٤٣	البقرة / ٢	٥٢
(٩)﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم ...﴾	١٥١	البقرة / ٢	٢٣٤
(١٠)﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله ...﴾	١٦٥	البقرة /٢	٣٥٦
(١١)﴿ ولكم في القصاص حياة ...﴾	١٧٩	البقرة / ٢	٤٦و٥٥
(١٢)﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض... ﴾	٢٥٣	البقرة /٢	٢٣٩
(١٣)﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد ...﴾	٢٥٦	البقرة / ٢	٧٠و٢٦٥و ٢٧٣
(١٤)﴿ إن الدين عند الله الإسلام ...﴾	١٩	آل عمران /٣	٢٤٢
(١٥)﴿ فلما وضعتها قالت رب إني ...﴾	٣٦	آل عمران /٣	٣٤٦
(١٦)﴿ فمن حاجك فيه من بعد ... ﴾	٦١	آل عمران/٣	٢٤٠
(١٧)﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة ...﴾	٦٤	آل عمران /٣	٦١
(١٨)﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل...﴾	٨٥	آل عمران /٣	٢٣٣ و٢٣٥

الآية	رقمها	السورة ورقمها	موقعها في البحث
(١٩)﴿ يـاأيـهـا الذين آمنـوا اتـقـوا الله ...﴾	١٠٢	آل عمران /٣	٤
(٢٠)﴿ ولتكن منكم أمة يدعون ... ﴾	١٠٤	آل عمران /٣	٤٣٧
(٢١)﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾	١١٠	آل عمران /٣	٥٢
(٢٢)﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ...﴾	١١٣	آل عمران /٣	٤٣٧
(٢٣)﴿ لقد منّ الله على المؤمنين ... ﴾	١٦٤	آل عمران /٣	٢٣٤
(٢٤)﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لاأضيع...﴾	١٩٥	آل عمران /٣	٣٤٥
(٢٥)﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم ... ﴾	١	النساء /٤	٤
(٢٦)﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ...﴾	٣	النساء /٤	٢٨٧و٣٣١
(٢٧)﴿ الرجال قوامون على النساء ... ﴾	٣٤	النساء /٤	٣٤٤
(٢٨)﴿ إن الله لايظلم مثقال ذرة ...﴾	٤٠	النساء /٤	٣٤٤
(٢٩)﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا ﴾	٤٧	النساء /٤	٦٠
(٣٠)﴿ وأرسلناك للناس رسولا ...﴾	٧٩	النساء /٤	٥٨
(٣١)﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء...﴾	١٢٩	النساء /٤	٢٨٧
(٣٢)﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم ...﴾	١٦٠	النساء /٤	٥١
(٣٣)﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ... ﴾	٣	المائدة /٥	٤٢و٢٢٥
(٣٤)﴿ يسألونك ماذا أحل لهم ... ﴾	٤	المائدة /٥	٥١و ٥٥
(٣٥)﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله...﴾	٨	المائدة /٥	٥٠
(٣٦)﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما... ﴾	٣٨	المائدة /٥	٣٠٢
(٣٧)﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله...﴾	٤٤	المائدة /٥	٣٤٠
(٣٨)﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس...﴾	٤٥	المائدة /٥	٤٦
(٣٩)﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم ...﴾	٥٠	المائدة /٥	٣٤٠
(٤٠)﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله ...﴾	٩٣	الأنعام / ٦	٢٣٩

الآية	رقمها	السورة ورقمها	موقعها في البحث
(٤١)﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله...﴾	١٥٨	الأعراف / ٧	٥٩و٢٢٧و٢٣٧
(٤٢)﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ...﴾	٣٩	الأنفال / ٨	٤٤
(٤٣) ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ ... ﴾	٥٨	الأنفال /٨	٢٧٠
(٤٤)﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...﴾ -	٦٠	الأنفال /٨	١٤٤
(٤٥)﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ...﴾	٦١	الأنفال / ٨	٢٧٠
(٤٦)﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ... ﴾	٣١	يونس / ١٠	٣٠٩
(٤٧)﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور ...﴾	١٣	هود / ١١	٢٢٦و٢٢٩
(٤٨)﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا ... ﴾	٢	يوسف / ١٢	٤٢و٢٣٣و٢٥٨ و٢٦٠
(٤٩)﴿ نرفع درجات من نشاء ... ﴾	٧٦	يوسف / ١٢	٥٧
(٥٠)﴿ ألر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس...﴾	١	إبراهيم / ١٤	٥٨
(٥١)﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه...﴾	٤	إبراهيم / ١٤	٢٣٤
(٥٢)﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا ...﴾	٢٤	إبراهيم / ١٤	٤
(٥٣)﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون... ﴾	٩	الحجر / ١٥	٩٧و١٣٢و٢٢٦ و٢٥٨
(٥٤)﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ... ﴾	١	النحل/١٦	٧٨
(٥٥)﴿ ويخلق مالاتعلمون ﴾	٨	النحل/١٦	٤٦
(٥٦)﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً ... ﴾	٣٦	النحل/١٦	٢٢٤و٢٣٤
(٥٧) ﴿ وقال الله لاتتخذوا إلهين .... ﴾	٥١	النحل /١٦	٢٢٤
(٥٨)﴿ أن تكون أمة هى أربى من أمة ... ﴾	٩٢	النحل/١٦	٩٦
(٥٩)﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ...﴾	٧٠	الإسراء / ١٧	٣٨
(٦٠)﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ... ﴾	٨١	الإسراء / ١٧	١٨٣

الآية	رقمها	السورة ورقمها	موقعها فى البحث
(٦١)﴿ قل الروح من أمر ربى ... ﴾	٨٥	الإسراء / ١٧	٥٧
(٦٢)﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ...﴾	٢٥	الأنبياء / ٢١	٢٢٤
(٦٣)﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين... ﴾	١٠٧	الأنبياء / ٢١	٥٨و ٢٢٧
(٦٤)﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم ...﴾	٤٦	الحج / ٢٢	٤٥
(٦٥) ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ...﴾	٥٢	الحج /٢٢	١٩٦
(٦٦)﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً ...﴾	٢٧	النور / ٢٤	٦٧
(٦٧)﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ...﴾	٣١	النور / ٢٤	٦٩و ٣٣٨
(٦٨)﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا...﴾	٥٩	النور / ٢٤	٦٧
(٦٩)﴿ تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ...﴾	١	الفرقان / ٢٥	٢٢٧
(٧٠)﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين...﴾	١٩٢	الشعراء / ٢٦	٤٣
(٧١)﴿ بلسان عربى مبين ... ﴾	١٩٥	الشعراء / ٢٦	٢٣٣و٢٥٨
(٧٢)﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين... ﴾	١٩٨	الشعراء / ٢٦	٢٣٣
(٧٣)﴿ لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير ... ﴾	٤٦	القصص / ٢٨	٢٣٤
(٧٤)﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ...﴾	٧٧	القصص / ٢٨	٣٣٩
(٧٥)﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ...﴾	٣٠	الروم / ٣٠	٤١٢
(٧٦)﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً ...﴾	٤٧	الروم / ٣٠	٢٣٤
(٧٧)﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ...﴾	٤	الأحزاب / ٣٣	٣٣٠
(٧٨)﴿ فلا تخضعن بالقول ... ﴾	٣٢	الأحزاب / ٣٣	٦٨
(٧٩)﴿ وقرن فى بيوتكن ... ﴾	٣٣	الأحزاب / ٣٣	٦٨
(٨٠)﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه... وتخفى فى نفسك ماالله مبديه... فلما قضى زيد منها وطراً...﴾	٣٧	الأحزاب / ٣٣	٢٢٨و ٣٣٠و ٣٣٤
(٨١)﴿ ماكان على النبى من حرج ... ﴾	٣٨	الأحزاب / ٣٣	٣١٠و٣٣٣

الآية	رقمها	السورة ورقمها	موقعها في البحث
(٨٢)﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ...﴾	٤٥	الأحزاب / ٣٣	١٤٥
(٨٣)﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا ...﴾	٧٠	الأحزاب / ٣٣	٤
(٨٤)﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ... ﴾	٢٨	سبأ / ٣٤	٧٠و٢٣٦و٢٤٢
(٨٥)﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ...﴾	٢٤	فاطر / ٣٥	٧٠
(٨٦)﴿ لتنذر قوماً ماأنذر آباؤهم ...﴾	٦	يس / ٣٦	٢٣٤
(٨٧)﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ...﴾	٨٧	ص / ٣٨	٢٢٧
(٨٨)﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾	٨٨	ص / ٣٨	٧٨
(٨٩)﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون ... ﴾	٩	الزمر /٣٩	٥٧
(٩٠) ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن ... ﴾	٢٧	الزمر/٣٩	٢٢٦
(٩١)﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله... ﴾	٣٣	فصلت / ٤١	٤
(٩٢)﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون...﴾	٣	الزخرف / ٤٣	٦٤
(٩٣)﴿ وسخر لكم مافي السماوات ...﴾	١٣	الجاثية / ٤٥	٤٥
(٩٤)﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن ...﴾	٢٩	الأحقاف / ٤٦	٦٤
(٩٥)﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ...﴾	٤	محمد ﷺ / ٤٧	٢٧٠
(٩٦)﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا... ﴾	٨	الفتح / ٤٨	١٤٥و٢٦٧
(٩٧)﴿ يا أيهاالناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى... ﴾	١٣	الحجرات / ٤٩	٤٨و٥٧و٢٤٧
(٩٨) ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ... ﴾	٢٠	الذاريات / ٥١	٤٥
(٩٩)﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون...﴾	٥٦	الذاريات / ٥١	٥٥
(١٠٠)﴿ أفرأيتم اللات والعزى .... ﴾	١٩	النجم / ٥٣	١٩٦
(١٠١)﴿ ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ... ﴾	١	التحريم / ٦٦	٢٢٨
(١٠٢)﴿ ثم أدبر واستكبرفقال إن هذا إلا سحر ...﴾	٢٤	المدثر / ٧٤	١٧٨
(١٠٣)﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى ... ﴾	١	عبس / ٨٠	٢٢٨

الآية	رقمها	السورة ورقمها	موقعها في البحث
(١٠٤) ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ... ﴾	٢٧	التكوير / ٨١	٥٩
(١٠٥)﴿ وهديناه النجدين ... ﴾	١٠	البلد / ٩٠	٣٩و ٢٦٥
(١٠٦)﴿ ونفس وما سواها ...﴾	٧	الشمس / ٩١	٣٩
(١٠٧)﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ... ﴾	١	العلق / ٩٦	٤٦
(١٠٨)﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر... ﴾	١	القدر / ٩٧	٤٣
(١٠٩)﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين ...﴾	٥	البينة / ٩٨	٢٢٤

ب = ﴿ فهرس الأحاديث النبوية ﴾

ج = ﴿ فهرس الأعلام ﴾

يلاحظ أنني عُنِيتُ بذكر ترجمة للعلم ، إذا وجدت له ترجمة ، ورأيت مناسبة الترجمة له ، فإذا تكرر ذكره لم أترجم له ، ولم أشر لترجمته .

التسلسل	العَلَم	الصفحة
٢٠٨ـ	كرومر (اللورد)	٢٠٩
٢٠٩ـ	كسرى	١٨٣
٢١٠ـ	كمبفماير (جورج)	١٣٤و ٣٩٧
٢١١ـ	كولسون	٢١٤و٣١٩و٣٢٥و٣٤١
٢١٢ـ	كون	٣٨٤
٢١٣ـ	كيليوم (ألفرد)	١٩٥و٢٠٠
٢١٤ـ	لامنس (هنرى)	١٦٩و ١٩٧و٣٠٤
٢١٥ـ	لانديرج (دى لاندبرج)	١٣٣
٢١٦ـ	لاندو (روم)	١٢٣ و١٢٥ و٢٧٤
٢١٧ـ	اللنبى (الجنرال)	٧٩
٢١٨ـ	لوبون (جوستاف)	٨٦و٢٤٤و٢٧٢و٢٨٥و٤١٥
٢١٩ـ	لوثير	١٥٥
٢٢٠ـ	لوهر (ماكس)	١٣٤
٢٢١ـ	لويس (برنارد)	١٢٦و١٢٧
٢٢٢ـ	لويس التاسع	٧٨و٩٩و١٠٠و١٠١
٢٢٣ـ	لويس الرابع عشر	٧٤
٢٢٤ـ	المأمون	١٥٨و ٢٤٦
٢٢٥ـ	ماسينيون (لويس)	١٠١و٢٠٠و ٢٠٣
٢٢٦ـ	ماكدونالد	١٦٧و١٩٢و٣٠٣
٢٢٧ـ	أنس بن مالك رضى الله عنه	٧٢

د = ﴿ فهرس الأماكن ﴾

١ـ تسلسل	المكان	الصفحة
١٤٣ـ	و	
١٤٤ـ	واشنطن	٣٤٧
١٤٥ـ	ي	
١٤٦ـ	اليابان	١٠
١٤٧ـ	اليمن	١٣٤, ١٨٣, ٢٦٧
١٤٨ـ	يوغسلافيا - السابقة	٣٦١

هـ = ﴿ فهرس المصادر والمراجع ﴾

أولاً : القرآن الكريم ، وما كتب عنه ، والتفسير :

ت	المؤلف ، والمرجع ، ومعلومات النشر
١ـ	القرآن الكريم .
٢ـ	الالمعى (زاهر) / مع المفسرين والمستشرقين فى زواج النبى ﷺ بزينب بنت جحش . مطبعة دار إحياء التراث عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ١٣٩٦هـ .
٣ـ	بل (ريتشارد) / مقدمة القرآن . مطبعة أدنبره ١٩٣٥م . راجعه واطسون وجوردن .
٤ـ	بلاشير (ريجى) مقدمة القرآن . باريس عام ١٩٥٨م .
٥ـ	البنداق (محمد صالح) / المستشرقون وترجمة القرآن الكريم . نشر دار الآفاق الجديدة فى بيروت ١٩٨٣م .
٦ـ	بوكاى (موريس) / القرآن والتوراة والعلم . طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧م .
٧ـ	بيرتون (جون) / جمع القرآن كمبردج عام ١٩٧٧م .
٨ـ	جيفرى (آرثر) / المفردات الأجنبية فى القرآن - القاهرة سنة ١٩٣٧م .
٩ـ	رضوان (عمر) / آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره .نشر دار طيبة بالرياض ط١ عام ١٤١٣هـ.
١٠ـ	رودلف (فلهلم) / صلة القرآن باليهودية والمسيحية بيروت ١٩٧٤م ، ترجمة عصام ناصف .
١١ـ	سالم (إسماعيل) / المستشرقون والقرآن . سلسلة دعوة الحق العدد١٠٤

علم ١٤١٠هـ .
١٢ـ الشوكانى (محمد بن على) / فتح القدير، نشر محفوظ العلى .
١٣ـ عبدالعال (إسماعيل) / المستشرقون والقرآن . كتاب دعوة الحق العدد ١٠٤ و١٢٠ نشر رابطة العالم الإسلامى.
١٤ـ قطب (سيد) / فى ظلال القرآن ، نشر دار الشروق ١٣٩٨هـ .
١٥ـ ابن كثير / تفسير ابن كثير بتحقيق عبداللطيف والصديق ط١ نشر مكتبة النهضة ١٣٨٤هـ .
١٦ـ نقرة (التهامى)/القرآن والمستشرقون . مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية ١/١٩-
١٧ـ واط (مونتجمرى) / مقدمة القرآن . ط١ علم ١٩٧٧م .

ثانياً : كتب الحديث والسيرة النبوية :

١٨ـ الألبانى محمد بن ناصر/ سلسلة الأحاديث الصحيحة.ط٤ عام ١٤٠٥هـ نشر المكتب الإسلامى ببيروت .
١٩ـ البخارى / صحيح البخارى مع فتح البارى لابن حجر ، بتحقيق الشيخ ابن باز، ومحمد عبدالباقى ، نشر رئاسة الإفتاء بالرياض .
٢٠ـ التبريزى (الخطيب) / مشكاة المصابيح ، بتحقيق الألبانى . نشر المكتب الإسلامى ط٣.
٢١ـ السباعى (مصطفى) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى . نشر المكتب الإسلامى ط٣ / ١٤٠٢هـ
٢٢ـ مالك (الإمام) / الموطأ مع شرح الزرقانى . نشر دار المعرفة ببيروت ١٤٠٩هـ .
٢٣ـ مسلم / صحيح مسلم بشرح النووى . نشر دار إحياء التراث العربى بلبنان ط٢ ١٩٧٢م .
المنذرى الحافظ/مختصر سنن أبى داود بتحقيق شاكروالفقى/نشر رئاسة الإفتاء.

٢٤- النسائى / سنن النسائى بشرح الإمام الحافظ السيوطى وحاشية الإمام السندى بتحقيق عبدالفتاح أبو غدة ط١ عام ١٤٠٦ نشر دار البشائر فى بيروت .
٢٥- النسائى / سنن النسائى بتحقيق إبراهيم عوض .
٢٦- ابن هشام / السيرة النبوية بتحقيق طه عبدالرؤوف . نشر دار الجيل فى بيروت ط١ عام ١٤١١هـ .
٢٧- الهيثمى / مجمع الزوائد طبع دار الكتاب العربى فى بيروت .

ثالثاً : كتب التأريخ والتراجم والموسوعات :

٢٧- ابن الأثير / أسد الغابة فى معرفة الصحابة . نشر المكتبة الإسلامية .
٢٨- ابن الأثير/ الكامل . نشر دار صادر ، ودار بيروت فى بيروت .
٢٩- ارنولد (توماس) / الدعوة إلى الإسلام ترجمة د. حسن إبراهيم حسن ورفيقيه . نشر مكتبة النهضة بمصر ط٣ عام ١٩٧٠م .
٣٠- الاستانبولى (محمود) / ابن تيمية بطل الإصلاح الدينى . نشر مكتبة المعرفة بدمشق ١٣٩٧هـ .
٣١- انطونيوس (جورج) / يقظة العرب . نشر دار العلم للملايين فى بيروت ط ٧ ١٩٨٢م ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، وتقديم نبيه فارس .
٣٢- بارتولد / التركستان ترجمة صلاح الدين عثمان . الخرطوم ١٩٧٤م .
٣٣- بارتولد / تأريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزة طاهر .
٣٤- بدوى (عبدالرحمن) / موسوعة المستشرقين . نشر دار العلم للملايين فى بيروت . ط٢ . ١٩٨٩م .
٣٥- بروفنسال (ليفى) حضارة العرب فى الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، منشورات مكتبة الحياة ببيروت .
٣٦- بروكلمان (كارل) / تاريخ الأدب العربى . نشر دار المعارف بمصر ، بتحقيق د. عبدالحليم ورفقاه .

٣٧ـ ابن حجر / الإصابة فى تمييز أسماء الصحابة ، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر . نشر مؤسسة الرسالة ط١ عام ١٣٢٨هـ .
٣٨ـ حمدان (نذير) / مستشرقون ، نشر مكتبة الصديق بالطائف ط١ عام ١٤٠٨هـ .
٣٩ـ الحيدر أبادى (محمد حميدالله) / الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة ، نشر مكتبة الثقافة الدينية بمصر صـ٣٧ .
٤٠ـ دوزى (رينهارت) / تاريخ مسلمى أسبانيا (الحروب الأهلية) . ترجمة د. حسن حبشى ومراجعة د. جمال محرز، ود مختار العبادى نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة وطبع بمطبعة دار المعارف ١٩٦٣م.
٤١ـ ديورانت (ول) / قصة الحضارة ترجمة محمد بدران و عبدالحميد مؤنس . اختارته وأنفقت على ترجمته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .
٤٢ـ الذهبى / سير أعلام النبلاء - مؤسسة الرسالة .
٤٣ـ الرحيلى (سليمان) العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة . نشر دار الهدى بالرياض .
٤٤ـ الزركلى (خير الدين) / الأعلام . نشر دار العلم للملايين . ط٩ عام ١٩٩٠م .
٤٥ـ أبو زيد (بكر) / ابن قيم الجوزية: حياته وآثاره ط١ . مطابع دار الهلال بالرياض ١٤٠٠هـ .
٤٦ـ سابارد (نازك) / الرحالون العرب وحضارة الغرب بدون معلومات نشر .
٤٧ـ ستوارد/ حاضر العالم الإسلامى . نشر دار الفكر ط٤ عام ١٩٧٣م، بتقديم: شكيب أرسلان ، ترجمة عجاج نويهض.
٤٨ـ ابن سعد / الطبقات الكبرى . طبعة دار صادر .
٤٩ـ سعيد (حسين) / - إشراف _ الموسوعة الثقافية ، نشر دار المعرفة

١٩٧٢م .
٥٠- السلمان (محمد) / دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١٤٠٨/١٤٠٧ هـ .
٥١- السمارى (فهد بن عبدالله) / العمل الإسلامى فى أوروبا الشرقية - التحديات والمستقبل . نشر جامعة الإمام ١٤١٢هـ .
٥٢- السمارى (فهد بن عبدالله) / المسلمون فى البوسنة والهرسك . نشر الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمى البوسنة والهرسك ١٤١٣هـ .
٥٣- الشبل (عبدالله) / الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب . نشر جامعة الإمام .
٥٤- الشكعة (مصطفى) / الحضارة الإسلامية فى الأندلس . مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية . نشر مكتب التربية العربى لدول الخليج٢/٢٧٣.
٥٥- الطبرى (محمد بن جرير) تأريخ الأمم والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل ط٢ دار المعارف بمصر .
٥٦- عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطىء) / تراجم سيدات بيت النبوة . نشر دار الكتاب العربى فى بيروت . ط١ عام ١٣٨٧هـ .
٥٧- العروسى (محمد) / الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب. نشر دار الغرب الإسلامى ببيروت ١٩٨٢م .
٥٨- العقيقى (نجيب) / المستشرقون . ط٣ دار المعارف بمصر.
٥٩- غربال (محمد شفيق ، وآخرون) الموسوعة العربية الميسرة . نشر دار إحياء التراث العربى .
٦٠- الفندى (محمد ورفقاه) (مترجم) / دائرة المعارف الإسلامية . نشر انتشارات جهان .
٦١- ابن كثير / البداية والنهاية . نشر مكتبة الفلاح بالرياض ، وطبع مطبعة السعادة بمصر ، بتحقيق محمد عبدالعزيز النجار.

٦٢ـ لوبون (غوستاف) / حضارة العرب . ترجمة عادل زعيتر ط٣ دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ١٩٥٦م .

٦٣ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى / الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة . ط٣عام ١٤٠٩هـ

٦٤ـ يحى (سيد أحمد) / التنصير فى القرن الأفريقى . نشر دار العمير بجدة ١٤٠٦هـ .

رابعاً : كتب اللغة العربية والمعا جم :

٦٥ـ أنيس (إبراهيم) ورفقاه/ المعجم الوسيط – نشر دار إحياء التراث العربى ٤٧١/١.

٦٦ـ ابن تنباك (مرزوق)/ الفصحى ونظرية الفكر العامى . مطابع الفرزدق بالرياض ط٢ عام ١٤٠٨هـ .

٦٧ـ الجوهرى/ الصحاح بتحقيق أحمد عبدالغفور عطار . ط الشربتلى الثانية عام ١٤٠٢هـ .

٦٨ـ زكريا (نفوسة) / تأريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر . نشر دار الثقافة بمصر ١٩٦٤.

٦٩ـ الفيروزآبادى / القاموس المحيط ، نشر دار الجيل فى بيروت .

٧٠ـ الفيومي / المصباح المنير، ط المكتبة العلمية بيروت .

٧١ـ ابن منظور / لسان العرب بترتيب يوسف خياط . نشر دار لسان العرب فى بيروت .

٧٢ـ ابن هشام / أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . بتحقيق محمد عبدالحميد .

خامساً : الكتب الأخرى :

٧٣ـ احمد (محمد) . منهج نقد الاستشراق . دراسات استشراقية وحضارية . نشر كلية الدعوة بالمدينة المنورة ١٤١٣هـ صـ١٧٧.

٧٤ــ الارسوزى (زكى) / المؤلفات الكاملة . مطابع الإدارة السياسية للجيش - دمشق ١٩٧٢م

٧٥ــ أسد (محمد) / الإسلام على مفترق الطرق . ترجمه د. عمر فروخ . نشر دار العلم للملايين ببيروت .

٧٦ــ اصلاحى (أمين) / منهج الدعوة الإسلامية . تعريب سعيد الندوى ورفيقه ، نشر دار نشر الكتاب الإسلامى بالكويت.

٧٧ــ الهى (فضل) /التدابير الواقية من الربا . نشرإدارة ترجمان السنة بباكستان .

٧٨ــ الهى (فضل) /التدابير الواقية من الزنا . نشرإدارة ترجمان السنة بباكستان .

٧٩ــ الهى (فضل) / محاضراته على طلبة الدراسات العليا بقسم الدعوة عام ١٤١٣/١٤١٢هـ عن تأريخ الدعوة .

٨٠ــ الأندنوسى (أبو هلال) / غارة تبشيرية جديدة . نشر دار الشروق بجدة .

٨١ــ بارت/ الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية - ترجمة مصطفى ماهر ، نشر دار الكتاب العربى بالقاهرة ١٩٦٧م .

٨٢ــ ابن باز (سماحة الشيخ عبدالعزيز) / الفتاوى . جمع د. محمد الشويعر ، نشر دار أولى النهى بالرياض ١٤١٣هـ .

٨٣ــ بريش (محمد) / تهافت الاستشراق العربى . بدون معلومات عن مكان الطبع وسنة النشر.

٨٤ــ بنجر (محمد) / دراسات إسلامية ونقد كتاب ثورة الإسلام . نشر دار الأصفهانى بجدة .

٨٥ــ البهى (محمد) / الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى . نشر مكتبة وهبة بمصر ط١٠.

٨٦ــ بوازار (مارسيل) / إنسانية الإسلام . ترجمة عفيف دمشقية . نشر دار

الآداب بلبنان ١٩٨٠م صـ٧٤.

٨٧ـ البيانونى (محمد أبو الفتح) / الشبهات المثارة حول الإسلام وموقف المسلم تجاهها . دراسات استشراقية وحضارية كتاب دورى متخصص فى الاستشراق نشر كلية الدعوة بالمدينة المنورة ١٤١٣هـ.

٨٨ـ البيانونى (محمد أبو الفتح) / المدخل إلى علم الدعوة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، دار الرسالة بيروت .

٨٩ـ التونسى (محمد خليفة) (مترجم) / الخطر اليهودى (بروتوكو كولات حكماء صهيون) ط٤

٩٠ـ تيزينى (طيب) / من التراث إلى الثورة . ط٣ . بيروت عام ١٩٧٩م .

٩١ـ ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح . نشر مطابع المجد التجارية .

٩٢ـ ابن تيمية / الحسبة . نشر المكتبة السعيدية بالرياض بتحقيق محمد النجار والفتاوى جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد . ط١ ١٣٩٨هـ .

٩٣ـ الثنيان (نايف) / المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية .نشردار أمية بالرياض ط١عام ١٤١٤هـ .

٩٤ـ الجابرى (محمد عابد) /الرؤية الاستشراقية . مناهج المستشرقين. مكتب التربية العربى ٣٣٧/١.

٩٥ـ الجبهان (إبراهيم) / مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية ط١ ١٩٧٧م . نشر رئاسة الإفتاء .

٩٦ـ جريشة (على) / الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود . مجموعة بحوث قدمت لمؤتمر الفقه الإسلامى الذى عقدته ١٣٩٦هـ ونشرتها عام ١٤٠٤هـ صـ٢٨١

٩٧ـ جريشة (على) ومحمد الزيبق / أساليب الغزو الفكرى .نشر دار الاعتصام بدون ذكر سنة ومكان الطبع.

٩٨- جمجوم (سميرة) / المعوقون للدعوة الإسلامية . نشر دار المجتمع ١٤٠٧هـ .

٩٩- الجندى (أنور) / الإسلام في وجه التغريب. نشر دار الاعتصام بدون ذكر سنة ومكان الطبع .

١٠٠- الجندى (أنور) / المعاصرة فى إطار الأصالة . نشر دار الصحوة بمصر ١٤٠٧هـ ط١ .

١٠١- جولدتسيهر / العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى فى بغداد ١٩٥٩م .

١٠٢- حتحوت (حسان) / ثورة الجنس . الإسلام والحضارة . نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامى ١٤٠٦هـ ٢/٢٣٥.

١٠٣- الحداد (الطاهر) / امرأتنا أمام الشريعة والمجتمع .ط٤ . نشر الدار التونسية ١٩٨٤م .

١٠٤- بو حديبة (عبدالوهاب) / الحياة الإجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين . مناهج المستشرقين نشر مكتب التربية العربى لدول الخليج ٢/١٣٥ .

١٠٥- الحسن (محمد وإبراهيم المعتاز) / كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، نشر مكتبة الخريجى بالرياض ١٤٠٩ .

١٠٦- حسين (طه) / مستقبل الثقافة فى مصر . نشر دار المعارف بمصر ١٩٤٤م .

١٠٧- حسين (محمد) / الإسلام والحضارة الغربية . نشرالمكتب الإسلامى ط١ عام ١٣٩٩م بيروت .

١٠٨- حسين (محمد) / الاتجاهات الوطنية . المطبعة النموذجية بالقاهرة ١٩٦٢م .

١٠٩- حسين (محمد) / حصوننا مهددة من داخلها . نشر مؤسسة الرسالة

ط١١عام ١٤٠٨هـ .
١١٠- الحصين (أحمد) / المرأة المسلمة أمام التحديات لأحمد . نشر دار البخارى بالقصيم ط٥ عام ١٤٠٦هـ .
١١١- حنا (جورج)/ قصة الإنسان . نشردار العلم للملايين فى بيروت ١٩٧٣م.
١١٢- حنفى (حسن) / التراث والتجديد . بيروت . دار التنوير ١٩٨١م .
١١٣- حنفى (حسن) / الفكر الغربى المعاصر. بيروت . دار التنوير ١٩٨٢م .
١١٤- حنفى (حسن) / اليسار الإسلامى . بيروت . دار التنوير ١٩٨١م .
١١٥- حنفى (حسن) / من العقيدة إلى الثورة . نشر مكتبة المدبولى بالقاهرة .
١١٦- الحوالى (سفر) / العلمانية . نشر دار مكة ١٤٠٢هـ .
١١٧- خالد محمد خالد / هذا أو الطوفان . نشر مكتبة الأنجلو المصرية ط٣ ١٩٥٤م ، وكتاب من هنا نبدأ ، بدون معلومات نشر .
١١٨- الخالدى (مصطفى، وعمر فروخ)/ التبشير والاستعمار فى البلاد العربية . نشر المكتبة العصرية ببيروت ١٩٨٦م .
١١٩- خطاب (حسين) / المستشرقون والإسلام . نشر دار الكتب الحديثة بطنطا ١٩٩٠م .
١٢٠- الخطيب (عبدالكريم) / الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام . نشر ج الإمام . مجموعة بحوث مؤتمر الفقه الإسلامى الذى عقدته عام ١٣٩٦هـ ، نشرتها ١٤٠٤هـ صـ ٣٩١.
١٢١- ابن خلدون / مقدمة ابن خلدون . طبعة كتاب الشعب بالقاهرة .
١٢٢- خليل (عماد الدين) / قالوا عن الإسلام ، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامى ط١ عام ١٤١٢هـ .
١٢٣- الخولى (جمعة) / كيف نبلغ الدعوة الإسلامية .
١٢٤- الدسوقى (فاروق) / الإسلام والعلم التجريبى . نشر المكتب الإسلامى ط١

عام ١٤٠٧هـ .
١٢٥- الدوميلي / العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ، ترجمة محمد يوسف وآخرين لشر دار القلم بالقاهرة ١٩٦٢م .
١٢٦- الرافعى (مصطفى) / تحت راية القرآن ، بتصحيح العريان . نشر المكتبة التجارية الكبرى١٣٨٥هـ.
١٢٧- الراوى (محمد) / الدعوة الإسلامية دعوة عالمية . نشر الدار القومية للطباعة والنشر بمصر بدون ذكر رقم الطبعة أو سنة النشر .
١٢٨- الرفاعى (فؤاد) / النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية . نشر دار المجد بالرياض .
١٢٩- الريحانى (أمين) / القوميات . ط١ عام ١٩٥٦م . نشر دار الريحانى فى بيروت ١٧٦/١.
١٣٠- زقزوق (محمود)/الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، نشردارالمنار بمصر ط٢ ١٤٠٩هـ .
١٣١- زكريا (فؤاد) / التفكير العلمى . سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، العدد الثالث .
١٣٢- الزهرانى (جمعان) / أسلوب جديد فى حرب الإسلام . سلسلة دعوة الحق الصادرة عن رابطة العالم الإسلامى العدد٨٩ عام ١٤٠٩هـ .
١٣٣- زيدان (جرجى) / رواية صلاح الدين . نشر دار الهلال ١٩٨٤م .
١٣٤- السامرائى (قاسم) / الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية . نشر دار الرفاعى ط١ /١٤٠٣هـ
١٣٥- السباعى (مصطفى) من روائع حضارتنا . نشر المكتب الإسلامى ببيروت ط٢ عام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ، " الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم " نشر المكتب الإسلامى ط٢ ١٣٩٩هـ
١٣٦- أبو سعد (محمد) / تعدد الزوجات إعجاز تشريعى يوقف المد الاستشراقى.

١٣٦ـ نشر دار المعراج بالرياض .
١٣٧ـ سعيد (ادوارد) / الاستشراق . ترجمة : كمال أبو ديب نشر مؤسسة الأبحاث العربية بلبنان ١٩٨١م .
١٣٨ـ سعيد (عبدالستار) / الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام . نشر مكتبة المعارف بالرياض ط٢ عام ١٣٩٩هـ .
١٣٩ـ سلطان (محمد) / فقه الواقع فى رسائل المصطفى ﷺ . نشر دار البشير بمصر .
١٤٠ـ سلطان (جمال) / الإسلام ومأزق الفكر القومى .نشر دار الوفاء بالمنصورة ط١ عام ١٤١٠هـ .
١٤١ـ سمايلوفتش (أحمد)/ فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصرطبع دار المعارف بمصر١٩٨٠م .
١٤٢ـ السويسى (محمد) / آراء بعض المستشرقين فى التراث العلمى العربى والرد عليها . مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية . نشر مكتب التربية العربى لدول الخليج ٢ /١٩.
١٤٣ـ شاتليه (ألفرد لو) / الغارة على العالم الإسلامى. نشرالدار السعودية للنشر بجدة ١٤٠٥هـ بتعليق الخطيب .
١٤٤ـ شارل (ريمون) / الروح الإسلامية . باريس ١٩٥٨م .
١٤٥ـ شايغان (داريوش) / النفس المبتورة . نشر دار الساقى بلندن الطبعة الأولى .
١٤٦ـ شمتز (باول) / الإسلام قوة الغد العالمية . ترجمة د. محمد شامة . القاهرة ١٩٧٤م .
١٤٧ـ الشنقيطى (محمد سيدى) / منهج الرسول ﷺ فى دعوة أهل الكتاب . نشر مكتبة أمين سالم بالمدينة المنورة ط١ ١٤١٣هـ .

١٤٨- صالح (سعدالدين) / احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، نشر دار الأرقم بمصر ط١ ١٤٠٩هـ .
١٤٩- الصباغ (محمد) / الابتعاث ومخاطره . نشر المكتب الإسلامي . ط١ عام ١٩٧٨م .
١٥٠- صقر (عطية) . الدعوة الإسلامية دعوة عالمية . نشر مؤسسة الصباح ط١ عام ١٤٠٠هـ .
١٥١- طرابيشي (جورج) / المثقفون العرب والتراث . نشر رياض الريس بلندن ١٩٩١م .
١٥٢- عالم (جلال) / قادة الغرب يقولون ، بدون بيانات نشر .
١٥٣- عبدالظاهر (حسن) / فصول في الدعوة الإسلامية ، ط١عام ١٤٠٦هـ ، دار الثقافة قطر .
١٥٤- عبد الواسع (عبدالوهاب) / الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة . نشر دار الطاير بالرياض ١٤١٣هـ .
١٥٥- عبدالوهاب (أحمد) / حقيقة التبشير . نشر مكتبة وهبة بمصر .١٤٠١هـ .
١٥٦- ابن عبدالوهاب (سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب) / تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد نشر رئاسة الإفتاء . بدون معلومات نشر صـ٢٠.
١٥٧- العروى (محمد) / أزمة المفكر العربي تقليدية أم تاريخية . باريس ١٩٦٧م .
١٥٨- العشماوى (عبدالرحمن) / وقفة مع جورجي زيدان . نشر مكتبة العبيكان ١٤١٤هـ ط١.
١٥٩- العشى (عرفات) / رجال ونساء أسلموا . ط١عام ١٩٧٣م . الكويت .
١٦٠- العوا (محمد سليم) / النظام القانوني الإسلامي في الدراسات الاستشراقية.

مناهج المستشرقين . نشر مكتب التربية العربي .

١٦١ـ الغزالي (محمد) / ظلام من الغرب ، طبع القاهرة ١٩٧٨م .

١٦٢ـ غلوش (أحمد) / الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، دار الكتاب المصري واللبناني ، القاهرة وبيروت ١٣٩٩هـ.

١٦٣ـ الفاخورى (حنا) / الجديد فى الأدب العربى . ط١ .

١٦٤ـ فوكوياما (فرانسيس) / نهاية التأريخ. ترجمه حسين الشيخ ، نشردارالعلوم العربية فى بيروت ط١ عام ١٩٩٣م .

١٦٥ـ القرضاوى (يوسف) / ثقافة الداعية . نشر مؤسسة الرسالة .

١٦٦ـ القرضاوى (يوسف) /الخصائص العامة للإسلام نشر. مؤسسة الرسالة ط٢ /١٤٠٤هـ.

١٦٧ـ القرنى (عوض) / الحداثة فى ميزان الإسلام . نشر دار هجر بمصر ط١ عام ١٤٠٨هـ .

١٦٨ـ القطان (مناع بن خليل) / الإسلام رسالة الإصلاح .

١٦٩ـ القطان (مناع بن خليل) / الشريعة الإسلامية ، شمولها وعالميتها . نشر الدار السعودية للنشر والتوزيع عام ١٤٠٤هـ

١٧٠ـ القطان (مناع بن خليل) / محاضراته على طلبة الدراسات العليا بكلية أصول الدين عن الحديث الموضوعى (عموم الرسالة) .

١٧١ـ القطان (مناع بن خليل) وجوب تطبيق الشريعة . مؤتمر الفقه الإسلامى الذى عقدته جامعة الإمام عام ١٣٩٦هـ ونشرت بحوثه عام ١٤٠٤هـ .

١٧٢ـ كردى (محجوب) /منهجية علم الاجتماع المعرفى فى كتابات المستشرقين. دراسات استشراقية وحضارية . نشر كلية الدعوة بالمدينة المنورة ١٤١٣هـ .

١٧٣ـ كرومر (اللورد) / مصر الحديثة نقله للعربية عبدالعزيز عرابى سنة ١٩٥٥م .

١٧٤- كولسون (نويل) / تأريخ القانون الإسلامى . ترجمة د. محمد سراج .

١٧٥- لاندو (روم) / الإسلام والعرب . نشر دار العلم للملايين فى بيروت ، ترجمة منير البعلبكى .

١٧٦- لورافيشيا / دفاع عن الإسلام . ترجمة منير البعلبكى ط دار العلم للملايين فى بيروت ١٩٧٦م .

١٧٧- محمود (زكى نجيب) / تجديد الفكر العربى . عام ١٩٧١م .

١٧٨- محمود (على عبدالحليم) / الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام . مجموعة بحوث قدمت لمؤتمر الفقه الإسلامى الذى عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٣٩٦هـ ، ونشرتها عام ١٤٠٤هـ .

١٧٩- محمود (على عبدالحليم) / عالمية الدعوة الإسلامية . نشر دار عكاظ بجدة ط٢ . عام ١٣٩٩هـ .

محمود (مصطفى) الله والإنسان ، طبع عام ١٩٥٨م بدون معلومات نشر.

١٨٠- مطبقانى (مازن) / المغرب العربى بين الاستعمار والاستشراق . نشر دار الريشة . ط١ عام ١٤٠٩هـ .

١٨١- مكتبة الملك فهد الوطنية / / قائمة مداخل أسماء الهيئات . كتاب نشرته إدارة التصنيف بالمكتبة / الرياض ١٤١٥هـ .

١٨٢- مليبارى (محمد) / المستشرقون والدراسات الإسلامية . نشردار الرفاعى بالرياض ١٤١٠هـ .

١٨٣- موسى (سلامة) / حرية الفكر وأبطالها فى التأريخ .نشردار العلم للملايين ببيروت ط٣/١٩٦١م .

١٨٤- الميدانى (عبدالرحمن حبنكة) الغزوالفكرى والتيارات المعادية للإسلام. مجموعة بحوث مؤتمر الفقه الإسلامى الذى عقدته جامعة الإمام عام١٣٩٦هـ،ونشرتها ١٤٠٤هـ صـ ٤٩٩.

١٨٥- الميدانى (عبدالرحمن حبنكة) غزو فى الصميم . نشر دار القلم فى بيروت ودمشق ط١ عام ١٤٠٢هـ

١٨٦ـ الندوى (أبو الحسن) / الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية . نشر دارالقلم بالكويت ١٤٠٣هـ ط٤.

١٨٧ـ النملة (على) / التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله . الرياض ١٤١٣هـ .

١٨٨ـ النملة (على) / كنه الاستشراق / دراسات استشراقية وحضارية، نشر كلية الدعوة بالمدينة المنورة ١٤١٣هـ.

١٨٩ـ النملة (على) / مصادرالمعلومات عن الاستشراق والمستشرقين . نشر مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ١٤١٤هـ .

١٩٠ـ النملة (على) / الاستشراق فى الأدبيات العربية . نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عام ١٤١٤هـ.

١٩١ـ النملة (على) / التنصير فى الأدبيات العربية . نشر عمادة البحث العلمى بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام١٤١٥هـ

١٩٢ـ النويهى (محمد) / الدين وأزمة التطور الحضارى ، نشر عام ١٩٧٤م . نشر بمناسبة ندوة " أزمة التطور الحضارى فى الوطن العربى " .

١٩٣ـ هدارة (محمد مصطفى) / موقف مرجليوث من الشعر العربى . مناهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية . مكتب التربية العربى لدول الخليج . ٣٩٥/١.

١٩٤ـ وهبة (توفيق) / شبهات وانحرافات فى التفكير الإسلامى المعاصر. نشردارللواء بالرياض ط٣ عام ١٤٠٠هـ .

سادساً : الدراسات الجامعية :

١٩٥ـ جمال (ابتسام بنت أحمد) / أسباب تأثر المسلمين بالغزو الفكرى ، ونتائجه فى الوقت الحاضر - رسالة ماجستير قدمت لكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وقد سجل العنوان فى قوائم مركز الملك فيصل باسم : (الغزو الفكرى وأثره فى الوقت الحاضر) وعند رجوعى للرسالة ذاتها فى مكتبة جامعة أم القرى وجدت العنوان كما أثبته هنا .

١٩٦ـ حلبى (مصطفى عمر) / الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين فى دراسة شخصية الرسول ﷺ – رسالة ماجستير قدمت لقسم الاستشراق بكلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة .

١٩٧ـ العمرى (أحمد بن مرعى) / خصائص الرسالة المحمدية – رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

١٩٨ـ غالب (حسن محمد نايف) / العلاقة بين التنصير والاستشراق من حيث النشأة والأهداف – رسالة ماجستير قدمت لقسم الاستشراق بكلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة .

١٩٩ـ القحطانى (محمد بن سعيد) / تغريب العالم الإسلامى ، مظاهره وآثاره – رسالة ماجستير قدمت لكلية الشريعة بالرياض .

٢٠٠ـ المعيرى (سعيد بن حارب) /الغزو الفكرى فى الخليج العربى – رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشرية بالرياض .

٢٠١ـ المهيدب (عبدالرحمن) / موقف المستشرقين من عقوبة الزنا فى الأحاديث النبوية – رسالة ماجستير قدمت لقسم الاستشراق بكلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة .

سابعاً : المجلات والدوريات :

٢٠٢ـ الاقتصادية (جريدة يومية تصدرمن لندن) ع ٧٤٥ فى ١٤١٦/١/١٦هـ .

٢٠٣ـ امين (محمد) / الجذور التأريخية لتشويه صورة المسلمين . مجلة الحرس الوطنى س١ع٤صـ١٣٨.

٢٠٤ـ الشمعة (خلدون) / المثقفون والسلطة . مجلة آفاق الإسلام الصادرة فى عمان العدد ٤ السنة الثانية كانون الأول ١٩٩٤م صـ ١٠٣.

٢٠٥ـ صباح الخير المصرية (مجلة) العدد ١٠٩٣ الصادر بتأريخ ١٩٧٦/١٢/١٦م.

٢٠٦ـ صباح الخير المصرية (مجلة) العدد ٩٧٥ الصادرفى ١٩٧٤/٩/١٢م .

٢٠٧- العزاوى (أنيس) / العالم الإسلامى فى الاستراتيجية الفرنسية . مجلة قراءات سياسية ، الصادرة عن مركز دراسات الإسلام والعالم بأمريكا ، العدد الرابع السنة الأولى ١٩٩١م صـ١٨٢و١٨٣ . والمقال عرض ودراسة لكتاب السلام فى عين الإعصار لجاك زيلكور وهربرت دوبوفور .

٢٠٨- عطار (أحمد عبدالغفور) / هل انتشر الإسلام بالسيف - مجلة الحرس الوطنى س ١ع٤ربيع الثانى ١٤٠١هـ صـ٩٦و٩٧.

٢٠٩- الفيصل (مجلة) ع ٢٠٨ شوال ١٤١٤هـ .

٢١٠- القافلة (مجلة) ربيع الآخر ١٤١٥هـ .

٢١١- ليونوفيل (مجلة) LE NOUVEL OBSERVATEUR الفرنسية العدد ١١٠٩ الصادر فى فبراير ١٩٨٦م .

٢١٢- مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض / التقويم الهجرى .

٢١٣- مطبقانى (مازن) / آثار برنارد لويس العلمية . عالم الكتب العدد السادس الجماديان ١٤١٥هـ. صـ ٦١٧-٦٣٦.

٢١٤- مطبقانى (مازن) المسار الفكرى للاستشراق (ترجمة) مجلة جامعة الإمام ع ٧ ربيع الثانى ١٤١٣هـ ص ٥٨٢.

٢١٥- النملة (على) / أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات .. مجلة جامعة الإمام العدد السابع ١٤١٣هـ صـ ٥٧٢.

٢١٦- النملة (على) / الاستشراق فى خدمة التنصير واليهودية . مجلة جامعة الإمام - رجب ١٤١٠ هـ صـ٢٦٣.

٢١٧- النملة (على) / مصادر معلومات المستشرقين عن الإسلام .عالم الكتب مج١٥ ع٦ الجماديان ١٤١٥هـ.

﴿ فهرس بأهم الكلمات الواردة في البحث ﴾

الكلمة (مرتبة أبجدياً)	موقعها في البحث
	٢٠٤, ٢٠٦, ٢٠٧, ٢٠٨, ٢١٠, ٢١١, ٢١٥, ٢١٦, ٢٢٠, ٢٢١, ٢٢٤, ٢٢٥, ٢٢٩, ٢٣٠, ٢٣٢, ٢٣٣, ٢٣٥, ٢٣٦, ٢٣٧, ٢٤٢, ٢٤٣, ٢٤٤, ٢٤٥, ٢٤٦, ٢٤٧, ٢٤٨, ٢٤٩, ٢٥١, ٢٦٢, ٢٦٣, ٢٦٤, ٢٦٥, ٢٦٦, ٢٦٧, ٢٦٨, ٢٦٩, ٢٧١, ٢٧٢, ٢٧٣, ٢٧٤, ٢٧٥, ٢٨٠, ٢٨١, ٢٨٢, ٢٨٣, ٢٨٤, ٢٨٦, ٢٨٧, ٢٨٩, ٢٩٢, ٢٩٣, ٢٩٨, ٢٩٩, ٣٠٠, ٣٠١, ٣٠٢, ٣٠٣, ٣٠٥, ٣٠٨, ٣٠٩, ٣١٠, ٣١١, ٣١٤, ٣١٥, ٣١٦, ٣١٨, ٣١٩, ٣٢٠, ٣٢١, ٣٢٥, ٣٢٦, ٣٢٨, ٣٢٩, ٣٣٠, ٣٣٤, ٣٣٥, ٣٣٧, ٣٣٨, ٣٣٩, ٣٤٠, ٣٤١, ٣٤٢, ٣٤٣, ٣٤٥, ٣٤٦, ٣٤٧, ٣٤٨, ٣٤٩, ٣٥٣, ٣٥٥, ٣٥٦, ٣٥٧, ٣٥٨, ٣٥٩, ٣٦٠, ٣٦١, ٣٦٢, ٣٦٤, ٣٦٥, ٣٦٧, ٣٦٨, ٣٦٩, ٣٧٢, ٣٧٤, ٣٧٦, ٣٧٨, ٣٨٠, ٣٨٢, ٣٨٤, ٣٨٦, ٣٨٧, ٣٨٨, ٣٩٠, ٣٩١, ٣٩٣, ٣٩٥, ٣٩٦, ٣٩٨, ٣٩٩, ٤٠٠, ٤٠١, ٤٠٢, ٤٠٣, ٤٠٤, ٤٠٥, ٤٠٦, ٤٠٧, ٤٠٨, ٤٠٩, ٤١١, ٤١٢, ٤١٣, ٤١٤, ٤١٥, ٤١٦, ٤١٧, ٤٢٠, ٤٢١, ٤٢٢, ٤٢٣, ٤٢٥, ٤٢٦, ٤٢٨, ٤٢٩, ٤٣١, ٤٣٢, ٤٣٥, ٤٣٦, ٤٣٧, ٤٤٠, ٤٤٣
الإسلامى (العالم)	٤, ٩, ١٩, ٢٠, ٢٣, ٢٥, ٢٦, ٢٧, ٣٠, ٣١, ٤٠, ٤٧, ٥٣, ٦٩, ٧٣,

الكلمة (مرتبة أبجدياً)	موقعها في البحث
الخير (وخيرية الأمة)	٣٨, ٣٩, ٤٠, ٥٠, ٥١, ٥٦, ١٠٥, ٢٠١, ٢٦٥, ٢٩٤, ٣٠٢, ٣٠٩, ٣٥٦, ٤٠٣, ٤١٦, ٤٣٧
الدعوة	١, ٤, ٥, ٨, ٩, ١١, ١٤, ١٥, ١٦, ١٨, ٢٠, ٢١, ٢٢, ٢٤, ٢٥, ٢٧, ٢٨, ٢٩, ٣٠, ٣١, ٣٢, ٣٣, ٣٤, ٣٧, ٣٨, ٤٠, ٤٢, ٤٤, ٤٨, ٥٠, ٥٢, ٥٣, ٥٤, ٥٥, ٥٨, ٦٢, ٦٤, ٦٥, ٦٦, ٦٩, ٧٠, ٧٢, ٧٣, ٧٤, ٧٥, ٨٠, ٨٦, ٩٥, ١٠٢, ١٠٥, ١٠٨, ١٠٩, ١١٠, ١١١, ١١٢, ١١٣, ١١٤, ١١٥, ١١٨, ١١٩, ١٢٠, ١٢١, ١٢٢, ١٢٣, ١٢٤, ١٢٦, ١٢٨, ١٣٠, ١٣١, ١٣٨, ١٤٢, ١٤٦, ١٤٨, ١٥٢, ١٥٣, ١٥٤, ١٦٢, ١٦٨, ١٦٩, ١٧١, ١٧٤, ١٧٥, ١٧٦, ١٧٧, ١٧٩, ١٨٢, ١٨٣, ١٨٤, ١٨٥, ١٨٦, ١٨٧, ١٨٨, ١٨٩, ١٩٠, ١٩١, ١٩٩, ٢٠٥, ٢٠٧, ٢٠٩, ٢١٥, ٢١٧, ٢١٨, ٢١٩, ٢٢٠, ٢٢١, ٢٢٢, ٢٢٣, ٢٢٩, ٢٣٢, ٢٣٦, ٢٣٧, ٢٤٠, ٢٤٢, ٢٤٥, ٢٤٨, ٢٤٩, ٢٥١, ٢٥٣, ٢٥٥, ٢٥٦, ٢٥٧, ٢٥٨, ٢٦٠, ٢٦٢, ٢٦٣, ٢٦٤, ٢٦٥, ٢٦٦, ٢٦٨, ٢٦٩, ٢٧٦, ٢٧٧, ٢٧٨, ٢٧٩, ٢٨٠, ٢٨٩, ٢٩٣, ٢٩٦, ٣٠٢, ٣٠٥, ٣٠٧, ٣٠٨, ٣٠٩, ٣١٠, ٣١٢, ٣١٣, ٣١٤, ٣١٥, ٣١٦, ٣١٨, ٣١٩, ٣٢٠, ٣٢١, ٣٢٢, ٣٢٣, ٣٢٤, ٣٢٥, ٣٢٨, ٣٢٩, ٣٣٠, ٣٣٢, ٣٣٧, ٣٤٣, ٣٤٦, ٣٥٠,

الكلمة (مرتبة أبجدياً)	موقعها فى البحث
	٣٥١, ٣٥٣, ٣٥٥, ٣٥٦, ٣٥٧, ٣٦٠, ٣٦٥, ٣٦٨, ٣٧٢, ٣٧٥, ٣٧٦, ٣٧٨, ٣٧٩, ٣٨٠, ٣٨١, ٣٨٢, ٣٨٤, ٣٨٩, ٣٩٠, ٣٩٣, ٣٩٥, ٣٩٦, ٣٩٩, ٤٠١, ٤٠٢, ٤٠٥, ٤٠٦, ٤١٠, ٤١١, ٤١٣, ٤١٤, ٤١٧, ٤١٩, ٤٢٠, ٤٢٣, ٤٢٥, ٤٢٦, ٤٢٧, ٤٢٨, ٤٢٩, ٤٣٠, ٤٣١, ٤٣٥, ٤٣٦, ٤٣٧, ٤٣٨, ٤٣٩, ٤٤٠, ٤٤١, ٤٤٢
الرسل	٦، ٤٠, ٤١, ٦٢, ٧٣, ٩٥, ٢٢٣, ٢٢٤, ٢٣٩, ٢٦٠, ٢٦٥
الرسول	٦, ٢٥, ٤١, ٤٩, ٥٢, ٧١, ٧٢, ٧٦, ١٢٠, ١٢١, ١٢٥, ١٣٩, ١٥٠, ١٩٢, ٢٢٣, ٢٢٥, ٢٣٨, ٢٤٠, ٢٤٢, ٢٨٦, ٢٩٣, ٣٠٥, ٣١٩
الرهبنة (والزواج وعدم الزواج)	١٧, ٦٤, ٦٧, ٢٩٤, ٣٣٢, ٣٣٣, ٣٣٨
الزمان والمكان (الصلاحية)	١٨, ٢٠, ٢٤, ٥٤, ٦٦, ٦٩, ٢٨٩, ٤١٢
السياسية (الدوافع)	١٣, ١٥٩, ٤٠٠, ٤٠٥, ٤١٧
السنة النبوية	٤٨, ٩٧, ٢٢٨
الشبهات (الشبهة)	١, ٥, ٦, ٧, ٨, ٢٢, ٢٥, ٢٦, ٢٧, ٢٨, ٣١, ٣٢, ٣٣, ٣٤, ٦٧, ١٠٨, ١٠٩, ١١١, ١١٣, ١١٤, ١١٥, ١١٦, ١١٨, ١١٩, ١٢٠, ١٢١, ١٢٢, ١٢٣, ١٢٤, ١٢٥, ١٥٤, ١٦٦, ١٧١, ١٨٥, ١٨٦, ١٨٧, ١٨٨, ١٩٢, ٢٠٦, ٢١٧, ٢١٨, ٢١٩, ٢٢١, ٢٢٣, ٢٢٨, ٢٣٢, ٢٣٣, ٢٣٥, ٢٣٦, ٢٣٧, ٢٤٥, ٢٤٦, ٢٤٩, ٢٥١, ٢٥٣, ٢٥٥,

الكلمة (مرتبة أبجدياً)	موقعها فى البحث
	٢٥٧, ٢٥٩, ٢٦٢, ٢٦٣, ٢٦٤, ٢٦٦, ٢٦٨, ٢٧٠, ٢٧٦, ٢٧٧, ٢٧٩, ٢٨٠, ٢٨١, ٢٨٢, ٢٨٥, ٢٨٩, ٣١٧, ٣١٨, ٣٢٠, ٣٢٣, ٣٢٧, ٣٢٨, ٣٢٩, ٣٣١, ٣٣٧, ٣٣٨, ٣٣٩, ٣٤٠, ٣٤٢, ٣٤٣, ٣٤٤, ٣٤٥, ٣٤٦, ٣٥١, ٣٥٤, ٣٥٦, ٣٥٧, ٣٦٠, ٣٦١, ٣٦٣, ٣٦٤, ٣٦٥, ٣٦٧, ٣٦٨, ٣٧٨, ٣٧٩, ٣٨٠, ٣٨٢, ٣٨٧, ٣٩٠, ٤٠٢, ٤١١, ٤١٢, ٤١٧, ٤١٨, ٤١٩, ٤٢١, ٤٢٣, ٤٢٧, ٤٢٨, ٤٣٠, ٤٣١, ٤٣٨, ٤٣٩, ٤٤٢
الشر	٢١, ٣٩, ٤٠, ١٠٥, ٢٦٣, ٣١٢
الشرق	٨, ٩, ١٠, ٨٣, ٨٥, ٨٨, ٨٩, ٩٠, ١٠٠, ١٠١, ١٠٣, ١٣٨, ١٩٣, ١٩٥, ٢٠٤, ٢٠٧, ٢٠٩, ٢٤٩, ٢٥٠, ٢٥١, ٢٥٢, ٣٠٦, ٣٣٥, ٣٥٩, ٣٦١, ٣٦٤, ٣٧١, ٣٩٠, ٣٩٥, ٤٠٣
الصليبية	١٩, ٢٠, ٧٦, ٧٧, ٧٩, ٨٠, ٨٣, ٩٥, ٩٩, ١٦٢, ١٨٤, ٢٨٦, ٣٥٧, ٣٥٩ , ٣٦٤, ٤٠٨
الطعن	٢٨, ٩٧, ١١٩, ١٩٢, ٢٨٠, ٣٠١, ٣٠٢, ٣٠٦, ٣١٢
العالمية	١, ٥, ٩, ١٤, ١٨, ٢١, ٢٢, ٢٤, ٢٦, ٢٧, ٢٨, ٢٩, ٣٠, ٣١, ٣٢, ٣٣, ٣٧, ٣٨, ٤١, ٤٢, ٥٢, ٥٣, ٥٤, ٥٥, ٥٨, ٦٠, ٦٢, ٦٩, ٧٠, ٧٩, ٨٠, ٨٨, ١٠٨, ١٠٩,

الكلمة (مرتبة أبجدياً)	موقعها فى البحث
	٢٥٦, ٢٥٨, ٢٦٠, ٢٦٣, ٢٦٧, ٢٧١, ٢٧٢, ٢٧٣, ٢٨٥, ٢٩٣, ٢٩٩, ٣٠٦, ٣٠٨, ٣١٠, ٣١٢, ٣٥٣, ٣٥٤, ٣٨٥, ٣٩١, ٤٠١, ٤٠٥, ٤١٥, ٤٣٠, ٤٤٢
العربية (الأمة واللغة)	١, ٩, ١٠, ١١, ٢٦, ٢٧, ٧٤, ٧٦, ٧٨, ٧٩, ٨٢, ٨٤, ٨٦, ٨٧, ٨٨, ٨٩, ٩٠, ٩١, ٩٧, ٩٩, ١٠١, ١٠٢, ١٠٣, ١١٢, ١١٥, ١١٨, ١١٩, ١٢٠, ١٢٢, ١٢٥, ١٢٦, ١٢٨, ١٢٩, ١٣٠, ١٣١, ١٣٢, ١٣٣, ١٣٤, ١٣٥, ١٣٦, ١٣٧, ١٥٥, ١٦٥, ١٦٧, ١٧٢, ١٩٩, ٢٠٤, ٢٠٦, ٢٠٧, ٢٠٨, ٢١١, ٢١٢, ٢١٣, ٢١٤, ٢٢١, ٢٤٠, ٢٤٥, ٢٤٦, ٢٥٠, ٢٥١, ٢٥٢, ٢٥٣, ٢٥٤, ٢٥٥, ٢٥٦, ٢٥٧, ٢٥٨, ٢٥٩, ٢٦٠, ٢٦١, ٢٧١, ٢٧٢, ٢٧٤, ٢٨٢, ٢٨٤, ٢٩٤, ٢٩٩, ٣٠١, ٣٠٣, ٣٢٢, ٣٢٤, ٣٤١, ٣٤٨, ٣٦٠, ٣٦١, ٣٦٤, ٣٦٨, ٣٧٥, ٣٧٩, ٣٨٠, ٣٨١, ٣٨٢, ٣٨٥, ٣٩١, ٣٩٣, ٣٩٦, ٣٩٧, ٣٩٨, ٤٠١, ٤٠٢, ٤١٥, ٤٢١, ٤٢٢, ٤٢٥, ٤٢٧, ٤٢٩, ٤٣٠, ٤٣١, ٤٣٢, ٤٣٣, ٤٤٢
العلم (والعلماء والأساليب العلمية)	٤, ٧, ١١, ١٢, ١٣, ١٤, ١٥, ١٦, ١٨, ١٩ , ٢١, ٢٢, ٢٣, ٢٥, ٢٧, ٢٨, ٢٩, ٣٠, ٣٢, ٣٣, ٣٥, ٤٤, ٤٦, ٥٢, ٥٤, ٥٧, ٧٥, ٧٦, ٨٠, ٨١, ٨٤, ٨٥, ٨٦, ٨٧, ٩١, ٩٢, ٩٩, ١٠٠, ١٠٢, ١٠٥, ١١٣, ١٢٤, ١٢٦, ١٢٧, ١٢٨, ١٢٩, ١٣٨,

الكلمة (مرتبة أبجدياً)	موقعها في البحث
	١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩،
	١٦٠، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧،
	١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥، ١٩٢،
	١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩،
	٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥،
	٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢،
	٢١٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١،
	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠،
	٢٣٢، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨،
	٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦،
	٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٠،
	٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩،
	٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦،
	٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٣، ٣٠١،
	٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩،
	٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨،
	٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤١،
	٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١،
	٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩،
	٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦،
	٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٥،
	٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٦،
	٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٦،
	٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١،
	٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٠،

الكلمة (مرتبة أبجدياً)	موقعها فى البحث
	٢٦٢, ٢٦٣, ٢٦٤, ٢٦٦, ٢٦٨, ٢٦٩, ٢٧٠, ٢٧١, ٢٧٢, ٢٧٣, ٢٨٣, ٢٨٧, ٢٩١, ٢٩٢, ٣٠١, ٣٠٣, ٣٠٤, ٣٠٦, ٣١٠, ٣١٢, ٣١٤, ٣١٥, ٣١٦, ٣١٩, ٣٢٠, ٣٢٨, ٣٢٩, ٣٣١, ٣٣٥, ٣٣٧, ٣٤٦, ٣٥٤, ٣٥٦, ٣٥٧, ٣٥٨, ٣٥٩, ٣٦٠, ٣٦١, ٣٦٣, ٣٦٤, ٣٦٥, ٣٦٦, ٣٦٧, ٣٦٨, ٣٦٩, ٣٧٠, ٣٧١, ٣٧٢, ٣٧٣, ٣٧٧, ٣٧٩, ٣٨٠, ٣٨٤, ٣٨٥, ٣٩٣, ٣٩٥, ٣٩٩, ٤٠٠, ٤٠١, ٤٠٣, ٤٠٤, ٤٠٥, ٤٠٦, ٤٠٧, ٤٠٩, ٤١١, ٤١٦, ٤١٧, ٤١٨, ٤١٩, ٤٢١, ٤٢٣, ٤٢٦, ٤٢٨, ٤٢٩, ٤٣٠, ٤٣١, ٤٣٣, ٤٣٦, ٤٤٠, ٤٤٢, ٤٤٣
المعرفة	١٠, ١١, ١٩, ٧٤, ٨٢, ٩٠, ١٠٤, ١٤٣, ١٨٢, ١٩٨, ٣٤٥, ٣٦٢, ٣٦٩, ٤٣٩
المناهج	٧, ١٣, ٣١, ٩٤, ١٠١, ١٠٧, ١١٩, ١٢٥, ١٤١, ١٨٢, ٢١٢, ٢١٤, ٢٢١, ٢٣٠, ٢٦١, ٢٨٣, ٢٨٤, ٣٠١, ٣١٩, ٣٣٥, ٣٤٢, ٤٤٠
مواجهة الدعوة لخصومها (والصراع الحضارى)	١٩, ٢٠, ٣٤, ٦٧, ٧٥, ٧٦, ٧٩, ٨٢, ٩٦, ٩٩, ١٠١, ١٤٣, ١٨٣, ١٨٦, ٢١٦, ٢٥٨, ٣٠٦, ٣٠٩, ٣١٣, ٣١٥, ٣١٦, ٣١٨, ٣٢٠, ٣٢٣, ٣٥١, ٣٥٧, ٣٥٨, ٣٦١,

الكلمة (مرتبة أبجدياً)	موقعها فى البحث
	٣٦٤, ٣٦٨, ٣٨٢, ٣٩٣, ٤٠١, ٤٠٢, ٤٠٥, ٤٠٦, ٤١٠, ٤١١, ٤١٧, ٤١٩, ٤٢١, ٤٢٣, ٤٢٩, ٤٣٥, ٤٣٦, ٤٣٨, ٤٤٠, ٤٤٤
المؤتمرات	١١, ٢٠٦, ٣٢٠, ٣٢١, ٣٢٢, ٣٩٧, ٤٢٢, ٤٢٨, ٤٢٩
النار	١٥٤, ١٥٥, ٢٢٤, ٣٠٣
الناس	٤, ٦, ١٥, ١٦, ١٨, ٣٠, ٤٠, ٤٨, ٥٢, ٥٣, ٥٧, ٥٨, ٥٩, ٦٠, ٦٣, ٦٥, ٧٢, ٧٣, ٧٥, ٧٦, ٩٠, ٩٥, ١١٣, ١٣٣, ١٤٠, ١٤٣, ١٤٤, ١٤٦, ١٥٧, ١٦٧, ١٧١, ١٧٥, ١٧٧, ١٧٨, ١٨٠, ١٨٤, ١٩٩, ٢٠٣, ٢٠٥, ٢١٠, ٢١١, ٢١٩, ٢٢٧, ٢٢٨, ٢٣٦, ٢٣٧, ٢٣٨, ٢٤٠, ٢٤٧, ٢٤٨, ٢٤٩, ٢٥٨, ٢٦٣, ٢٦٥, ٢٧٣, ٢٧٤, ٢٨٣, ٢٩٧, ٣٠٣, ٣١١, ٣١٣, ٣٣٥, ٣٣٧, ٣٤٠, ٣٤٦, ٣٥٤, ٣٥٥, ٣٦٠, ٣٧٠, ٣٧١, ٣٧٦, ٣٧٧, ٣٨٤, ٣٨٧, ٣٩٩, ٤٠٢, ٤٠٤, ٤١٢, ٤١٣, ٤١٤, ٤١٦, ٤٢٨, ٤٢٩, ٤٣٦, ٤٣٧, ٤٤٠, ٤٤١, ٤٤٣
النساء (المرأة)	٤, ٢٣, ٢٤, ٢٦, ٥١, ٥٨, ٦٠, ٦٦, ٦٧, ٦٨, ٦٩, ٩٨, ١٦٣, ٢١٦, ٢٦٩, ٢٧١, ٢٨٠, ٢٨١, ٢٨٢, ٢٨٤, ٢٨٧, ٢٨٩, ٢٩١, ٢٩٢, ٢٩٣, ٢٩٤, ٢٩٥, ٢٩٨, ٢٩٩,

الكلمة (مرتبة أبجدياً)	موقعها فى البحث
	٣١١, ٣١٢, ٣١٧, ٣١٨, ٣٢٠, ٣٢١, ٣٢٢, ٣٢٥, ٣٥١, ٣٥٧, ٣٥٨, ٣٦٧, ٣٦٩, ٣٧٣, ٤٠٢, ٤١٠, ٤١١, ٤١٢, ٤١٤, ٤١٥, ٤١٦, ٤١٧, ٤١٨, ٤١٩, ٤٢٠, ٤٢١, ٤٢٢, ٤٢٣, ٤٢٧, ٤٣٠, ٤٣١, ٤٣٨, ٤٤٣
اليهود	٢١, ٥٠, ٦٥, ٧١, ٧٤, ٨٣, ١٢٤, ١٢٥, ١٢٧, ١٥١, ١٥٦, ١٦٤, ١٧٢, ١٧٥, ١٨٠, ١٨١, ١٨٢, ١٨٥, ٢٠٥, ٢٢٩, ٢٣٩, ٣١١, ٣١٢, ٣١٤, ٣١٥, ٤٠٧
اليهودية	٦٤, ٦٥, ٨٣, ٨٥, ١١٥, ١١٩, ١٢١, ١٢٦, ١٨٥, ٢٠٨, ٣٠٤, ٣٠٥, ٣١١, ٣١٤, ٣١٥, ٣٥٣, ٤٠٧, ٤١٤, ٤٢٠, ٤٢٦

﴿ فهرس الموضوعات ﴾

الموضوع	الصفحة
ثالثاً : كتب التأريخ والتراجم والموسوعات .	٤٨٣
رابعاً : كتب اللغة العربية والمعاجم ، خامساً : الكتب الأخرى .	٤٨٦
سادساً : الدراسات الجامعية .	٤٩٦
سابعاً : المجلات والدوريات .	٤٩٧
و - ﴿ فهرس موضوعي بأهم الكلمات الواردة في البحث ﴾	٤٩٩
ز- ﴿ فهرس الموضوعات ﴾	٥٢١